

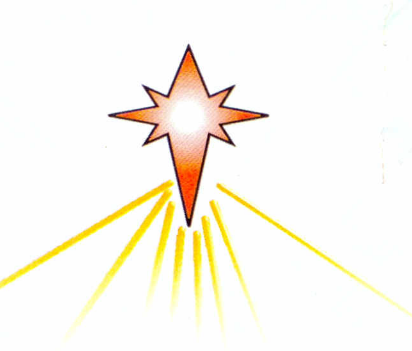
تاريخ البطاركة

للأنبا ساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونين

الجزء الأول

من القديس مارمرقس الرسول

حتى البابا يوساب (٥٢)

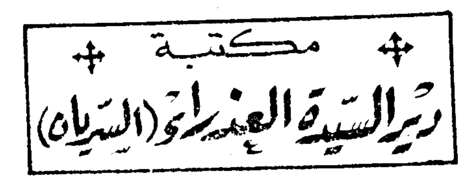


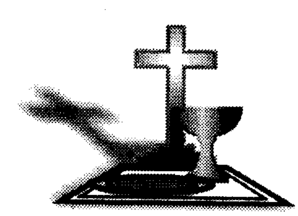
إعـداد

الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها





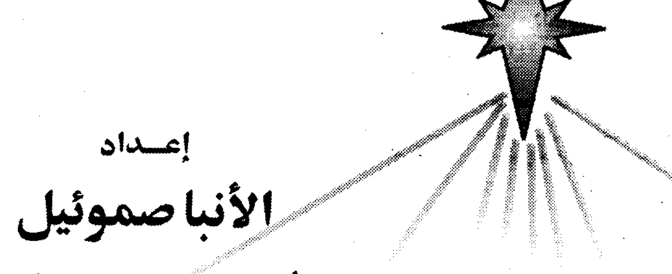


تاريخ البطاركة

للأنبا ساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونين

الجزء الأول

من القديس مارمرقس الرسول حتى البابا يوساب (٥٢)



إعداد

الأنبا صموئيل

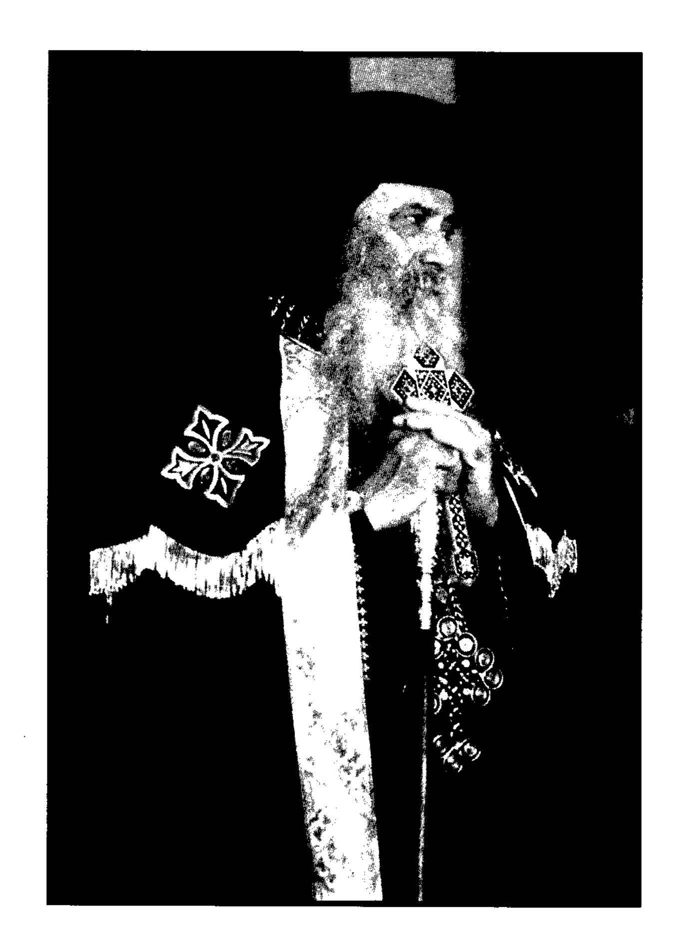
أسقف شبين القناطر وتوابعها

اسم الكتاب: تاريخ البطاركة للأنبا ساويروس أبن المقفع
الجزء الأول من مارمرقس حتى البابا يوساب (٥٢)

إعداد: الأنبا صموئيل
أسقف شبين القناطر وتوابعها

الطباعة: النعام للطباعة والتوريدات
تليفون: ٢٤٢٠٣٦٢ - ٢٤٦٣٦٣٣ فاكس: ٢٤٢٠٣٦٢

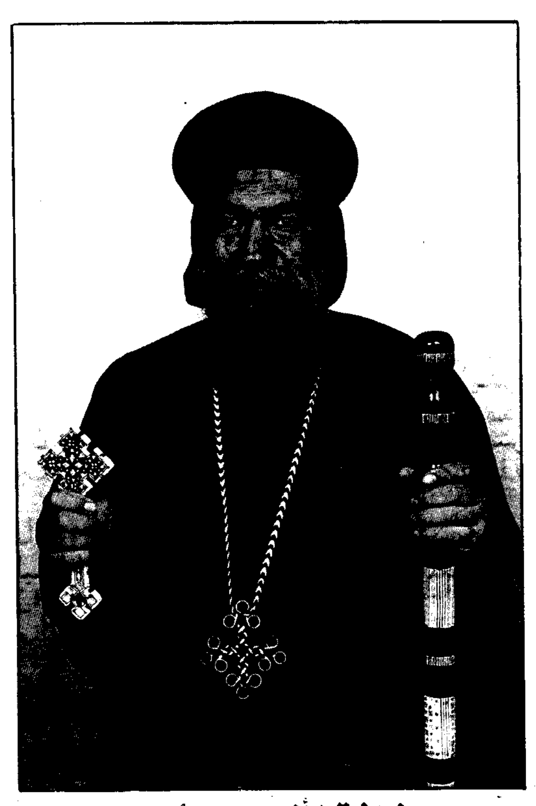
رقم الإيداع: ١٧٤٦٠ / ٩٩



صاحب القداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧



نيافة الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها

من هو الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين ؟

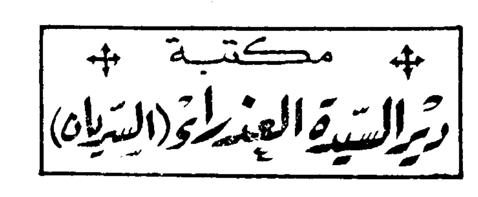
هو أحد علماء الكنيسة فى القرن العاشر الميلادي ألف أكثر من عشرين كتاباً طبع وترجم معظمها إلى لغات كثيرة والباقى بعضه مخطوط وبعضه مفقود . وذكرت قائمة مؤلفاته فى كتاب مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة لأبى البركات بن كبر كما ذكرت فى سيرة البابافيلوثاؤس الببطريرك (٦٣) .

ولد حوالى سنة ٩١٥ م من والد لقب بالمقفع ومعناه : المنكس الرأس دائماً أو من كانت يده متشنجة .

كان كاتباً ماهراً فى الدولة الأخشيدية وترك مركزه ليترهب ثم اختير اسقفاً لإيبارشية الأشمونين وهو اقليم : **Hermopolis** فى العصر اليونانى وتقع ٨ كم شمال غرب ملوى .

كان يحضر مع البابا ابرام بن زرعة فى لقاءاته مع المعز لدين الله الفاطمى خاصة فى المناظرة مع الوزير اليهودى يعقوب بن كلس وصديقه موسى اليهودى وعاصر معجزة نقل الجبل المقطم. كما كان له لقاءات مع القديس الواضح بن الرجا حيث كان يقص عليه قصة الهاشمى (من العراق) الذى رأى الجسد فى شكل طفل صغير فى الصينية فكف عن الهجوم على الكنائس والقاء القربان والكأس حتى آمن بالسر المقدس وكف عن افعالة المرذولة .

ذكر الأنبا ساويرس انه جمع سير البطاركة من دير ابو مقار ودير نهيا وغيرهما ويلاحظ انه كتب السير الأخيرة بالتفصيل حيث انها قاربت عصرة .



بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد

السيرة الأولى من سير البيعة المقدسة سيرة مارى مرقس

الحوارى الإنجيلى رئيس اساقفة المدينة العظمى الاسكندرية وأولهم

لما كان فى زمان تدبير الرب المخلص الرحوم يسوع المسيح عندما جعل له تلاميذ يتبعونه كان اخوان ساكنين فى مدينة من أعمال الخمس مدن التى فى المغرب تدعى كيرنابولوس، اسم أكبرهما ارسطوبولس واسم الآخر برنابس وكانافلاحين وكانا يزرعان ويحصدان وكان لهما أواسى كثيرة وكانا عارفين بناموس موسى معرفة جيدة وحفظا كتباً كثيرة من العتيقة ونالهما بلايا عظيمة من قبيلتى البربر والحبش ونهب جميع ما كان لهما فى زمان أوغسطس قيصر ملك الروم ولأجل ذهاب مالهما وما نزل عليهما من البلايا رحلا من تلك الكورة واهتما بخلاص أنفسهما وانتجعا إلى بلاد اليهود وكان لأرسطوبولس ولد ذكر يسمى يوحنا فلما سكنوا فى أعمال فلسطين بالقرب من مدينة أورشليم وكان يوحنا الطفل ينمو وينشأ فى قامته بنعمة روح القدس وكان لهذين الآخوين ابنة عم وهى زوجة سمعان بطرس الذى صار رئيس تلاميذ السيد المسيح وكان يوحنا المذكور قد سموه مرقس وكان يأوى عند بطرس ويتعلم منه من الكتب المقدسة التعاليم المسيحية ولما كان يوم من الأيام أخذ أرسطوبولس ولده مرقس إلى الأردن فبينما هما ماشيان لقيهما أسد ولبوة فلما نظر أرسطوبولس اليهما مقبلين اليه ونظر شدة غضبهما قال لولده مرقس يا ولدى هوذا تنظر غضب هذا الأسد المقبل ليهلكنا فامض أنت الآن وانج بنفسك ياولدى ودعهما أن يأكلانى فكما أراد الله ضابط الكل أجاب تلميذ المسيح مرقص القديس قايلا لأبيه لا تخف يا أبت المسيح الذى أومن به ينجينا من كل شدة فلما قرب منهم الاسد صاح عليهما مرقص تلميذ السيد المسيح بصوت عظيم وقال السيد يسوع المسيح ابن الله الحى يأمركما أن تنشقا وينقطع جنسكما من هذا الجبل ولا يكون لكما فيه ولد إلى الأبد فانشقا الاسد واللبوة للوقت والساعة من وسطهما وماتا لوقتهما من تلك الساعة وانقصع نسلهما فلما نظر

أرسطوبولس أبوه هذه الأعجوبة العظيمة التى ظهرت من مرقس ولده بقوة الرب يسوع المسيح الذى لا يغلب قال لولده أنا أبوك الذى ولدتك يامرقس أبنى وأنت اليوم أبى ومخلصى ومنجى والآن يا ولدى الحبيب أنا وأخى نسئلك أن تجعلنا عبيداً للرب يسوع المسيح الذى تبشر به وحينئذ تعلم أبو القديس مرقس وعمه تعاليم المسيح من ذلك اليوم ومريم أمه هى أخت برنابا تلميذ الرسل وبعد هذا كان فى تلك النواحى فى بلد يسمى أزدود أصل زيتون كبير جداً وكان الناس يتعجبون من عظمه وكان أهل تلك المدينة يسجدون للقمر ويصلون لشجرة الزيتون فنظر القديس مرقس صلاتهم وقال لهم هذه الزيتونة التى تأكلون ثمرتها وتوقدون أغصانها للنار ثم تسجدون لها كالاله ماذا تصنع هوذا بكلمة الله الذى أعده آمر هذه الشجرة أن تسقط على الأرض بلا حديد يدنو منها فقالوا له نحن نعلم أنك تعمل سحر الجليلى صاحبك ومهما أردته فعلته ونحن فندعو الهنا القمر الذى أقام لنا هذه الشجرة الزيتون نصلى لها أجاب القديس مرقس وقال لهم أنا أطرحها على الأرض فان أقامها الهكم فأنا أعبده معكم فرضوا بهذا القول منه وأبعدوا جميع الناس عنها وقالوا أنظروا لئلا يكون أنسان مختفياً فيها حينئذ دفع القديس مرقس وجهه إلى السماء وحول وجهه إلى ناحية المشرق وفتح فاه ودعا وقال ياسيدى يسوع المسيح أبن الله الحى أسمع عبدك وأمر القمر الذى هو خادم ثان لهذا العالم الذى يضئ فى الليل بأمرك وسلطانك أن يظهر صوته على هؤلاء الذين ليس لهم اله ويعرفهم من خلقه وخلق جميع الخليقة ومن هو الله حتى يعبدوه وأنا أعلم ياربى والاهى أن ليس له صوت ولا نطق ولا جرت عادته أن يكلم أحداً لكى يسمع كلامه فى هذه الساعة بقوتك التى لا تقاوم ليعرف هؤلاء الذين ليس لهم الاه أن ليس هو الاهاً لكنه خادم تحت سلطانك وأنت الهه وهذه الشجرة التى يصلون لها تقع على الأرض ليعرف الكل ربوبيتك أن ليس الاه الا أنت والآب الصالح والروح القدس المحى إلى الأبد أمين وفى تلك الساعة عند تمام صلاته حدثت ظلمة عظيمة. نصف النهار وظهر لهم القمر مضيئاً فى السماء وسمعوا صوتاً من القمر قائلاً أيها الناس القليلو الأيمان لست أنا الله فتعدونى بل أنا عبد الله ومن بعض خلقه وأنا خادم المسيح ربى

الذى يبشر به هذا مرقس تلميذه فهو وحده الذى نعبده ونخدمه عند ذلك سقطت شجرة الزيتون وصار خوف عظيم على كلمن شاهد هذه الأعجوبة فأما القوم الذين كانوا يخدمون الشجرة ويسجدون لها فانهم غضبوا وحرقوا ثيابهم ومسكوا القديس مرقس وضربوه وسلموه لليهود المخالفين وطرحوه فى السجن وفى تلك الليلة رأى القديس مرقس فى نومه السيد المسيح يقول لبطرس أنا أخرج كلمن هو معتقل فلما أنتبه من نومه رأى أبواب السجن مفتوحة فخرج هو وكلمن كان معه فى السجن وكانوا حفظة السجن نياماً كالأموات ناما الجموع الذين شاهدوا ما كان قالوا مايتم لنا عمل مع هؤلاء الجليليين[1] لأنهم يفعلون هذه الأفعال ببعلزبول رئيس الشياطين وكان مرقس من السبعين تلميذاً وهو من جملة الخدام الذين أستقوا الماء الذى صيره سيدنا خمراً فى عرس قانا الجليل وهو الذى حمل الجرة الماء فى بيت سمعان القريانى فى وقت العشاء السرى وهو أيضاً. الذى كان يأوى التلاميذ فى منزله فى زمان الآم السيد المسيح ومن بعد قيامته من الأموات حيث دخل عليهم والأبواب مغلقة وبعد صعوده إلى السماء مضى مرقس مع بطرس إلى يروشليم وبشرا الجموع بكلام الله وظهر الروح القدس لبطرس وأمره أن يمضى إلى المدن والقرى التى هناك فمضى بطرس ومعه مرقس إلى عمل بيت عنيا وبشرا بكلام الله وأقام بطرس هناك أياماً فنظر فى المنام ملاك الله يقول له فى كورتين غلاء عظيم فقال بطرس للملاك أى الكور تعنى قال له مدينة الأسكندرية وكورة مصر وكورة رومية وليس هو غلاء من خبز وماء بل هو غلاء من قلة معرفة كلام الله الذى تبشر به فلما أستيقظ بطرس من نومه قال لمرقس ما شاهده فى منامه ومن بعد ذلك مضى بطرس ومرقس إلى أعمال رومية وبشرا هناك بكلام الله ولما كان فى السنة الخامسة عشرة من بعد صعود المسيح أنفذ القديس بطرس مارى مرقس الأب الأنجيلى إلى مدينة الأسكندرية ليبشر فيها ويكرز بكلام الله وأنجيل السيد يسوع المسيح الذى له ينبغى المجد والكرامة والسجود وللآب والروح القدس الله الواحد إلى الأبد أمين .

(١) مفهوم كاثوليكى، راجع تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٢:١٦ وراجع حياة مارمرقس لقداسة البابا.

شهادة القديس مارى مرقس وبشارته بمدينة الأسكندرية وهى الثانية من سير البيعة

لما كان فى زمان تدبير الرب المخلص يسوع المسيح من بعد صعوده إلى السماء قسم جميع الكور على الرسل بالهام الروح القدس ليكرزوا فيها بكلام البشارة بالسيد يسوع المسيح ومن بعد زمان وقع نصيب مرقس الأنجيلى أن يمضى إلى كورة مصر ومدينة الأسكندرية العظمى بأمر الروح القدس لكى يسمعهم كلام أنجيل السيد المسيح ويثبتهم عليه لأجل ضلالتهم وأنغماسهم فى عبادة الأثان وعبادة المخلوق دون الخالق وكان عندهم برأبى كثيرة لآلهتهم المرذولة يخدمونها فى كل مكان ويعبدونها بكل أثم وسحر ويذبحون لها بينهم قرابين لأنه أول من كرز فى كورة مصر وأفريقية والخمس المدن وجميع أعمالها فلما عاد القديس مرقس من رومية قصد إلى الخمس مدن أولاً وبشر فى جميع أعمالها بكلام الله وأظهر عجائب كثيرة حتى أنه ابرأ الأعلاء وطهر البرص وأخرج الشياطين بنعمة الله الحالة فيه وآمن كثير بالسيد المسيح من أجله وكسروا أوثانهم الى كانوا يعبدونها وكل الشجر التى كانت الشياطين تأوى اليها وتخاطب الناس منها وعمدهم باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد ولذلك ظهر له الروح القدس وقال له قم أمضى إلى مدينة الأسكندرية لتزرع فيها الزرع الجيد الذى هو كلام الله فقام تلميذ المسيح ونهض وتقوى بروح القدس كمثل مقاتل فى الحرب وسلم على الأخوة وودعهم وقال لهم السيد يسوع المسيح يسهل طريقى لأمضى إلى الأسكندرية وأبشر فيها بأنجيله المقدس ثم دعا وقال يارب ثبت الأخوة الذين قد عرفوا اسمك المقدس وأعود اليهم فرحاً بهم فشيعوه الأخوة وتوجه إلى مدينة الأسكندرية فلما دخل من بابها انقطع شع حذاءه فلما رأى ذلك قال الآن قد علمت أن الرب سهل طريقى ثم التفت فنظر إلى إسكاف هناك فتقدم اليه ودفع له الحذاء لصلحه فلما أخذه الاسكاف وتناول الشفا لعمله ثقب الشفا كفه فقال ايس أو ثاوس[١] الذى تاويله الواحد الله فلما سمعه القديس مرقس يذكر أسم الله. فرح جداً وحول وجهه إلى الشرق وقال ياسيدى

(١) يا الله الواحد : ΙC ΘΕΟC

يسوع أنت الذى تسهل طريقى فى كل مكان ثم تفل على الأرض وأخذ منه طيناً ووضعه على موضع ثقب الشفا فى يد الإسكاف وقال بأسم الآب والأبن والروح القدس الاله الواحد الحى الآبدى تعافى يد هذا الأنسان فى هذه الساعة ليتمجد أسمك القدوس فعوفيت يده فى تلك الساعة قال له القديس مرقس أذا كنت تعرف أن الله واحد فلماذا تعبد هذه الألهة الكثيرة قال له نحن نذكر الله بأفواهنا لا غير وما نعرف من هو وبقى الأسكاف متعجباً من قوة الله الحالة فى القديس مرقس ثم قال له أنا أسلك يا رجل الله أن تصير إلى منزل عبدك تستريح وتأكل خبزاً لآننى أراك اليوم قد رحمتنى ففرح القديس مرقس وقال له يعطيك الرب خبز الحياة فى السموات ومضى معه إلى بيته فلما دخل منزله قال بركة الله تكون فى هذا البيت وصلى فلما اكلوا قال له الأسكاف يا أبى أريد أن تعرفنى من أنت الذى عملت هذه الأعجوبة العظيمة فأجاب القديس وقال له أنا أعبد يسوع المسيح ابن الله الحى إلى الآبد قال له لأسكاف أنا أريد أبصره قال له القديس مرقس أنا أدعك أن تنظره ثم بدأ ينص له انجيل البشارة وقولة المجد والعز والسلطان الذى لله من البداية ووعظه بمواعظ وتعاليم كثيرة يشهد بها سيرته ثم أنتهى معه إلى أن قال له أن السيد المسيح فى أخر الزمان تجسد من مريم العذراء وجاء إلى العالم وخلصنا من خطايانا ومن له ما تنبت به الأنبياء عليه شيئاً شيئاً فقال له الأسكاف هذه الكتب التى ذكرتها ما سمعت بها قط لكن كتب الفلاسفة اليونانيين هى التى تعلمها الناس أولادهم هاهنا وكذلك المصريون فقال له القديس مرقس فلاسفة هذا العالم باطل عند الله حكمتهم فلما سمع الأسكاف الحكمة وكلام الكتب من القديس مرقس معما نظره من العجب العظيم الذى فعله فى يده مال قلبه اليه وآمن بالرب وتعمد هو وكل أهل بيته وكلمن يجاوره وكان أسمه أنيانوس فلما كثروا المؤمنون بالمسيح وسمع أهل المدينة أن رجلاً يهودياً جليلياً قد دخل إليها وهو يريد أن يقلب عبادة الأوثان الهتهم وقد منع جماعة من عبادتها طلبوه فى كل مكان ونصبوا له قوماً يرصدونه فلما علم القديس مرقس مؤامرتهم قسم أنيانوس أسقفاً للأسكندرية وثلثة قسوس وسبعة شمامسة هؤلاء الاحد عشر جعلهم يخدمون ويثبتون الأخوة

المؤمنين وخرج من عندهم ومضى إلى الخمس مدن وأقام بها سنتين يبشر ويرسم أساقفة وقسوساً وشمامسة فى كل أعمالها وعاد إلى مدينة الأسكندرية فوجد الأخوة قد تثبتوا على الآمانة وكثروا بنعمة الله وأهتموا أن يبنوا بيعة فى موضع يعرف بمرعى البهائم قريبة من البحر عند صخرة يقطع منها الحجارة ففرح القديس مرقس بذلك فرحاً عظيماً وسجد على ركبتيه وبارك الله أذ ثبت خدام الآمانة الذين رتبهم فى تعاليم السيد المسيح ونكثوا عن عبادة الأوثان فلما علم أولئك الكفرة أن القديس مرقس قد عاد إلى الأسكندرية أمتلأوا غضباً لأجل الأعمال التى يعملها المؤمنون بالمسيح من أبراء الأمراض واخراج الشياطين واطلاق السنة الخرس واسماع الطرش وتطهير البرص وبحثوا عن القديس مرقس بغضب عظيم فلم يجدوه وصروا عليه بأسنانهم فى برابيهم ومواضع أوثانهم بغضب وقالوا ماتنظرون ظلم هذا الساحر فلما كان فى أحد السبوت يوم عيد فصح السيد المسيح أتفق فى تلك السنة يوم تسعة وعشرين من برمودة وكان فيه أيضاً عيد الكفار الوثنيين طلبوه باجتهاد فوجدوه على الهيكل فهجموا واخذوه وجعلوا فى حلقه حبلاً وجروه على الأرض وكانوا يقولون جروا التنين فى دار البقر وكان القديس اذا جروه يسبح الله ويقول الشكر لك يارب أذ جعلتنى مستحقاً أن اتالم على أسمك القدوس وكان لحمه ينقطع ويلتصق بحجارة الشوارع ودمه يجرى على الأرض فلما كان المساء مضوا به إلى الأعتقال حتى يتشاوروا باى هلاك يهلكونه فلما انتصف الليل وأبواب السجن مغلقة والحراس نيام على الأبواب واذا زلزلة عظيمة وأضطراب شديد فنزل له ملاك الرب من السماء ودخل إلى القديس وقال له يامرقس عبد الله هوذا قد كتب اسمك فى سفر الحياة وعددت فى جماعة القديسين وروحك تسبح مع الملائكة فى السموات وجسدك لا يهلك ولا يزول من على الأرض فلما أستيقظ من نومه رفع عينيه إلى السماء وقال اشكرك ياربى يسوع المسيح واسئلك أن تقبلنى اليك لأتنعم بصلاحك فلما تم هذا القول نام أيضاً فظهر له السيد المسيح فى الشخص الذى يعرفه التلاميذ وقال له السلام لك يامرقس الأنجيلى المصطفى فقال له القديس اشكرك يامخلصى يسوع المسيح اذ جعلتنى مستحقاً أن أتألم على أسمك القدوس ودفع له السيد المخلص سلامه وغاب عنه فلما انتبه واصبح الصبح اجتمع الجمع وأخرجوا القديس من الحبس

وجعلوا فى حلقه أيضاً حبلاً وقالوا جروا التنين فى دار البقر وزحفوا بالقديس على الأرض وهو يشكر السيد المسيح ويمجده ويقول أنا اسلم روحى فى يديك يا الاهى قال القديس هذا القول وأسلم الروح فجمع خدام الأوثان الأنجاس حطباً فى موضع يدعى الأنجيليون ليحرقوا جسد القديس هناك وكان بأمر الله ضباب عظيم وريح شديدة حتى أرتعدت الأرض وهطلت أمطار كثيرة ومات قوم كثير من الخوف والرعب وكانوا يقولون أن زريس الصنم أفتقد الأنسان الذى قتل فى هذا اليوم فأجتمع الأجوة المؤمنون وأخذوا جسد القديس مارى مرقس من الرماد ولم يتغير فيه شئ ومضوا به إلى البيعة التى كانوا يقدسون فيها وكفنوه وصلوا عليه كما جرت العادة وحفروا له موضعاً ودفنوا جسده فيه ليتمموا تذكاره فى كل وقت بفرح وأبتهال وبركة لأجل النعمة التى دفعها لهم السيد المسيح على يديه فى مدينة الأسكندرية وجعلوه فى الشرق من البيعة فى اليوم الذى تمت فيه شهادته وهو أول من أستشهد من الجليليين على أسم السيد يسوع المسيح بالأسكندرية في أخر يوم من برمودة للمصريين وهو ثمانية من قلنطر مايص من شهور الروم وهو أربعة وعشرون يوماً من نيسان من شهور العبرانيين ونحن أيضاً بنو الأرثدكسيين نصعد المجد والتقديس والترتيل لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى له ينبغى المجد والكرامة والسجود وللآب والروح القدس المحى المساوى الآن وكل أوان .

السيرة الثالثة من سير البيعة

أنيانوس البطرك[1] وهو الثانى من العدد

فلما توفى الأنجيلى مرقس رسول السيد يسوع المسيح جلس بعده أنيانوس بطركاً وكثرت الأخوة المؤمنون بالمسيح ورسمهم كهنة وخداماً وأقام أثنتين وعشرين سنة وتنيح فى العشرين من هتور السنة الثانية من ملك دومانيوس ملك رومية .

مليانوس البطرك[2] وهو الثالث من العدد

فأجتمع الشعب الأرثدكسى وتشاوروا وأخذوا أنساناً أسمه مليانوس وقسموه بطركاً على كرسى مارى مرقس الأنجيلى عوض أنيانوس وكان هذا مليانوس ذا عفاف وثبتت

(١) راجع يوسابيوس ٢٤:٢

(٢) يوسابيوس ٣:١٤، ٢١

الشعب على معرفة المسيح وكثر شعب الأرثذكسيين بمصر والخمس مدن وأفريقية وأقام أثنتى عشرة سنة علي الكرسى وكانت البيعة فى أيامه تحت سلامة وتنيح فى أول يوم من توت فى خامس عشر سنة من ملك الملك المقدم ذكره فسمع الكهنة والأساقفة الذين كانوا من قبله فى البلاد بأن البطرك قد تنيح فحزنوا واجتمعوا إلى مدينة الأسكندرية وتشاوروا مع الشعب الأرثذكسى الذين فيها وطرحوا القرعة لكى يعرفوا من يستحق يجلس على كرسى القديس مرقس الأنجيلى تلميذ السيد المسيح بعد هذا الآب مليانوس فأتفق رأيهم بتأييد السيد المسيح ربنا على رجل مختار خائف من الله أسمه كردنوس .

كردنوس البطرك[١] وهو الرابع من العدد

فأخذوه وأوسموه على كرسى الأسكندرية وكان عفيفاً متضعاً فى أيامه كلها وأقام أحدى عشرة سنة فى رئاسته وتنيح فى الحادى والعشرين يوماً من بوونه فى تسع سنين من ملك أدريانوس الملك .

أبريموس البطرك[٢] وهو الخامس من العدد

وبعد هذا كان فى شعب المسيح الأرثذكسى أنسان أسمه أبريموس وكان عفيفاً كالملائكة ويفعل أفعالاً حسنة بنسك فتشاوروا عليه وأخذوه وأوسموه على الكرسى الأنجيلى بطركاً فأقام أثنتى عشرة سنة وكانت السلامة فى البيعة فى أيامه وتنيح فى الثالث من مسرى فى خامس سنة من ملك أدريانوس الملك .

يسطس البطرك[٣] وهو السادس فى العدد

وبعد هذا أجتمع الشعب ووقع أختيارهم على أنسان فاضل حكيم منهم أسمه يوسطس فوسموه بطركاً وأقام أحدى عشرة سنة وتنيح فى الثانى عشر من بوونة فى سادس عشر سنة من ملك أدريانوس ودفن مع أبائه .

أومانيوس[٤] البطرك وهو السابع من عدد الآباء

وبعد ذلك وسموا أومانيوس بطركاً على كرسى الأسكندرية فأقام ثلاث عشرة سنة يرضى الله والشعب وتنيح فى العاشر من بابة فى السنة السادسة لأنطونيس الملك .

(١) يوسابيوس ٣:٢١ (٢) يوسابيوس ٤:١و٤ (٣) يوسابيوس ٤:٤و٥ (٤)يوسابيوس ٤:١١و١٩

مرقيانوس البطرك[١] وهو الثامن من عدد الآباء

فلما مضى البطرك المذكور أجتمع الشعب وأخذوا أنساناً محباً لله أسمه مرقيانوس وأوسموه بطركاً وأجلسوه على كرسى البشير مارى مرقس وأقام تسع سنين وشهوراً بسيرة عجيبة وتنيح فى اليوم السادس من طوبة فى السنة الخامسة عشرة لأنطونيس الملك .

كلاديانوس البطرك[٢] وهو التاسع من عدد الآباء

وكان فى تلك الأيام فى الشعب أنسان محب لله أسمه كلاديانوس فأجتمع الشعب والأساقفة الذين كانوا فى الأسكندرية فى تلك الأيام وأخذوه ووسموه بطركاً علي الكرسى الأنجيلى وكان محبوباً من جميع الشعب وأقام أربع عشرة سنة من ملك أورالياس والارفياس ولدى الملوك وتنيح فى التاسع من أبيب وكفن ودفن مع أبائه البطاركة المقدم ذكرهم .

أغريبنوس البطرك[٣] وهو العاشر من العدد

ثم أن الشعب أجتمعوا أيضاً بأتفاق وجعلوا أيديهم على أنسان من الشعب خائف من الله أسمه أغريبنوس ووسموه بطركاً وأجلسوه على كرسى الأنجيلى وأقام أثنتى عشرة سنة وتنيح فى الخامس من أمشير فى السنة التاسعة عشرة من ملك الملوك المذكورين .

يوليانوس البطرك[٤] وهو الحادى عشر من العدد

كان أنسان قس حكيم قد درس كتب الله أسمه يوليانوس سالكاً فى طريق العفاف والتدين والهدوء فاجتمع جماعة أساقفة من السنودس والشعب الأرثدكسى بمدينة الأسكندرية وبحثوا عن جميع الشعب فلم يجدوا مثل هذا القس فجعلوا أيديهم عليه وأوسموه بطركاً فوضع ميامر ومقالات للقديسين وأقام عشر سنين ومن بعد هذا البطرك لم يقم أسقف الأسكندرية فيها بل صار يخرج سراً ويوسم كهنة فى كل مكان كمارى مرقس الأنجيلى وتنيح المذكور فى اليوم الثامن من برمهات وقيل فى ثانى عشر بابة فى السنة الخامسة من ملك سوريانوس الملك .

(١) يوسابيوس ٤:١١ (٢) يوسابيوس ٤:١١و١٩ (٣) يوسابيوس ٤:١٩ (٤) يوسابيوس ٥:٩

ديمتريوس البطرك[1] وهو من العدد الثانى عشر وهى السيرة الرابعة من سير البيعة

وعند وفاة يوليانوس البطرك جاء إليه ملاك الرب فى منامه ليلة وفاته وقال له الذى يدخل لك فى غد بعنقود عنب هو البطرك بعدك فلما أصبح جاء إليه رجل فلاح، متزوج لا يقرأ ولا يكتب أسمه ديمتريوس وكان قد خرج يقلم كرمه فوجد فيه عنقود عنب فى غير زمان العنب فجاء به إلى البطرك فقال يوليانوس البطرك للشعب الذين كانوا حاضرين عنده هذا بطرككم كما قال لى ملاك الرب البارحة فأخذوه قهراً وقيدوه بقيد حديد وتنيح يوليانوس فى ذلك اليوم فكرزوا ديمتريوس بطركاً وحلت عليه النعمة الآلهية وكان يشبه يوسف بن يعقوب لأنه كان متزوجاً وكان أفضل من يوسف لأنه كان تزوج ولم يعرف أمرأته واذا قال قائل كيف يجوز أن يكون بطرك متزوجاً نقول لهم قد قال التلاميذ فى قوانينهم أن الأسقف اذا كان متزوجاً بأمرأة واحدة فلا يمنع من ذلك لأن الزوجة المؤمنة طاهرة وفراشها طاهر ولا ذنب عليه والبطرك فهو أسقف مدينة الأسكندرية وله الرئاسة على أساقفة أعمالها لأجل أنه خليفة مارى مرقس الرسول إلى أقليم مصر جميعة والخمس مدن والنوبة والحبشة كل هذه الأماكن كانت قد خرجت فى قسم الأب مرقس الرسول البشير فيها بشرى الأنجيل ولهذا وجب أن يكون حكم أسقف الأسكندرية على جميعها وكان الشعب يحب هذا البطرك ويقولون أنه الثانى عشر من مرقس البشير وكلهم غير متزوجين ألا هذا وكانوا يحسرون عليه وكان له موهبة من الله وذلك أنه كان اذا كمل القداس ومن قبل أن يقرب أحداً من الشعب ينظر السيد المسيح يدفع القربان بيده فاذا تقدم أنسان لا يستحق أن يتناول السرائر أظهر له السيد المسيح ذنبه ولا يقربه فيعرفه سبب فعله ويعترف بخطيئته ويؤنبه عليها ويقول له تنح عن خطيئتك التى تفعلها وحينئذ تأتى لتأخذ السرائر المقدسة وأقام على هذا مدة طويلة حتى أن المؤمنين كانوا بالأسكندرية لا يخطأون خوفاً من هذا البطرك لئلا يفضحهم وكان كل واحد من المؤمنين يقول لصديقه أو قريبه اياك ان تخطأ لئلا يفضحك

(١) يوسابيوس ٥:٢٢ ، ٦:٢و٣و٨و١٩و٢٦

البطرك قدام الشعب وكان بعض الناس يقول هذا رجل متزوج فكيف يوبخنا وقد وصم هذا الكرسى لأنه ما كان يجلس عليه إلى اليوم الا بتول وبعض الناس كان يقول ما هذا شئ ينقصه لأن التزويج طاهر نقى قدام الله فأراد الله أن يظهر فضائله حتى يتمجد ولا يدع هذا السر العظيم مخفياً كما قال فى أنجيله المقدس من فيه الطاهر لا تستطيع مدينة تخفى وهى على جبل فأظهر لهذا البطرك فضائله ليزداد شعبه به صلاحاً وذلك أنه أتاه فى بعض الليالى ملاك الرب وقال له يا ديمتريوس لا تطلب خلاصك وتدع قريبك وأذكر ما قاله الأنجيل أن الراعى الصالح يبذل نفسه عن خرفانه فقال ديمتريوس للملاك ياسيدى عرفنى ما تأمرنى به فأن كنت تريد ترسلنى للشهادة فأنا مستعد أن يسفك دمى على أسم المسيح فقال له الملاك أسمع منى يا ديمتريوس وأعلم أن السيد المسيح أنما تجسد ليخلص شعبه وما يجب لك الآن أن تخلص نفسك فقط وتدع هذا الشعب يشك فيك قال دمتريوس وما خطيئتى إلى الشعب ياسيدى عرفنى لكى أتوب عنها فقال له الملاك هذا السر الذى بينك وبين زوجتك وأنك لم تقربها قط أظهره للشعب قال دمتريوس للملاك أنا أطلب إليك ان أموت قدامك ولا تدع أحداً من الناس يعرف هذا قال له الملاك يجب أن تعرف أن الكتاب يقول من لا يطيع فهو هالك فاذا أصبحت بالغداة بعد فراغ القداس أجمع الكهنة والشعب وعرفهم هذا السر الذى بينك وبين زوجتك فلما سمع البطرك هذا تعجب وقال مبارك الرب الذى لايرفض المتوكلين عليه ثم غاب الملاك عنه فلما كان بالغداة يوم عيد العنصرة قدس البطرك وأمر رئيس الشمامسة أن يعلم الكهنة والشعب أن لا يخرجوا من البيعة بل يجتمعوا عند الكرسى فقال الأرشى دياقن للجمع أن البطرك يقول لجميعكم أنى أريد مخاطبتكم فلا يخرج احد منكم حتى يسمع ما أقوله فلما جلسوا أمر أن يجمع الأخوة حطباً كثيراً ففعلوا ذلك وهم متعجبون قائلون ماذا يصنع البطرك فقال لهم قوموا نصلى فصلوا وجلسوا فقال لهم أنا أطلب من محبتكم أن تحضر عندكم زوجتى تأخذ بركتكم فعجبوا وقالوا فى قلوبهم أيش هذا الفعل ثم قالوا له كلما تأمرنا به يكون فامر البطرك أحد عبيده وقال له أدع زوجتى عبدة القديسين لتأخذ بركتهم فجاءت

الأمرأة القديسة ووقفت فى وسط الأخوة وقام زوجها البطرك بحيث يشاهدونه جميعهم ووقف على جمر النار وهى تقد وفرش بلاريته وأخذ بيده جمراً من النارجعلها فيها فشخص جميعهم من كثرة الجمر التى فى البلارية ولم تحترق ثم قال لزوجته أفرشى بليتك الصوف الذى عليك ففرشته وأقلب الأب البطرك تلك الجمر فيه وهو قائمة ورفع فى النار بخوراً وأمرها أن تبخر جميعهم ففعلت كذلك هذا كله ولم يحترق البلين فقال البطرك ثانى دفعة قوموا نصلى وكانت الجمر تقد فى وسط بلين الأمرأة ولم يحترق منه شئ سمعتم الآن يا أحباءى هذا العجب العظيم اذا صير الأنسان نفسه خصياً بأختياره فهو اجل من الذى يولد خصياً ولأجل هذا لم يحترق هذا القديس ولا شئ من لباسه ولباس زوجته لانه أطفأ لهيب الشهوة والآن فلنختصر الكلام فى هذا ونعود إلى السيرة ونمجد الله إلى الآبد فنقول أن الكهنة لما صلوا قالوا للبطرك نطلب من قدسك أن تعرفنا هذا السر العجيب قال لهم البطرك ليسمع الآن جميعكم ما أقوله أعلموا أنى ما فعلت هذا اطلب مجد الناس أنا عمرى اليوم ثلث وستون سنة وزوجتى الآن التى هى قدامكم هى أبنة عمى ومات أبوها وأمها وتركوها طفلة فدخل بها والدى على ولم يكن له ولد غيرى ولم يكن لعمى ولد غيرها فتربيت معها فى بيت أبى وكنا فى مكان واحد فلما صار لها خمس عشرة سنة أراد أبى وأمى يزوجونى أياها وكانت غرضهم فى ذلك أن لا يضيع مالهم للغريب بل نرثه فعملوا العرس كما تعمل الناس لأولادهم ودخلت عليها فلما أخلونا قالت لى كيف دفعونى لك وأنا أختك فقلت لها أسمعى منى ما أقوله يجب أن نكون فى هذا المكان ولا نفترق ابداً ولا يكون بيننا شئ حتى يفرق الموت بيننا واذا بقينا هاهنا بطهارة فنحن نجتمع فى أورشليم السمائية ويشبع بعضنا مع بعض فى النعيم الدائم فلما سمعت منى هذا قبلته وبقى جسدها طاهراً ولم يرجع أبواى يعلمان ما بيننا وكانوا المدعيون فى العرس طلبوا ماجرت به العادة من حال الزيجة كما تعلمون من أفعال الناس البطالة فقالت لهم أمى هؤلاء صبيان والأيام قدامهم طويلة وبقينا على ما نحن عليه فلما ماتا ابواى وابواها بقينا جميعاً ايتاما ولى منذ تزوجتها ثمان واربعون سنة ونحن ننام على سرير واحد وفراش واحد وغطاء واحد علينا جميعنا والرب

الذى يعلم ويدين الأحياء والأموات هو العارف بخفايا القلوب وهو يعلم أننى ماعلمت قط أنها أمرأة ولا علمت هى أيضاً أنى رجل بل بعضنا ينظر وجه بعض فقط ومرقد واحد يجمعنا ومضجع هذا العالم ما عرفناه قط بالجملة واذا نمنا جميعاً ننظر شخصاً كالنسر يأتى طائراً يحط على مرقدنا فيما بينى وبينها فيجعل جناحه الأيمن على وجناحه الأيسر عليها إلى الصباح يروح ونحن ننظره حتى يغيب ولا تظنوا أيها الأخوة والشعب المحب لله أننى أظهرت لكم هذه الأسرار طلباً لمجد هذا العالم الفانى ولا أعلمتكم به بأرادتى بل هو أمر الرب أمرنى به الذى يريد الخير لجميع الناس وهو المسيح المخلص فلما قال لهم هذا القول سجدوا كلهم على وجوههم على الأرض وقالوا حقاً يا أبانا أنك أفضل من كثير من أهل الصلاح وقد رحمنا الرب لما جعلك رئيساً علينا وشكروه وسألوه أن يصفح عن ظنونهم فيه فبارك عليهم ودعا لهم فأنصرفوا إلى منازلهم يسبحون الله وبعد هذا أمر الأمرأة أن تمضى إلى بيتها فهل سمعتم أيها السامعون بمثل هذه العجائب وأقام هذا الأب الجليل القديس مع هذه الأمرأة الجميلة الحسنة طول هذه المدة وصبر فأين هم المتزوجون الآن الذين يزنون أيضاً ويقولون أنا نصارى يأتون الآن ويسمعون الأب دمتريوس البطريرك الذى يقول أننى لم أعرف الا وجه زوجتى فقط فيخزوا ويفتضحوا يا لهذا الأب المجاهد القديس المقاتل للأفكار الجسدانية يالهذا العجب كيف لم يضطرب قلبه وهو ينظر هذه الأمرأة الحسنة الجميلة وكيف لم تحرك جسمه نعومة جسمها ما أعجب كلامك أيها القديس فى الخلوة ولم يرمك صاحب النشاب الذى يرمنى جميع الناس أعنى الشيطان قال أنا أنسان ولى جسد مثل جميع الناس ولكنى أعلمكم الجواب كنت أذا أضطرب على قلبى بالفكر الردئ ذكرت العهد الذى قررته مع المسيح وأنى اذا فسخته خفت أن ينكرنى فى السموات قدام الأب وملائكته القديسين وأيضاً اذا رأيت حسن جسمها ونعومته تذكرت الأجساد التى تصير فى القبور ونتن رائحتها الكريهة فامنع نفسى من كلام غريب خوفاً من النار التى لا تطفأ والدود الذى لا ينام فى الأخرة حيث لا يقدر يكون فيها من يفتح فاه يا أحبائى هذا الأب مصطفى من الله فى جهادة وشجاعته أشجع ممن

يقتل السباع كما قال بعض المعلمين ليس الشجيع من يقتل الأسد لكن الذى يموت وهو طاهر من مضاجعة الأمرأة ومن مصايد النساء فطوبى لهذا القديس لانه قد تعالت درجته مثل يوسف لما كان فى بيت المصرية وكانت تخاطبه فى كل وقت تجد السبيل إلى خطابه وهذا كان يقاتل أفكاره فى كل يوم وليلة وهكذا تم جهادة وحفظ بتوليته وأمانته المستقيمة وأقام ثلث وأربعين سنة بطركاً وكان قد جرى هيج بالاسكندرية ونفاه الملك سواريانوس إلى موضع يعرف بمدينة موسين وتنيح هناك فى اليوم الثانى عشر من برمهات وأظنه يوم ظهور بتوليته وأستشهد فى أيام سوريانوس الملك شهداء كثيرة بمحبة منهم والد رجل يعرف يرجانوس[١] قد تعلم العلوم البرانية ورفض كتب الله وبدأ يطعن عليها فلما علم به الأب دمتريوس ورأى الجمع قد ضل بعضهم إلى كذبه أبعده عن البيعة فأما الشهداء الذين هم فلوطرخس وسرنس فأحرقوهم أحياء وأما أرقلادا وأرون فأخذوا رؤوسهما وكذلك سيرنس وارائى الأمرأة وبسيليتس وأبطومايتا وأمها مرقلا فلحقها تعب عظيم وجهاد شديد وانتلاس هو أب الملوك وأوسابيوس ومقاريوس هو خال قلاديانوس ويسطس وتادرس المشرقى هؤلاء الشهداء كلهم اقرباء بعضهم لبعض وأيضاً عذراء أسمها تكلا[٢] وكان بسيليتس من الجند فتقدم بإختياره ولما سألوه قال أنا نصرانى لأنى رأيت منذ ثلثة أيام فى منامى أمرأة ظهرت لى وجعلت على رأسى أكليلاً من عند يسوع المسيح وكذلك نال أكليل الشهادة وهكذا جماعة كثيرة استشهدوا وكانت أبطومايتا الأمرأة تظهر لهم فى المنام وتدعوهم إلى الأمانة بالسيد المسيح حتى نالوا أكليل الشهادة وجاء إلى الأسكندرية وال عوضاً من بنطنوس أسمه اقليموس[٣] وكان والياً إلى تلك الأيام وصنع اقيلمس كتباً من نفسه يبطل بها التواريخ ثم أن انساناً يهودياً كاتباً كان أسمه يهودا[٤] كان يقرأ فى كتاب رويا دانيال النبى فى عاشر سنة من ملك سويرس وكان يصوف السنين والتواريج إلى زمان الدجال بإختياره ويقول قد قرب الوقت من أجل أفعال سويرس الملك العدو فلما نظره أورجاناس الذى قطعه الأب ديمتريوس بسبب فعله ما لا يجوز من كتب السحر ورفضه

(١) أوريجانوس (٢) تكلا الشهيدة : ٢٣ توت (٣) راجع يوسابيوس ٦:٦و٧و٨

كتب القديسين أنه وضع كتب كثيرة عن نفسه فيها تجديف كثير منه أن الأب خلق الأبن وأن الأبن خلق روح القدس ولم يقل أن الأب والأبن والروح القدس اله واحد وأن الثالوث لا يعجزه شئ بل قوته واحدة وربوبيته واحدة ولأجل سوء اعتقاده رفضته البيعة أذ كان غريباً منها وليس هو من أولادها لفساد مقالته فلما طرد منها وزال طقسه خرج من الأسكندرية ومضى إلى فلسطين وأحتال حتى نال درجة الكهنوت وقسم قساً من يد أسقف قيسارية فلسطين(١) ثم عاد إلى الأسكندرية وأعتقد أن يتم له فيها كهنوت ويفعل ما أراده فلم يقبله الأب القديس ديمتريوس وقال له يوجب قانون الأباء الرسل أن لا يفارق كاهن المذبح الذى قسم عليه فأمض إلى الموضع الذى قسمت فيه قساً فأخدم فيه هناك باتضاع كالقانون وأنا فما أحل قانون البيعة لأجل مجد الناس فبقى مطروداً وكان هذا من قبل أن يعرف الأب البطرك تجديفه وكفره وهذا صار شكاً لجميع الناس لأنه صير نفسه معلماً وهو لا يستحق أن يكون تلميذاً وأما سويرس الملك فأقام ثمانى عشرة سنة ملكاً ومات وملك بعده أنطونينوس ابنه وبعد ذلك ظهر قوم أقوياء بتأييد المسيح بتدبير الله أسم أحدهم الأكسندروس وهو المعترف وصار أسقفاً على أورشليم بعد نركيصوص(٢) وهذا الأنسان نركصوص كان يصنع عجائب كثيرة فى حياته حتى أنه لما عجزت البيعة عن زيت أمرهم أن يملأوا القناديل ماء وكانت جمعة البصخة وصلى فصار الماء زيتاً ووقدت القناديل فعل هذا دفوعاً عدة لأيمانه بأتحاد السيد المسيح وكل أحد يشهد له بذلك وعرفنا خبرة من الثقات فحسدوه قوم بشرهم وأرادوا قتله وكذبوا عليه وحلفوا أنه يفعل الردئ فوقف أحدهم يوقد ناراً فأحرقته وأخر نزل كلما فى جوفه ومات وأخر مرض وذاب جسمه وأخر عمى فعلموا الناس كذبهم عليه لما ظهر من قدسه وصير أسقفاً ولم ينله شئ من السوء لانه كان متعبداً حكيماً معترفاً بالسيد المسيح وكان أمره هرب من البيعة وأوى البرية لأن الشعب كان مشتاً وبعضهم قذفوه بالمحال فلم تصبر العين التى تنظر كل شئ وجازى المخالفين بأعتقادهم الردئ وإيمانهم الكاذب عليه فالأول متهم مات هو وكل بيته بحريق نار نزل عليهم والأخر لحقه وجع من رأسه إلى قدمه بحرقة عظيمةوبدأ الأخر يهرب لعلمه بما صنع

وعاجله الله وعمى للوقت وأعترف على نفسه عند كل احد بفعله السوء الذى صنعه فى القديس الأسقف وأكله قلبه وندم وبكى لأجل أنه عدم بصره فأما نركيصص الأسقف فأنه أختفى فى البرية ولم يعرف موضعه الا بعد زمان كثير فأوجب الحال لأجل خلو البيع التى كان أسقفاً عليها ممن يدبرها أن يوسموا عوضه أنساناً أسمه ديوس فلم يقيم الا مدة يسيرة وتنيح وأوسم أخر عوضه يسمى كرمانيون وبعد ذلك ظهر الأب الجليل نركيصص كمثل من قام من الأموات وسألوه أن يعود إلى كرسيه وفرح به الشعب فرحاً عظيماً وكان قد أفرغ نفسه للحكمة والنعمة التى إستحقها من الله فلم يعد إلى الخدمة لكرسيه وأما الأكسندرس المقدم ذكره فانه كان فى كرسى أخر فرأى ملاك الله فى منامه يأمره بمساعدة نركيصص هذا ويخدم الله لأنه كان قسم أسقفاً فى قبادوقيا أولاً وجاء إلى يروشليم فى ذلك الزمان ليصلى فنظر البيع المقدسة التى كان يشتهى أن يراها وطاف حول المواضع المباركة كلها وعول على الرجوع إلى قبادوقيا لمده فمنعوه الأخوة وأعلم فى المنام وسمعوا باجمعهم صوتاً فى البيعة يقول أخرجوا إلى الباب فأول رجل يدخل منه تلقونه أجعلوه أسقفاً ففعلوا ذلك وتلقوا الأكسندرس وتعلقوا به فأمتنع وقال ما أفعل فاصلحوه قهراً بحضور جماعة من الأساقفة ببلد أورشليم وبأمرهم وبرأى واحد وأتفاق واحد وكتب الأكسندروس كتبه التى كان أنفذها إلى أنصنا وذكر فيها نركيصص وأنه معه بإمانة واحدة وأتفاق واحد فى بيعة يروشليم وكان فى كل كتبه يقول نركيصص يقرأ عليكم السلام الذى هو قبلى فى الأسقفية فى هذا المكان وهو الآن معى ويؤيدنى ويشدنى بصلواته لأقوى على هذه الخدمة وقد أقام مائة وست عشرة سنة على هذه الخدمة وأنا أطلب اليكم أن تكونوا معى بقلب واحد ومنهم سرابيون الذى صار بطركاً على أنطاكية وتنيح ووسم اسكليباتوس المعترف أيضاً وعلت درجته وكان الاكسندروس قد كاتب أهل أنطاكية بسببه وقال هكذا الأكسندرس عبد الله المعترف بيسوع المسيح يكاتب البيعة المقدسة بأنطاكية بالرب بفرح على يد القس العفيف اكليمنطس يا أخوتى أحب أن تقدموا اسكليباتوس فهو مستحق لهذه المنزلة فوسموه وكتب أيضاً اليهم كتاباً يقول فيه أن انساناً يهودياً اسمه مرقيانوس

عمل كتباً نسبها إلى بطرس رأس التلاميذ وذكرفيها كلاما كذبا فاحرسوا نفوسكم من هذه الكتب ونحن نقبل بطرس وباقى التلاميذ كقبولنا أمر المسيح لأنهم شاهدوه وسمعوا كلامه منه وأما هذه الكتب الكاذبة فليس نقبلها بل نبعدها لان ليس فيها شئ من تعليم أبائنا فلما وصل إليهم القس بالكتب قال لهم أثبتوا على الأمانة الصحيحة ولا ترجعوا إلى الكتاب الباطل الذى نسب إلى بطرس فهو كذب وضلال وفيه بداية الخلف ولهذا جئت اليكم مسرعاً وقد علمنا بأن هذا مرقيانوس اليهودى قد أضل جماعة بكتبه وصاروا مخالفين لأن هذا المخالف قد كتب كتباً كثيرة وشرح بعضها فى السيرة ولما فيها من الطويل أستغنى عن كتبها فأما ديمتريوس بطريرك الأسكندرية القديس فأظهر العلوم والحكمة بعد أن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكانوا جميع أولاده موبخين منه فلما رأى أنه قد شاخ وكبر فى الفحص عن العلوم والكتب الألهية حتى أنه كان يحمل إلى البيعة فى محفة وهو لايفتر من التعليم من الغداه إلى الليل والأخوة ماضون وجائنون إليه ليستفيدوا من تعاليمه استخلف ياروكلا وكان رجلاً مختاراً عارفاً بكتب الله معلماً بتعاليم البيعة ومعرفة كلام الله ويحفظ قوانين البيعة فلما رأى اروجانس الذى احرمه ديمتريوس بأن البيعة قد أبعدته مضى لليهود وفسر لهم كلاماً من الكتب العبرانية على غير جهتها وأخفى ما فيها من نبوات الأنبياء عن السيد المسيح حتى أنه لما جاء إلى ذكر الشجرة التى كان فيها كبش ابراهيم الخليل مربوطاً بقريبه وفسر الأباء أنها مثال خشبة الصليب أخفى ذكرها وأزاله وفسر كتباً كثيرة كذباً ليست لها صحة وصار معه مخالف أخر أسمه ساماخاس[1] ظهر منه شقاق كثير قال أن المسيح مولود من مريم ويوسف وأنكر قوة الولادة العجيبة وأن السيد المسيح المولود بلا تعب هكذا ولد من العذراء بلا تعب هو الآله وهو الأنسان بالحقيقة وهو واحد من أثنين وخالف الأنجيل الصادق كما شهد متى وما قال فى الولادة ولا تقدر أبواب الجحيم أن تقاومها وكان هذا المخالف يظهر أنه نصرانى ودفعة يقول أنه حكيم وقد قرأ كتب الصابئة و المعتزلة ثم صادق أرجاناس[1] وأضل جماعة من

(١) سيماخوس

السوادج وكان فى ذلك الزمان أنسان فاضل قديس له حكمة الأهية أسمه أمونيوس فرد عليهما وأظهر كذبهما وما فسراه من الكتب بضد الواجب وكذبهما ثم مضى أرجاناس إلى قيسارية فلسطين التى كان صير فيها قسيساً وجاء إلى الأسكندرية بكتب عناية فلم يقبله الأب ديمتريوس وأنفاه لمعرفته بفعله فمضى إلى موضع يعرف بتمى من كوستانكية وموه على أسقفها وكان أسمه أمونة فجعله فى احدى البيع فلما أنتهى خبره إلى ديمتريوس القديس سار بنفسه إلى تمى قاصداً ونفى ارجانوس وقطع الأسقف أمونة الذى قبله وشق عليه واقام اسقفاً غيره ولما علم وتحقق انه قبل هذا المخالف وعرف حاله وكذبه قسم عوضه اسقفاً أسمه فلا أس وكان رجلاً خايفاً من الله مؤمناً فقال ما أجلس على الكرسى وأمونة بالحياة فلما مات أمونة جلس الأسقف فلاأس المذكور وأستشهد بعد ذلك بزمان ومضى إلى الرب بسلام ومضى أرجانوس المنوع إلى مدينة قيسارية فلسطين وصار يقدس هناك أسقفا فكتب الأب ديمتريوس إلى الأكسندرس أسقف يروشليم يقول له ما سمعنا ثابقاً مارقاً يعلم فى موضع فيه أساقفة قيام ويعتب على أسقف قيسارية المسمى تاودكطس ويلومه عنده ويصعب عليه الأمر ويقول ماظننت أن هذا يكون فى قيسارية على هذا الأسقف وقد وجدنا فى كتب هذا أرجانوس يقول أن الأبن مخلوق والروح القدس فقراً أسقف قيسارية كتاب الأب ديمتريوس فى البيعة لأن أسقف يروشليم أنفذه إليه فقطع أرجانوس وأخرجه من كرسى قيسارية فعاد بقلة حياء إلى الأسكندرية ولما تغيرت ملوك رومية وأنطاكية وبطاركتها أستغنينا عن شرحهم غرضاً فى الأختصار وترك التطويل وصار على أنطاكية بطرك أسمه فيلتس وظهر فى أيامه رجل مخالف كتب كتباً برانية ومات فيلتس فصار عوضه على أنطاكية بطرك أسمه زابتوس، فأمر أن لا تقرأ كتب هذا المخالف ولا كتب أرجانس الذى نفى من الأسكندرية لأن كتبه أشتهرت وقال من يحب أن يقرأ الكتب فليقرأ الكتب التى هذه أسماؤها الكتب العتيقة خمسة أسفار التوراه كتاب يوشع بن نون سفر القضاة كتاب روث المواآبية أسفار الملوك البرالوبومانون كتاب عزرا مزامير

(١) أوريجانوس (٢) فيليبيانوس

داءود النبى كتاب حكمة سليمان كتاب أشعيا كتاب أرميا كتاب حزقيال كتاب دانيال كتاب أيوب كتاب أستر كتاب صمويل كتاب شربيت كتاب الأثنى عشر أنبياء الصغار الكتب الحديثة أنجيل متى كتبه بالعبرانى فى ورق طومار وهو فى قيسارية عند أنسان وذريته يحفظونه جيلاً بعد جيل وفسر بالرومى ونقل إلى كل اللغات بقوة السيد المسيح أنجيل مرقس كتبه بالرومى وكان بطرس رئيس الرسل[1] هناك وقرئ فى مجمع الملوك أيضاً أنجيل لوقا تلميذ بولس كتبه باليونانى فى أنطاكية أنجيل يوحنا بن زبدى سالوه التلاميذ بعد كبره سوالاً كثيراً إلى أن كتبه باليونانى فى أفسس كتاب أخبار الرسل والتلاميذ وهو كتاب الأبركسس كتاب رسائل بولس المنتخب وهو اربع عشرة رسالة كتاب القتاليقون كتاب جليان يوحنا الأنجيلى وهو الأبوغالمسيس كتاب الدسقلية وهو تعاليم الرسل وقوانين البيعة التى كتبوها قبل أفتراقهم للبشارة هذه الكتب التى سلمت للبيعة الجامعة الرسولية وبعدها كتب الآباء المعلمين التى وضعوها بتلقين روح القدس وهى الميامر وغيرها لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها فأما ما كتبه أرجانس المخالف فهو مرذول من الله وليس فى كتبه شئ مكتوب بالروح القدس كما قال فى بولس الرسول أنا لم نأخذ روحاً من هذا العالم بل الروح الذى أعطيناه من الله وأما الأب الجليل ديمتريوس فأقام ثلث وأربعين سنة وتنيح كما ذكرنا .

السيرة الخامسة من سير البيعة المقدسة ياروكلا [2]
البطرك وهو من العدد الثالث عشر

كان هذا الأب فى زمان ديمتريوس البطرك معلماً فى البيعة يتمجد بعلوم الله وكان برمليانوس أسقف قيسارية قبادوقية قد وجد أرجاناس قد أختلط هناك باليهود وأقام معهم زماناً وكان الأكسندرس قد ملك رومية ثلث عشرة سنة وملك بعده مكسيموس قيصر فأقام على مقدمى البيعة خاصة أضطهاداً كثيراً لأنهم المعلمون لبنى المعمودية وأستشهد فى أيامه كثير ومات مكسيموس وملك كرديانوس برومية وكان بطركها بنطيوس أقام ست سنين ومات وصار بعده أنتارس بطركاً أقام شهراً واحداً وطلبوا منه

(١) مفهوم كاثوليكى (٢) راجع يوسابيوس ٦:٢٦-٣٥

من يوسمونه عوضاً منه فوجدوا أنساناً فى الغيط قد عمل أعجوبة ظهرت له وحلت عليه روح القدس كالحمامة فأخذوه وجعلوه بطركاً لرومية وتنيح زاوينوس بأنطاكية وجعل فيها بعده وأويلاس وجعل ياروكلا بطركاً للأسكندرية بعد ديمتريوس وكان مستحقاً لخدمة الهيكل وجعل النظر فى الأحكام بالأسكندرية إلى ديونوسيوس وفوض إليه جميع أمور بطركيته وكان هذا من جنس جليل ومعلماً مقدساً وربى بالأسكندرية وكان السبب فى دعوه ودخلوله فى الأمانة الارثدكسية ما يأتى شرحه كان هذا ديونوسيوس رجلاً يعبد الأوثان على رأى الصابئة مقدماً فيها وكان حكيماً فبينما هو جالس فى بعض الأيام اذ عبرت به عجوز أرملة ومعها كراسة مكتوبة من رسائل بولس الرسول فقالت له نشترى منى هذه فأخذها وتأملها فأعجبته ووقعت منه موقعاً عظيماً وحلت من قلبه محلاً جليلاً ولما فهمها أعجب بها جداً وفرح بها فرحاً شديداً ثم قال للعجوز كم تطلبين فيها فقالت له قيراط ذهب فدفع لها ثلثة قراريط وقال لها أمضى وفتشى الموضع الذى وجدت هذه الكراسة فيه فمهما وجدتيه أيتينى به وأنا أدفع لك أوفى من ثمنه فمضت العجوز وعادت إليه بثلث كراريس فأخذها منها ودفع لها تسعة قراريط وقرأها فعلم أن قد بقى من الكتاب شئ أخر فقال لها أن وجدت بقية هذا الكتاب دفعت لك ستة الدنانير فقالت له العجوز لما رأت أمانته وإجتهاده وعلمت أنه قد قبل نعمة الروح القدس عند قراءته الكراريس لا تتعب نفسك أمضى إلى بيعة وأطلب الكتاب مكملاً من الكهنة فهم يدفعونه لك تقرؤه وأنما أنا وجدت هذه الكراريس فى كتب أبائى وكانوا قراء ومزمرين فقال لها وأهل البيعة يؤمنونى على هذا الكتاب قالت له نعم مايمنعون أحداً من علم أذا طلبه بل يدفعون لكل من طلبه مجاناً فمضى إلى أوغسطس أحد خدام البيعة فدفع له رسائل بولس كاملة فقرأها وحفظها من قوة ذكاءه ومضى إلى ديمتريوس المتنيح وطلب منه الميلاد الثانى فقبله وعمده وأعطاه النعمة وصار ملازماً له مقيماً فى البيعة وبعد أن كان معلماً للصابئة الوثنيين صار معلماً فى البيعة وصار له تلاميذ كثير وعوض تعليمه الأول وأخذه الأجرة الفانية نقله الرب إلى الكرسى العظيم بعد ذلك عوضاً من تعبه وجعل بيته بيعة إلى الأن مسماة

بأسمه وكان أسماء تلاميذه تاودروس وأغريغوريوس وأثناضورس هؤلاء كان علمهم الحكمة البرانية أولاً ثم عند تعميده وتقدمه نقلهم إلى الحكمة البيعية حتى أنهم أمتلؤوا من نعمة روح القدس وأقاموا معه خمس سنين بعد تقدمته ثم نالوا رتبة الكهنوت وكان له تلميذ أخر أسمه أفريقنوس كتب خمسة كتب وتعب فيها فلما سمع بحكمة ياروكلا البطرك مضى إلى الأسكندرية ليتعلم منه وكان ديونوسيوس يقول له أعلم أن كل دابة تأكل البرونيا لا تنفع بها ولا تنجح وكل أنسان لا يأكل الطعام الروحانى فهو هالك وقد كنت أنا مشغولاً بالطعام الفانى وغافلاً عن خبز الحياة الباقى حتى هدانى الرب وأستجذب التلميذ بهذا الكلام إلى التعليم السمائى حتى أن من فضله عرف صحة النسبتين فى أنجيل متى ولوقا ولم يجد فيهما خلفاً بالجملة وأقام ياروكلا ثلث عشرة سنة وتنيح فى اليوم الثامن من كيهك ولحق بابائه .

السيرة السادسة من سير البيعة

ديونوسيوس البطرك الحكيم وهو الرابع عشر من العدد

أوسم بطركاً من بعد ياروكلا وهو الذى تقدم ذكره وكثرت البيع والمؤمنون فى أيامه وكانت ممتلئة من تعاليم الله علانية وفى ذلك الزمان وضعوا قوم مقالة فى أعمال ارابيا بأن النفس تموت مع الجسد وتقوم معه فى يوم القيامة فأبعدت البيعة المقدسة هذه المقالة بعد أجتماع مجمع للنظر فيها وظهرت مقالة أخرى مفسودة ثم أضمحلت وبطلت بمعونة الله تعالى فى مملكة فيلبس الملك الذى أقام سبع سنين وملك بعده داكيوس وكان بينه وبين فيلبس الملك عداوة عظيمة فأقام على البيعة بلايا كثيرة وأستشهد فاويانوس البطرك وصار قرنيليوس بطركاً عوضه وكذلك الأكسندروس بطرك أورشليم أعترف دفعتين وأظهر الأمانة قدام المخالفين والقى فى السجن وتنيح فيه بعد أن لقى أمور صعبة وكان فيه من القدس والصبر والجهاد موهبة عظيمة جداً وسمعوه فى الحبس يعترف ويمجد إلى أن تنيح وجلس بعده بطرك يسمى ماساوانوس وبطرك أنطاكية وأويلاس أعترف أيضاً وحبس وتنيح فى السجن وجلس بعده فاوياس وأما ديونوسيوس البطرك فقال أذكر ما لقيته وأشهد الله على ثم قال داكيوس ملك رومية طلبى طلباً

شديداً وسترني الله عنه ولم يعرف مكاني ومن بعد أربعة أيام أمرني الله بالنقلة فهربت وتلاميذي وجماعة من الأخوة ومشينا مشياً كثيراً ولما مضى النهار وقد قربنا من تابوصير[١] أخدونا الجند بعد أربعة أيام فتخلص منهم طيماثاوس أحد تلاميذي وعاد إلى البيت بعد أن التقى بزارع قال له ما خبرك فعرفه خبر البطرك وأنه أخذ من كان صحبته ولما أخذوا من الجند ديوتاسيوس البطرك ركبوه حماراً عرياً كما حكا عن نفسه ومشوا تلاميذه وكان قد أنفذ إلى فأويانوس[٢] بطرك أنطاكية وأعلمه بحال الشهداء الذين أستشهدهم داكيوس بالاسكندرية وكتب له قصصهم حتى أن أنساناً شيخاً أسمه مطرا أخذوه وقالوا له تسجد للأصنام فلم يفعل ذلك فضربوه ضرباً موجعاً وجرحوا وجهه بالقصب ثم أخرجوه خارج المدينة ورجموه حتى تنيح وكذلك أمرأة مؤمنة قدموها لتسجد للأصنام فأمتنعت فضربوهاوعروها وربطوا رجليها وجروها على الحجارة حتى يقطع لحمها وجرى دمها على الأرض في الشوارع وهي تجلد إلى أن أخرجوها من المدينة وقتلوها ورموها هناك وعادوا إلى بيوت المؤمنين فنهبوها وأخربوها وأخذوا ما فيها من ذهب وفضة وأثاث وفي هذا الزمان أستشهد بولس الأسكندراني وأخذ اكليله بفرح ولم يكن أحد يقدر يتظاهر بمعرفة الله وفي تلك الأيام أيضاً أخذت عذراء مؤمنة أسمها بلونية كسرت أعضاءها كلها وأحرقت بالنار وهي بالحياة خارج المدينة لأنها لم تطعهم في الكفر ولم تجحد السيد المسيح وكانت تنظر لهيب النار وهم يحرقونها فلم يهولها بل صبرت على ذلك وأسلمت روحها وأخذ رجل آخر أسمه سرابيون وعذب عذاباً شديداً ورمي من ثالث طبقة فتكسرت عظامه وأستشهد ولم يكن للمؤمنين ملجأ ولا مسكن لا نهاراً ولا ليلاً فمكثوا هكذا زماناً كثيراً وكان هذا من فعل داكيوس الملك وأستشهد شهداء كثير لا تحصى أسماؤهم وأخذ أيضاً المغبوط يوليانوس وكان رجلاً جسيماً كبير البطن لا يقدر يمشي ومعه رجلان وجازوا بهم إلى الأبوان فأنكر أحد الرجلين وأعترف الأخر مع الشيخ يوليانوس فجروهما في المدينة واحرقوهما بالنار وكانوا شرط كثير متهيئين لعذاب الناس وأخذوا أحداً فصرخ وقال

راجع سيرة ديونوسيوس مع يوسابيوس ٣:٢٨ ، ٦ :٢٩-٤٦ ، ٧:١-٢٨

(١) مكانها برج العرب غرب الأسكندرية (٢) فابيانوس

يارب تقبلنى اليك سريعاً فقطعت رأسه وأحرق بالنار وأثنان أخران أيضاً أستشهداً معه وأخر يسمى الأكسندروس ومعه جماعة ساقوهم إلى الحبس ثم أخرجوهم منه وقتلوا وأمرأة تركت أولادها وقتلوها وأمرأة مؤمنة أيضاً من شدة غيرتها لدينها دعت على الوالى فقتلها وجماعة كثيرة لا تحصى كانوا يتقدمون للاستشهاد على أسم السيد المسيح بفرح عظيم كمثل من يسعى إلى العرس وكذلك جماعة من أهل المدن والقرى أستشهدوا وساح فى الجبال جماعة كثيرة لا تحصى هربوا من الكفار ومات منهم كثير بالجوع والعطش والحر وشيخ أسقف من مدينة تسمى مليج من كورة مصر هرب ومعه أمرأة تبعته فلم يقدروا عليهما ولا عرف لهما خبر وجماعة كانوا الشرطيون يلقونهم فيأخذوا منهم البرطيل ويطلقوهم وقوم هاموا على وجوههم ولم يعودوا هذا كله لم أقله أنا ديونوسيوس البطرك هشا ولا باطلاً لكنى أعلمت أبوتك يا أخى فاويانوس جميع البلايا التى أحاطت بنا وما صيرنا عليه ولقيناه وقد استحق الملكوت كلمن ذكرته لك يا أخى بتعبهم وجهادهم على اسم السيد المسيح وممن كان أنكر فى الشدة جماعة عادوا الينا فقبلناهم بفرح لمعرفتنا بفرح من يريد توبة الخاطئ ولا يريد موته حتى يرجع فيحيا وبحكم ما أحققته من مشاركتك لى أيها الأخ الحبيب شرحت لك ما نالنا لأجل أنا روح واحدة وأمانة واحدة وكذلك أنتم أيضاً الأخوة والأولاد أردت أذكر هذا لكم بسبب الأولاد المباركين وصبرهم لتعلموا ما نال أخوتكم المؤمنين من الجهاد على الأمانة الأرثذكسية وما صاروا إليه من النعيم بصبرهم لأجل من صبر على الآلام عنا وعنهم وأشترى جمعنا بدمه فتصبروا من أجله ولم يجحدوه فى مجلس الكفار ولم يهلهم فى محبته حد السيف ولا نهب الأموال ولا حريق النار فأظهر الله فضائلهم فى الدنيا ولهم فى الأخرة جزيل الثواب وحسن المآب وكان قس من أهل رومية قد أفتخر وقال ليس يجوز أن نقبل أحداً ممن أنكر المسيح فى زمان الشدة والاضطهاد ورجع الى الرب لاجل انه قد سقط ولم يصبر بل يجعل من جملة المخالفين وكان يسمى الذين تثبتوا الأنقياء وكان هذا القس رئيساً على جماعتهم فاجتمع برومية مجمع فيه ستون أسقفاً واقساء وشمامسة بسبب هذا القس وغيره وكتبوا إلى كل موضع بما جرى وكان أنسان يسمى

نواتوس مساعداً لهذا القس مبغضاً للتآبين وكان يساعده على أخراج كلمن يريد الرجوع إلى البيعة منها فأقبل يمنعهم أن يدفعوا للناس الدواء وهو التوبة والندامة والصوم والسهر والبكاء والتضرع إلى الله فى المغفرة فكتبوا كهنة رومية إلى كهنة أنطاكية بما جرى فجاوبوهم وأتفقوا جميعاً أن يقبلوا العائدين إلى البيعة ويغفروا لهم ويعاونوهم على التوبة لأن الله هو الذى يقبلهم ثم أخرجوا القس المفتخر المتعاظم على هؤلاء العائدين وأحضروا كتب نواتوس بمساعدتهم وعرفوا ما كتبه لأجلهم ثم أن نواتوس أغتصب أسقفية بغير استحقاق وأقام ثلث سنين وأوسم كهنة قوماً جهالاً لا يعرفون شيئاً ثم وهمهم أنه رئيس أساقفة فكانوا يكرمونه لأجل ذلك حتى أنتهت أخباره إلى رومية فصار بينهم سجن وأفتراق عظيم ثم أجتمع بعد ذلك جماعة من الأساقفة وأبطلوا جميع ما كان نواتوس عمله بكذبه فأعلموا الذين قبلوه بأنهم قوم سادجون لا معرفة لهم وأن كل ما أوسمه وعمله لا صحة له فتقدم حينئذ واحد ممن كان نواتوس أوسمه وأعترف بخطيته وبكى فقبلوه وسامحوه وكاتبوا عنه الكراسى وحذروهم من قبول هذا نواتوس ولا شئ من تعليمه وكان عدة من أشتهر أمره ومن أوسمه سبعة وأربعون قسا و سبعة شمامسة وسبعة أبودياقنين وسبعة أغنطسين وبوابين وكان قد عمل أشياء كثيرة غير صحيحة لا حاجة إلى ذكرها ثم كتب ديونوسيوس البطرك إلي جميع المواضع كتباً يأمر بقبول من يرجع عن انكاره وجعل هذا قانونا باقيا لكلمن يعود من غلطه وكتب أيضاً إلى قونون أسقف الأشمونين كتاباً مفرداً بمثل ذلك سوى باقى الأساقفة وكان ينبه الشعب المقيم معه بالاسكندرية ويعرفهم جميع ما عمله أرجاناس فى جميع البيع ويحذرهم منه ثم كتب قوانين وخلدها فى البيعة فيها تعاليم وأداب شرعية ثم أن ديونوسيوس البطرك العظيم على مدينة الأسكندرية العظمى كتب بما جرى عليه وما حل به فى مدة رياسته وقد عرفنا ذلك من رسائله وتعاليمه التى رأيناها فى جميع البيع فى كل موضع وبجميع ما أقام داكيوس الملك سنتين ولأجل أضطهاده واولاده البيعة وقتله أياهم قتل هو وأولادة وأخذ ملكه وجلس بعده كلس ملكاً فكتب اليه ديونوسيوس كتباً وكان كلس الملك قد عرف جميع ما عمله داكيوس لأنه كان قد خلف صنم حجر كان يعبده ويقول أنه الذى دفع له الملك وقتل الكهنة الذين كانوا

يطلبون إلى الله فى خلاصه وثبات ملكه ثم كتب أيضاً إلى بطرك رومية كتباً قصداً منه فى أتصال المكاتبة بينهم وقبول من يعود اليه ممن أنكر فى وقت الأضطهاد فى أيام داكيوس وذكر له فيه زوال كل أضطهاد كان فى كرسيه بالاسكندرية وأن السلامة قد صارت فى البيعة وارداع نواتوس الضال عن فعله حتى لا يبقى للبيعة ضد لأنه أغتصب الكهنوت لنفسه فقط ولم يكفر ويحثهم على أتفاق الكلمة وكان يومئذ دمتريانوس بمدينة أنطاكية وتاوكسطس بقيسارية وماسابانوس بأورشليم وهى ايليا ومرينوس بصور وتنيح الأكسندروس بلادقية وكانت جميع البيع متفقة على الأمانة الأرثدكسية ووحدانية المسيح فى كل موضع وصقع ببهجة وتعظيم وأتفاق قول الحق بمجد الله الاه السماء وسيدنا يسوع المسيح الكلمة وروح القدس الاله الواحد بكل موضع يكون فيه أجتماع بقول واحد ومحبة للأخوة هذا قول ديوناسيوس ثم كتب أيضاً إلى أستفانوس بسبب تعميد الذين رجعوا من انكارهم المسيح فى الأضطهاد وأن يميزوا هذا الأمر فأنه عظيم جداً وأن جماعة الأساقفة المجتمعين قد ذكروا هذا كما سمعنا وأن الذين يدخلون التعليم ويتركون الشقاق والخلاف يجب أن يحموا حتى يصيروا جدداً بصبغة ليتخلصوا من أختلاطهم بالانجاس ويكلم أيضاً ديونوسيوس فى كتابه بسبب خلف وشقاق سابليوس لأنه سبب العلة التى كانت طريقاً إلى التجديف على الله ضابط الكل وقال ديونوسيوس فى كتابه فقد أنفذ التى بسبب الذين يحبون أن يعمدوا الكل من المريدين وهم الأنوس وبرميليانوس وجماعة معهم وأقامت البيعة هادئة مدة يسيرة حتى توفى الملك وملك بعده ملك كافر أسمه ولاريانوس فأخذوا نوابه ديوناسيوس وأعتقلوه بأمره وقتلوا جماعة شهداء لايحصون حتى أنهم كانوا يشقون بطون الأطفال ويأخذون مصارينهم ويصلحونها لفائفاً على أنابيب القصب ويرمون[1] بها للشياطين ثم أنهم عاقبوا ديوناسيوس البطرك وطالبوه أن يسجد لأوثانهم فقال لهم نحن نسجد لله تعالى وأنتم تسجدون لما تحبون وسجودنا للسيد المسيح خالق السماء والأرض الذى نحبه فقال له الوالى أنت ما عرفت قدر صبر الملوك عليك فأن سجدت لألهتهم أكرمناك وقدمناك وأن لم تفعل وخالفت الأمر ولم تسجد للالهة فسترى ما يجرى عليك وأخذ

(١) بزمرون

جماعة كانوا معه فقتلهم بعد أن خاطبه خطاباً كثيراً ثم أخرجه ونفاه إلى موضع يقال له قولوثى وتفسيره حاجب فعمل أهل ذلك الموضع معه الجميل ومع كلمن كان معه ممن لم يسجد للأصنام وبعد ذلك أعادوه ليحكموا عليه بالموت فأحضروه إلى الوالى فقال له بلغنا أنك تنفرد فى الموضع وتقدس أنت وأصحابك فقال له نحن ما ندع صلاتنا ليلاً ونهاراً وخاطبه خطاباً كثيراً ثم تركه والتفت البطرك إلى الذين كانوا معه وقال لهم أمضوا إلى كل موضع وصلوا وقدسوا فأن غبت عنكم بالجسد فأنا معكم بالروح ثم أن البطرك أعيد إلى الموضع الذى كان فيه منفياً فحزن الذين كانوا معه لأنه أفترق منهم لكنهم قالوا نحن نعلم أن السيد المسيح معه فى كل طرقه ثم أستشهد فى تلك الأيام جماعة من الأخوة لا يحصى عددهم على أسم السيد يسوع المسيح لأمتناعهم من السجود للأصنام وأستشهد ولاريانوس الملك قوماً كثيراً فى كل صقع وكل موضع ثم أنه ثار عليه جماعة من البربر وأتعبوه تعباً عظيماً وكان له ولد حكيم جداً قام فى الملك وكان قد ربى فى أيام الأضطهاد فدفع هذا لديونوسيوس وأصحابه كتاب أطلاق وأمر أن يكتب فيه بوليوس قيصر الضابط الملك المحب لله يكتب لديونوسيوس البطرك وديمتريوس ولباقى الاساقفة ويأمر بمراعاتهم ومن كان يبغضهم فليبعد عنهم وتفتح لهم بيعهم فيتقووا بكتابنا ولاينالهم بعد اليوم عذاب ولاحزن ولا غم بعد هذا الزمان لكى يكملوا خدمتهم لله وصلواتهم وقد أطلقناهم وقد وليت أريليوس كيريانوس وأمرته أن يحفظهم ويراعيهم ويصلون صلواتهم ويقدسوا قداساتهم وكان هذا الكتاب مكتوباً باليونانية وكتب كتاباً آخر للأساقفة بأن يأخذوا دياراتهم ومواضعهم كلها وكان فى ذلك الزمان كسطس أسقف رومية وديمتريانوس اسقف أنطاكية وبرميليانوس أسقف قيسارية قبادوقية وأغريغوريوس أسقف بنتس وأخوه أتاندرس أسقف قيسارية فلسطين وأوماناوس أسقف يروشليم وهو الذى أخذوا رأسه لأعترافه المسيح فلما طعن ديونوسيوس فى أيامه ضعف جسده من كثرة ما لحقه من الأضطهاد ولم يفتر مع هذا ليلة واحدة من قراءة الكتب المقدسة فلما علم الله تعالى محبته للكتب أنعم عليه بقوة بصره حتى أنه صار يبصر كما كان فى أيام شبابه ولما لم يقدر يمضى إلى المجمع الذى

أجتمع على بولة السمياطى(١) أرسل رسله برسالة مملوءة حكمة وتعاليم إلى الأساقفة المجتمعين به لأن بولة كان كالقشب الذى يهر على الخراف فمضى أساقفة المجمع مسرعين إلى أنطاكية بمجد السيد المسيح ومن جملة من حضر المجمع برمليانوس أسقف قيسارية قبادوقية وغريغوريوس المقدم ذكره وأخوه أتاندروس والنوس أسقف طربيوس ونيقوموس أسقف أيقونيا وأوماناوس أسقف أورشليم ومكسيموس أسقف وسطراً وجماعة معهم أساقفة واقسة وشمامسة فأحضروا بولة وسألوه عما قاله ووبخوه على تجديفه على السيد المسيح فلما لم يرتد قطعوه ونفوه وفى هذا الزمان تنيح ديونوسيوس بطرك الأسكندرية وكان مدة مقامه على الكرسى سبع عشرة سنة وتنيح فى ثلثة عشر يوماً من برمهات وفى نسخة بدير أبى مقار أن مقامه على الكرسى سبع سنين وقد شهد سعيد بن بطريق فى كتاب التاريخ أنها سبع عشرة سنة وهو موافق للسيرة التى نقلت منها هذه النسخة .

مكسيموس البطرك(٢) وهو من العدد الخامس عشر

وجعل بعد ديونوسيوس مكسيموس على كرسى القديس مرقس بمدينة الأسكندرية العظمى فى سبع عشرة سنة من ملك غليانوس ووالأريانوس وإعان الأخوة فى أمور البيعة بكل موضع وأخرج بولة السميساطى من البيعة لما عرف بأنه مخالف لأن كلما جرى فى المجمع بأنطاكية علي بولة كتبوا به إلى ديونوسيوس بطرك رومية وإلى مكسيموس بطرك الاسكندرية لما جلس بعد ديونوسيوس وكتب جميع المجمع باتفاق روحانى قطع بولة وقالوا أنه لا يجب أن يسمى بأسم بولس الرسول وكتبوا إلى ديونوسيوس بطرك رومية ومكسيموس بطرك الأسكندرية وإلى جميع أساقفة المسكونة والقسوس والشمامسة وجميع بنى المعمودية والبيعة السمائية المتفقة ويسمونهم ويقولون فى كتابهم البنس وهمناوس وتاوفيلس وتاوتكنص ومكسيموس وبرقلس ونيقوموس وأيليانوس وبولس وبروطغونوس وولانوس وهيركس وأوطاخيوس وتادروس وملخيون ولوكيوس وبقيتهم الذين فى المدن والقرى القريبة منا قد كتبنا اليكم يا

(١) بولس الساموساطى

(٢) راجع يوسابيوس ٧: ١١-٣٢

أخوتنا الأساقفة القديسين والشعوب المحبين للسيد المسيح أبن الله ندعوكم إلى الصلاة للرب أن يزيل عنكم مؤامرة بولة السميساطى الذى معه تعليم يولد له الموت أكثر من كل أحد لكى تكونوا معنا بقلب واحد مثل ديونوسيوس بطريرك الاسكندرية وبرمليانوس اسقف قادوقية الذين كتبوا إلينا الى انطاكية حتى هدمنا رئيس الضلالة الذى لم يعلموا شيئاً من اقاويله الردية لأنا نحن الذين قرأنا كتبه فى المجمع بالامانة الفاسدة وشهدنا بهذا ومن معنا ومن بعد ذلك عاهدنا أنه يتوب وكان ذلك منه هزوءاً وغدراً وقسا قلبه ولم يتب وبقى على ضلاله مفترياً على الله بكلامه فانكر وجحد الرب فى امانته وصفة حال هذا بولة انه انتقل من امانته إلى الكفر والضلالة والهلاك وكان فقيراً فى جنسه فقراً ظاهراً لأنه لم يرث شيئاً عن سلفه ولم يرزق شيئاً من صنعته بيده واستغنى من مال البيعة وكان ينهب الهياكل بالناموس ويقطع مصانعات الاخوة فى الحكم وإذا زادوه خصومهم برطيلاً عاد معهم عليهم فاكتسب له غنى باطلاً من كل وجوه الظلم وكان مع هذا يظهر أنه عابد لله وكان يمشى مع الاعوان ويتسلط على الضعفاء ويدور فى الشوارع ويحب أن يسمى باسم الاسقفية ويقلق الناس بكثرة من يصحبه من الجمع وكان معه كتب يقرأها كأنه يطلب الخراج ويوجد الناس انه مقدم ويصحبه قوم متسلحين قدامه وخلفه وكان يبغض التعليم الروحانى ويحب التعاليم البرانية ويرفض الغرباء إذا دخل فى البيعة ويطلب المجد من المقدمين ويحتال على المجد الفارغ بكل نوع حتى أنه وضع له كرسياً له منبر عال كأنه تلميذ المسيح وهو غريب من البيعة وكان قد جعل النساء يقرأن فى ليالى الأعياد وفى جمعة الفصح عوض المزامير والتسابيح وكان الاخوة المؤمنون يسدون أذانهم إذا سمعوهن يقرأن وكان لا يقبل شيئاً من الكتب ولا يقول ان المسيح ابن الله ولا أنه نزل من السماء وتجسد من مريم العذراء بل كان يجدف تجديفاً كثيراً ويظهر انه من جملتنا فوجب ان اجتمعنا فى مجمع وقطعناه واقمنا عوضه انساناً خائفاً من الله اسمه دمنوس ولد الطوبانى ديمتريانوس وهو الآن فى البيعة مستحق لمجدها وقد كاتبناكم بهذا لتكاتبوا هذا الجديد وتقبلوا كتبه بالسلامة كترتيب البيعة فاما بولة السميساطى فقد مرق من الأمانة وأخذ دمنوس اسقفيته ونحن بانطاكية وبدأ الملك اوريليانوس يقيم الاضطهاد على البيعة ولم

تكن معونة الرب معه فيما هم أن يفعله وبعد ست سنين مات وصار بعده فروبوس الملك
وفى زمان هذا الملك ظهر انسان ردىء يسمى مانى واظهر افعالاً ردية وجدف على
الرب ضابط الكل وعلى الابن الوحيد وعلى الروح القدس المنبثق من الآب وجسر ان
قال ان جميعه بارقليط وكان هذا عبداً لامرأة أرملة كان لها مال كثير وكان قد أوى
اليها ساحر عظيم من أهل فلسطين وقع من فوق السطح فمات فأشترت الأمرأة ذلك
العبد السوء وعلمته فى المكتب فلما كبر دفعت له كتب ذلك الساحر فلما قرأها وعرف
منها السحر مضى إلى الفرس وحضر إلى الموضع الذى فيه السحرة والعرافون
والمنجمون فلما قوى فى علم الخطية ظهر له الشيطان وقواه وحبب له بفض البيعة
فأضل قوماً كثيراً بسحره وصارت الأموال تحمل إليه وصار له صبيان وصبايا يخدمون
شهواته النجسة وكان يستعبدهم بسحره ويضل جماعة من الناس ويقول لهم أنه
البارقليط الذى وعد السيد المسيح فى أنجيل يوحنا بإرساله وكان أنسان نصرانى غنى
أسمه مرقاس رئيس مدينة من أعمال الشام وكان له أسقف أسمه أرشلاوس وكان ذلك
الرئيس معه روح وبركة أبراهيم واسحق ويعقوب وهو تلميذ البيعة وهو ملازم لها بكرة
وعشية مثل الفقير الذى ليس له شئ وكان يسمع مواعظ الأسقف كما يجب ويفعل
الخير من ماله مع أهل مدينته وكان بابه مفتوح لكل من يأتيه من المساكين والمظلومين
بالخراج وغيرهم مثل أيوب القديس ولما كان فى ذلك الزمان سبى الفرس اهل ضيعة
قريبة منه واخربوا البلد وقتلوا اناسا كثيرا فانفذ اليه المسبيون وسالوه أن يفعل معهم
رحمة فأجاب سوالهم بمحبة وأستدعى مقدم الفرس وأخذ منه عدداً المسبين فلما حضر
اليه أخرج له ولجماعة معه مالاً وقال لهم خذوا ماشئتم عن هؤلاء المسبيين فلما رأوا
فعله الحسن أمتنعوا من ذلك وقالوا له مانفعل هذا لكن أدفع لنا ماشئت عن الرجال
الذين معنا فأستقر الحال بينهم على ثلثة دنانير عن كل نسمة نخاص جميع من كان
معهم وقام لهم بالمال وأكرمهم بشئ آخر خارجاً عن الثمن وتسلم السبى منهم وقام بهم
سبعة أيام وكان يعال المرضى منهم مثل أولاده وأنفذ إلى بلدهم ودفن من قتله الفرس
منهم ثم بنى للاحياء الذين أفتكهم مواضعهم واطمأن قلوب من بقى فى البلد وبنى لهم
جميع البيع وأسكنهم فى بلدهم فلما مضوا الفرس من عنده إلى بلدهم تحدثوا بجميع

مافعله وكثرة ماله ومحبة أهل بلده له فلما سمع مانخاوس الفاجر مافعله هذا الرجل ففكر وقال أن أنا ملكت وقبلت هذا الرجل فجميع الشام يكون تحت أمرى فكتب إليه كتاباً يقول فيه البارقليط مانى يكابت مرقاس إلى سمعت جودة أفعالك فعلمت أنك تكون لى تلميذ مصطفى لأعرفك الطريق المستقيم الذى أنقذنى المسيح لأعلم الناس بها والآن فقد أضلكم معلموكم أذ يقولون أن الله جل ذكره حل فى بطن أمرأة وقد قالوا الأنبياء قولاً غير الحق عن المسيح لان الاه العتيقة شرير لا يريد أن يؤخذ منه شئ فأما الاه الحديثة فهو صالح اذا أخذوا منه لا يتكلم وقال فيه كلاماً كثيراً تجديفاً لا يجوز ذكره ولا قال الشيطان قط مثله وسلم الكتاب إلى واحد مثله وأنفذه إلي مرقاس فلما سار الرسول إلى الشام لم يقبله أحد من الناس فى طريقه ليأويه عنده وناله صعوبة عظيمة من الجوع وكان يفتدى بالحشيش إلى أن وصل إلى مرقلس فلما أخذ مرقلس الكتاب وقرأه وأنفذه إلى الأسقف أرشلاوس وجعل الرسول فى مكان وقام بحاله فلما قرأ الأسقف الكتاب نتف شعر رأسه وقال ليت أنى مت ولم اقرأ هذا الكتاب التجديف وأنفذ إلى مرقلس فأتاه بالرسول فسأله عن سيرة هذا مانى وكيف حاله فأعلمه ذلك ورغب للرسول أن يقيم عندهما لما سمع كلامهما ورأى خيرهما وجودتهما فعرض مرقلس عليه الرجوع بجواب الكتاب ودفع له ثلثة دنانير فقال أغفر لى ياسيدى أننى لا أعود إليه ففرحوا بخلاص نفسه من شباك الموت وكتب مرقلس الى مانى جواب كتابه وبعثه اليه مع أحد عبيده وقال الأب أرشلاوس لذلك العبد لا تأخذ منه شيئا ولا تأكل ولا تشرب عنده ثم سيره وبعد سبعة أيام وصل مانى إلى مرقلس وهو لأبن أسكيما دقيقاً لنطن وإستخارة دقيقة من تحته وأشتمل برداء نازل على رجليه مزين بصور من قدامه ومن خلفه ومعه أثنين وثلثين صبياً وصبية يمشون خلفه فلما دخل منزل مرقلس عمد إلى كرسى فجلس عليه فى وسط المنزل وكان يظن أنهم استدعوه ليتعلموا منه فأنفذ مرقلس إلى الأسقف أرشلاوس فلما رآه جالسا على الكرسى تعجب من قلة حياته فسأله الاسقف وقال له اسمك قال أسمى البارقليط قال له أرشلاوس أنت البارقليط الذى قال السيد المسيح يرسله الينا قال نعم أنا هو قال له الاسقف كم عمرك سنة قال خمس وثلثون سنة قال ارشلاوس الاسقف المخلص المسيح قد قال لتلاميذه

اقيموا فى اورشليم ولا تمضوا ولا تبشروا حتى تتدرعوا القوة من العلاء وهو البارقليط روح القدس ومن بعد عشرة ايام من صعوده فى السماء كما قال حل البارقليط على الرسل فى يوم العنصرة وهو تمام خمسين يوماً بعد الفصح والتلاميذ إلى الآن كما تذكر انت ينتظرونك باورشليم ولهذا الامر نحو ثلثمائة سنة منذ بشروا وخرجت اصواتهم فى جميع الارض وانتهى كلامهم إلى اقطار المسكونة ولو كان الأمر كما قلت ما كانوا بشروا وكانوا باقين احياء فى اورشليم الى الان ومن اين رأيت انت السيد المسيح وعمرك خمس وثلثون سنة وهو قد أمر ان لا تجلس فى صدور المجالس وها انت قد جلست فى اعلى موضع فى البيت فقال له مانىء اليس الانجيل يقول انى انفذ اليكم البارقليط قال له ارشلاوس ان كنت تؤمن بالانجيل فهو يقول للسيدة مرتمريم العذراء روح القدس تحل عليك وقوة العلى تظللك والذى تلدينه قدس وابن الله يدعى ثم اخرج له كتابه الذى انقذه الى مرقلس وهو يجحد فيه ميلاد المسيح من امرأة وينكر موته وقيامته من بين الاموات فبدأ مانى يتكلم بقوله الباطل انه الاهان احدهما النور والاخر الظلمة وما يشبه هذا من الكفر فقال له الاسقف ارشلاوس اذا أنا ارذلتك بقدر كذبك فانت تثبت لى على مقالتك لكن هو ذا انفذ احضر لك امة لا يعرفون الله الاه السماء ليرذلوك من كلامك وانفذ احضر له رجلين احدهما حكيم طبيب والاخر كاتب وقال لهما اسمعا ما يقوله هذا الرجل هل فى كتبكم كلام تقبلونه وكلام ترفضونه قالا بل كانا فى كتبنا نقبله ولا نرفض منه شيئاً ومتى ميزنا بعضها من بعض لم تستقم لنا قراءته ولا قبوله فاجاب الاسقف وقال لهما هذا الرجل يبشر ويقول انه تلميذ المسيح هو يرفض اوامر المسيح فقالا له ما نقبله ولا نقرب شيئاً من اموره فلما تكلم وسمع الجمع كلامه المملوء تجديفاً وثبوا عليه ليقتلوه فمنعهم الاسقف عنه وقال لهم يقتل بيد غيرنا ثم نفاه من المدينة وقال له احذر ان توجد فى اعمالنا لئلا تموت فلما خرج مضى الى ضيعة فيها قس يحب الغرباء فاوى اليه وقام عنده شهراً وهو لم يعرفه فكلم القس باقاويله الردية فقال له القس ما سمعت انا بهذا الكلام قط لكننى انفذ الى ارشلاوس يأتى ويسمع منك ما تقوله فان كان جيداً فقبلناه فلما سمع مانى اسم ارشلاوس قلق لذلك لمعرفته بشجاعته وحكمة الله الذى فيه وعاد من وقته الى بلاد الفرس وجرى على

عادته فى التجديف فحكم عليه البارقليط الحقيقى بحكمته وسلط عليه ملك الفرس فسلخ جلده ورماه للوحوش فاكلوه وفى تلك الأيام توفى فليكس بطرك رومية وجلس بعده اوطيخيانوس وكان مقام فيلكس فى البطركية خمس سنين واقام اوطيخيانوس عشرة شهور وتنيح وجلس بعده مرقلينوس فى ذلك الزمان اخذ بطركية انطاكية من بعد دمنوس تيماوس ومات اوراليانوس الملك واخذ المملكة بعده ابروبوس واقام ست سنين ومات ثم ملك بعده قاروس وقرنوس ونوماريانوس اقاموا ثلث سنين وماتوا وملك بعدهم ديقلاديانوس الذى حل منه على البيعة جهاد عظيم اكثر ممن تقدمه وهدم البيع واحرق الكتب وقتل اللاساقفة والكهنة وخلقاً كثيراً من المؤمنين واما سقراطيس فانه توفى فى لادقية وصار عوضه اوساويوس هذا جاء من الاسكندرية من اجل المجمع الذى اجتمع بانطاكية على بولة السميساطى وصار بعده اناطوليوس وكان قد وصل الى الشام من الاسكندرية وجعل سبب دخوله اليها ومقامه بها أن يعلم اولادهم وتمهر فى العلم حتى بلغ خبره الى رومية وزحف عسكر من رومية الى مدينة الاسكندرية وحصرها ولم يزل اناطوليوس المعلم يسفر بينهم بالسداد حتى أصلح الحال وثبت السلامة وزال الحرب وكانوا كبراء المدينة قد وجدوا عليه لأنه الزمهم بما لا يريدون فقال لهم دعوا الشيوخ والعجائز والاطفال يخرجون من المدينة لانهم غير مطلوبين وافعلوا أنتم ما تختارون ببلدكم وتبقون بما فى ايديكم من الغلات المخزونة عندكم فطابت قلوبهم بذلك واجتمع بالغداة جند المدينة ورؤساءها وتشاوروا فى ذلك فرأوه صواباً فأخرجوا الشيوخ والعجائز والأطفال وقوم كثير غيرهم خرجوا من الأبواب فى الليل فأمر الملك أقلاديوس بعد هذا بقتل جند المدينة لأنهم ساعدوا اهلها على الخروج منها واخربوها وكان اوسابيوس أيضاً فيما بينهم مثل الطبيب أو الأب الذى يداوى الجهتين جميعاً وكان هذا الرجل اسقف اللادقية وجاء إلى كرسيه مع الأسقف الأخر من الأسكندرية بأتفاق جيد ومن بعد القتال الذى كان بالاسكندرية كتب أنا طوليوس تعاليم كثيرة ونفع بها أهل المدينة وكتب لهم حساب الفصح أيضاً وفى أول يوم من الشهر بعد المجمع الذى كان بانطاكية على بولا السميساطى أقيم ثاوتكنص أسقفاً على كرسى قيسارية فلسطين وأوسابيوس المقدم ذكره على اللادقية وكان رجلاً عظيماً عند الرب وكذلك أناطوليوس

فكانا كلاهما مؤيدين بروح القدس والتعاليم الروحانية ثم تنيحا أحدهما بعد الأخر وصار اصطفانوس أسقفاً على اللادقية وكان رجلا ممتلئا حكمة ويتعجب منه كل احد ليس حكمة الكلام فقط بل والامانة المستقيمة وبنى البيع التى كانت هدمت فى مدينته وجددها بمعونة الله له وكان ثاودتوس الأسقف فى زمان الأضطهاد وكان مستحقاً الأسمين المسمى بهما لأن أسمه تفسيره عطية الله واسم الأسقفية وكان محباً للشعب وراعيا وطبيباً ماهراً لصلاح نفوسهم حتى قيل أنه لم يكن له شبه فى محبته وكان اغابيوس أسقف قيسارية فلسطين مثله أيضاً وكان قد تعب مع شعبه بمحبة عظيمة وكان محباً للفقراء وممسكاً شعبه مثل عبد أمين لله واستحق بعد ذلك أكليل الشهادة مع كثير من قسوس الأسكندرية واستشهدوا أيضاً الذين معهم بيريوس ومليطيوس الذى صار أسقف بنطس وهو المعروف بالعسل الشهد لأجل حلاوة لسانه المملوء من تعليم الله ونعمته وكان محباً للصدقة على المساكين ولا يذخر شيئاً بالجملة وكان جميع تعليمه من الأنجيل وكان فى زمان تشتيت الناس واضطهادهم وكان ثابت التعليم ولما تنيح همنايوس اسقف اورشليم جعل عوضه زبداس ولما تنيح صار بعده ارمون وكان هذا متعباً فى زمان الأضطهاد وتنيح مكسيموس بطريرك الأسكندرية فى رابع عشر برمودة بعد ان قام ثمانى عشرة سنة .

ثاونا البطرك [١] وهو من العدد السادس عشر

ولما تنيح مكسيمدس جلس بعده ثاونا على الكرسى بالاسكندرية بعد اجتماع الشعب واتفاق رأيهم على صلاحه فقدموه فى أول سنة من ملك نومريانوس وقاروس وقارينوس الملوك وبنى بيعة حسنة على اسم السيدة مرتمريم وسميت طاوماتار والى هذا الوقت كانت الشعوب يقدسون فى المغائر والكهوف والمواضع المخفية فمن مارى مرقس الانجيلى الى السنة الثالثة من بطريركية ثاونا مائتان وتسع عشرة سنة وتنيح فى الثانى من طوبة بعد أن أقام تسع عشرة سنة وكان فى أيام هذا الاب البطرك ثاونا كاهن قديس وكان له زوجة طاهرة وكانا جميعاً سالكين فى طريق الرب حافظين وصاياه عاملين بأوامره متمسكين بقوانين الديانة ثابتين على الأمانة ولم يكن لهما ولد وكانا

(١) راجع يوسابيوس ٧: ٣٢

حزينى القلب لاجل ذلك وكانا يكثران الصوم والصلاة والصدقة لينعم الرب عليهما ويرزقهما ولداً تقر عيونهما به فلما حضر عيد التلميذين الجليلين بطرس وبولس فى اليوم الخامس من ابيب وحضروا جميع المؤمنين للبيعة ليعيدوا لهما وحضرت زوجة هذا الكاهن فى حيث صورتهما فابصرت المؤمنين يقدمون أولادهم ويدهنونهم بزيت القنديل الموقود قدام الصورتين فتنهدت بقلب قريح واستشفعت بهما الى الرب وتناولت من السرائر المقدسة واخذت السلام الإلهى وانصرفت الى منزلها شاكرة للرب سجنه فرأت فى تلك الليلة فى منامها شخصين بلباس البطاركة يقولان لها لا تحزنى فان الرب قد سمع دعاءك ووهب لك ولداً يقر عينيك به ويكون اباً لشعوب كثيرة ويظهر اسمه وقدسه مثل صمويل النبى لأنه ابن موعد فاذا اصبحت امضى باكراً الى الآب ثاونا البطرك واعلميه بهذا ليبارك عليك فان الله برحمته يهب لك ولداً مباركاً فلما اصبحت اعلمت زوجها الكاهن بذلك فقال لها امضى واعلمى ثاونا البطرك كما قيل فمضت اليه واعلمته بذلك فارك عليها وقال لها يتم الله طلبتك ويجيب مسئلتك فالرب صادق واعماله عجيبة فى قديسيه وانصرفت الى منزلها فحملت بعد ذلك بمدة يسيرة وكانت تحرس نفسها بكل الطهارة ومداومة الصوم والصلاة ليلاً ونهاراً الى يوم عيد القديسين بطرس وبولس فى الخامس من ابيب فولدت ابناً فمضى المبشر الى انبا ثاونا البطرك واعلمه بانها قد ولدت ابناً ففرح بذلك جداً وفرح زوجها الكاهن الأبروطس وقال لهما انبا ثاونا البطرك اسمواه بطرس ففعل ذلك وكان الصبى يشب وينشؤ وينمو مثل يوحنا المعمدانى حتى بلغ ثلث سنين فحمله ابواه الى البطرك وقالا له هذا ابن صلواتك فبارك عليهما وعليه وعمده ولما صار فى خمس سنين دفعه ابواه للتعليم فتعلم الحكمة فى اسرع وقت وصار احفظ ممن فى البيعة من ابناء جنسه وفى سابع سنة جعله اغنسطس وامتلأ من النعمة الروحانية فلما صار فى اثنتى عشرة سنة كمله شماس وكان يصول على الشمامسة بالمعرفة والنسك وما وهبه الله له من النعمة الروحانية السمائية فلما كمل له ست عشرة سنة قدموه قسيساً لما رآه البطرك من عفافه وصيانته وعلمه ونسكه وصحة أمانته وجودة معرفته وطهارته وملازمته خدمة البيع ليلاً ونهاراً

وكان قد ظهر فى تلك الأيام رجل مجدف يقال له صبليوس فقال مقالة خارجة عن الأمانة وذلك أنه أعتقد اقنوماً واحداً للأب والأبن والروح القدس الثالوث المقدس وليس هو ثلثة أقانيم بل ثلثة أسماء وهو كفر بالانجيل ولم يسمع إلى المكتوب فيه أن سيدنا يسوع المسيح عند ما أعتمد من يوحنا أبصر روح القدس قد حل عليه شبه حمامة وسمع صوت الأب من السماء يقول هذا أبنى الحبيب الذى به سررت فلما سمع جماعة تبعوه وأضلهم بصغيانه ثم أنه جمع شعبه وجاء إلى البيعة عند حضور الأب البطرك أنبا ثاونا فى يوم عيد كبير فوقف على الباب وانفذ إليه رسولاً قال له أخرج ناظرنى فى هذا اليوم فان كنت على صواب تبعتك والا اعلم الشعب انك على الغلط فقال الأب البطرك لبطرس القس أخرج إلى هذا الكافر اسكته عنا فلما خرج ونظره صبليوس قال أنظروا إلى صلف ثاونا وبذخه لم يرسل التى الا أقل من عنده من الصبيان الصغار فقال له بطرس أن كنت أنا عندك صغيراً فانا عند أبى ثاونا كبير والرب يطهر كفرك به اليوم بأن ينصرنى عليك كما نصر داءود النبى على جالوث الجبار ويظهر الرب آفته فيك وينتقم منك ويهلكك مع أصحابك ويبطل قولك ويفسد رأيك حتى لا يبقى لك ذكر ولا مقال فما أستتم قوله حتى تعوج وجه صبليوس وصار خلف قفاه وسقط على الأرض ميتاً وتهاربوا أصحابه وكلمن كان معه وهلك وباد ذكره وانقطعت مقالته ولم يبق له ذكر هذا منتهى ما كان من أمر صبليوس وأظهر الرب آية اخرى على يدى بطرس القديس وذلك أنه كان عيد كبير فى مدينة الأسكندرية حضر فيه الأب ثاونا وجميع الكهنة والشعب يمجدون الله ويعبدون فوقف أنسان منهم به شيطان مارد على الباب فجعل يرجم المؤمنين بالحجارة ويزبد ويزئر مثل الجمل فيهرب الشعب منه إلى داخل البيعة واعلموا البطرك بحال المجنون فقال للقديس بطرس اخرج له فأطرد عنه هذا الشيطان فأخذ صحناً وجعل فيه ماء وقدمه إلى الأب البطرك وسأل أن يصلب عليه ففعل ذلك وخرج بطرس ومعه وعاء الماء الى حيث الرجل المجنون وقال باسم سيدى يسوع المسيح الذى اخرج لاجأون وابرأ من سائر الأمراض والأسقام أخرج منه أيها الشيطان بصلوات أبى ثاونا البطرك ولا تعد اليه فللوقت خرج منه الشيطان وبرئ

الرجل وصار سالماً عاقلاً وديعاً ولو وصفنا العجائب التى ظهرت من هذا القديس بطرس لطال شرحها وضاقت الكتب عنها فلما حضر ثاونا الوفاة لينتقل إلى أبائه حضر جميع الكهنة والشعب باكين قائلين يا أبانا تخلينا مثل اليتامى فقال لهم ليس أنتم أيتام بل هذا بطرس أبوكم وهو البطرك بعدى وقدمه أنبا ثاونا قبل أن يتنيح لذلك .

بطرس البطرك الشهيد
وهو السابع عشر من العدد

ولما تنيح أنبا ثاونا البطرك اجتمعوا كهنة الاسكندرية والشعب ووضعوا ايديهم على بطرس القس ولده وتلميذه فاجلسوه على كرسى الاسكندرية كما أمرهم ثاونا الأب القديس وذلك فى السنة السادسة عشرة لديقلاديانوس الملك فلما رأى ان اريوس الردى قد بلبل كل الأماكن بكفره قطعه ونفاه من البيعة ولما كان فى السنة التاسعة عشرة من ملك ديقلاديانوس وصلت كتبه الى الاسكندرية ومصر وانزل البلايا على النصارى واخرب كنائس الله وقتل خلقاً كثيراً بالسيف وهرب المؤمنون بالمسيح للبرارى والكهوف والمغاير فحينئذ اقام ديقلاديانوس حراساً وحفظة فى كل مكان من [١] كورة مصر والصعيد الاعلى الى بلنطن وامرهم بقتل كلمن يجدون من النصارى ثم ان اولئك الحراس اخذوا المغبوط بطرس بطرك الاسكندرية ورموه فى السجن واعلموا الملك بانهم قد قبضوه وقيدوه فامر الملك الكافر بان ياخذوا رأسه فلما أتاهم الكتاب بذلك أسرعوا ليتموا امر الملك وفيما هم يريدون اخراجه من الاعتقال لياخذوه ويقتلوه اجتمع الشعب الى باب السجن وجلسوا عليه يحرسون راعيهم وقالوا إذا قتلنا كلنا حينئذ تؤخذ رأسه وكانوا اولئك الجند مفكرين كيف يخرجونه حتى لا يموت خلق كثير بسببه لاجتماع كل الشعوب بسببه الشيوخ والشباب والرهبان والنساء والعذارى وهم باكون بدموع عزيزة وتشاوروا الجند فى ان يدخلوا ويخرجوه ومن قاومهم من الشعب يقتلوه كما ورد به كتاب الملك وكان السبب فيما امر به الملك من طلب هذا الاب البطريرك وقتله انه كان بانطاكية انسان اسمه سقراطيس وكان من جملة امراء الجند المستخدمين فى القصر وهو

(١) راجع يوسابيوس ٧:٣٢ ، ٨ : ٢٣ ، ٩ : ٦

رفيق لبدير الذى استشهد واخته ايرانى وكان هذا سقراطيس اوله نصرانياً متعمداً فجحد دينه وصار مبغضاً للنصارى وكان له امرأة صالحة خيره نصرانية فرزق منها ولدين فلما كبرا وصلحا ان يعمدا قالت الامرأة لزوجها انا اسئلك يا أخى ان تسير معى للاسكندرية نعمد ولدينا لئلا يموتا بلا تعميد فيغضب علينا السيد المسيح لغفلتنا عن ولدينا فقال لها الكافر اسكتى فأنك لا تعرفين الصعوبة التى علينا اليوم لئلا يسمع الملك فيغضب علينا جداً وكان غرضه تخويفها بهذا حتى تدع ولديها بلا معمودية فلما علمت انه لا يطيعها ولا يسير معها اخذت ولديها وغلامين مأمونين كانا لها وخرجت إلى البحر وصلت وقالت يا ربى يا ضابط الكل ابا سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح ان كنت تسهل طريقى فوفق لى مركباً اسير فيه فبينما هى تصلى ابصرت مركباً يريد يقلع فنادت بواحد من البحارة وقالت له أين تسيرون قال لها الى الاسكندرية قالت له احملونى معكم وأنا ادفع لكم اوفى اجرة فاجابها الى ذلك وطلعت ومعها ولداها وغلاماها فمن بعد يومين هاجت عليهم ريح عظيمة حتى قلق كلمن فى المركب فقالت تلك الامرأة المؤمنة ان الله لا يسمع لمثلى من الخطاة لكن الذى خطر بقلبى انا افعله ثم قامت فبسطت يديها وحولت وجهها الى الشرق وصلت قائلة يا الله الذى يعلم كل شىء قبل أن يكون انت تعلم ما فى قلبى واننى لا احب روحاً ولا مالاً مثلك حتى اولادى ولا نفسى ايضاً وهوذا نموت فى اللجج من اجل اسمك المقدس يا مخلص يا رب يا الاهى ومخلصى نفسى وجسدى انظر لولدى اللذين صارا يتيمين من اجل اسمك المقدس ولا تدعهما يموتان بغير رشم المعمودية ولما تمت هذا القول اخذت سكيناً وقالت يا رب يا ضابط الكل انت تعرف قلبى وشرطت بالسكين ثديها اليمين فاخذت منه ثلث نقط دم فصلبت به على جبين ولديها الاثنين وفؤادهما باسم الاب والابن والروح القدس وغطستهما فى البحر وقالت قد عمدتكما يا ولدى باسم الاب والابن والروح القدس ثم جعلتهما فى حضنها وقالت ان كان لنا موت فاموت الان انا وولداى فلما نظر الرب امانتها الثابتة هكذا هدأ ذلك الريح الشديد وصار هدوءاً كثيراً ووصلوا بعد ثلثة أيام الى مدينة اسكندرية فلما دخلوا الى المدينة بمعونة الله الرحوم وكان ذلك اليوم يوم من

جمعة المعمودية وهى سادس جمعة من الصوم الذى تعمد فيها الأطفال فتقدمت تلك الامرأة الى احد الشمامسة وقالت له يا ابى اريد اجتمع بالبطرك فقال لها وما حاجتك الى البطرك فقالت له يا ابى انا غريبة واريد اعمد ولدى هاذين فقال لها الشماس ما لك حاجة غير هذا قالت لا قال لها اجلسى فى البيعة هوذا البطرك يحضر ويعمد الاطفال ويعمد أولادك معهم ففعلت فلما جاء الوقت وكمل الاب البطرك القداس قدموا له الاطفال المتعمدين للمعمودية فعمدهم ثم قدموا له الولدين اللذين للامرأة الانطاكية فلما أخذ البطرك الطفلين ليعمدهما جمد الماء وصار كالحجر فلما رأى بطرس البطرك القديس هذا تعجب وامر بافرادهما ولم يعلم احد بجمود الماء ثم أمر أن يقدم غيرهما فلما قدم له غيرهما من بعض الأطفال انحل الماء وصار كما كان أولاً وعمد الذين قدموا له ثم أمر ان يقدم ولدا الامرأة ثانى دفعة فلما قدموا له جمد الماء ايضاً وصار كالحجر فابعدهما وقدموا اليه من أطفال المدينة ايضاً فانحل الماء وعمدهم ثم استدعى ولدى الأمرأة ثالث دفعة فجمد الماء ايضاً وصار مثل الحجر فامر البطرك ارشى دياقن البيعة ان يحضر امهما فاحضرها بين يديه فقال لها عرفنى ايتها الأمراة حالك وما دينك فقالت له انا من انطاكية وابائى نصارى قال لها البطرك فما الذى صنعتيه لان هوذا الرب لم يقبل اولادك للمعمودية قالت له اسمعنى يا سيدى الاب وطول روحك على فان ابوتك تعرف العذاب الذى هو على نصارى المسكونة هذه الأيام واكثره بانطاكية ولما كبرا ولداى هذان ولم اجد سبيلاً لتعميدهما هناك قلت لأبيهما ان يسير معى الى هاهنا ليعمدهما فلم يفعل فاخذت ولدى هاذين وخرجت بهما الى البحر وركبنا فى مركب فلما توسطنا اللجج قام علينا نوء حتى كاد المركب ان يغرق فاخذت سكيناً وجرحت ثديى اليمين واخذت منه ثلث نقط دم وصلبت على وجههما وفؤادهما وغطستهما فى البحر باسم الاب والابن والروح القدس ثلث دفعات وهذا هو السبب فى منع الرب لهما من المعمودية فهذا وحق ابوتك المقدسة الذى فعلته فقال لها البطرك يشتد قلبك يا ابنتى لا تخافى فان الرب معك وفى الوقت الذى جرحت فيه ثديك واخرجت منه الدم وصلبت على وجه ولديك بأمانة الله الكلمة المتجسد الذى طعن جنبه

على الصليب بالحربة وخرج منه الماء والدم هذا الذى صلب على ولديك بيده الألهيه ثم ان البطرك صلى عليهما فقط مع المعمدين ولم يقدر يعمدهما دفعة ثانية لأن الرب قبلهما فى البحر وقال البطرك لا يقدر احد ان يعمد دفعتين لانها معمودية واحدة وهذا قد تعمدا دفعة واحدة بنية امهما وامانتها وما فعلته ثم انه وضع فى ذلك ميمراً يقول فيه رحمة الله التى تنزل على الناس وناول الطفلين من السرائر المقدسة ومسكهما وامهما عنده حتى عيدوا عيد الفصح المقدس ثم ساروا الى مدينتهم بسلام فلما علم زوجها ما فعلته مضى الى ديقلاديانوس الملك الكافر وقال له اعلم يا سيدى الملك ان زوجتى قد زنت فى هذه المدينة ولما منعتها مضت الى الاسكندرية وزنت مع النصارى من ايام كثيرة واخذت ولدى وعملت عليهم شيئاً يقال له المعمودية وهو ذا هى قد عادت الى هاهنا ما ترى أن اصنع بها فتقدم ديقلاديانوس الى سقراطيس زوجها باحضارها وولديها ففعل ذلك فلما وقفت بين يديه قال لها ايتها الأمراة المستحقة الموت لماذا تركت زوجك ومضيت الى الاسكندرية زنيت مع النصارى فقالت له تلك القديسة النصارى لا يزنون ولا يعبدون اوثاناً فمهما اردته افعله فانك لا تسمع منى كلمة اخرى قال لها الملك عرفينى ما كان منك بالاسكندرية فلم تجاوبه فامر الملك ان تشد يديها الى خلفها وان يجعل ولداها على بطنها ويحرقوا الثلثة بالنار فحولت القديسة وجهها الى الشرق وولداها معها وهكذا اسلموا نفوسهم واخذوا اكليل الشهادة ثم قال الملك لزوجها سقراطيس من يفعل هذا بالاسكندرية قال له بطرس البطرك الذى للنصارى فلما سمع هذا امتلأ غضباً وغيظاً لانه كان مملوءاً حنقاً على القديس بطرس البطرك لاجل ما وضعه من الكتب رداً على عبادة الأوثان فكتب الى النواب عنه بالاسكندرية بان يأخذوا رأسه وفيما الجند مزمعون على ما أمر به الملك وبطرس فى السجن كما قلنا علم اريوس الكافر انهم يريدون قتله فخاف ان يتنيح البطرك فيبقى هو مربوطاً فمضى الى اقسة وشمامسة وجماعة من الشعوب وسالهم الدخول إلى السجن بان يترامو على رجلى البطرك ويسألوه ان يحله من رباطه وظنوا انه فعل ذلك ديانة فاجابوا سؤاله ودخلوا الى السجن وسجدوا بين يديه وصلوا ثم وضعوا له

مطانوات وسألوه أن يحل اريوس من رباطه فصرخ البطرك بصوت عظيم وقال : تسأونى فى اريوس ثم رفع يديه وقال يكون اريوس فى هذا الزمان وفى الآتى ممنوعاً من مجد ابن الله سيدنا يسوع المسيح فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم يجسر احد يرجع بكلمة فلما رآهم قد خافوا منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم واخذ معه الشيخين ارشلا والاكسندروس تلميذيه وانفرد بهما وقال لهما الله آلاه السموات يعيننى على كمال شهادتى وانت يا ارشلا القس تكون تجلس على هذا الكرسى بعدى واخوك الاكسندروس بعدك ولا تقولا ان ليس فف رحمة فأنا رجل خاطىء لكن فى اريوس مكراً مخفياً وليس أنا أحرمته بل المسيح أحرمه انا اعلمكم انى فى هذه الليلة لما اكملت صلاتى ونمت رأيت شاباً قد دخل على ووجهه يضىء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به الى رجليه وهو مشقوق وهو يمسك موضع الخرق بيديه ويغطى به صدره وعريه فلما رأيته نهضت مسرعاً وصرخت بصوت عال وقلت يا سيدى من الذى شق لباسك فقال لى اريوس خرقه فلا تقبله ولا تكن له معك شركة واليوم يأتيك قوم يسألونك فيه فلا يرض قلبك عليه وقد نهيتك عن ذلك وكذلك تلميذيك أرشلا والاكسندروس اللذين يجلسان بعدك على الكرسى أوصهما ان لا يقبلاه وهاهنا انقطع الكلام معه وأنا الآن اكمل شهادتى وقد اوصيتكما ما أمرت به وأنتما يا اخوان تعلمان كيف كنت معكما زمانى كله وما لقيته من التجارب ومؤامرة الكفر عباد الأوثان وكيف كنت هارباً من مكان إلى مكان من سادميا الى الشام والى فلسطين والرملة وللجزائر ولم أفتر من مكانتكما سراً وجهراً وتقوية الشعب بقوة السيد المسيح نهاراً وليلاً ولم اغفل عن القطيع الذى اوتمنت عليه وكان قلبى متألما جداً ومع هذا كله لم أذع الاهتمام بفيلا وسيخوس وبخوم وتاودروس الذين سجنوا لاجل الامانة السيد يسوع المسيح واستحقوا النعمة من الله وكنت اكاتبهم واذكرهم فى رسائلى من سادميا وكان على تعب عظيم ومجاهد لاجلهم لئلا يجرى عليهم شىء مع الكهنة الذين فى السجن واكثر من ستمائة وستين نفساً صاروا شهداء وانا الآن كما تعلمان انتما مهتم بجميعكم فلما سمعت انهم استشهدوا سجدت وشكرت الذى قواهم يسوع المسيح

وأعدهم مع شهدائه كذلك اسئله أ يعدنى معهم وقد علمتما الشرور التى لحقتنى من مليطيوس الأسيوطى الذى قسم بيعة الله التى اشتراها السيد المسيح كلمة الله بدمه المقدس ووضع نفسه عنها وجعل الأب البطرك أنبا بطرس يعلمهما ويوصيهما بالتحفظ من مكر مليطيوس المذكور أن لا يختلطا معه وقال لهما هو ذا تشاهدانى مرتبطاً بمحبة الله وأنا منتظر أرادته لأن أعوان ديقلاديانوس توامروا كل يوم بالقتل كما تعلمان وهو مزمعون على ما أمروا به فأنا غير خائف على نفسى بل مشئته أن أكمل سعيى الذى قدمنى الله له وخدمتى التى قبلتها من الرب يسوع المسيح الأهى وهو يعيننى على كمالها ومن الأن ماتريان وجهى فى الجسد بعد هذا اليوم وأنا أشهد لكما أنى قد أظهرت لكما كل شئ وخلصت وبرئت من الأثم فأخفظا القطيع الذى أيتمنكما عليه روح القدس وأحرسا بيعة الله التى اشتراها بدمه وأنا أعلم أن بعد مفارقتكم يقوم قوم من الشعب ويتكلمون بكلام تجديف غرضاً فى أن يقسموا البيعة كما فعل مليطيوس الذى تبعه جمع من الشعب وأنا أطلب اليكما أن تتيقظا لأنكما تلقيان قلقاً وقد علمتما ما لحق الأب ثاونا الذى ربانى وجلست بعده على كرسيه وما لقيه من الشرور من عباد الأوثان وأرجو أن يصير لى مثل نعمته ونعمة الأب ذيونوسيوس الذى كان مختفياً من مكان إلى مكان من أجل صبليوس المخالف وما ذا أقول من أجل ياروكلا ودمتريوس الأثنين المغبوطين وما لقيا من الشغب والمشاحنة من أرجانيس المعتوه وجميع ما كان منه وأبائنا الذين كانوا قبلنا وما أحتملوه عن بيعة الله لكن نعمة الله التى كانت معهم هى التى كانت تظللهم وتحفظهم وقد سلمتكما الآن إلى الله بكلمة النعمة التى لها القدرة أن تحفظكما وتحفظ قطيعه ولما قال هذا جثا على ركبتيه وصلى وسجد معهما وشكر وضمهما إليه معتنقاً لهما وقبلهما وكانا يقبلان يديه ويودعانه بالبكاء أعنى أرشلا والألكسندروس لأجل قوله لهما أنكما لا تريانني بعد هذا اليوم فى الجسد ثم عاد إلى الجمع الذى كان قائماً فيه فوقف معهم وخاطبهم وقواهم وصلى عليهم وباركهم وعزاهم وأصرفهم بسلام فلما مضوا عنه حدثوا الشعب بما قال وبما جرى منه فى السجن بسبب أريوس فلما سمع الشعب ذلك تعجبوا وعلموا أن الله معه وقد

أفرق أريوس منهم وعلم أريوس بهذا الأمر فسكت وأخفى روحه وأمره ومكره لأنقطاع رجاء من بطرس البطرك فلما علم الأب بطرس ما صار بين الجند وبين أهل المدينة بسببه ومنعهم الجند أن يدنوا من الحبس الذى هو فيه خاف أن يقتلوا أحداً بسببه وأراد حفظ شعبه المؤمنين أن يفديهم بنفسه فانفذ إلى الجند سراً وقال لهم تعالوا الليلة إلى حائط السجن الذى أدقه لكم من داخل فانقبوه وأفعلوا ما أمركم به الملك فلما سمعوا ذلك قبلوا قوله ومضوا فى تلك الليلة سراً إلى الموضع الذى قال لهم وهو مكان كان فيه مفرداً عن المعتقلين لا يعرفه أحد منهم فدق الحائط من داخل فلما سمعوه نقبوا موضع الدق وفتحوه فصلب على وجهه وأخرج رأسه لهم من الطاقة التى فتحوها وقال الأصلح أن أسلم روحى ولا يهلك من أجلى الشعب فقطعوا الجند رأسه ومضوا فيا لهذا الفعل العجيب جداً فحدث فى تلك الساعة ريح شديد حتى لم يسمع أحد من الشعب الذين كانوا يحرسون باب السجن حس النقابين ولا سمع أحد من المعتقلين فيه وكمل هذا الأب المغبوط قول الأنجيل المقدس وما حكاه من قول اليهود يوم الصلبوت أن الأصلح أن يموت واحد عن الشعب ولا يهلك الشعب كله وتشبه بسيده الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه وكان الشعب جلوساً عن باب السجن ولم يعلموا بما كان من أمره وقيل فى نسخة أخرى أنه خرج من النفت وأخذوه الجند ومضوا به إلى مكان يعرف بيوقولوا وتفسيره دار البقر وهو الموضع الذى تمت فيه شهادة الأب الجليل مار مرقس البشير وأن الجند لما رأوا القديس بطرس أنه أسلم نفسه للموت خافوا ولحقهم الزمع فسألهم وقال لهم أحب منكم أن أمضى أتبارك من جسد الأب مارى مرقس الإنجيلى فأجابوه وهم محتشمون منه مطرقون إلى الأرض وقالوا مهما أردت أيها الأب أفعله سرعة فمضى إلى حيث جسد الأب مارى مرقس الإنجيلى البشير وصلى وتبارك منه وجلس عنده كأنه يخاطبه قائلاً يا أبى الإنجيلى البشير بالسيد المسيح الأبن الوحيد الشاهد بأوجاعه انت أول شهيد وأول بطرك كان فى هذا الكرسى وأنت ياطاهر يا قديس الذى أصطفاك المسيح القدوس الحقيقى وأنت كرزت باسمه فى كورة مصر بهذه المدينة والأعمال المحيطة بها ونظرت فى الخدمة التى فعلتها وأخذت أكليل الشهادة ومن أجل ذلك أيها

الأب الإنجيلى البطرك التلميذ الشهيد أستحقيت أن تظهر الإيمان بالله الكلمة المخلص السيد يسوع المسيح وأنت أصطفيت انيانوس الطوبانى لأنه كان مستحقاً وبعده مليانوس ومن كان بعدهما ثم ديمتريوس وياوركلا وديونوسيوس ومكسيموس والمغبوط ثاونا أبى الذى ربانى حتى وصلت إلى خدمة هذا الكرسى بعده وأنا خاطئ لا أستحق هذه الكرامة لكن بكثرة رأفته نلت ذلك فأشفع فى أن أكون شهيداً بالحقيقة أن كنت مستحقاً تمام صليبه وقيامته ويجعل فى روائح الأمانة المحيية لكى أكون له بخوراً طيباً بسفك دمى على أسمه القدوس وقد حضر وقت زوالى فصل ياأبى على أن لا أكون بقلبين ونيتين ويقوينى الرب حتى أفارق هذا العالم وهو ذا أترك لك الرعية الى أيتمنتنى عليها عليها وسلمتها لى ولمن كان قبلى أيفاً فأنت معلمنا ياسيدنا فكن معنا ومع أولادك كما أعطاك السيد المسيح ثم قام من عند القبر ورفع يديه إلى السماء وقال يا أبن الله يايسوع المسيح كلمة الأب أدعوك وأسألك أن تزيل عنا هذا الأضطهاد الذى على شعبك ويكون سفك دمى أنا عبدك أزالة لهذا الاضطهاد عن رعيتك الناطقة وكان بالقرب من القبر مسكن فيه صبية عذراء وأبوها رجل شيخ وكانت قائمة تصلى ولما تمت صلاتها سمعت صوتاً من السماء يقول بطرس رأس الحواريين وبطرس هذا تمام الشهداء فلما أكمل الأب القديس دعاءه قبل القبر وقبور الأباء التى هناك ثم صعد إلى الجند فنظروا وجهه كوجه ملاك الله فخافوا منه ولم يخاطبوه لأن الله لا يتخلى عمن يتوكل عليه ثم رفع يديه إلى السماء وشكر الرب وصلب على وجهه وقال أمين وقلع يليته وكشف رقبته الطاهرة للرب وقال لهم أفعلوا ما أمرتم به فخافوا من أن تلحقهم عقوبة بسببه فنظر بعضهم إلى بعض ولم يجسر أحد منهم يقصع رأسه لما وقع عليهم من الخوف ثم تشاوروا وقالوا من قطع رأسه منا دفع له كل واحد منا خمسة دنانير وكانوا ستة نفر وكان مع أحدهم دنانير فأخرج منها خمسة وعشرين ديناراً وقال الذى يتقدم إليه ويقصع رأسه يأخذ هذه الدنانير عنى وعن الأربعة الباقين فتقدم أحدهم وأستجرا وقطع رأس الشهيد القديس بطرس البطرك فى التاسع والعشرين من هتور وكان مدة مقامه على الكرسى الإنجيلى إحدى عشره سنة فاما ذلك

الجندى الذى جعل نصيبه مع يودس الأسخريوطى فانه أخذ الدنانير وهرب هو واصحابه خوفاً من الشعب وبقى جسد القديس ملقى إلى وقت كثير من النهار حتى عرف الشعب الجلوس عند الحبس الخبر ونظروا النقب فى الحائط فمضوا إليه مسرعين ووجدوا جسده وثوبه عليه والشيخ والصبية العذراء جالسين يحفظانه فالصقوا الرأس بالجسد ونشروا عليه سبية وجمعوا دمه ووقفوا باكين وتبلبلت المدينة وأضطربت عند مشاهدتهم الشهيد الذى للسيد المسيح ثم حضر مقدمو المدينة ولقوا جسده فى النطع الذى كان ينام عليه ومضوا به إلى البيعة وجعلوه على السترنس [1] إلى أن قدسوا وأتموا القداس ودفنوه مع الأباء صواته يكن معناً ومع جميع بنى العمودية أمين .

أرشلا البطرك

وهو من العدد الثامن عشر

فلما تنيح الأب بطرس وعدموه أهل الأسكندرية أنفذوا وجمعوا الأساقفة وصيروا أرشلا القس بطركاً عوضه كما كان أوصى قبل وفاته فلما جلس أرشلا على الكرسى الرسولى الإنجيلى تقدم اليه جماعة من الشعب وسألوه فى قبول أريوس فقبل سؤالهم وجعله شماساً ولما قبله وخالف وصية أبيه بطرس لم يقم على الكرسى سوى ستة شهور وتنيح فى تاسع عشر بؤونة .

السيرة السابعة من سير البيعة

الأكسندرس البطرك

وهو التاسع عشر من العدد

فلما تنيح أرشلا البطرك أجتمع الشعب ووضعوا أيديهم على الأب الأكسندرس القس وصار بطركاً كما أوصى الأب بطرس آخر الشهداء وجلس على الكرسى فتقدم اليه بعض الشعب وسألوه أن يقبل أريوس فلما رآه الأكسندرس الفاضل رفضه ولم يقبله وقال لمن سأله فيه قال لى الأب بطرس وهو فى الحبس ولأخى أرشلا أن السيد المسيح أحرم أريوس فلا تقبلاه لما خالفه أرشلا أخى لم يقم على الكرسى غير ستة أشهر

(١) كرسى البطريرك أو الاسقف شرق الهيكل : Θρονος

وأنا فما أقبله بالجملة وهو مفروز فمكث أريوس منفياً تحت الحروم مدة فمضى بعد ذلك إلى القسطنطينية وشكا حاله لقسطنطيوس أبن الملك قسطنطين المغبوط وأنه قد تاب ورجع عن مقالته وحلف على ذلك وهو يخفى المكر فى قلبه إلى أن أظهر الله له قدرته فيه ونزلت أمعاءه من دبره فهلك كما سيذكر ذلك فيما بعد وبسببه كان المجمع المقدس بنيقية وأحرم فيه وأستقرت الأمانة المستقيمة وأيام الصوم ويوم عيد الفصح وكان أبونا الأكسندروس البطرك مقدم المجمع وبعد ذلك تنيح وهو متمسك بالأمانة الأرتدكسية وكانت نياحته فى الثانى والعشرين من برمودة وكانت مدة مقامه على الكرسى ست عشرة سنة .

السيرة الثامنة من سير البيعة
أثناسيوس الرسولى البطرك
وهو من عدد الآباء العشرون

فلما تنيح الأب المغبوط الأكسندروس ترملت البيعة أياماً يسيرة وأجتمع الشعب وتشاوروا وقدموا الأب أثناسيوس وأجلسوه على الكرسى الأنجيلى وكتب مقالات حسنة وميامر كثيرة وسمى فى بطركيته الرسولى لشرف أفعاله المتشبهه بالرسل وفى أيامه كان المجمع فى جلاطية وكان فيه باسيليوس الكبير صاحب القداس وقطعوا الأريانوس فى أيام يوليانوس الملك الكافر وكان يوبيانوس البطريق على هذا المجمع وكل يوليانوس الملك بيد الشهيد الجليل مرقوريوس وجلس بعده يوبيانوس البطريق ملكاً فاراح البيعة فى أيامه وصبر أثناسيوس البطرك على بلايا كثيرة ونفى ونصب له فخاخ السوء حتى أبعد عن كرسيه لكثرة ما ناله ومضى إلى صعيد مصر وأقام هناك سنين كثيرة وأظهر أنه فاعل وصير نفسه أجيراً ولم يظهر أنه بطرك وأقام الملوك الكفرة أعنى ولاس وولانديانوس أحدى عشرة سنة فلما أراد الرب أعادته إلى كرسيه دفعة أخرى بطلواته المقدسات المقبولات أهلك هولآء الملوك بموت سوء لأجل ما فعلوه بالارتدكسية وأقام الرب ملكاً مؤمناً أسمه تاوضوسيوس فابتهجت البيعة فى أيامه وكان هدوء وأمن وسلامة وعاد أثناسيوس إلى كرسيه وكان فى ظهوره فرح ومسرة فى

بلاد مصر أذ جعلهم الرب مستحقين لرجوع راعيهم اليهم وأقام هذا الراعى الصالح الروحانى على كرسى مارى مرقس الإنجيلى سبع وأربعين سنة وتنيح فى السابع من بشنس وهو ضابط البيعة وغالب المعاندين للحق المناصبين للدين الأرتدكسى ولابس كرامة السيد المسيح فحزن الشعب لأجل هذا الراعى الرسولى الذى عدموه فاما سيرته فأنه كان قد غاب عن كرسيه ثلث دفعات للشدائد التى نالته وتغلب المخالفين على كرسيه وكانت غيبته فى الدفعة الأخيرة إحدى عشرة سنة وكان كتب من النفى الى عذارى بمدينة الأسكندرية يقول لهن أن عروسكن هو المسيح الذى لا يرى ولا يموت فما دمتم تحت محبته فما تكن أرامل وأعلمن أننى كنت كاتباً لأبى الأكسندروس وكان ما يقرأ قط الإنجيل فى قلايته ولا فى غيرها جالساً بل قائماً والضوء قدامه وكان الله تعالى قد حبب له فرآءة الكتب فبينما هو ليلة قائم يصلى ويقرأ فى الإنجيل اذ أتين رهبانات وأستاذن عليه ثم طلعن إليه فسجدن بين يديه وقلن له عندنا عذارى يصمن ستة أيام ولا يعملن شيئاً بايديهن ليفضل منه ما يطعمنه للمستورين ونريد منك يا أبانا أن تتقدم لهن أن يعملن ويكون صومهم بقدر فقال لهن صدقنى يا أخواتى أنتى ما صمت قط يومين ولا أفطرت قط بالنهار ولا أكلت الا بقدر ولا أتعبت نفسى ولا أدبت جسمى لأنه جيد أن يكون الصوم بقدر والشراب بقدر والنوم بقدر فاذا أكل الأنسان كما يجب قوى على الصلاة وكذلك اذا نام بقدر وللطعام حد وللشراب حد وللنوم حد فقلن لهن يفطرن بقدر ويعملن كل شئ جيد بقدر لئلا يكثر الكلام فينسى أوله هذا ما كتب به أثناسيوس الرسولى وحكى به عن أبيه القديس الأكسندروس وأنه كان كلامه كالعسل لمن يسمعه وكان يكثر النعمة للسيد المسيح وقد قيل أن أريوس كان أتى إلى هذا الأب الأكسندروس وسأل أن يدخل إليه فقال الأكسندروس قولوا له أوصانى أبى أن لا أقبلك ولا تدخل التى ولا أجتمع بك لأن أبى شهد أن السيد المسيح اراه فى منامه ثوبه مشقوقاً منك وأمره أن لا يقبلك أو ما تعلم أن لسانك هو الذى أبعدك منه بما قلته فأطلب من السيد المسيح المخلص وأعترف له بخطيئتك فاذا قبلك فهو يأمرنى بقبولك كما أمر بطرس أبى أن لا يقبلك وقد أمر المسيح أن لا نمنع أحداً من المؤمنين به دخول البيعة فاذا أجرم وأخطأ منعناه حتى يندم ويتوب فاذا قبله المسيح

قبلناه فلما سمع أريوس هذا غضب ومضى فجمع إليه جمعاً كثيراً ووضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق القطع وقال أن أبن الله مخلوق وكان المجمع فى نيقية لأجله وكان فيه رؤوس الأربع كراسى مجتمعين فيه أعنى بطاركة رومية والأسكندرية وأفسس وأنطاكية وجلس معهم قسطنطين الملك المؤمن فأكملوا وقرروا الأمانة الأرثذكسية والصوم والفصح وقال لهم الملك أسئلكم أن تجعلوا مدينة القسطنطينية بطركية لأنها مدينة الملك وكذلك أورشليم لأنها مدينة الملك الحقيقى السمائى فلما رأوا تواضعه فعلوا ذلك وقطعوا أريوس الكافر وكتب قسطنطين الملك المؤمن حرم أريوس الكافر بخط يده وقال فيه أنه أهلك الذين أشتراهم المسيح بدمه المقدس فهرب أريوس الى افريقية ولم يجد راحة فى أيام قسطنطين الملك وأيام الأكسندروس البطرك وكان الأكسندروس قد ربى أثناسيوس تربية حسنة لانه كان أبن أمرأة رئيسة عابدة للأوثان وكانت غنية جداً وكان يتيماً فلما كبر أرادت أن تزوجه فلم يشته ذلك فاحتالت عليه ليقع مع أمرأة زانية لتوحله فى الزيجة فلم يفعل وكان الرب يحفظه لأمر عظيم وكانت تأخذ البنات الحسان تزينهن وتطيبهن وتجعلهن يدخلن عليه فى مرقده وينمن عنده ويتعرضن له فاذا أستيقظ ضربهن وطردهن وكانت تشتهى أن تزوجه وتقيمه على أواسى أبيه وأمواله فلا يفعل وأحضرت رجلاً ساحراً أسكندرانياً حكيماً من حكماء الصابة وعرفته ما عندها من حال أبنها فقال لها دعينى اليوم آكل معه خبزاً ففرحت وأولمت وليمة عظيمة واجتمع بابنها وأكلوا وشربوا فلما كان بالغداة مضى الفليسوف إليها وقال لها لا تتعبى فإنك لا تقدرين على أبنك لأنه قد صار جليلياً على رأى الجليليين وسيكون رجلاً عظيماً قالت ومن هم الجليليون قال لها أصحاب الكنيسة الذين قد أهلكوا البرابى وأبادوا الأوثان فلما سمعت هذا قالت فى نفسها أن توانيت عنه مضى عنى وبقيت وحيدة فحينئذ نهضت وأخذته معها ومضت به إلى الأكسندرس وقالت له قضية حال أثناسيوس أبنها وجميع سيرته ثم تعمدت هى وولدها وبعد زمان توفيت وبقى هو عند الأب الأكسندروس مثل الولد ورباه بدعة بكل فن وحفظ الإناجيل وقرأ كتب الله فلما كبر أقسمه شماساً وجعله كاتبه وصار كأنه ترجمان الأب المذكور وخادماً للكلام الذى يريد يقوله فلما تنيح قسطنطين الملك المؤمن بشيخوخة حسنة

وجلس بعده قسطنطيوس أبنه فلم يتثبت على الأمانة المستقيمة وأنما كان يخاف ويحتشم من الناس فوجد أريوس حينئذ الفرصة ومال إلى أخذ الملك وجذبه إلى قلبه وافسد قلبه وحعله على استمال الملك إلى مقالته وأغواه الى ان أنفذ أحضر الأكسندروس من الأسكندرية إلى القسطنطينية ولم يعلم الملك قدر الأكسندروس ولا سبب حرمه لأريوس وأبعاده له عن البيعة وكان الأكسندرس قد شاخ وكبر غير أنه ثابت الحواس سالم الجواس وكان أثناسيوس ترجماته وكاتبه والمتكلم عنه بقوة الروح القدس لمعرفته بالامانة الأرتدكسية فجلس الأب الأكسندروس بحضرة الملك وأحضر أريوس وتكلم كلامه الطمث وأكثر الكلام السمج فخصمه أثناسيوس بالاقوال التى أوردها وابطل كلامه فقلق أريوس وأفسخ المجلس وقال يكون لنا مجلس أخر ولما علم أريوس أنه لا وقوة له بأثناسيوس دفع مالاً لأصحاب أبواب الملك وقرر معهم أن يمنعوا أثناسيوس من الدخول معهم فى المجلس الأخر فلما كان بالغداه أمر الملك بأحضارهم فلما دخل الأكسندرس منعوا البوابون أثناسيوس الرسولى من الدخول فلما جلس الملك والبطرك بحضرته تكلم أريوس وأكثر الكلام فالتفت الأب الأكسندروس يميناً وشمالاً فلم ير أثناسيوس كاتبه فسكت فقال له الملك لم لا تتكلم قال له الأكسندرس كيف أتكلم بلا لسان فعلم الملك أنه يعنى أثناسيوس فأمر بأحضاره فلما رأى أريوس أن أثناسيوس قد دخل خرج مسرعاً ولم يقف فقال الأكسندرس للملك أعلم أيها الملك أن قطع هذا أريوس كان فى المجمع وليس أنا قطعته وحدى بل أبوك المغبوط الملك وأهل المجمع كلهم قطعوه وكتب الملك حرمه بخط يده واذا نظرت كتب أبيك وجدته بخط يده وأنا أقول من يقطع الملك قسطنطين وأهل المجمع فاحله أنا فيكون ذلك منى بدعة لأن أباك بالحقيقة كتب حرمه وقطعه بخط يده فى المجمع الذى كان بنيقية فلما سمع الملك هذا القول خاف من أخيه أن يحل أمر الملك ابيه فيجد أخوه بذلك الحجة للنفاق عليه فاطلق الأب الأكسندرس وأعاده إلى كرسيه ويقى أريوس محروماً مربوطاً بعدل لأنه ظن أنه يبلغ بقوته من الملك وبذله المال لحاشيته بغيته وتنيح الأب الأكسندروس مع أبائه بعد أن أوصى الكهنة والشعب عند نياحته أن يجلسوا أثناسيوس بعده على الكرسى ففرحوا بذلك لمحبتهم له فلما جلس على الكرسى الرسولى أخرج شيعة أريوس

من البيعة وأخرج الحرم الذى فى خط قسطنطين الملك وأهل المجمع المقدس وقرأه فى البيعة على الجماعة فلما سمع أريوس بذلك غضب جداً والتهب شيطانه كالنار ومضى إلى الملك وقال له أن قبلنى الأكسندرس بطرك القسطنطينية بامرك بلغت غرضى فدعاه الملك وقال هو ذا بطرك اسكندرية قد امتنع من قبول اريوس وخالفنا وأنت تعلم أننا أقمناك وأجلسناك بطركاً على كرسى القسطيطينية ويجب أن لا تخالفنا كغيرك وأنت طيب وتأخذ أريوس اليك وتقبله قال له البطرك أن البيعة لا تقبله ولا يجب أن نقبل الا من هو موافق لأمانتها وهذا فقد جعل الثالوث مخلوقاً وقد أبعد من البيعة بحق قال له الملك لا يفعل بل هو معترف بالثالوث قال له البطرك فيكتب لى خطه بأمانته حتى أعرفها فأحضره الملك وكان ذلك شيئاً من الله تعالى وكتب خطه بالأمانة وهو يضمر خلافها فى نفسه ثم استحلفه البطرك أن مابقى فى نفسه شك منها فحلف له فقال الملك للبطرك أى شئ تبقى لك عليه بعد هذا فقال الأب الأكسندرس بطرك القسطنطينية للملك أن الأب أثناسيوس بطرك أسكندرية قد جدد قراءة حرم أريوس المكتوب بخط الملك قسطنطين أبيك المغبوط وخطوط جماعة نيقية بالاسكندرية ونفى شيعته من بيعته فإن لم يجر على أريوس هذا شئ من الآفات من اليوم إلى يوم الأحد فأنا أقبله واستدعيه للشركة مع الكهنة فخرج أريوس وكان منتظراً ليوم الأحد فلما كان يوم الأحد دخل إلى البيعة وقد لبي ثياباً فخرة وتعطر وتطيب وجلس عند باب الإراديون فى طقس الكهنة وكان البطريرك ومن معه قد أقاموا الجمعة كلها صياماً قياماً بين يدى السيد المسيح يسألونه أن لا يحسب عليهم خطيئة أريوس لأن الملك كان قد أقسم له أن لم تقبل أريوس يوم الأحد بعد يمينه لأخسرن البيعة مالاً كثيراً فلما إجتمعوا الكهنة والشعب فى ذلك اليوم فى البيعة وأريوس حاضر أهتم الأب البطريرك بالقداس وهو حزين فلما قرأ القارئ تحركت احشاء أريوس عليه فمضى إلى زاوية بالبعد يتغوط فنزلت جميع امعاءه وكلما فى جوفه من دبره ولما غاب عنهم سألوا عنه فلم يجدوه ففتشوا عليه فاصابوه وهو قاعد جامداً فارغاً خاوياً يابساً وكل ما كان فى بطنه قاعد قدامه فأعلموا الأب البطريرك بذلك فتعجب منه وسكت وشكر الرب يسوع المسيح ومجده الذى حكم على أريوس وأهلكه عاجلاً لأجل يمينه الكاذبة وأمانته الفاسدة

فأظهر للملك والجمع جميع صحة ما قاله الأب بطرس الشهيد بطريرك الأسكندرية فتمم الأكسندرس القديس بطريرك القسطنطينية القداس فى ذلك اليوم بفرح ومجد وتهليل وارسل إلى أثناسيوس بطريرك الأسكندرية يقول نحن نمجد الله ونعلمك أيها الأخ أن أريوس مات موتاً عجيباً وأنقطعت مقالته وتبددت شيعته ولم يكتف الملك بذلك لأجل أصدقاء أريوس وهم سوريانوس وجرجيوس ومن معهما هو لا الذين وثبوا على بيعة الأسكندرية وذلك أن الملك دفع لجرجيوس خمس مائة فارس من جنده وأنفذهم معه ليصيروه بطركاً على الأسكندرية وكتب كتباً الى كل مدينة وكرر فيها كلام أريوس أن أبن الله مخلوق فلم يقبله أحد فى أرض مصر وكانوا يتقربون من قسوس كان أثناسيوس أوسمعهم فدخل هذا جرجيوس إلى بيعة الأسكندرية بحيلة وقتل بيد الجند الذين جاءوا معه خلق كثير من الشعب المسيحى الذى على رأى أثناسيوس حتى أنتهى الدم فى البيعة إلى الركب ونهبوا آنية البيعة وافسدوا العذراى الاتى كن فيها وكان أثناسيوس مخفياً وأقام الناس زماناً طويلاً يتقربون فى المغاير والبرارى والحقول فى جميع أعمال مصر كلها إلى الصعيد وكانوا الريوسيون أصحاب الملك قد أنتشروا فى كل مكان وكان سرابيون أسقف تمى يكاتب البطرك أثناسيوس وجميع الشعب أن يتحفظوا من الأريوسيين وبعد ست سنين ظهر أثناسيوس ومضى إلى الملك ظناً منه أنه يقتله فيأخذ أكليل الشهادة فأمر الملك أن يحمل فى مركب صغيرة ولا يعطى خبزاً ولا ماء ولا يكون معه ملاح ولا أحد يدبرها بل ينزل فيهاوحده ويطلق فى البحر ففعل به ذلك وسارت به الأمواج والله حافظه ومدبره حتى وصل إلى الأسكندرية فى اليوم الثالث بغتة فخرج اليه الكهنة والشعب وتلقوه بالفرح والقراءة إلى أن دخل البيعة وأخرج منها جرجيوس ومن يعتقد أمانته الفاسدة وصنع أثناسيوس فى ذلك اليوم عبداً للرب وفرح الشعب فى أعمال مصر كلها ومن بعد سبع سنين وصل أنسان أسمه أغريغوريوس ومعه الفا رجل من الجند ونهب البيعة وأقام أربع سنين وأخذ أثناسيوس وسلمه الملك لرجل أسمه فيلغريوس كافر وثنى فاراد قتله وقتل ليباريوس بطريرك رومية وديونوسيوس بطريرك أنطاكية هؤلاء الذين هم أباء الأمانة الأرتدكسية فأنقذهم الرب من يده وخلصهم فمضى أثناسيوس مع ليباريوس إلى رومية فلم يزل عنده إلى أن

مات فسطنطيوس وملك أبنه قسطس بعده وكان ارتدكسياً قاعة جلوسه أمر بأعادة أثناسيوس إلى كرسيه وكان فى ذلك الزمان كيرلس بطريرك أورشليم وظهر على يده أعجوبة عظيمة وذلك أن عمود نور ظهر على قبر السيد المسيح مخلصنا وشاهده جماعة من الروم وكل من فى المدينة وما يجاورها حضروا وشاهدوه ومكث من الساعة الثالثة إلى التاسعة والناس يسعون إلى نظرة من كل مكان وكتب كيرلس إلى قسطنطيوس الملك فعلمه بهذه الأعجوبة وكان الملك يحب أثناسيوس ولما عاد إلى كرسيه أقام خمساً وعشرين سنة فى هدوء وسلامة وكان له قل ذلك فى الكرسى اثنتان وعشرون سنة فى النفى والجهاد والأضطهاد ومات قسطس وملك بعده يوليانوس الكافر الرومى الوثنى وكان أبن أخت قسطنطين الملك الكبير فإذا من ساعته بفتح البرأبى وكان بانطاكية مقيماً لأنه لم يستحق أن يسكن فى مسكن العظيم قسطنطين ومضى إلى موضع الأوثان وأخذ سقراً دفعه لكاهن الأوثان فقربه للشيطان وأخذ هو قلبه فأكله وكان له أبن أخت أسمه أيضاً يوليانوس كافر مثل خاله فأخذ القس تاوضوريتس المؤمن فقتله وجاء إلى خاله واعلمه بقتله فغضب عليه وقال له ما كنت أريد أن تقتله لأن النصارى يفتخرون اذا قيلوا ويقولون أنهم قد صاروا شهداء لكن أنا أقرر أن عدت من قتال الفرس أن يؤخذ من كل واحد من النصارى ثلث أواق قطاً يريد بهذا أن يصيق على النصارى حتى يعبدوا أوثانه لأنهم لا يقدرون على النقط وكانت البيعة يومئذ غنيه ولها أربعة أعمدة يحملونها وهو أثناسيوس البطرك وأنطونيوس ويخوم الراهبان بمصر وباسيليوس أسقف قيسارية قبادوقية وكان ليواريوس بطرك رومية وباسيليوس المذكو كان صديقاً ليوليانوس الملك وتربى معه فى المكتب فلما سمع مقالته الرديئة أخذ أسقفين معه ومضوا اليه فتامل لباسهم ولحاهم ثم قال لهم ما ذا تطلبون قالوا نطلب راعياً جيداً يرعانا فقال لباسيليوس أين خليت أين النجار وجئت الى هاهنا قال له باسيليوس تركته يعمل تابوتك ليجعلك فيه قال له الملك لو لا أنك صديقى ولك عندى محبة لضربت الساعة رقبتك قال له باسيليوس اليس قد كنت محباً للعلم مشتهياً له فكيف تركت الحكمة قال له الملك قرأتها وحفظتها ورذلتها قال له باسيليوس ما قرأتها جيداً ولا حفظتها ولو عرفتها وحفظتها ما رذلتها قال له الملك

الواجب أن أعتقلكم إلى أن أعود من قتال الفرس فتنظروا ما يكون قال له باسيليوس أن مضيت وعدت ما تكلم الله فى قال يوليانوس الملك ما ذا أصنع بهذا الجليلى الكذاب القائل ساهدم الهيكل الذى هو بناء اليهود وابنيه بناء الملوك ويظهر لكل أحد أن قوله لا يبنى كذب ثم أنه طرح باسيليوس والأثنين اللذين معه فى الأعتقال وسار إلى بلاد الفرس وعبر على يروشليم ورأى الهيكل قد خرب ولم يبق فيه حائط قائم لأنه كان اسباسيانوس الملك قد أخربه لما أهلك اليهود وساهر وأمر أن يكنس ويبنى جديداً وسار يوليانوس المذكور بعد أن أستخلف من يتولى العمارة فبدأ متولى عمارة الموضع بأن هدم بقية الهيكل حتى لم يبقى فيه حجر على حجر كما قال الإنجيل المقدس وشرع فى البناء الجديد ليبنيه بربا فكانوا الفعلة يبنونت تبالنهار كله إلى الليل وينصرفون فاذا جاؤوا بالغداة يجدون كلما بنوه مهدوماً بغير يد أنسان بل يجدون الحيطان مقلوعة من أصولها مطروحة على الأرض فمكثوا هكذا شهرين لم يقدروا على عمارة شئ فقالوا لهم اليهود أخرقوا هذه القبور التى فيها النصارى وحينئذ يثبت لكم البناء الذى تبنونه ففعلوا ذلك وطرحوا النار فى القبور وبدؤوا بقبرين فيهما جسد البشع النبى وجسد يوحنا المعمدانى فلم تتسلط عليهما النار بالجملة فكثر تعجبهم وأقامت النار عده أيام تشعل ولم تدن منهما فمضى بعض المؤمنين إلى الوالى وبذلوا له مالأ على أن يمكنهم من أخذ الجسدين اللذين فى القبرين فأخذ المال وفسح لهم فى ذلك فأخذوا الجسدين المقدسين وأنفذوهما إلى الأب أثناسيوس بطرك اسكندرية فلما وصلا اليه فرح بهما كانه قد شاهدهما حيين وأخذهما وأخفاهما فى موضع إلى أن يجد السبيل فيبنى عليهما بيعة وبينما أثناسيوس جالس ذات يوم وعنده جماعة من المؤمنين ليسمعوا كلامه الذى به حياة نفوسهم ادرفع عينيه فنظر أكواماً مقابل المكان الذى كان فيه فقال أن وجدت زماناً بنيت هذه الأكوام بيعة ليوحنا المعمدان واليشع النبى وكان ثاوفيلس كاتبه جالساً معه على المائدة وجماعة من المؤمنين فسمعه اذ قال هذا القول وبقى فى نفسه فاما يوليانوس الملك الكافر فمضى إلى الفرس فاسلمه الله فى يد أعدائه لأجل القديسين الذين اعتقلهم قبل مسيرة وتواعدهم وكان موته أنه نظر فى الليل جنداً وقد نزلوا عليه من الجر وضربه أحدهم برمح فى رأسه حتى أنتهى إلى بطنه فعلم أنه أحد

الشهداء فملأً يده من الدم ورمى به إلى فوق وقال خذ هذا يايسوع فقد أخذت المكان تكاملاً فلما جدف وقع ميتاً ونجى الله فوق شعبه وعاد الروم إلى مساكنهم وكان باسيليوس القديس قبل موت يوليانوس بثلثة أيام وهوفى السجن قد استيقظ من النوم فقال للاثنينا اللذين معه رأيت الليلة الشهيد أبا مرقورة وقد دخل إلى بيعته وأخذ رمحه وقال حقاً ما أترك هذا الكافر يجدف على الهى ولما قال هذا غاب عنى لم أرجع أبصره فقال له كل واحد منهما حقاً لقد رأيت أنا أيضاً هكذا سواء فقال بعضهم لبعض نحن نؤمن بذلك بالحقيقة انه يكون وانفذوا الى بيعة الشهيد أبى مرقورة لينظروا رمحه الذى كان فيها هل هو باق أم لا فلم يجدوا الرمح فتحققوا المنام ومن بعد ثلثة أيام وصلت الكتب والاخبار إلى أنطاكية بموته فأجتمع وجوه المملكة واجلسوا رجلاً أسمه يوبيانوس على المملكة وكان مؤمناً قديساً خائفاً من الله منذ صباه فساعة جلوسه أطلق الأباء من السجن وصح قول عمود الحق باسيليوس ليوليانوس الكافر أنه لا يعود كما كان ميخا النبى قال لأخاب الملك الكافر ملك فى اسرائيل لأن الله صانع العجائب هو اله الأثنين أعنى ذلك النبى وهذا الأب القديس الذى قبل قولهما وقدم يوبيانوس اللك الثلثة الا وأكرمهم ودفع لهم كرامات كثيرة وسيرهم إلى كراسيهم وكان يواصل الصلاة فى البيع يكتب إلى أثناسيوس بطريرك الأسكندرية كتاباً يقول فيه أيها الأب الحقيقى الراعى المأمون أثناسيوس شهيد المسيح الاله مملكتى ترتجيك جداً فقو قلبك وأمسك قضيب الكهنوت وأطرد به الذئاب الخاطفة عن الرعية الناطقة أولئك الذين افواههم مملوة لعنه ومرارة سم الأفاعى وهم قتلة الأنفس وقرئ هذا الكتاب فى بيعة الأسكندرية وأنفذه أثناسيوس البطرك إلى أعمال مصر وقرئ فى كنائسها تثبيتاً للمؤمنين وتقوية لهم فانطرد أصحاب أريوس وشنئوا وحزنوا ثم مضى بعد هذا بعضهم إلى يوبيانوس الملك ورفعوا على الأب أثناسيوس فلم يلتفت اليهم لمعرفته بشرهم ثم أن أثناسيوس شاخ وكبر بعد أن كتب عده ميامر ومقالاً وكتب لأجل ملشيسداق ولأجل الأب أنطونيس وذكر سيرته وكتب سبعة وأربعين أرطستكا وكتب لأجل الصليب المقدس وأن السيد المسيح عمى به على أبليس حتى ظن أنه أنسان سادج فلما تقدم اليه خرمه السيد فى أنفه بأصبعه التى تلى الخنصر وأبهامه لما صيرهما خلفه أى أنه أخرق قوته

وشقها وأضعفها وأرانا أنه قد غلب قوة أبليس بالضعف لأن الأصبع الثانية للخنصر لا يعمل الأنسان بها شيئاً وهى أضعف الأصابع ولم يقبله سريعاً بل أضعف قوته كما قال الكتاب مزمور [١] يقوم الله ويهلك اعداءه وكتب تعليم كثيرة وأشياء لا تحصى وكان يكتب إلى باسيليوس ويجاوبه باسيليوس عليهاوكان يخاطبه بأبى وكتب أيضاً رسالة إلى أرسانيوس يعزيه بتاودورس أخيه لما تنيح وقال فيها ليت كلاً منا ينال موضع تاودوروس أخيك وليت مركبنا ترسى فى مرساه وكتب مقالة بين فيها أن الشر من أبليس خزاه الله وأن ليس عند الله شر بالجملة ويقال أن هذا الأب أثناسيوس البطرك حمله ملاك الرب فى بعض أسفاره عند ما كان هارباً من الملوك الكفرة حتى أوصله الى حيث أراد كما حمل الملاك حبقوق النبى من أورشليم بابل وكما حمل حزقيال النبى من بابل إلى يروشليم وليس ذلك مستصعباً من فعل الله تعالى وكان بالاسكندرية صنم يسمى زرابيل فلما توعك أثناسيوس وقربت نياحته قال أن وجدت عند سيدى المسيح رحمة فانا أسجد بين يديه ولا أرفع وجهى حتى يغلق باب هذا الصنم فشهدوا كهنة الأسكندرية ان بعد سبعة أيام من يوم وفاته أنفذ الملك وسد باب البريا الذى فيه الصنم .

السيرة التاسعة من سير البيعة المقدسة
بطرس البطرك
وهو من العدد الحادى والعشرون

ولما تنيح أثناسيوس الرسولى البطرك أجتمع الأساقفة والكهنة والشعب الأرثذكسى ووضعوا أيديهم على رجل قس اسمه بطرس واوسموه بطركاً فجرى عليه بلايا كثيرة من رجل كافر أسمه لوكيوس الأسم الكذاب من قبل بلاديوس الكاتب بغير أمر الملك ومن بعد أيام بلغ الخبر الملك فانفذ أميراً قبض على لوكيوس الكافر وبلاديوس الكاتب وأنفذها إلى النفى ومكثا فيه إلى حين وفاتهما وأقام الأب بطرس بطركاً ثمانى سنين وتنيح فى العشرين من أمشير .

(١) مزمور ٦٧

السيرة العاشرة من سير البيعة المقدسة
طيماتاوس البطرك
وهو من عدد الأباء الثانى والعشرون

وأجتمع الشعب والأساقفة بعد وفاة الأب بطرس ووضعوا أيديهم على قس أسمه طيماتاوس وجعلوه بطركاً وفى أيامه كان المجمع بالقسطنطينية وعدته مائة وخمسون اسقفا وقطعوا مقدونيوس الكافر بطرك القسطنطينة مكان المجمع وأخر يسمى أونوميوس لأنهما جدقا على روح القدس وقالا بكفرهما أنه مخلوق وذلك فى أيام تاوضوسيوس الملك المؤمن وأقام طيماتاوس جميع أيامه فى هدوء وسلامة وكان مده مقامه علي كرسى الأسكندرية تسع سنين ونصفاً وتوفى فى السادس والعشرين من أبيب وهو متمسك بالأمانة الأرتدكسية .

السيرة الحادية عشرة من سير البيعة المقدسة
ثاوفيلس البطرك
وهو من عدد الأباء الثالث والعشرون

ولما تنيح طيماتاوس أجتمع الأساقفة والشعب وقسموا ثاوفيلس بطركاً وكان كاتب أثناسيوس البطرك وكان مستقيم الحال عند الله والناس فلما جلس على الكرسى بلغه أن الوثنيين قد مضوا الى يروشليم يفتحون بيت أصنامهم فانفذ رهباناً إلى هناك ليطردوهم فم يقدروا الرهبان على الوثنيين فأنفذ ثاوفيلس البطرك إلى دير بخوم بصعيد مصر وأحضر السواح وأنفذهم إلى يروشليم فلما دخلوها صلوا فهربت الشياطين من البربا وصيروا ذلك الهيكل مسكناً لرهبان أورشليم ولما عادوا ضبطهم ثاوفيلس البطرك ليكونوا يأكلون معه وحدهم من يوم الأحد الى يوم الأحد ودفع لهم بستاناً كان للأب أثناسيوس البطرك ثم أن الأب ثاؤفيلس البطرك ذكر قول أثناسيوس لما كان يأكل معه وهو كاتبه أنه يشتهى أن ينظف الأكوام التى رآها ويبنى فى موضعها بيعة على اسم المعمدانى واليشع النبى وعند ذلك جاءت أمراة كان لها ولدان فكنست الأكوام

(١) مجمع القسطنطينيه سنة ٣٨١م

على ما يشهد به كتابه وظهرت البلاطة المكتوبة عليها ثلث ثيطات وشرح حديثها وقصة ثوفيلس مع رفائيل الملاك لم تكتب فى هذه السيرة فلما قلع ثاوفيلس البلاصة وجد المال تحتها فبنى منه الكنائس وبنى فى موضع كنيسة فى جانب البستان وحمل اليها جسد القديس يوحنا المعمدان وجسد اليشع النبى وظهرت منهما عجائب كثيرة فى ذلك اليوم وبرئ جماعة من الناس كانوا مرضى ومسقومين من أمراضهم وكتب ثاوفيلس فى مدة حياته عدة ميامر ومقالات وأقام ولنديانوس الملك أثنتى عشرة سنة ومات وملك بعده ولنديانوس وكرديانوس ولداه وكانا مؤمنين محبين لله جل اسمه وكان ثاوفيلس اذا عمد ينظر قضيب نور يصلب على المعمودية بين يديه فلما كان فى بعض السنين وقف فى جمعة التنصير يصلى على المعمودية فلم يظهر له عليها صليب النور فحزن فأوحى اليه أنه ان لم يحضر أرسانيوس الشماس يصلى معه والا فما يظهر له شئ فصرف الناس فى ذلك اليوم وأنفذ طلبه فوجده فى أعمال أشمون فاتاه مسرعاً ففرح به وطيب نفسه فظهر الصليب النور ولما رأى ثاوفيلس البطرك تواضع الشماس المذكور وفعله أراد أن يصيره قساً فلم يفعل وسأله أن يعفيه من ذلك وأن يصلى عليه ويدعه يمضى إلى وطنه ففعل له ما التمسه وكان لثاوفيلس البطرك أبن أخت أسمه كيرلس قد علمه ورباه أحسن تربية ثم أنفذه إلى جبل النطرون إلى برية أبى مقار القديس فأقام هناك خمس سنين فى الديارات يقرأ الكتب العتيقة والحديثة وكان يوصيه بالمواظبة على التعليم ويقول له أنك بذلك تصل إلى أورشليم العلوية التى هى مسكن القديسين وكان ملازمه فى قلاية البطركية وكان أغنسطساً ولما أنفذه للبرية سلمه لسرابيون الحكيم ووصاه أن يعلمه علوم البيعة التى هى علوم الله الحقيقة فحفظ جميع الكتب وكان يقف قدام معلمه يقرأ وفى يده سيف حديد فاذا تعس ينخسه به فيستيقظ وكان فى أكثر لياليه يقرأ فى ليلة واحدة الأربعة أناجيل والقتاليقون والأبركسس وسالة بولس المغبوط الاولى إلى أهل رومية فاذا كان بالغداة ينظر معلمه وجهه فيلعلم أنه قد وقف ليلته كلها وكانت معه نعمة الله حتى أنه كان اذا قرأ كتاباً

دفعة واحدة يحفظه فحفظ فى تلك السنين جميع الكتب الشرعية وبعد هذا انفذ ثاوفيلس البطرك اليه وأعاده إلى الأسكندرية وكان معه فى قلايته ويقرأ بين يديه فتعجب منه الكهنة والعلماء والفلاسفة ويفرحون به لحسن صورته وطيب جرمه الذى لا يتغير كما هو مكتوب أنى فتحت فى وأستنشقت روحاً وكان كل الشعب اذا سمعوه يقرأ يشتهون أن لا يسكت لحلاوة قراأته وحسن صورته وكان خاله الأب ثاوفيلس يفرح به جداً ويشكر الله اذ رزقه ولداً روحانياً قد نشأ بالنعمة والحكمة وكان له سيرة حسنة وتواضع ولا يخرج عن العلوم الروحانية والنظر فى أقوال الأباء معلمى البيعة الإرثذكسية أثناسيوس وديونوسيوس وأكليمنطس بطريرك رومية وارسنابيوس وباسيليوس أسقف أرمية وباسيليوس أسقف قبادوقية هؤلاء الآباء الأرثذكسين الذين قرأ تعاليمهم وكان يرفض مقالة أرجانس ولم يمسك كتابه بيده يوماً قط فاما بلغه أن احداً من المؤمنين قرأه رفضه وابعده وكان كيرلس لما قرأ فى الإنجيل المقدس أسئلوا تعطوا أطلبوا تجدوا فهم ذلك وطلب من الله العلم فاعطاه اياه وكان كالنحل الذى يخرج يرعى من على كل النبات والأشجار ويجمع ربح نفسه إلى أن يملأ وعاه عسلاً خالصاً بغير دنس وسيرة الأب ثاوفيلس كثيرة جداً منها ما جرى له فى الأسكندرية مع تاوضوسيوس الملك الكبير وعجائب رفائيل الملاك معه وخبر الامرأة الأرملة وولديها اللذين صيرهما أسقفين والثلث ثيطات المكتوبات على بلاطة الكنوز الموجودة بالأسكندرية وما أظهره رفائيل الملاك من العجائب فى البيعة التى بناها ثاوفيلس فى الجزيزة ثم تسليط الملك له على مال البرابى من أسوان إلى حدود أرض الشام وما مع ذلك .

السيرة الثانية عشرة من سير البيعة المقدسة
كيرلص البطرك
وهو من العدد الرابع والعشرون

فلما تنيح الأب ثاوفيلس البطرك جلس الأب كيرلس على الكرسى الرسولى ورفع الأساقفة الأناجيل الأربعة على رأسه وصلوا عليه وقالوا اللهم قو هذا الرجل الذى أصطفيه لنا وبدأ فاقام قومة للبيع التى فى جميع الكرسى لئلا تشتغل عن الطعام الروحانى الذى به تتقوى على الأمور المرضية لله وبدأ فى الحكمة المحيية وأما الملك تاودوسيوس الصغير المحب لله فانه أتبع وصية أبائه فكان يجمع اليه الرهبان ويتعبد معهم ولم يكن له ولد وكانت أخته تدبر الملك وكان كيرلس البطرك لا يفتر من وضع الميامر والمقالات بقوة الروح القدس الناطقة فيه حتى أن أكثر رؤساء الأسكندرية قسموا النساخ ينسخون لهم ما يضعه الأب فقال له قوم من الفلاسفة أن هناك ميامر وضعها يوليانوس الملك يرذل فيها موسى وجميع الأنبياء ويجعل المسيح أنساناً سادجاً وكنا نقرؤها لأن الملك وضعها وقال أن كلام الجليلى ساجعله كذباً لأنه قال لا يبقى حجر على حجر فى هيكل يروشليم الا ينقض وأنا أريد ابنيه وأبطل قوله وهدم يوليانوس المذكور ما كان بقى من الهيكل ليبنيه فمات ولم يبن فيه شيئاً فقد صح لنا كلام المخلص وعرفنا ربوبيته لأنه لم يبطل شئ من كلامه فلما سمع كيرلص هذا قلق جداً إلي أن وجد ما وضعه يوليانوس وقرأه فوجده أشد مما وضعه أرحانس وبرفاريوس فلما لم يقدر الأب كيرلص أن يجمع النسخ التى تفرقت من تلك الكتب فى أيدى الناس كتب إلى تاودوسيوس الملك يعلمه بذلك ويقول له أن شئت هلاك ما وضعه يوليانوس وأبادة كفره فاجمع هذه الكتب التى وضعها وأضل الناس بها وأحرقها ففرح الملك بكتابه ومجد الله وفعل كل ما قاله له وكتب الجواب يسأله أن يصلى على مملكته ففرح الأب كيرلص بذلك ووضع ميامر ومقالات يدحض فيها أقوال يوليانوس الملك ويبكت أفعاله وأن الملاك أهلكه فى الحرب مثل شاءول وقال فيه اقوالاً كثيرة وبعد هذا وصل اليه خبر نسطور ومقالته الفاسدة فحزن لذلك وقال ما مضى بعد كفر يوليانوس حتى جاء تجديف

نسطور بطريرك القسطنطينية فلما تحقق كيرلس فساد مقالة نسطور كتب إليه يقول هكذا كيرلس بطريرك الأسكندرية يكاتب نسطور بطريرك القسطنطينية بسلام الأخوة فى الله الحقيقى الذى وهب لنا النعمة واحدة وجعل جميع المسكونة فى أتفاق وفكر واحد بسفك دمه التى هى الأمانة بابن الله يسوع المسيح وباقى الرسالة معروف لم يكتب فى فى هذه السيرة وأعاد اليه الجواب بتجديف فكتب أنبا كيرلص إلى الأساقفة بعلمهم حال نسطور فإجتمعوا اليه وقالوا له قد سمعنا خبره وهذه حادثة صعبة لأن أريوس وأشياعة وبولا ومانى وغيرهم من المخالفين ما كانوا بطاركة وقدأضلوا جماعة من الناس فكيف هذا بطرك القسطنطنية فكتب إليه الأب كيرلص كتاباً ثانياً يقول فيه كلاماً كثيراً من جعلته أننى ما أصدق ما حكى لى عنك ويعظه ويخوفه ويعرفه الإيمان المستقيم ويسئله أن يرجع عن قوله الكفر ويعلمه أنه لا يقدر أن يضادد الله الذى صعد على الصليب من أجلنا وهذه نسخته إلى الأخ الشريك فى الخدمة ماصدقت فيك ما قيل عنك أولاً والكتب التى وصلت التى وقيل أنك كتبتها لم أصدق أيضاً ما فيها أنه منك لأن الأقوال الكذب قد نسبت الى القديسين لأنها كتب مملوءة تجديفاً وأنا الآن أوصيك أن تبعد عن هذا التجديف وهذه الخصائم فليس لك قدرة على محاربة الله الذى صلب عنا بالحقيقة ومات بالجسد وهو حى بقوة لاهوته وهو الجالس عن يمين الأب والملائكة له تسجد والسلاطين والقوات وهو الملك الأزلى الذى أسلم الأب كل شئ فى يديه وهو خالق الكل ولا قدرة لك على مقاومته فأنى أنا قلت لك ما حل باليهود مقاوميه فليس أنت غير علم به وبما حل بالهراطقة أعنى سيمن الساحر ويوليانوس الملك وأريوس وهو ذا أيوب الصديق يقول أنظروا جراحاتى وخافوا ومجدوا الله وأنا أقول أن البيعة لاتصبر عليك أن تشتم الأهها وهى التى أبواب الجحيم لا تقهرها وأنت تعلم ما نالها من التجارب ولم يقدر أحد عليها لأنها هى كالصخرة فى الأمانة فأنظر أنت ما تفعل الآن والسلام فلما وصلت هذه الرسالة الثانية إلى نسطور تكتب أيضاً رسالة مثل الأولى مملوءة تجديفاً فلما وصلت إلى الأب كيرلس كتب اليه يقول لو لم تكن أسقفاً لم يكن أحد يعرفك الا جيرانك وأقرباءك فلما جلست على كرسى أبن الله

عرفك كل أحد لأجل مجد البيعة فوثبت على الرب بكلام مخدف لا تقدر تثبته ولا تحققه واذا فتشت العتيقة لم تجد فيها أن المسيح يسمى انساناً محقاً لنا تزعم وأنما أنت تظهر انك تقاوم الله خالقك الذى اشتراك بدمه وهو الله الأبن الذى فى حضن أبيه ومتى الإنجيلى يقول أنه عمنويل الذى تفسيره الله معنا كما قال السيد فى نبوته ومرقس يشهد فى إنجيله يقول أنه لما سأله رئيس الكهنة وقال له أنت أبن الله قال له نعم أنا هو ومن الآن ترون أبن الله جالساً عن يمين القوة ومقبلاً على السحب ليدين الأحياء والأموات اليس هذه الشهادة هى التى يشهد بها بولس إنها الاعتراف الحسن الذى أعترف به قدام بلاطس البنطى هذا الأعتراف هو الذى البيعة ثابتة عليه ولأجله صار ربوات شهداء لا يحصى عددهم الم تسمع جبرائيل الملاك يقول للست السيدة مرقص أن الذى تلذينه هو من روح القدس وأبن الله يدعى الذى على الكل المجد إلى أبد الأبدين من هذا الذى حمل خطايا العالم اليس هو يسوع المسيح أبن مريم الذى ولدت لنا الله الكلمة متجسداً أن كنت تعتقد إنه نبى كموسى فما قدر موسى ولا أحد من الأنبياء يحمل خطايا العالم لكن رئيس الصلاح المسيح حمل خطايا العالم بصعوده على الصليب من أجلنا الم تسمع بولس الرسول يقول ليس هو انسان بل هو الله صار انساناً ويقول أيضاً بولس أن ليس ملاك ولا شفيع خلصنا بل يسوع المسيح والله الأب أقامه من الأموات أرأيت الآن كيف اعترف إنه الاهاً وكيف إعترف بالالآم التى قبلها بجسده المقدس فإن كان ليس هو الاهاً فكيف أعترف بولس أن خلاصنا ليس هو من أنسان ولا من عند انسان ولا ملاك ولا شفيع لكن من عند الله يسوع المسيح وإعترف أيضاً بموته اذ قال أن الأب أقامه من بين الأموات فرأيت الآن هذه الحكمة المملوءة أمانة بسيدنا المسيح والآن فقد أنقذنا إليك هذه المكاتبة أيها الأخ لتذخرها فى وسط البيعة وليس أنت غير عارف فاقرأه الكتب لتعلم منها هذا وأكثر منه وقد أنقذت إليك الأخوة وسألتهم أن يقيموا عندك لتبحث وتجتهد شهراً وتفحص الكتب وتكتب لنا بما عندك والسلام فلما وقف نسطور على هذه الرسالة لم يقبل الأخوة الواصلين بها إليه ولا قبلها ولا كتب عنها جواباً فاقاموا شهراً كاملاً هناك كما أمرهم أنبا كيرلس البطرك وهم

يترددون إلى نسطور فلم يأذن لهم فى الدخول بل قسى قلبه مثل فرعون وكان نسطورصديقاً لتاودوسيوس الملك منذ كانا فى المكتب وكان الملك يقول له ما سمعت أحداً من معلمى البيعة يقول مثل قولك قط فلم يسمع منه فعاد الرسل إلى الأب كيرلس وأعلموه بما كان فعند ذلك تقوى كيرلس بسلاح أبويه الأكسندرس وأثناسيوس وليس درع الإيمان الذى خلفوه أباؤه فى بيعة مارى مرقس الإنجيلى وخرج إلى الحرب مثل داءود وقلبه ثابت بالمسيح الله وكتب إلى بقية الأساقفة وكاتبوا الملك يسألونه ان يكون لهم مجمع للنظر فيما قاله نسطور ويذكرون له ان اباءه الذين ملكوا قبله كانوا فى كل وقت وزمان يرتبون البيعة وكان لهم الصبر الجيد ومساعده الأساقفة على تثبيت الأمانة المستقيمة لكى يصلوا على ملكهم والآن فهذا نسطور قد شتت البيعة وليس هو بعيداً من ضلالة عبادة الاوثان بقوله المجدف المملوء تجديفاً اذ قال أن المسيح انسان فقط وانه نبى لا غير وقد جاء إلى العالم انبياء كثير ولم يعبد أحد منهم فاذا كان هذا يعبد انساناً فقد صار عابد وثن ولما قال بطرس لسيدنا المسيح حسنا يا معلم ان نكون هاهنا ونتخذ ثلث مظال واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لايليا لانه خالفهما والاههما وأظهر مجده لتلاميذه بإحضارهما الواحد من السماء والأخر من الأرض ونحن فنسئل ملكك الضابط أن يكون لنا مجمع للنظر فى هذا ونصلى عليك وعلى ملكك لتخلص أيها المحب لله فلما قرأ الملك الكتاب تحرك بقوة الرب وجمع الأساقفة إلى مدينة أفسس هو والبطرك فإجتمع هناك مائتا أسقف من سائر المدن كل واحد منهم معه قسيسان وشماس من كرسيه وأنفذوا إلى نسصور ليحضر وأنتظروه عدة أيام فلم يحضر فكتبوا إلى الملك وأعلموه أن نسطور لم يحضر فانهم ينتظرونه فسأل نسطور الملك ان ينفذ معه مقدماً يحفظه وقال له أنهم كثير وأنا خائف ان يقتلونى فانفذ معه بطريقاً يقال له قنطيطيانوس وكان رأيه رأى نسطور فلما وصل إلى المجمع أخذ كيرلس فى الليل وجه فى موضع فيه قمح هو وأصحابه فقال كيرلس لأصحابه أى شئ تحت أرجلنا قالوا له قمح قال الشكر لله المبارك الذى أعطانا الغلبة لأنهم جعلونا فى بيت الحياة وكان فعل قنطيطيانوس هذا مساعدة لنسطور ليخيف كيرلس ومن معه من

الأساقفة المجتمعين بسببه حتى يتفرقوا فلم يتم له ذلك بأنهم ما كانوا أجتمعوا الا وقد ابذلوا نفوسهم للموت على الأمانة فلما تحقق منهم ذلك أطلق كيرلص وأصحابه وخاف أن يتصل الأمر بالملك فيهلكه فجعل يحفظ الطرقات ومنع أصحاب الأخبار أن يكتبوا بشئ من ذلك إلى الملك ثم اقاموا الأباء عدة أيام ومعهم أسقف أقسس مجتمعين مصلين ونسطور منفرد عنهم ولم يأتيهم فأنفذوا اليه ثلثة أساقفة يسألونه أن يحضر معهم للصلاة فلم يمكنوهم الجند أصحاب قنطيطيانوس من الدخول اليه فلما أحتجب عنهم وطال عليهم الأمر لبعدهم عن كراسيهم احتاجوا ان يبعدوا عدو الله من بيعته فأحضروا الأربعة أناجيل وأحضروا كتبه المملوءة كفراً من كلامه المجدف وكان لكيرلس كاتب شماس يسمى بطرس عالم فهم وكان يعرف مواضع تجديف نسطور الذى فى كتبه فجعل يخرجها للجمع المقدس من مواضعها بسرعة فلما وقفوا عليه أتضح لهم كفره فأحرموه وقطعوه وكتبوا خطوطهم فى كتاب حرمه وأنقذ اليه فلم يقبله ولم يرجع عن كفره فارادوا أنفاذ ما كتبوه إلى الملك فلم يقدروا لأجل من جعله قنطيطيانوس البطريق لحفظ الطريق فتشاوروا إلى أن أخذ إحدهم الكتاب وجعله فى قصبة غليظة وغير لباسه وسار حتى وصل إلى القسطنطينية وسلم الكتاب لطلميطوس وأوطيخيس السائحين فلما تملك وسلمه الملك لأستاذ فاخذه منه وسلمه للكاتب ليقرأه على الملك فلما قرأه كان فيه قال المجمع المجتمع بأفسس نحن نعلم أن عمنويل هو الله المتأنس قبل أن لا يشاركنا نسطور فى هذه الأمانة فلذلك هو غريب من الأب والأبن والروح القدس وغريب من ميراث الحواريين وغريب من البيعة الواحدة المقدسة وكل من لا يقول ان يسوع عمنويل أى هو الله المتأنس فهو محروم وكلمن لا يقول ان العذراء مريم ولدت الله الكلمة متجسداً بالحقيقة فهو محروم يسوع الغالب المخلص يسوع للكل له المجد إلى الأبد أمين فلما قرئ هذا الأعتراف علي الملك صرخ وكلمن فى قصره وقالوا يسوع هو عمنويل الله المتأنس فقال أوطيخيس السائح[1] للملك تكتب جلالتك حرمه وتكتب للأساقفة أن يحضروا عندك ويسلموا على رئاستك ويباركوا على ملكك ففعل ذلك

(١) يا الله الواحد : IC ΘЄΟC

فسار الجمع إلى القسطنطينية فقبلهم الملك أحسن قبول وجلس دونهم ومجد لهم وأخذ بركتهم وأمر بأن ينفى نسطور قسيس إلى النفى وصحبته حاجب يوصله إلى ديار مصر وأنفذوا له الأساقفة قبل مسيره يقولون له اعترف بأن المصلوب اله متجسد ونحن نقبلك ونعفيك من النفى فقسى قلبه مثل فرعون ولم يجبهم بشئ فلما قال للحاجب نستريح هاهنا قد تعبت فقال له الحاجب قد تعب ربك اذ مشى إلى السادسة وهو الاله فما تقول أنت قال له نسطور أجتمع مائتا أسقف يطلبون منى أن يسوع هو الله المتأنس فما قلت فاقول لك أنت أن الله تعب وسار به الحاجب حتى أوصله إلى أخميم[٢] من أعمال الصعيد فاقام هناك منفياً محروماً مقطوعاً إلى أن مات وقد كتب الأب القديس كيرلس عدة رسائل منها رسالة إلى أنبا يوحنا بطرك أنطاكية أولها تفرح السموات وتتهلل الأرض ورسالة إلى اكاكيوس أسقف ملطية أولها م أحلى أجتماع أخوة كاملين يتذاكرون التعاليم الروحانية ورسالة إلى ولاريانوس أسقف قونية أولها الأخ الحبيب الشريك فى الخدمة ورسالة إلى الكهنة والشمامسة والرهبان والنساك الثابتين على الأمانة المستقيمة بعد قطع نسطور ونفيه ورسالة إلى أولوقيوس القس الأسكندرانى الذى كان مقيماً بالقسطنطينية أولها أن أناساً واجدون علينا بسبب المقالة التى قالها أساقفة المشرق ورسالة إلى انسطاسيوس والأكسندروس ومرتنيانوس ويوحنا وبرغوريس القس ومكسيموس الشماس أولها أنا أمدح جداً محبتكم للعلم وفى كل رسالة يذكر الأمانة المستقيمة ويبين كفر نسطور وفساد مقالته وأنها مخالفة لأمانة الأباء القديسين وما تتضمنه كتب الله العتيقة والحديثة وبين ذلك بشهادات واضحات صحائح من الكتب المقدسة التى نطق بها الروح القدس على السن الأنبياء الصادقين والرسل المنتخبين والأباء القديسين معلمى البيعة المقدسة الجامعة الرسولية سوى رسائله إلى نسطور قبل نفيه التى كتبها بلطافة ويعظه ويوفقه ويرشده فلم يسمع منه ولا رجع عن سوء رأيه وقساوة قلبه وفساد أعتقاده .

(١) وسما الأنبا بقطر رئيس دير الزجاج ذكرى الأربعين خبر، الخبر ١١-١٤ (٢) مركز أخميم شرق مسود

السيرة الثالثه عشرة من سير البيعة المقدسة
ديسقرس البطرك
وهو من العدد الخامس والعشرون

وجعل بعد نياحة أنبا كيرلس البطرك القديس ديسقرس بطركاً على كرسى مدينة الأسكندرية ولقى من الجهاد على الأمانة الأرثذكسية شدائد صعبة من مرقيان الملك ومن زوجته ونفوه عن كرسيه بتحامل مجمع خلقدونية وميلهم إلى هوى الملك وزوجته حتى أنهم سموا الملكية هم وكلمن يتبع أمانتهم الفاسدة لأجل أتباعهم رأى الملك وزوجته فى أظهار مقالة نسطور وتجديدها وكانت عادة الأوائل أن يكتبوا سير المتقدمين فى كل جيل وأما فى زمان بنى اسرائيل فكتب فيلون الفارى ويوستوس ويوسابيوس وأكيسبوس بعض سيرة سيدنا يسوع المسيح وخراب أورشليم بيد اسباسيانوس وطيطس ابنه وما كان من بعدهما ومن بعد ذلك كتب افريقنوس واوسابيوس ومينا التجارب والجهاد الذى نال الرعاة والشعوب فى أيام أنبا كيرلس الحكيم البطرك وما جرى بينه وبين نسطور وما لقيه الأب ديسقرس بعده من مجمع خلقدونية ثم افترقت الأمانة والكراسى حتى أنه لم يبق من يكتب سيرة وانقطع ذلك والرب باق إلى الأبد ولذلك لم توجد سيرة القديس ديسقرس البطرك بعد نفيه وحفظ الأمانة الأرثذكسية الباقية فى كرسى البشير مارى مرقس إلى الآن وإلى الأبد حتى أخذ أكليل الشهادة بجزيرة غاغرا من مرقيان الملك وتنيح هناك .

طيماثاوس البطرك
وهو من العدد السادس والعشرون

ومن بعد أن تنيح الأب المجاهد ديسقرس البطرك أقام السيد المسيح بطركاً يسمى طيماتاوس على كرسى مدينة الأسكندرية وصبر على الشدائد وجهاد المخالفين ونفى هو وأخوه اناطوليوس إلى جزيرة غاغرا[1] أيضاً إلى كمال سبع سنين وعاد بنعمة الله بأمر الملك إلي الأسكندرية وكان تكريزه فى أيام لأون الملك وأقام بطركاً اثنتين وعشرين سنة وتنيح فى اليوم السابع من مسرى .

(١) عند شاطئ اسيا الصغرى

بطرس البطرك
وهو من العدد السابع والعشرون

فلما مضى طيماثاوس للرب كرز بأمر الله بطرس القس ببيعة الأسكندرية وجعل بطركاً وكانت مملكة الروم باقية ثابتة جداً على تجديد ذكر مجمع خلقدونية الطمث فى كل وقت لأنه غير مبنى على أساس الصخرة الثابتة التى لله الكلمة يسوع المسيح وبعد ذلك بمدة كتب أقاكيوس بطرك القسطنطينية إلى بطرس بطرك الأسكندرية يسأله أن يقبله اليه برسائل كثيرة أنفذها اليه ومكاتبات لأنه رفض مجمع خلقدونية وسماهم مخالفين وطومس لأون المملوء تجديفاً وكذلك مقالة نسطور رفضها وكتب له بطرس كتباً لبتحقق من أعجوبتها صحة قوله فلما وصلت اليه قبلها بفرح ومسرة وأظهرها لمن يريد ممن يعتقد الأمانة الأرثذكسية ثم كتب سنوديقا[1] وانفذها إلى بطرس المغبوط وكان بعض الأساقفة لم يحضروا فى وقت أن كتب الكتب من البطركين بطرس واقاكيوس واثار الشيطان خزاه الله السجن فى قلوب أولئك الأساقفة وصار لهم رئيساً يعقوب أسقف[2] صار ومينا أسقف منية طامة وساروا إلى مدينة الأسكندرية وقالوا للبطرك كيف قبلت أقاكيوس وهو من جملة من حضر المجمع الخلقدونى فأجابهم بدعة ومسكنة أنى لنما قبلته لرجوعه عن ذلك الرأى وعرفهم ما وصل اليه من رسائله التى تشهد برجوعه واعترافه بالامانة المستقيمة وذكر لهم أنفاذه الأساقفة اليه ليسمعوا لفظه بحكم قانون البيعة فلم يقبلوا قوله لأستحكام الكبرياء فى قلوبهم وافرزوا نفوسهم من كرسى الإنجيلى مارى مرقس الرسول وقالوا بجهلهم كما قال بنو اسرائيل أن ليس لهم نصيب فى داءود ولا ميراث مع ابن يسا وافترقوا من البطرك القديس بطرس ولم يدخلوا تحت طاعته حتى ان الأرثذكسيين سألوهم الذين لا رأس لهم وكانت الرسائل المكتتبة بين البطركين المذكورين خمس عشرة كراسة وكان هذا بطرس لما صار بطركاً على الأسكندرية لقى شدائد من المخالفين ونفوه وسلموا كرسيه لرجل يسمى طيماناوس ويدعى انطونيوس وتاوغنسطس الذى لقانويوس ثم يوحنا الدوانيسيادس

(١) وسائل إيمانية (٢) ربما صا الحجر مركز كفر الزيات

الذى جعلوه بعد موت انطونيوس ثم عاد بطرس البطرك إلى كرسيه بمجد عظيم وكان مدة جلوسه على الكرسى ثمانى سنين وتنيح بسلام وكرامة كثيرة فى الثانى من هتور وجميع رسائله ثابتة فى دير أبى مقار وفيها رسالة لزينون الملك المغبوط وجوابها وفيها جواهر الكلام وقدس وأعتراف الأمانة المستقيمة .

أثناسيوس البطرك
وهو من العدد الثامن والعشرون

ولما تنيح الأب بطرس القديس قدم أثناسيوس وكان قيماً فى بيعة الأسكندرية وصير عليها بطركاً وكان رجلاً صالحاً مملوءاً أمانة وروح القدس وتمم ما أوتمن عليه ولم يكن فى أيامه شعث ولا اضطهاد فى البيعة المقدسة وأقام سبع سنين وتنيح فى العشرين من توت .

يوحنا البطرك الراهب
وهو من العدد التاسع والعشرون

ولما تنيح أثناسيوس الصغير قدم يوحنا الراهب وصير باركاً على الكرسى الإنجيلى فسلك سيرة من تقدمه من الآباء الفضلاء وكان البيعة والشعب وأهل البرية فى أيامه فى أمن وسلامة بنعمة السيد المسيح وكان على عهد القديس زينون الملك المغبوط ولأمانته وصلاحه أمر الملك فى أيامه أن يحمل إلى دير أبى مقار بوادى هيب كلما يحتاجون اليه من قمح وخمر وزيت وجميع ما كان يحتاجونه لعمارة قلاليهم وكمل أنبا يوحنا البطرك خدمته أمناً مطمئناً فى أيام زينون الملك المغبوط المؤمن وتنيح فى الرابع من يشتس بعد أن أقام ثمانى سنين بطركاً ولحق بابائه .

يوحنا البطرك
الحبيس كان وهو من العدد الثلثون

فلما تنيح أنبا يوحناجعل عوضه رجل حبيس يسمى يوحنا وكان ذلك بأمر الله

---

(١) ربما منيسة طانة كانت قرب البرلس واندثرت راجع أبو المكارم

وكان قرابة للبطرك المتنيح وكتب فى أيامه كتباً وميامر كثيرة وأضهر الله فى أيامه أمراً عجيباً وأقام مملكة وكهنوتاً معاً للبيعة وهو الملك انسطاسيوس المؤمن التقى والبطرك ساويرس الفاضل لابس النور صاحب كرسى انطاكية الذى صار قرن خلاص للبيعة الأرثذكسية الذى جلس علي كرسى الكبير أغناطيوس وكتب سنوديقا إلى الأب يوحنا البطرك بالاتحاد فى الأمانة وبشر فيها بالاتفاق بينهما بالامانة الواحدة الأرثذكسية التى للأباء القديسين فقبلها يوحنا البطرك وأساقفته وقرؤوها فى كنائسهم وكورة مصر وأصعدوا صلوات وشكروا للسيد المسيح الذى أعاد الأعضاء المقطوعة إلى مواضعها وبفرح عظيم وابتهاج روحانى كتب يوحنا البطرك القديس إلى الكبير ساويرس جوابها بكلام قانونى مملوء من الأمانة المستقيمة التى لمعلمى البيعة كما كتب اليه المغبوط ساويرس ولما عاد اليه الرسل بهذه الهدية التى تشبه خلالته فرح وتهلل جداً واقام يوحنا بطركاً احدى عشرة سنة وتنيح فى السابع والعشرين من بشنس .

ديسقرس الجديد البطرك
وهو الحادى والثلثون من العدد

ولما تنيح الأب يوحنا البطرك كان له كاتب اسمه ديسقرس وكان رجلاً كاملاً فى جميع اسبابه وديعاً صالحاً ليس فى زمانه من يشبهه فكرزوه بطركاً على الكرسى الانجيلى فكتب سنوديقاً [1] إلى الاب ساويرس يذكر له فيها نياح الاب المغبوط يوحنا وجلوسه بعده على الكرسى الرسولى فكتب إليه يعزيه ويثبته على الأمانة المستقيمة ويوصيه بتعليم الشعب وان لا يفتر من التعليم ويوكد عليه فى ذلك واقام ديسقرس بطركاً ثلث سنين وفى سيرة أخرى انه اقام سنة واحدة ونصف وتنيح فى السابع عشر من بابة ولحق بابائه .

(١) رسائل مجمعية ايمانية

طيماتاوس البطرك
وهو من العدد الثانى والثلثون

وجلس طيماتاوس بطركاً على كرسي الاسكندرية وتوفى انسطاسيوس الملك المؤمن واقاموا بعده رجلاً ردياً مخالفاً اسمه يوسطنيانوس ليدبر المملكة فلما جلس بذل جهده فى ان يعيد كل المؤمنين الارثدكسيين الى امانة المجمع الخلقدونى واول ما ابتدأ بان اخذ القديس سويرس البطرك وجمع مجمعاً فى مدينة القسطنطينية من نفسه وكان فيه وكليوس بطرك رومية وابوليناريوس الذى صيره الملك بطركاً على مدينة الاسكندرية وأوطيخيوس بطرك مدينة القسطنطينية والأساقفة الذين تحت أيديهم وأنفذ الأب ساويرس البطرك واساقفة المشرق وكان يظن أنه يطيب قلب القديس ساويرس ويستميله إلى رأيه لكى ينقاد له الكل ليقينهم به وبأمانته فيقولوا بمقالته الردية فلم يلتفت الكبير ساويرس اليه ومضى هو وأساقفته إلى القسطنطينية ليثبت الإمانة وكان يظن أن ذلك الملك الكافر يرجع عن ترأيه الفاسد فلما وصل الأب ساويرس إلى القسطنطينية فاكرمه الملك في البداية اكراماً عظيماً ورفع منزلته وكلمه كلاماً طيباً طلباً منه انه يساعده على طومس لاون ويبلغ امانته فاما هو المجاهد فى الله فكان قد جعل فى قلبه قول بطرس الرسول لسيمن الساحر ان تكراماتك معك يكن فى الهلاك لانى أرى انك مملوء مرارة أمر من التنين وكان بوسطنيانوس الملك مثل نسطور فلما كان فى بعض الأسام أمر الملك ان يجتمع الغير أساقفة إلى ذلك المجمع فلم يحضر معهم الأ ساويرس الشجاع ولا أحد من اساقفته لأنه قال ان لم يحرموا أولاً طومس لأون والمجمع الخلقدونى الطمث المرذول والا فما اجتمع معهم فى قول الكفر ثم جرى من الملك أمور يضيق الكتاب عن شرحها لئلا تطول السيرة بذكرها فلما بلغ سويرس البطرك أمر الملك فلم يجتمع معهم ولا مضى اليهم انزلوا عليه البلايا وحلت به الشدائد ومن بعد سنتين بسؤال الملكة تاوضورة المؤمنة افرج عنه ووهبه لها فسيرته إلى كرسيه وكان فى تلك الأيام طيماتاوس بالاسكندرية فلما أخرج ساويرس البطريرك من انطاكية وأساقفته الذين من المشرق ووصلوا إلى مصر جاء الأساقفة إلى مدينة الأسكندرية فطردوا رهبانات كثيراً عذارى من الديارات وكانالأب ساويرس فى زمان هذا التعب

يهرب من مدينة إلى مدينة سراً وعلانية ومن دير إلى دير ويكاتب الأساقفة أصحابه الذين بالأسكندرية ويعزيهم ويصبرهم ويوصيهم أن يتثبتوا على الشدائد بشجاعة وكان معهم غير أسقف اسمه يوليانوس واظهر انه يشارك مجمع خلقدونية لإنه يقسم السيد المسيح الواحد أثنين ويجعله طبيعتين بعد الاتحاد الغير مدروك فلما وجد هذا زماناً بغيبة الأب سويرس كتب طومار بمؤامرة سوء لقوم سكارى مرضى فيه أمانة أوطيخيوس الكافر وأبوليناريوس رمانى وأودكسيس الكفرة وملاه أيضاً تجديفاً من اعتقاد الذين يعتقدون التخيل وينكرون آلام المسيح السيد المحيية وأنفذه إلى أعمال مصروإلى رهبان البرية فقبلوه ووقعوا فى الفخ الا سبعة نفر أضاء الله قلوبهم فلم يقبلوه وسمعوا صوتاً يقول هذا الطومار النجس فقام عليهم الذين وقعوا فى ضلالة يوليانوس فقتلوا منهم أثنين فتفرقوا البقية وصاروا يقدسون فى قلاليهم بدير أبى مقار وغير وهذا السبب فى تفريقهم وكثرة الضلالة فى الأربعة ديارات وفى الجواسق فبقوة الروح القدس ونعمته كانت المعونة لللخمسة نفر الرهبان الباقين من السبعة فمنعوا الرهبان ان لا يقبلوا الطومار وكان ينبوع هذه الضلالة يوليانوس لا يفتر من انفاذ كتبه الى البلاد لضل الناس ويجذبهم اليه فلما علم الأب ساويرس ذلك بقوة روح القدس الساكنة فيه كتب الى كل موضع ليبدد أمره ويبدد فكره وأعلم الناس فى كتبه أن يوليانوس تنين ردى ممتلئ تجديفاً وكان القديس ساويرس مهما بمن ضرب بهذه الضربة ليداويه وتثبيتاً لمن لم يتبع الطومار وكان من ذلك قلق ومقاومة وعند ذلك تنيح الأب طيماتاوس البطرك المغبوط وهو ثابت فى الأمانة المستقيمة وكان مجاهداً عنها مثل الأب ساويرس ودحض يوليانوس وجميع مقالاته وكانت مدة مقامه بطركاً على كرسى الأسكندرية سبع عشرة سنة وتوفى فى الثالث عشر من أمشير .

تاودوسيوس البطرك
وهو من العدد الثالث والثلثون

وبأمر الله أجتمع الأساقفة والشعب الأرتدكسى بعد نياحة طيماتاوس وبتدبير السيد المسيح قسموا الأب القديس تاودوسيوس بطركاً وكان بتولاً عارفاً بالكتابة البيعة وبعد أيام قلائل أقام المبغض للخبر تجربة عليه وطرح سجناً بين أقوام اشرار من

أهل المدينة أصحاب صنائع مرذولة وكان انسان قد كبر وطعن فى السن اسمه قيانوس وكان ارشي دياقن البيعة بالأسكندرية وكان قائماً فى وقت قسمة الأب تاودوسيوس بطركاً مع الأساقفتوالكهنة ومقدمى المدينة حتى قسموه وكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة على الكرسى الرسولى وكملوه باتفاق من جميع الشعب المسيحى المحب لله ومن بعد هذا أضله قوم وغيروا فكره زعنى الأرشي دياقن بذاجته وشاروا عليه قائلين هذه الرتبة والتقدمة تجب لك ولا يجوز لأحد أن يتقدم عليك ودخلوا فى عقله قليلاً قليلاً بالكلام الردى حتى قبل مشورتهم فأخذوه ومضوا به إلى بيت قس اسمه تاودورس وكان ردى الفعل وله مال كثير فقسموا قيانوس الأرشي دياقن بطركاً وكان معهم معاوناً لهم يوليانوس الفاسد الأمانة باتفاق مع تاودورس القس لأن تاودوسيوس المغبوط كان لما صار بطركاً قد أحرم يوليانوس لانه كأن ملجأ للمخالفين ثم أنه مضى الى الوالى والى متولى المعونة وصانعهم وطيب قلوبهم بكثرة الهدايا حتى أقاموا على الأب تاودوسيوس البطرك وعلى البيعة شراً عظيماً وطردوا تاودوسيوس القديس عن كرسى الأسكندية الى حرسمانوس فمكث هناك ستة شهور وكتم الوالى عن الملك أمره وقسمتهم غيره وكلما جرى من يوليانوس وتاودورس وقيانوس المجتمعين عليه وكان الحكيم ساويرس البطرك يسمى تاودوسيوس أخاً ومعيناً وشريكاً فى الفعل الواحد الإنجيلى الحقيقى وكان يعزيه ويقويه على ما ناله لأجل الأمانة الأثذكسية ويشبهه بالعظيم بولس الرسول فى أول اصطفائه وأمانته بالمسيح وكيف طردوه أهل بيته وخاصته وكيف انزلوه المؤمنون من الحصن فى قفة حتى هرب من دمشق وكان الأب تاودوسيوس تحت القلق من المخالفين واضطهادهم له وكان ذلك فى سنة مائتبن وأثنتين وأربعين لديقلاديانوس وكان ساويرس البطرك مختفياً من يوستنيانوس الملك المخالف فى قرية محبة للمسيح تعرف بسخا من أعمال مصر عند رجل اسمه دروتاوس المهتم بأمور الشيوخ الرهبان الذين رفضوا ضلالة يوليانوس الكافر وكان الرجل المذكور قد أمكنه أن يمضى إلى أعمال مصر وهو ارسطاماخوس وسأله أن يترآءف على شيوخ الرهبان الذين فى البرية بان ينعم عليهم ويمكنهم ان يبنوا بيعاً وجواسق عوضاً معا أذ

منهم يوليانوس وأصحابه وتنيح الرهبان فرسم له بذلك وشكر الله تعالى وكان ساويرس البطرك قد وضع كتباً قهر بها هارسيس أصحاب الطبيعيتين وأباده أكثر معتقديها بمجد الله وتعاليمه بلسانه السيف الروحانى وكان يدرس فى كتب الحكمة الألهية دائماً إلى أن كبر ودنت أيام انتقاله من التعب إلى النياح لأنه أقام فى الجهاد والصبر على اضطهاد المخالفين ثلثين سنة على كرسى أنطاكية فى عناد وقلق ست سنين ولم يفتر فى هذه المدة من الجهاد على الأمانة الأرثذكسية حتى إلى الموت فلما أكمل سعيه وهو حافظ الأمانة الصحيحة مضى إلى السيد المسيح الذى احبه وزخذ أكليل الغلبة مع الاباء القديسين فى بيعة الأبكار السمائية وأما الأب المغبوط تاودوسيوس فاقلقوه قلقاً كثيراً شديداً جداً اعنى قيانوس المخالف ومن معه وكان يوحنا مقدم الأسكندرية وغيره مجتهدين فى خلاصه منهم فتشاوروا مع الأباء واخذوه سراً وانزلوه فى مركب فى البحر ومضوا به إلى قرية تسمى مليج من أعمال مصر أقام بها سنتين فقلق شعب الأسكندرية وكهنتها ومقدميها لبعده عنهم وقالوا للوالى لما ذا ابعدت عنا الراعى الصالح تاودوسيوس فخاف الوالى منهم وكره ان ينتهى الخبر إلى الملك فاخرج قيانوس المخالف من المدينة ثم مضى بعض المقدمين لقضاء حوائج له من الملك فاعلم الملكة تاودورة المؤمنة نفى المغبوط تاودوسيوس من مدينة الأسكندرية لأن أصلها منها فدخلت إلى الملك بسكون وحكمة ووداعة وأعلمته بكلما جرى على الأب تاودوسيوس البطرك بمدينة الأسكندرية بغير أمره فلما سمع ذلك فرح فى قلبه بما نال الأرتدكسيين من القلق والجهاد اذ لم يرضوا ان يشاركوه فى أمانته الفاسدة الخلقدونية الطمثة ثم إراد ان يرضى الملكة ويطيب نفسها فاعطاها السلطان ان تفعل بامره فى ذلك ما تريده فارسلت الى مدينة الأسكندرية لتكشف عن الخبر وتعيد الاب الأتاودوسيوس البطرك الى كرسيه وأمرت الرسل أن يعلمها كيف كانت بطركيته عند قسمته وهل هى مكملة بقانون البيعة فلما وصلوا رسلها الى المدينة على ما أمرتهم به كشفوا عما أمرتهم بكشفه واستوضحوا كيف كانت قسمته وهل هى مكملة بقانون البيعة وكيف كانت قسمة قيانوس الأرشى دياقن ومن كان منهم الأول فدس الوالى وصاحب المعونة قوماً

لاجل ما اخذاه من الهدايا والبراطيل ويصرخون ويقولون قيانوس اول فى القسمة فلم يثبت قولهم وكتب مائة وعشرون رجلاً من الكهنة ومقدمى المدينة خطوطهم بان تاودوسيوس هو أول فى القسمة ثم اجتمعوا ومعونة السيد المسيح معهم وحضروا امراء الملك وقواده الذين هم رسله وامناءه واجتمع جميع الاسكندرانيين معهم فى البيعة المقدسة وقدموا الانجيل المقدس وسجل الملك الذى فيه خاتمه وصورته وقدموا الاب تاودوسيوس البطرك المغبوط وجماعة الاساقفة الذين كانوا حاضرين بقسمته وفرقوا بينهم وسايلوا واحداً واحداً وكتبوا ما قالوه فصح اعترافهم كل واحد بغير خوف ولا اختلاف فى القول ان تاودوسيوس المغبوط هو المقسوم أولاً باتفاق من الاساقفة والشعب بحكم قانون البيعة وبعد ذلك بشهرين سمعوا ان قيانوس صير بطركاً فتقدم قيانوس قدام الجماعة واعترف لهم بصحة ذلك وسأل الصفح عنه وطلبت الجماعة للاب المغبوط تاودوسيوس ان يقبله ويسألوه قبول توبته على أن يكتب بخط يده انه فعل هذا خارجاً عن القانون البيعى وانه يبقى فى شماسيته ارشى دياقن كما كان وانه يتضع ويخضع للاب تاودوسيوس ويطيعه الى حين وفاته ففعل ذلك كله وختم جميعهم ان هذا كله حق وصدق وفرح الجمع كله ومجدوا الله وشكروه اذ عاد اليهم راعيهم الصالح تاودوسيوس البطرك وجلس على كرسيه ليدبر البيعة والشعب بسلام واما يوليانوس وتاودروس ومانى وجميع من خالف وتبعهم فثبت الاسم عليهم أنهم مخالفون ولم يتوبوا فاما قيانوس فصار تحت طاعة تاودوسيوس البطرك فلما استقام امر البيعة والشعب المؤمن المسيحى فرح الأب تاودوسيوس وكتب كتباً يشكر فيها الملك والملكة وارسلها مع رسلهم وهم ارستينتس ونيقيطس وفيلودورس وشكرهم علي ما فعلوه فلما وصلوا وسلموا الكتب للملك وعرفوه جميع ما جرى كانت افكاره مائلة موجعة وقال هوذا أنا قد سلمت كرسى الاسكندرية لتاودوسيوس ولو اضفت له جميع ولايات ارض مصر وكورتها وافريقية وكل البلاد ما ساعدنى على الامانة التى اوثرها لتكون البيعة كلها امانة واحدة ثم انه اعنى الملك يوستينيانوس بعد ذلك فكر وكتب الى والى الاسكندرية ومقدميها وللاب تاودوسيوس يجتذبه اليه وان يقبل طومس لاون ويساعده

على ذلك وتكون له الرئاستان البطركية والولاية ويكون جميع اساقفة افريقية تحت طاعته ويكون له الأمر فى جميع ذلك وان هو لم يطع ولم يرض فليخرج من البيعة ويمضى الى حيث يشاء لأن من لا يوافقنى على امانتى لا تكون له رئاسة لا على شعب ولا على بيعة فلما سمع الأب المجاهد المغبوط البطرك تاودوسيوس المعترف بالمسيح كتاب الملك وما قاله قال امام الجمع والوالى والرسل قال الانجيل المقدس ان ابليس اخذ السيد المخلص واصعده الى جبل عال واوراه جميع ممالك العالم ومجده وقال له هذا كله لى وانت ان سجدت لى دفعته لك هكذا ما وعدتمونى به وهو هلاك نفسى ان فعلته واصير به غريباً من المسيح الملك الحقيقى ورفع يديه قدام الرسول المنفذ من الملك والوالى وذلك الجمع العظيم وقال بالحقيقة احرم طومس لاون ومجمع خلقدونية وكلمن يعترف به فهو محروم من الان والى الابد آمين ثم قال للوالى ولجميع جيش الملك ليس للملك سلطان إلا على جسدى والسيد يسوع المسيح الملك الحقيقى العظيم له السلطان على نفسى وجسدى جميعاً والآن هوذا البيع قدامكم وكلما فيها فمهما اردتم فافعلوه واما انا فتابع لابائى الذين تقدمونى معلمى البيعة الرسولية اثناسيوس وكيرلس وديسقرس وطيماتاوس ومن كان قبلهم الذين صرت انا لهم نائباً بغير استحقاق فقام خرج وقال من كان يحب الله فليتبعنى لانى خرجت من بطن أمى عرياناً وامضى اليه عرياناً والذى يهلك نفسه فى هذا الزمان لاجل الامانة فهو يخلصها فمضوا به الى الايوان محتاطاً عليه يوماً وليلة فلما كان بالغداة اطلقوه كما امر الملك فى كتابه ليمض الى حيث يشاء فخرج من المدينة وقوة السيد المسيح ترشده فاهتم ارسطاماخس بامره واعد له ما يحتاج اليه وحمله فى مركب الى صعيد مصر فاقام هناك يعلم الناس والرهبان فى الديارات ويثبتهم على الأمانة الارثدكسية ويصبرهم على الجهاد حتى الموت واما رسول الملك فانه عاد اليه وعرفه جميع ما جرى وكيف خرج تاودوسيوس البطرك من المدينة ولم يقبل من جميع مواعيد الملك شيئاً فلما سمع ذلك الملك هو وجميع جيشه تعجبوا من رفضه هذه المملكة ومخالفته لامره وثبوته على الامانة ثم فكر فى نفسه وقال ان تركته بحيث هو فجميع الناس يتبعون امانته فلا يدعهم يقبلوا

طومس لاون فكتب كتاباً مملوء ايماناً وعهوداً للبطرك تاودوسيوس انه لا يلحقه منه لم ولا ادية بل كل صلاح وخير وارسله مع كاتب وقال له الطف به الى ان تاتينى به وقال له غرض الملك مشافهتك فلما وقف البطرك المغبوط على كتاب الملك استعان بقوة السيد المسيح وأخذ معه من الكهنة رجالاً حكماء عارفين فضلاء وركبوا وساروا حتى وصلوا قسطنطينية ودخل الى الملك والملكة فلما عاينوا سكينته وتواضعه وفضله استقبلوه حسناً فانزلوه فى مواضع اعدوها له ومن معه ثم استدعاه الملك دفعة ثانية وثالثة الى سادس دفعة وهو فى كل دفعة يخاطبه بلطف ويريد منه ان يساعده على تثبيت مجمع خلقدونية واعطاه كرامات كثيرة وتقدمة ورئاسة وهو يقول لا حياة ولا موت ولا غلاء ولا عرى ولا سيف يصد قلبى عن امانة ابآئى ولا ارفض وطمه ولا خطة مما كتبه أبائى المعلمون المؤيدون قبلى رعاة القطيع الناطق الذى للمسيح من مرقس الإنجيلى الى اليوم الذى جعلنى فيه الأب طيماتاوس شماساً وصرت انا بعده بطركاً بتدبير الله فلما لم يقدر الملك على اجتذابه الى مقالته توجه وارسله الى النفى مزعجاً وارضى كهنة الاسكندرية ووسم لهم انساناً يسمى بولس التنيسى بطركاً على كرسى الأسكندرية بيد مينا بطرك القسطنطينية وأرسله وصحبته عسكراً الى مدينة الأسكندرية فلما وصل اليها لم يقبله أحد من أهلها وكانوا يقولون هذا يودس[1] الجديد فأقام سنة وهو لا يسمع احد منه ولا يتقرب من يده احد الا الرسول الذى جاء صحبته والواصلون معه والوالى ومن معه فقط وكانوا اهل المدينة يشتمونه ويقولون هذا يودس الدافع فكتب الى الملك يعلمه بما جرى عليه وهروبهم منه كهروب الضال من الذئب وأرسله مع بطريق فحنق الملك وأرسل كتاباً مع بطريق آخر يأمر فيه ان تغلق أبواب البيع التى بمدينة الأسكندرية ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حراس حتى لا يدخل أحد بالجملة فلما وصل ذلك الكتاب المملوء اثاماً الى المدينة كان منه حزن عظيم وضيق ونوح لا حد له ولا صفة على الصعب الأرتدكسى ومكثوا على هذا سنة كاملة بلا قربان ولا بيعة يصلون فيها ولا موضع يعمدون فيه لكن كانت كتب أبيهم

(١) يهوذا

تاودوسيوس الصعيد تتواصل اليهم من النفى تذكرهم الأمانة وتعزيهم وتصبرهم فلما زاد قلقهم أجتمع جماعة الأرتدكسين كهنة وعلمانيون فتشاوروا فى أن يبنوا بيعة يلتجئوا اليها لكيلا يصيروا مثل اليهود ففعلوا ذلك وبنوها بقوة المسيح فى غربى الأسكندرية فى الموضع المعروف بالسوارى والصربيون وهى الأنجيليون سراً فى المائة وخمس درج وقوم أخر من الشعب بنوا أيضاً بيعة أخرى على اسم قزمان ودميان شرقى الملعب وغربى الأعمدة قليلاً وكملوها وذلك فى سنة مائتين وثمان وسبعين لديقلاديانوس فعلم الملك بذلك فانفذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلقدونيين فلما علم الأب المغبوط تاودوسيوس أنه لم يبق له غير هاتين البيعتين المستجدتين بيعة الإنجليليون وبيعة قزمان وداميانوس الشهداء تنهد وبكى لأنه كان عارفاً بشعب الأسكندرية وأنهم محبون الفخر والكرامة وخاف أن يرجعوا عن الأمانة المستقيمة طلبا لكرامة الملك وكان يصلى ويقول ياربى يسوع المسيح أنت اشتريت هذا الشعب بدمك الشريف وزنت المهتم بهم فلا تدع يدك عنهم بل تكون أرادتك واقام ثمانياً وعشرين سنة فى النفى وغيره وفى صعيد مصر أربع سنين وهو حافظ الأمانة الأرتدكسية ووضع من الميامر والتعاليم فى مدة بطركيته وهو اثنتان وثلثون سنة ما لا يحصى وانتقل بسلام السيد المسيح الذى يحبه فى اليوم الثامن والعشرين من بؤونة واخذ اكليل الغلبة مع جماعة القديسين فى كورة الأحياء إلى الأبد ونحن المؤمنين الباقين على الأمانة الأرتدكسية الذين استحقينا ان تدعى تاودوسيين كاسمه نضرع ونتوسل الى الله الأب والأبن والروح القدس ان تكون لنا ضمائر روحانية وتثبيت حافظين الأمانة المستقيمة بلا تعب كما حفظها هذا الأب القديس الرئيس المعترف أمام الهراطقة المخالفين الملوك والرؤساء والسلاطين الذين كانوا فى ذلك الزمان الردى وتكون سيرتنا أمامه بلا عيب ولا نحيد عن ارادته ويكون لنا اتفاق معه فى النصيب الأوفر فى ملكوت السماء بنعمة ورحمة ورأفة الأهنا محب البشر يسوع المسيح ربنا ومخلصنا له المجد مع الأب والروح القدس المحيى الآن وكل أوان والى دهر الداهرين أمين .

---

(١) السرابيون

السيرة الرابعة عشر من سير البيعة المقدسة
بطرس البطرك
وهو من العدد الرابع والثلثون

وكان لما نفى الأب تاودوسيوس البطرك بيد يوستنيانوس الملك وجعل عوضه قبل وفاته بولس التنيسى الذى أصلح بالقسطنطينية فصار هذا الرسم لبطاركة الملكية ان يقسموا بالقسطنطينية ويسيروا للاسكندرية وبعد زمان قليل أهلك الرب بولس التنيسى بموت سوء وجعلوا عوضه أبوليناريوس فتسلط أيضاً على البيع بأمر الملك وأمر ان لا يظهر احد من الأساقفة المؤمنين فى مدينة الأسكندرية وكان اتحاد بين بيعة انطاكية وبيعة الأسكندرية فى الأمانة الأرتدكسية والمحبة المسيحية لأن تاودوسيوس أعترف هو ومن معه قدام الملك بأتحاده مع الأب سويرس بطرك انطاكية وقال انا أقبل جميع ما قاله مارى يوحنا فم الذهب والحكيم كيرلس ولما تنيح تاودوسيوس فرح أبوليناريوس المنافق بذلك جداً وعمل وليمة عظيمة للكهنة وأهل المدينة وظن انهم يوافقونه على ما هو عليه لأن الأباء الأساقفة ما كان أحد منهم يستطيع الظهور بالأسكندرية وانطاكية لاجل ما امر به الملك المخالف وبرحمة ربنا يسوع المسيح ولى الاسكندرية انسان فاضل محب للناس وكان له نصيب فى الارثدكسيين فامر ان يقسموا لهم بطركا فى السر عوضا من الأب تاودوسيوس فقال لهم اخرجوا إلى دير الزجاج كانكم تريدون الصلاة فيه فقدموا عليكم من تختارونه بطركاً فشكروا الله ومجدوا السيد المسيح وارسلوا إلى بلاد أرض مصر البحرية وأحضروا ثلثة أساقفة وخرجوا معهم الى دير الزجاج وقسموا رجلاً قساً اسمه بطرس بطركاً وتعزى به الشعب وقويت أمانتهم لكن ما كانوا يقدرون يدخلون به المدينة ظاهراً خوفاً من الملك ومن أبوليناريوس بطرك المخالفين وكان مقامه خارجاً عن الأسكندرية مقدار تسعة أميال فى البيعة التى هى على اسم يوسف وكانوا يحملون اليه جميع ما يحتاج ولم يعلم الملك به وبعد هذا ظهر الأمر ان بطرس صار بطركاً عوض المتنيح تاودوسيوس فلما علم أبوليناريوس غضب جداً وكتب إلى الملك يعلمه بما كان ومن قبل أن يصل كتابه إلى يوستينيانوس الملك إلى القسطنطينية ضربه ملاك الرب فمات مرته سوء مثل موت

هيرودس فلمابطرس فكان رجلاً حسن الصورة بهى المنظر مزيناً بكل فعل جميل محباً لمن فيه علم الله ومن أجل ذلك طلب إنسانا فاضلاً عالماً بالقوانين المقدسة ليكون له كاتباً فأرشدوه إلى راهب شماس اسمه دميانوس فى دير تابور وكان عارفاً بالكتابة فمضى الأب بطرس البطرك إلى الدير فتحدث معه وسأله ان يسامحه ويتعب معه فى أعمال البيعة وطلب إليه وطيب قلبه ان يقيم معه فى الدير كأنه أسقف اذ كان لا يقدر يظهر أنه بطرك ولا يتمكن من الدخول الى مدينة الأسكندرية جهراً فإجابه الشماس الراهب دميانوس الى ذلك واطاع البطرك فيما أمره به وكان فى ذلك الموضع ستمائة دير عامرة كلها بالأرثذكسيين وجميعهم رهبان ورهبانات مثل خلايا النحل من عمارتهم سوى أثنتين وثلثين ضيعة تسمى سكاطينا جميعهم أرثذكسيون وكان الأب البطرك بطرس مدير جميع أحوالهم فلما سمع شعب أنطاكية الأرثذكسيون بما فعله أهل الأسكندرية عمدوا هم أيضاً إلى انسان أسمه تاوفانيوس فجعلوه بطركاً عوض الأب المغبوط ساويرس وأجلسوه فى دير يعرف بدير أمونيوس لأن الهراطقة منعوا الأساقفة الأرثذكسيين أن يدخل واحد منهم الى مدينة انطاكية كما فعل بالأسكندرية فكانا البطركان على هذه القضية مقيمين فى ديرين خارجا عن مدينتهما ثم أن بطرس بطرك مدينة الأسكندرية اعتل وتنيح بعد أن أكمل سعيه وخدمته المرضية لله وكان مدة مقامه بطركاً سنتين وكانت نياحته فى الخامس والعشرين من بؤونه صلواته معنا أمين .

داميانوس البطرك
وهو فى العدد الخامس والثلثون

ولما تنيح الأب القديس بطرس أجلسوا عوضاً منه كاتبه داميانوس الشماس الراهب وكان قوياً بالفعل والكلام ونعمة الرب الحالة عليه لأنه كان راهباً من صباه داخلاً فى برية وادى هيب ورباه قديسون فى دير أبى يحنس وأقام هناك ست عشرة سنة يتعبد كعبادة السواح القديسين قبل أن يجئ بهاناطون دير طور تابور أى دير الأباء فى زمان عمارة الأربعة ديارات بوادى هيب وكان بنيانها ينمو مثل نبات الحقل فى الأمن والهدوء وأهلها يأتيهم جميع مايحتاجون اليه وكانوا بنون مداومين وكان معهم

المليطيانيون أعنى أصحاب مليطيوس الذين كانوا يأخذون الكأس دفعات كثيراً فى الليل قبل أن يحضروا إلى البيعة ولأجل هذا لما أستحق الأب داميانوس البطرك الجلوس على الكرسى الإنجيلى كتب إلى الجبل المقدس وأمر ان ينفى منه المليطيانيون ومن بعد زمان يسير جاء صوت من السماء على تلك البرية يقول الهرب الهرب فلما خرجوا أهل الأربعة ديارات منها خربت ولما أتصل ذلك بدميانوس البطرك حزن جداً وكان هذا الأب القديس البطرك منفرداً فى دير طور تايور كما قلنا بدياً بطقس أسقف وبحكمة الله الموهوبة له كان يكتب اللوغس وهو كلام حكمة وكتب أيضاً محيطا عوجيات خارجاً عن الأرتسطيكات وعن الفاتكسيسات وكان أصحاب الهارسيس النجسة يأتون اليه ويجادلونه على الأمانة وبنعمة الرب التى معه كان يحل موأمرتهم مثل العنكبوت ويلطف بهم ويفهمهم بالاقوال العجيبة ويجعلهم مثل أخاب قدام أبينا ايليا النبى ولما كان فى السنة الثامنة من بطركيته وفع فى قلوب الذين لا رأس لهم وكانوا يسكنون شرقى مصر فكر شيطانى وكانوا أربعة اقساء قد فضلوا من ذلك المجمع الطمث فقالوا ماذا نصنع قد فنينا ولم يبق لنا أسقف فانهضوا بنا بجعل واحداً منا اسقفاً لئلاً يبيد ذكرنا من على الأرض ثم أنهم اختاروا أكبرهم وكان اسمه بارسنوفه فاخذوه الثلثة اقساء وجلوه اسقفاً وسميت مقالته المخالفة كاسمه فلما سمع اهل غربى مصر بذلك غضبوا جداً لاجل انهم فعلوا ذلك ولم يشاوروهم فافترقوا منهم ولم يساعدوهم وبهذا الحكم لم يكن لهم من يعمدهم ولا يقربهم ولا يصلى بهم فوسموا الاخر لهم اسقفاً وكان الملك ذلك الزمان موريق وكان محباً للمال جداً وكان يطرد الارثدكسيين ولما تنيح الاب تاوفانيوس البطرك ومضى الى الرب عمد اهل انطاكية الى رجل من كهنة البيعة اسمه بطرس فجملوه بطركاً وكان غليظ القلب مظلماً فى أفكاره مضطرب العقل مقاوماً للأمانة المستقيمة كما قال الحكيم فى الله كيرلص البطرك القديس لأجل أصحاب أناطوليوس أنهم مظلمو الأفكار ومن أجل الأتحاد الذى بين الكرسيين كتب بطرس رسالة سنوديقا إلى الأب دميانوس البطرك كما جرت العادة فلما وصلت السنوديقا إليه فرح بها وجمع الأساقفة وفيما هو يميز كلامه المنصوص فيها وجد فيه عثرة فى الأعتراف بالثالوث المقدس وطلب بحكمته ودعته أن يجذب

إليه بطرس المذكور برفق حتى لا تنقسم البيعة ولا يفترق الاتحاد الذى بين الكرستين فكتب إليه ميمراً يذكر فيه جميع المخالفين والتعلم الذى وضعه ساويرس البطرك غرضاً فى أن يفهمه الأمانه ليدبر عقله لأن بطرس قال بحكمته البرانية أن لا حاجة إلى ذكر الثالوث وكانوا معلمو البيعة أجمعون وكيرلص الحكيم ومن جاء بعدة إلى أيام دميانوس فى كتبهم يعترفون بالثالوث المقدس أنه ثلثة أقانيم طبيعة واحدة لأهوت واحد خالق ليس فيه مخلوق وأنه مفترق بالاقانيم متحد بالجوهر والأسم بوحدانية وأن الله خالق النيرين العظيمين فالشمس لسلطان النهار والقمر النير الأصغر لسلطان الليل وكان الفعل يسبق التسمية وقال الله لتجتمع المياه ويظهر اليبس فسمى الله موضع اجتماع المياه بحوراً وسمى اليبس أرضاً أن الفعل يسبق التسمية وهكذا يجب عليك أن تفهم هذا أن طبيعة الخالق الواحدة الفاعلة لكل شئ فمن الذى عرف ضمير الرب ومن كان له مشيراً ومن يدفع له حتى يطلب منه العوض لأن كل شئ من عنده والمجد للثالوث المقدس المساوى الكامل فى كل شئ الذى لا يقبل شيئاً جديداً ولا اسماً جديداً بالجملة بل اساميه ثابتة وأفعاله معاً هذا الكلام كتب به الأب دميانوس البطرك إلى بطرس بطرك أنطاكية وكان بطرس بطرك أنطاكية مثل الأفعى الصماء التى تسد أذنيها فلا تسمع كلام الحاوى ولا دواء يصهعه حكيم بل بقى مدمناً على فكره الضال يعترف ويقول بلسانه الذى يستحق القطع ما الحاجة إلى تسمية الثالوث وكان يقسم الثالوث الغير منقسم فصار بين المصريين والمشرقين خصومة بهذا السبب وأقاموا هكذا عشرين سنة مختلفين بغير أتفاق حتى رحم الله شعبه الذى هو يهتم به فى كل حين وقصف عمر المخالف واباده من العالم وكان دميانوس البطرك المغبوط مهتماً فى كل أيامه بما يقهر به المخالفين بكتبه وميامره وأقاويله وكان فى زمانه أساقفة يتعجب منهم ومن طهارتهم وفضلهم فمنهم يوحنا البرلسى ويوحنا تلميذه وقسطنطين الأسقف وأكليسطس وأخرون كثير مهتمون بكرم رب الصباؤوت ولم يكن دميانوس البطرك يفتر من التعليم كل أيام حياته ومنت كثرة صومه وسلاته ومجاهدته وتكميل سعيه أعتل وتنيح بسلام الرب بعد أن أقام بطركاً ستاً وثلثين سنة حافظاً للأمانة الصحيحة فى شيخوخة حسنة ومضى إلى السيد المسيح الذى أحبه فى اليوم الثامن عشر من بؤونة

أنسطاسيوس البطرك
وهو من عدد الآباء السادس والثلثون

والسيد المسيح نظر إلى شعبه اذ هو رئيس الرعاة وهاديهم وأقام انساناً حكيماً مزيناً بالفضائل اسمه أنسطاسيوس من أهل الأسكندرية من أقساء بيعتها عارفاً بالكتب وحقيقة الأمانة فاجلس بأحكام الله الغير مدركة على الكرسى الرسولى وكان يضلح الأساقفة ولكهنة كقانون البيعة وكان قوى القلب يمضى إلى المدينة فى كل وقت ويدخلها ويقسم فيها الكهنة وقد ذكرنا فيما تقدم أن الأساقفة الأرثذكسيين كانوا ممنوعين من الدخول إلى الأسكندرية وكان يجذب إليه كثيراً من الشعب بحكمته لأنه كان أنساناً عالماً معروفاً بالتقدمة فى الديوان وكان قساً مقدماً فى البيعتين اللتين ذكرناهما أعنى الإنجيليون وقسماً ودميانوس وديارات العذارى وأكثر الديارات وبدأ يبنى بيعة بعد بيعة وأخذ البيعة التى هى بربوة أثارات وبيعة على أسم ميكائيل وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وأبلساريوس الذين صار عليهم أسم قيانوس وأصحاب المجمع الخلقدونى الطمث وأخر كان يدعى أولوقيوس هذا كان حنق على الأب أنسطاسيوس جداً وكان يشتهى أن يوقع به كل الأسواء والعذاب فلم يسلمه الله فى يديه وفى تلك الأيام قام انسان من الايوان رئيس بطارقة اسمه فوقاً وقتل الملك وجلس موضعه وقعل أفعالاً قبيحة وكان محباً للشهوة وأفسد جميع بنات البطارقة وكان محباً للشقاق بغير خوف فلما علم هذا أولونيوس وسمع خبره كتب فى الأب أنسطاسيوس سعاية إلى الملك مملوءة كذباً وباطلاً وقال أنه لما كرز انسطاسيوس فى بيعة يوحنا المعمدانى أحرمه هو إلى الملوك الغلبين والمجمع الخلقدونى ولقد عجبت اذ لم تجف العيون والمياه هذا كتب به إلى الملك ليشين على الأرثذكسيين البلاء فلما سمع فوقاً المتغلب على الملك هذا قلق وكتب إلى الوانى الذى بالأسكندرية أن يأخذ من الأب البطرك أنسطاسيوس بيعة قسماً ودامیانوس وجميع رباعها وكلما لها ويدفعها لأولوقيوس الضال فأخذوا البيعة وحزن الأب انسطاسيوس المغبوط وعاد إلى إلى الدير بحزن شديد وتنهد عظيم وكان يشتهى أن يجمع الله أعضاء البيعة التى فرقها

الشيطان أعنى فرقة أنطاكية من الأسكندرية التى كان سببها بطرس بطرك أنطاكية فسمع الله صلواته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسى ساويرس بانطاكية انسان راهب قس عالم اسمه أثناسيوس حكيم جداً طاهر القلب وهو الذى قال ميمراً يذكر فيه القديس ساويرس وكلمن قرأه علم ان السيد المسيح معه وحكمته فيه فلما سمع الأب انسطاسيوس بجلوس أثناسيوس بطركاً على كرسى أنطاكية سبق وكتب إليه سنوديقا مملوءة حكمة وجعله فيها شريكاً له وأخاً وصاحباً ومديراً غرضاً فى الأمانة وأصلاح ماأفسده بطرس الضال المتوفى وجميع اسرائيل الروحانى قطيع واحد وتوحده لكى تأخذ إكليل الشهادة والأتحاد وكان أثناسيوس رضاً جيدة مثمرة فقبل البذر الروحانى بفرح وأخذ السنوديقا الواصلة إليه وجمع الأساقفة الذين فى كرسيه وقال لهم أعلموا أن المسكونة اليوم تفرح بالسلامة والمحبة لأن الظلمة الخلقدونية قد جازت وقد بقى هذا الغصن الواحد المنير المثمر من الكرمة الحقيقية الذى هو كرسى مرقس الأنجيلى وكورة مصر وقد كنا نحن مختلفين مبددين من بعد البسرك ساويرس الذى كان لنا مرشداً وطريقاً للخلاص وقد عرفتم أن بطرس الرسول ومرقس الإنجيلى كانت بشارتهما واحدة وبها كانا يبشران وكذلك ساويرس وتاودوسيوس كان لهما أمانة واحدة واتحاد واحد وصبروا على النفى والجهاد إلى التمام فلما نسمع الأباء الأساقفة كلامه فرحوا جداً وأتفقوا على قبول السنوديقا وأن تكون البيعتان واحدة ويكون البطركان روحاً واحدة وسراجاً منيراً للأرثذكسين فقام المغبوط أثناسيوس وأخذ معه خمسة أساقفة فضلاء معلمين وسار فى مركب إلى الأسكندرية فلما وصلوا أعلموهم ان الأب أنسطاسيوس البطرك فى الديارات فخرجوا إليه فلما سمع ان بطرك أنطاكية قد جاء إليه جمع الأساقفة والكهنة والرهبان وقام بتواضع كثير عظيم وخرج ماشياً حتى تلقاه بالقراءة والتسبيح والفرح والبهجة ودخلوا جميعاً إلى الدير الذى هو ساحل البحر شرقى بحرى الديارات وجلسوا فيه هناك بسلامة وفرح وأنفذ الأب أنسطاسيوس للوقت وأحضر كهنة الأسكندرية كلهم ليحضروا أجتماع الأباء وليكملوا القداس معهم ويتناولوا من السرائر المقدسة وتكلم أثناسيوس فى ذلك المجمع بكلام عجيب مملوء

حكمة حتى تعجب كلمن كان حاضراً ثم قال فى هذه الساعة ياأحبائى يجب أن نأخذ قيسارة داءود ونرتل بصوت المزمور ونقول الرحمة والحق تلاقيا أثناسيوس وأنسطايوس قبلاً بعضهما بعضاً الحق من أرض مصر ظهر والبر من الشرق أشرق وصارت مصر والشام مقالة واحدة صارت الأسكندرية وأنطاكية بيعة واحدة وعذراء واحدة لعريس واحد طاهر نقى هو الرب يسوع المسيح الأبن الوحيد كلمة الأب وأقام الأب أثناسيوس عند الأب انسطاسيوس شهراً واحداً ينظران كلاهما فى الكتب المقدسة والكلام المربح ويتكلمان على ذلك ويتحدثان فيه ثم عاد إلى كورته بسلام وكرامة عظيمة ومن ذلك اليوم صار الأتفاق بين كرسى أنطاكية وكرسى الأسكندرية إلى يومنا هذا وكان الأب أنسطاسيوس مهتماً بأمور البيعة بحرص عليها وبالعلوم الروحانية لأن الرب أنعم عليه بهدوء ومن أول سنة جلس على الكرسى بدأ من أول الحروف وجعله أول حرف يكتب به فى كل سنة فى كتاب مسطاغوجى وسنوديقا وسطانيكا وأرطستكا وميمر وأقام على الكرسى أثنتى عشرة سنة ضابطاً الأمانة المستقيمة الأرثذكسية وكتب فيها أثنى عشر كتاباً فلما كان فى أربعين يوم الصوم الذى للميلاد نظر السيد المسيح إليه المتفقد للمؤمنين به صانع العجائب فى قديسيه وأراد أن ينقله إلى كورة الأحياء إلى الأبد فتنيح فى الثانى والعشرين يوماً من كيهك سنة ثلثمائة وثلثين لديقلاديانوس قاتل الشهداء الأبرار شفاعتهم تكون معنا أمين .

اندرونيقوس البطرك
وهو السابع والثلثون من العدد

فلما تنيح أنسطاسيوس أجلسوا على الكرسى انساناً عالماً شماساً من كنيسة الإنجيليون بتولاً كاتباً اسمه اندرونيقوس وكان غنياً جداً بحب الصدقة مقدماً فى الشعب محباً للرحمة لا يفتر من الأعطاء وكان أهله مقدمى المدينة حتى أنهم ولوا ابن عمه ديوان الأسكندرية ومن أجل قوة سلطانه وتقدمته لم يقدروا الهراطقة يخرجونه من الأسكندرية إلى الديارات كما كان تقدم قبله بل جلس فى قلايته فى بيعة الإنجليليون

أيامه كلها وكان قد قام فى الفرس ملك أسمه كسرى فجمع أمة كبيرة وجاء بقوة عظيمة على جيش الروم فأهلكهم واباذهم وافناهم وتسلط على أرض الروم وأرض الشام وسبى أرض فلسطين ودميا وأرض مصر وداسهم كما تدوس البقر الاندر وجمع أموالهم وكلما كان لهم إلى خزائنه وكان لكثرة محبته فى المال يقتل انساناً على دينار واحد وعلى ما مقداره ثلثة دنانير لأنه كان كثير الشعب لا يعرف الله بل كان يعبد الشمس فلما أخذ مصر وتسلط جعل أهتمامه أن يفتح المدينة العظمى الأسكندرية وكان هناك ستمائة دير عامرة بهاناطون مثل ابراج الحمام وكانوا مستغنين بطرين لا خوف من كثرة نعمتهم ويفعلون أفعال الهزوء وكان جيش الفرس قد أحاط بهم من غربى الديارات ولم يبق لهم ملجأ فقتلوا جميعهم بالسيف الا قليلاً منهم اختفوا فخلصوا وجميع ماكان هناك من المال والأوانى نهبوه الفرس وأخربوا الديارات إلى الأن ولما وصل الخبر إلى الأسكندرية فتحوا أبواب المدينة ورأى الوالى الفارسى مقدم الحرب النائب عن الملك كسرى فى منامه شخصاً فى الليل يقول له فى منامه سلمت هذه المدينة لك وبناءها وكلما فيها فاياك ان تؤذيها بل لا تبق أهلها فيها لإنهم منافقو الدين ويدعون مقدمهم بلغتهم السلار أى الأمير فلما أخذ السلار ملكهم وهو الذى بنى فى الأسكندرية الأبوان الذى يدعى طراوس وهو الأن يسمى قصراً فارسياً وتفسيره بيت الملك جعل بمكره امراًفامر كل شاب فى المدينة من أبن ثمانى عشرة سنة إلى خمسين سنة أن يخرجوا ياخذون عشرين ديناراً كل واحد فأجتمع جميع شباب المدينة وكتب اسماؤهم وهم يظنون أنهم يأخذون العطية التى وعدهم بها فلما علم أن جميعهم قد خرج ولم يبق أحد منهم أمر جيشه ان يحيط بهم ويقتلهم الجميع بالسيف فكان عدد من قتل ثمانين الف رجل ولما فعل هذا عاد إلى الصعيد وكان فى مدينة نقيوس التى هى ابشدى قوم فاعلموه حال الرهبان الذين فى الجبال والمغاير وتقديرهم سبع مائة راهب وأن الحصن يجمعهم وأن افعالهم ذميمة من كثرة ماعندهم من النعم فلما سمع السلار خبرهم أرسل جيشه فاحاط بهم فلما اشرقت الشمس دخلوا فقتلوا جميعهم بالسيف ولم يبق واحد منهم وفعل هذا السلار من البلايا كثيراً لانه ما كان يعرف الله والزمان

يضيق عن ذكر أفعاله فلما كمل البطرك اندرونيقوس ست سنين فى بطركيته وقاسى هذه الأمة ورأى هذه الأمور الصعبة التى لقيها وصبر عليها تنيح ومضى إلى الرب بسلام كامل وهو ضابط الأمانة المستقيمة أمانة أبائه فى الثامن من طوبة .

بنيامين البطرك
وهو الثامن والثلثون من العدد

وكان قبل نياحة الأب اندرونيقوس بسنة واحدة أخ خائف مؤمن اسمه بنيامين فى دير يعرف بدير قنوبوس أتى إليه فى ذلك الوقت وأوى فيه إلى شيخ قديس اسمه ثاونا لأن هذا الدير لم تخربه الفرس معما أخربوه لأنه كان فى شرقى بحرى المدينة وكان سائطوس حافظاً لها وهذا الأخ بنيامين هو من أهل البحيرة ومن ضيعة تعرف ببرشوط وكان قد رغب فى الرهبنة والزهد ورفض والديه وكلما كان لهم وكانوا اغنياء جداً ومضى إلى الدير فالبسه الشيخ القديس ثاونا اسكيم الرهبنة ورباه بخوف الله وكان ينمو يوماً بعد يوم حتى تقدم قدسه وصيره وتغلبه وحفظ الكتب حتى ان الذى حل بالكبير بولس حال به مثله لأن بولس تربى باورشليم عند رجل اسمه غمالائيل فرفعته همته ونعمة السيد المسيح حتى صار أوفى وأفضل من معلمه دفعات كثيرة وكذلك هذا بنيامين كان يعذب نفسه بالنسك ولا ينام ليلة يكون فيها أجتماع فى البيعة وكان أكثر قراءته فى أنجيل يوحنا المغبوط لأنه حفظه فنظر فى بعض الليالى فى منامه رجلاً منيراً وقف به وقال له افرح يا بنيامين الخروف المتواضع والراعلى معاً الذى يرعى القطيع الناطق الذى للسيد المسيح فلما سمع هذا الكلام اضطرب وقلق ثم انه فرح بما أنعم به عله من السماء وقام مسرعاً فأعلم أباه ثاونا فصدق الشيخ قوله فى هذه الرؤيا لكنه قال له لا تطيح يا ولدى فان الشيطان أراد بهذا أن يهلكك بالكبرياء فامض الأن واستيقظ لنفسك ولا تعثر بالمجد الفارغ لأن هو ذا لى فى هذا الدير خمسون سنة ما رأيت شيئاً من هذا ولا قال لى أحد أنه رأى مثل هذا فسكت بنيامين وقبل قول معلمه وكانت النعمة تتزايد عنده يوما بعد يوم من عند الله سبحنه وكان جميع كلامه وتقلباته

بتأييد سمائى وكان الشيخ ثاونا وكلمن يعرفه يبهتون عن نعمة الله التى عليه وظنوا أنه قد أختل حتى ان الشيخ ثاونا اخذه ومضى إلى الأب أندرونيقوس البطرك وشرح له حاله فقال قدمه لى لأسمع كلامه فلما دخل إليه سجد بين يديه فرأى الأب اندرونيقوس البطرك نعمة المسيح عليه فسأله بسكون ان يعلمه ماشاهده فأعترف وقال له صفة الحال فامسكهما البطرك تلك الليلة فلما كان بالغداة طلب ثاونا ان ياذن لهما فى المضى إلى ديرهما بسلام قال له البطرك اندرونيقوس أما أنت فامض بسلام وأما هذا الأخ بنيامين فليس هو لك من الأن بل الرب قد اصطفاه ليكون له خادماً وللوقت اخذه وقسمه قساً وصار عنده مساعداً له فى الأعمال البيعية وملكه على الكل وفرح به اندرونيقوس فرحاً عظيماً ولما دنت وفاته أوصى بأن يكون بعده فلما تنيح جعلوا بنيامين المذكور بطركاً على الكرسى الإنجيلى ومكثوا الفرس بعد ذلك ست سنين أخر ملوك مصر وأعمالها ثم أن هرقل مقدم البطارقة من قبل فوقاً الملك الكافر أخذ المملكة وصرف أهتمامه لقتال الفرس وبنعمة السيد المسيح سار اليهم فقتل كسرى ملكهم الكافر وأخرب مدينته وجلعلها برية وحمل نعمتها وسبيها بفرح إلى قوسطنطينية فما ملك الأرض أقام الولاة فى كل موضع وأنفذ والياً إلى أرض مصر يدعى قيرس ليكون بطركاً ووالياً معاً فلما وصل إلى الأسكندرية أعلم الأب بنيامين ملاك الرب به وأمره ان يهرب فقال له الملاك أهرب أنت ومن معك هاهنا لأن شدائد عظيمة تنزل عليكم لكن تعز فما يقيم هذا الجهاد الا عشر سنين وأكتب إلى جميع الأساقفة الذين فى كرسيك يخفوا حتى يجوز غضب الرب فدبر الأب بنيامين المعترف المقاتل بقوة ربنا يسوع المسيح حال البيعة ورتبها وتقدم إلى الكهنة والشعب وأوصاهم بالتمسك بالأمانة المستقيمة حتى إلى الموت ثم كتب إلى سائر أساقفة كورة مصر بأن يختفوا من قدام التجربة الأتية وبعد هذا خرج من طريق مربوط وهو ماش على رجليه ليلاً ومعه أثنان من تلاميذه حتى وصل إلى المنى ومن هناك مضى إلى وادى هيب وكان الرهبان هناك قليلاً لأنه عقيب الخراب الذى كان فى أيام دميانوس البطرك وكانت البربر لا تدعهم يكثرون هناك ثم أنه خرج من الديارات بوادى هيب ومضى إلى الصعيد وأقام مختفياً

هناك فى دير صغير فى البرية إلى كمال العشر سنين كما قال له ملاك الرب وهى السنين التى كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر ولعظم البلاء والضيق والعذاب الذى أنزله بالارثذكسيين لكى يدخلوا فى الأمانة الخلقدونية فعل جماعة منهم لا يحصى عددها قوم منهم بالعذاب وقوم بالهدايا والتشريف وقول بالسؤال والخداع حتى ان قبرس أسقف نيقيوس وبقطر أسقف الفيوم وكثيراً مثلهم خالفوا الأمانة الأرثذكسية لأنهم لم يسمعوا وصية الأب المغبوط بنيامين ولم يختفوا كغيرهم فصادهم بمنارة ضلالته فضلوا بالمجمع الخلقدونى الطمث وظفر هرقل بالمغبوط مينا أخى الأب بنيامين البطرك فأنزل عليه بلايا عظيمة واشعل فى جنبيه المشاعل حتى خرج شحم كلاه من جنبه وسال على الأرض وقلع أضراسه وأسنانه باللكم لأعترافه بالأمانة وأمر أن يملأ جوالق رملاً ويجعل القديسمينا فيه ويغرق فى البحر وكانهرقل الكافر قد أوصاهم وقال ان قال أحد ان مجمع خلقدونية حق خلوه ومن قال انه ضلال وكذب غرقوه فى البحر ففعلوا ذلك ورموه فى البحر وهو يمسكون الجوالق وأخرجوه من البر مقدار سبع غلواث وقالوا له قل ان مجمع خلقدونية جيد لا غير ونحن نخليك فلم يفعل وفعلوا هذا به ثلث دفعات فلما لم يفعل غرقوه ولم يغلبوا هذا المجاهد مينا بل غلبهم بصبره المسيحى ثم ان هرقل أقام أساقفة فى بلاد مصر كلها إلى أنصا وكان يبلى أهل مصر بلايا صعبة وكمثل الذئب الخاطف كان يأكل القطيع الناطق ولا يشبع وهذا الشعب المبارك هم التاودوسيون وفى تلك الأيام رأى هرقل مناماً وقيل له أنه ستأتى عليك أمة مختونة وتغلبك وتملك الأرض فظن هرقل أنهم اليهود فأمر ان تعمد جميع اليهود والسامرة فى جميع الكور التى تحت سلطانه ومن بعد أيام يسيرة ثار رجل من العرب من نواحى القبلة من مكة ونواحيها اسمه محمد فرد عباد الأوثان إلى معرفة الله وحده وان يقولوا ان محمد رسوله وكانت امته مختونة بالجسد لا بالناموس ويصلون إلى الجهة القبلية مشرقين إلى موضع يسمونه الكعبة وملك دمشق والشام وعبر الأردن وسادمه وكان الرب يخذل جيش الروم قدامه لأجل أمانتهم الفاسدة والحروم التى حلت بهم لأجل مجمع خلقدونية من الأباء الأولين فلما رأى هرقل ذلك جمع جميع جيشه من

مصر إلى حدود أسوان ومكث يدفع القطيعة التى سأل حتى يقررها على نفسه وعلى جميع جيوشه ثلاث سنين للمسلمين وكانوا يسمون المقرر البقط أى أنه بقط رؤوسهم إلى ان دفع لهم معظم ماله ومات كثير من الناس من التعب الذى كانوا يقاسونه فلما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس وهو يطلب بنيامين البطرك وهو هارب منه من مكان الى مكان مختفياً فى البيع الحصينة أنفذ ملك المسلمين سرية مع أمين من أصحابه يسمى عمراً بن العاصى فى سنة ثلثمائة وسبع وخمسين لديقليطيانوس قاتل الشهداء فنزل عسكر الأسلام إلى مصر بقوة عظيمة فى اليوم الثانى عشر من بؤونة وهو السادس من يونيوس من شهور الروم وكان الأمير عمرو قد هدم الحصن وأحرق المراكب بالنار وأذل الروم وملك بعض البلاد وكان مجيؤه للبرية فأخذوا الخيل الجبل حتى وصلوا إلى قصر مبنى بالحجارة بين الصعيد والريف يسمى بابلون فضربوا خيمهم هناك حتى ترتبوا لمقاتلة الروم ومحاربتهم ثم أنهم سموا ذلك الموضع أعنى القصر بلغتهم بابلون الفسطاط وهو اسمه إلى الأن وبعد قتالهم ثلث دفعات غلبوا المسلمون الروم فلما رأى رؤساء المدينة هذه الأمور مضوا إلى عمرو وأخذوا أماناً على المدينة لئلا تنهب وهذا العهد الذى أعطاهم أياه محمد رئيسهم سموه الناموس يقول فيه كورة مصر ومدينة تستقر مع أهلها دفع الخراج لكم وان تعبد لسطانكم عاهدوهم ولا تظلموهم ومن لا يرضى ذلك ويخالفكم انهبوهم وايسروهم فلذلك مسكوا ايديهم عن الكورة وأهلها وأهلكوا جنس الروم وبطريقهم المسمى ماريانوس ومن سلم منهم هربوا إلى الأسكندرية وأغلقوا أبوابها عليهم وتحصنوا فيها وفى سنة ثلثمائة وستين لديقلاديانوس فى شهر دكبريوس من بعد أن ملك عمرو مصر بثلث سنين ملكوا المسلمون مدينة الأسكندرية وهدموا سورها واحرقوا بيعاً كثيراً بالنار وبيعة مارى مرقس التى هى مبنية على البحر حيث كان جسده موضوعاً هناك وهو الموضع الذى مضى اليه الأب البطرك بطرس الشهيد قبل استشهاده وبارك فيه وسلم إليه القطيع الناطق كما تسلمه فاحرقوا هذا الموضع وما حوله من الديارات وكانت أعجوبة عند حرق البيعة المذكورة فعلها الرب وذلك أنه أحد رؤساء المراكب وهو رئيس مركب الدوقس سانوتيوس تسلق ونزل إلى

البيعة وأتى إلى التابوت فوجد الثياب قد أخذت لأنهم ظنوا ان فى التابوت مالاً فلما لم يجدوا شيئاً أخذوا الثياب من على جسد مارى مرقس وبقيت عظامه فيه فلما جعل رئيس المركب يده فى التابوت وجد رأس القديس مرقس واخذها وعاد إلى مركبه سراً ولم يعلم به أحداً وخبأها فى الخن فى قماشه فلما ملك عمرو المدينة ورتب أمورها خاف الكافر وإلى الأسكندرية وهو كان واليها وبطركها من قبل الروم ان يقتله عمرو فمص خاتماً مسموماً فمات لوقته قاما سانوتيوس التكس المؤمن فانه عرف عمراً سبب الأب المجاهد بنيامين البطرك وأنه هارب من الروم خوفاً منهم فكتب عمرو بن العاص إلى أعمال مصر كتاباً يقول فيه الموضع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى اقبط له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر أمناً مطمئناً ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته فلما سمع القديس بنيامين هذا عال إلى الأسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلث عشرة سنة منها عشر سنين لهرقل الرومى الكافر وثلث سنين قبل ان يفتحوا المسلمون اسكندرية لأبا إكليل الصبر وشدة الجهاد الذى كان على الشعب الأرثذكسى من الأضطهاد من المخالفين فلما ظهر فرح الشعب وكل المدينة وأعلموا بمجيئه سانوتيوس التكس المؤمن بالمسيح الذى كان قرر مع الأمير عمرو حضوره وأخذ له منه الأمان فمضى لذلك الأمير وعرفه بوصوله فأمر بإحضاره بكرامة وإعزاز ومحبة فلما رأه اكرمه وقال لأصحابه وخواصه ان فى جميع الكور التى ملكناها إلى الأن ما رأيت رجل الله يشبه هذا وكان الأب بنيامين حسن المنظر جداً جيد الكلام بسكون ووقار ثم التفت عمرو إليه وقال له جميع يبعك ورجالك أضبطهم ودبر أحوالهم واذا أنت صليت على حتى أمضى إلى المغرب والخمس مدن واملكها مثل مصر وأعود اليك سالماً بسرعة فعلت لك كلما تطلبه منى فدعا له القديس بنيامين وأورد له كلاماً حسناً أعجبه هو والحاضرين عنده فيه وعظ وربح كثير لمن يسمعه وأوحى إليه باشياء وأنصرف من عنده مكرماً مبجلاً وكلما قاله الأب الطوبانى للأمير عمرو بن العاص وجده صحيحاً لم يسقط منه حرف واحد فلما جلس هذا الأب الروحانى بنيامين البطرك فى شعبه دفعة أخرى بنعمة المسيح ورحمته فرحت به كوره مصر كلها وجذب إليه أكثر الناس الذين أضلهم هرقل الملك

المخالف وكان يجذبهم للرجوع إلى الأمانة المستقيمة بسكينة ووعظ وملاطفة وتعزية وكثير ممن هرب إلى الغرب والخمس مدن خوفاً من هرقل الملك المخالف فلما سمعوا بظهر راعيهم عادوا إليه بفرح ونالوا إكليل الأعتراف وكذلك الأساقفة الذين خالفوا امانته دعاهم ان يعودوا الى الامانة الارتدكسية فمنهم من عاد بدموع غزيزة ومنهم من لم يعد حياء من الناس ان يشهر عندهم بأنه كان مخالفاً للأمانة فبقى على كفره إلى أن مات ومن بعد ذلك سار عمرو من الأسكندرية وعسكره وسار معه التكس سانوتيوس المحب للمسيح وفى تلك الليلة رأى الأب فى منامه انساناً منيراً لابساً ثياب التلاميذ وهو يقول له ياحبيبى أعمل لى عندك موضعاً أقيم فيه فى هذا اليوم لأنى أحب موضعك وكان الموضع الذى فيه البطرك موضعاً طاهر بلا دنس فى دير يعرف بدير مطرا الذى هو السقوبيون لأن سائر البيع والديارات التى للعذارى والرهبان تنجست من هرقل المخالف عند الزامهم بأمانة خلقدونية الا هذا الدير وحده فان الذين فيه اقوام اقوياء كثيراً مصريون وجميعهم أهل ليس بينهم غريب فلم يقدر يميل قلوبهم إليه ولأجل ذلك لما عاد الأب بنيامين من الصعيد نزل عندهم لحفظهم الأمانة الأرثذكسية وأنهم لم يحيدوا عنها فلما أراد المراكب التى فيها زاد العسكر وانفاله وحوائج التكس سانوتيوس المؤمن وأصحابه تقلع وقف المركب الذى لخاصته ولم يقدر يقلع فاجتمع إليه جمع كثير فظنوا أنه قد وحل قربطوا فيه لبانات وجروه بجهدهم فلم يتحرك بالجملة فمضوا إلى التكس وأعلموه ذلك لأنه كان راكباً مع الأمير فتعجب جداً وأرسى المركب الذى الأمير عمرو فيه وعاد منه التكس ومعه جمع كثير فلما وصل إلى المركب رأى عنده خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم وهم لا يقدرون يحركونه فقال لهم أديروا مقدم هذا المركب إلى المدينة فلما أداروه للدخول إلى المدينة جرى اليها مثل السهم فقال لهم جروه إلى برا فجروه حتى أنتهى إلى مكانه الأول فوقف ولم يتحرك ثم أعادوه إلى داخل فجرى وعادوا جروه إلى برا فوقفا هكذا ثلث دفعات فعند ذلك قال التكس لرئيس المركب أصعد التى بقماش النواتيه افتشه لكى أنظر ما هو واعرف السبب الذى أوجب وقوف هذا المركب دون جميع هذه المراكب كلها فخاف الرئيس الذى كان أخذ رأى

القديس مرقس الأنجيلى فطرح نفسه على رجلى التكس وأعترف له بما فعاله وان الرأس مخبأ فى قماشه فصعدوا بقماشه من الخن فوجدوا الرأس فيه فمضوا بسرعة وأعلموا الأب بنيامين بالخبر على جليته فركب لوقته وأخذ معه جماعة من الكهنة وأتى إلى التكس وحدثه بالمنام الذى رآه فى ليلته فقال جميعهم حقاً ان هذه رأس القديس مرقس الإنجيلى وفى الوقت الذى جاء فيه بنيامين البطرك إلى المركب وأخذ الرأس الطاهرة واطلقه فاقلع المركب لوقته اقلاعاً مستقيماً فعلم هو والتكس[1] وجميع الشعب صحة الخبر وشاهدوا هذه الأعجوبة ومجدوا الله ودفع التكس للبطرك مالاً كثيراً وقال له ابن بيعة القديس مارى مرقس واسأله السلامة لنا وعاد الأب البطرك إلى المدينة والرأس فى حضنه يحملها والكهنة قدامه بالقراءة والتسبيح كما يشاكل استقبال تلك الرأس الشريفة الجليلة وصنع تابوتاً من خشب الساج وقفلاً عليه وجعل الرأس فيه وكان ينتظر زماناً يجد فيه السبيل إلى بناء بيعة وكان اهتمامه ليلاً ونهاراً فى اعادة أعضاء البيعة التى تفرقت فى أيام هرقل لا يشغله شئ عن ذلك وهو ممتلئ من الأمانة ومن الروح القدس ونعمة الروح القدس التى كانت مع أثناسيوس الرسولى كانت معه فى كلام وأفعاله وعلى يديه وبصلواته ترأف الرب على شعبه وبطلبته بدأت عمارة ديارات وادى هيب والمنى وكانت أعمال الأرتدكسيين الصالحة تنمو وكانت الشعوب فرحين مثل العجول الصغار اذا حل رباطهم وأطلقوا على لبان أمهاتهم فلما عاد عمرو إلى مصر خرج منها إلى معونة كبيرهم وأنفذ إلى مصر عوضه رجل يسمى عبد الله بن سعد فوصل ومعه خلق كثير وكان محباً للمال فجمع له بمصر أهراً وهو أول من بنى الديوان بمصر وأمر ان يستخرج فيه جميع خراج الكورة وحدث فى أيامه غلاء عظيم لم يحدث مثله من زمان اقلوديس الملك الكافر وإلى أيامه وأنحدر كلمن فى الصعيد إلى الريف فى طلب الغلة وكان الموتى مطروحين فى الشوارع والأسواق مثل السمك الذى يرميه الماء على البر لا يجدون من يدفنهم وأكلوا بعضهم بعضاً ولو لم يترأف الرب بكثرة رحمته وصلاة أبينا بنيامين القديس وينزل ذلك الغلاء بسرعة كان قد فنى تكل من فى

---

(١) التكس :قائد المركب (٢) أسفل المركب

كورة مصر لأنه كان يموت كل يوم من الناس ربوات لا يحصين لكن الرب قبل صلاة البطرك ورحم شعبه وأشبعهم من خيراته وأفتقد ميراثه بصلاحه كما هو مكتوب ان أعين الكل اليك ناظرة ترجوك لتعطيهم طعامهم فى حينه واذا أعطيتهم يعيشون ومن الطيبات يشبعون وكان القديس بنيامين معه انسان مملوء نعمة وحكمة وديع مثل الحمام اسمه اغاتون وكان قساً فى الكنيسة وهو من أهل مريوط وكان فى زمان هرقل يتزيى بزى العلمانيين فى مدينة الأسكندرية ويطوف فى الليل يثبت الأرثذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم ويعطيهم من السرائر المقدسة واذا كان بالنهار حمل على كتفه قفة فيها الات النجارين ويظهر أنه نجار حتى لا يعترضوه المخالفون ويجد بذلك السبيل إلى دخول دور الأرثذكسيين ومنازلهم يعطيهم من السرائر ويصبرهم ويعزيهم فمكث هكذا عشر سنين إلى حين ظهور المسلمين فلما عاد المغبوط بنيامين الى كرسيه بسلام جعله معه مثل ابنه فى تدبير البيعة المقدسة ولحق الاب المغبوط بنيامين مرض فى رجليه معما أنتهى إليه من الشيخوخة فأقام بهذا المرض سنتين حتى سألوا فيه القديسون ان يخرجه الله من سجن هذا العالم المملوء أحزاناً وان ينقله اليهم فى الموضع الذى لا حزن فيه ولا كأبه المملوء فرحاً فى كورة الأحياء فقبل دعاءهم وانفذ إليه ثلثة أشخاص وهم أثناسيوس الرسولى وساويرس وتاودسيوس البطاركة فحضروا نياحته وكانوا قدام نفسه الشريفة والملائكة المقدسون يحملونها على أجنحتهم الطاهرة صاعدين بها إلى السماء بالمجد والكرامة وأصوات التسبيح والتمجيد بين ايديها حتى وصلت إلى كورة القديسين كما يدخل العريس إلى خدرة والملك إلى قصره فمضى إلى المسيح مالكة بعد ان اتم جهاده وأكمل سعيه وحفظ أمانته ولم يهلك واحداً من قطيع رعيته فى الثامن من طوبة بعد ان كان بطركاً تسعاً وثلثين سنة وهو حافظ الأمانة لابس إكليل النفى من عند السيد المسيح الذى له المجد مع الأب الرحوم وروح القدس المحيى أمين قال أنبا أغاثون ان الذين عقولهم فى السماء يضوءون بمجد الله الذى هو أبو النور ومحبة الله الروحانية تكون فيهم كما هو مكتوب ذوقوا وأنظروا ان الرب طيب كذلك الأب بنيامين البطرك معلم الأرثذكسية الذى عرف تفسير الكتب وسكن

البرية وظفر بسرائر كثيرة لأنه اقمأ جسده وقطع شهواته لأجل محبة السيد المسيح الاهنا الذى هو فوق الكل فأما أنا الخاطئ أغاثون فكنت ولد الأب بنيامين وعرفت كثيراً من فضائله لملازمتى معه وقال لى ماراه من السر العظيم ظاهراً فى تكريز الهيكل المقدس الذى للأب الجليل أبى مقار بوادى هبيب وما رتبه من القوانين والطقوس فمن ذلك قوله لى لما كنت فى مدينتى الأسكندرية ووجدت زماناً بسلامة وخلاص من الأضطهاد ومن محاربة المخالفين وحضر يوم عيد ميلاد السيد المسيح فى الثامن والعشرين من كيهك ونحن مجتمعون فى بيعة السيدة الطاهرة مرتمريم أم النور التى تدعى اسطوا أنجالون قد عملتا صلوات كثيرة بمحضر من جماعة الكهنة ومقدمى المدينة وجميع الشعب الكبار والصغار لتعيد للسيدة العذراء التى ولدت الله الكلمة المتجسد بالحقيقة فى العالم رب الأرباب وملك الملوك الذى يحق له المجد مع الأب والروح القدس الأله الواحد وتعيد أيضاً فيه للسيد المسيح الأبن الوحيد الذى تجسد وصار انساناً وولدته الطاهرة العذراء فى بيت لحم يهوذا مسيحاً واحداً غير مفترق فرأيت رهبان قد دخلوا إلى وسط الشعب ومنهم كهنة ومنهم من برية القديس أبى مقار وعليهم سكينة ووقار كانهم من الملائكة فلم يقدروا يصلون لى من كثرة الشعب فتقدم الى احد الكهنة وعرفنى بدخولهم فقلت له قد رأيتهم وأمرته فاستدعاهم فلما دنوا منى استعلمت منهم سبب مجيئهم ووصلولهم فقالوا جئنا اليك قاصدين نسأل ابوتك بمطانوة من اجل الله ان تتكلف مشقة الطريق الى الدير فى الجبل المقدس وادى هبيب مسكن ابينا ابى مقار الكبير لتكرز البيعة الجديدة التى بنيت له فى وطاء الصخرة فيما بين القلالى لأن كثيراً من الشيوخ والضعفاء سكان قلالى بعيدة قريبة من الماء ويتعبون إذا صعدوا الى فوق وانعم علينا يا ابانا وتحمل التعب لتأخذ الاباء الرهبان بركتك لانهم كلهم مشتهون لنظر قدسك فلما سمعت هذا منهم قلت لهم بمسكنتى بفرح اترى حقاً بجعلنى الله مستحقاً لهذا الأمر فأقاموا حتى كملنا العيد ذلك اليوم وغده الذى هو تسعة وعشرون يوماً من كيهك وثالثة ثم قلت لك يا اغاثون ولقسما الكاتب رفيقك اهتموا لنا بحاجات المسير الى وادى هبيب لنتبارك من الاب ابى مقار ومن الأخوة

الرهبان ففعلنا ذلك وقدمنا مسيرنا فى اليوم الثانى من طوبة فلما وصلنا الى تروجة تلقانا اهلها بفرح عظيم ثم وصلنا الى برية المنا التى لابا اسحق عند جبل برنوج ففرحوا بنا ايضاً الاخوة الذين هناك واقمنا يومين وودعونا وسار بعضهم معنا ليدلونا على الطريق المودية الى البرية والى الجبل وكانوا قديسين فضلاء فوصلونا الى غاية برية جبل النطرون ثم توجهنا الى دير برموس ومكسيموس ودوماديوس ونزلنا بيعة القديس ايسيدرس واقمنا هناك يوماً واحداً ومضوا الاخوة الرهبان الذين كانوا اتونا الى مدينة الاسكندرية فاعلموا رهبان دير ابى مقار بوصولنا وبقى عندنا اثنان من كهنتهم مع الاخوة الذين صحبونا من المنى فخرج الينا بعض الرهبان وتوجهنا فى اليوم السابع من طوبة الى بقية الديارات وتباركنا منها وتوجهنا الى دير القديس ابى مقار فلما قربنا منه تلقانا رهبان شباب بزغف النخل فى ايديهم وبعدهم شيوخ فى أيديهم مجامر البخور وجماعة من الكهنة يقرؤون مثل الملائكة متشبهين بمن تلقى السيد المسيح من اورشليم يوم الشعانين وجعلوا يعطون ضعفى مالا اسحتقه وكان معهم المعلم الكبير بسيليوس اسقف نقيوس فمجدت السيد المسيح إذ جعلنى مستحقاً دفعة أخرى أن انظر هذه البرية الجليلة وهؤلاء الآباء والاخوة القديسين واظهار الامانة الارثدكسية وخلصنى من اضطهاد المخالفين ونجى نفسى من التنين العظيم المطغى الطارد لى لاجل الامانة المستقيمة ووهبنى ان اشاهد اولادى دفعة اخرى وهم محيطون بى ثم سار جميع الكهنة والاخوة الرهبان امامى الى أن دخلت البيعة المسيحية المستجدة فصرت كأننى قد دخلت الفردوس مجمع الملائكة ومسرة القديسين وموضع راحة الصديقين وإذ كنا بالغداة اليوم الثامن من طوبة فقلت ايتونى بالقس اغاتون الذى تعب معى على الأمانة فى زمان الشدائد التى لحقتنى عند مطاردة المقوقس عدو الحق لضعفى فلما أتيتنى قلت لك يا ولدى اخرج الكتب التى تصلح للتكريز فاخرجتها لى ثم بدأنا الصلاة ومعى ابا باسيليوس اسقف نقيوس وكل الكهنة محيطون بى وجميع الرهبان كما قد رأيت فبينما أنا كذلك إذ رأيت شيخاً على وجهه نور عظيم وضوء ساطع فشخصت إليه وتأملته وقلت فى نفسى هذا يصلح أن يجعل اسقفاً ليرعى شعباً كثيراً فإن اراد الرب إذاً خلا

كرسى جعلته عليه لأن هذا الشخص رجل قديس يصلح لهذا الأمر فبينما أنا مفكر فى هذا إذ رأيت سارافيم قد ظهر لى وله ستة اجنحة وهو قائم الى جانبى فقال لى يا أسقف لما إذاً أنت مفكر فى هذا الشيخ هذا ابو مقار ابو البطاركة والاساقفة والرهبان الذين فى هذه البرية قد حضر لتكريز هذه البيعة فبهت اليه وتأملته وهو قائم بين أولاده بفرح عظيم وكان صوت ذلك السارافيم يطن فى مسامعى وقد خفت منه ثم قال لى أن سلكوا أولاده الطريق المستقيم الذى سلكه فيدخلون معه الى موضع الملك ويفرحون معه من خالف وصاياه لم يكن له معهم نصيب بل يطرد من القطيع ولا يكون له معه ميراث فقال له القديس ابو مقار لا تختم يا سيدى على أولادى بهذا القول لأنه إذا وجد فى العنقود حبة واحدة لا يتلف لأن بركة الله فيه فانا ايضاً أومن بالمسيح حبيب نفسى إنه إذاً وجد فى أولادى وصية واحدة وهى المحبة بعضهم لبعض أو يرفعون أعينهم إلى السماء الى السيد المسيح ولو دفعة واحدة فى كل يوم فالرب لا ينساهم من رحمته وينجيهم من عذاب الجحيم الأبدى لأن الرب محب البشر قد جعل للخاطىء التوبة ليس يريد موت الخاطىء الى أن يرجع ويتوب فيقبله فلما سمعت كلام القديس أبى مقار مع السارافيم عرفت محبته لأولاده وتفسير اسم الآب ابى مقار المكرم من الله ومن الناس الطوبانى هذا هو الشبكة التى تجمع من كل جنس إلى ملكوت الله أعنى الآب ابا مقار تلميذ الله الرب فقلت بحيث يسمعنى من هو قريب منى طوباك يا أبا مقار وطوبى لطقسك وطوبى لأولادك إذ استحقوا أن تكون لهم شفيعاً قوياً أمام موضع حكم الله محيىناً إذ أتى ملكنا وإلاهنا يسوع المسيح فى ظهوره الثانى ليجازى كل أحد كأعماله بالحقيقة أنت يا ابا مقار السفينة العظيمة الحاملة الأنفس الكثيرة المودية لها إلى مينا السلامة والخلاص والشفيع لجميعنا انت كما قال داءود فى مزموره طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مؤامرة المنافقين وفى طريق الخاطئين لم يقف وعلى مجالس المستهزئين لم يجلس أنت المجاهد بالحقيقة الملك طوباها البطن التى حملتك وولدتك فى العالم اذكرنى يا قديس الله الحقيقى فقلت لى أنت يا اغاثون وقال لى اسقف نقيوس لمن تخاطب يا أبانا فقلت لكما انا اخاطب أبا مقار ابا هذا الجبل لأنه

زمان كلام وزمان سكوت وأنا صعدت إلى الهيكل وقلت صلاة الميرون وتناولته لانقط على الهيكل المقدس وسمعت صوتاً يقول تأمل يا اسقف فلما نقطت الميرون على الهيكل رأيت يد السيد المسيح المخلص على الهيكل تمسح الهيكل فنالنى لذلك خوف عظيم ورعدة كما رأيتنى ولم تعلم أنت ولا الحاضرون سبب ذلك ولا ما رأيته وسمعته ثم قلت مع الاب يعقوب ان هذا الموضع مخوف وهذا بيت الله بالحقيقة وهذا هو باب السماء وموضع راحة العلى قال اغاتون القس فى هذا الوقت نظرنا إليه وهو كالنار ووجهه يشرق بالنور فلم يستطع أحد منا يكلمه بلفظة بل كنا باهتين له فقال الأب بنيامين هذه مظلة الآب والابن والروح القدس ودار الهيكل ثلث دفعات وهو يقول الليلويا ثم زمر مزمور [١] قائلاً ما أحب مساكنك يا رب القوات تاقت نفسى واشتاقت الى ديار الرب مذابحك يارب القوات ملكى والهى وكمل قول المزمور الى اخره فلما كمل تكريز القبة خرج الى البيعة يكرز حيطانها وعمدها ثم عاد وجلس فى القبة فقال لنا لقد مضى بى اليوم الى فردوس رب الصباؤوت وسمعت أصواتاً لا ينطق بها ولا تخطر على قلب بشر كما قال الرسول بولس الحكيم فصدقونى يا إخوة فإنى رأيت اليوم مجد المسيح قد ملأ هذه القبة ونظرت بعينى الخاطئين الكف المقدس يد السيد يسوع المسيح المخلص العالية تمسح مائدة هذا الهيكل المقدس وشاهدت اليوم السارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة وجميع قوات العلى القدسات يسبحون الآب والابن والروح القدس فى هذه القبة ورأيت ابا البطاركة والأساقفة ومعلمى البيعة الارثدكسية قائماً فيما بيننا هاهنا فى وسط الأخوة أولاده بفرح أعنى الآب ابا مقار الكبير حقاً ان هذا الهيكل تحت كرسى ضابط الكل هذا الهيكل هو الذى ذكره اشعيا النبى إذ قال يكون لله بارض مصر مذبح ودكة وخمس قرى يتكلمن بالكنعانية قوموا الآن يا أولادى نكمل القداس ونغتنم بركة الاباء ونمجد الله تعالى قال اغاتون القس قال لى الاب البطرك فلما كملت الخدمة الالهية وقربت الكهنة رأيت ايضاً نعمة عظيمة لا يجب ان اخفيها عنك فلما تقدم الشيوخ الى القربان رأيت دخان بخور يصعد كالعطر من

(١) مزمور ٨٣ .

افـواههم حتى ظننت ان كل واحد من اولئك الآباء الرهبان يحمل بخوراً عند تقدمة الى القربان ثم انفتح سقف البيعة منه ذلك العطر وتأملت افواههم ودعاءهم عند دنوهم من القربان فرأيت الكلام يخرج من افواههم والبخور يخرج من افواههم صاعداً الى السماء فتحققت حينئذ انه دعاءهم وصلاتهم التى يقولونها عند اخذهم السرائر المقدسة التى هى جسد ودم الرب يسوع المسيح الطاهر ورأيت الملائكة يتسلمون صلواتهم تلك ويصعدونها امام كرسى الرب فمن عظم دعاءهم وصلواتهم قلت حقاً ان هذه المنارة الذهب التى عليها المصباح والجوهرة الثمينة وكوكب الصبح المشرق المضىء على كل المسكونة وسبحت بتسبحة الثلثة فتية حنانيا وعزاريا وميصائيل التى قالوها فى اتون النار الموقدة مبارك انت يا رب الاه ابائنا ومسبح وممجد الى الأبد ومبارك بالحقيقة الرب الاه هؤلاء القديسين الذين استقامة العالم بهم وبامثالهم هذا مجمع الملائكة ومينا كل الأنفس الذين هربوا الى الله منجى كل الأنفس ثم مجدت وشكرت الرب يسوع المسيح الذى جعلنى مستحقاً ان اشاهد ما رأيت ولما نمت فى تلك الليلة رأيت وقد وقف امامى رجل منير وقال لى استيقظ يا اسقف وقم لترتب قوانين هذه البيعة وهذه القبة معاً ليحترز كل احد فى سلوكه فيها من قس وشماس بصبر تام وسكون صالح لان المسيح ربنا وجميع ملائكته هاهنا واكتب هذه القوانين تذكاراً لهذه البيعة المقدسة الى الأبد لأنه سيأتى جيل معوج يحبون مجد الناس اكثر من مجد الله ويدوسون هذا الموضع المقدس بقلة خوف ونفخة ويبدلون نعمة الروح القدس التى اعطاها لشعبه بالذهب ويقاومون القوانين الرسولية فمن اراد ان يكون له ميراث فى هذا الموضع المقدس وهو بلا مخافة من الرب ولا تجرب نفسه بديا ويبدل مجد هذا الموضع المقدس الجليل المكروم ويكون عنده مثل مواضع البهائم فى دخوله اليه فهؤلاء الذين هم هكذا قلوبهم كقلوب البهائم لا يقرؤون ولا يفهمون وجميعهم قد زاغ ورذل وهمتهم فى بطونهم ومجدهم بخزى وهم يجرون على بطونهم مثل الحيات وينفخون ويلدغون المرئين شتامين مبغضين لاخوتهم متطلعين للمأكل والمشارب كالبهائم التى لا فهم لها ومشابهتها والبيعة

الرسولية تفرزهم لا يصعد قس الى هذا الهيكل إلا بعد أن يلبس بلينه أولا قبل ان يحمل البخور عليه لا يتقرب فيه كاهن ولا شماس إلا بعد لباسه الايمن أو بلينا لا يتكلم قس ولا شماس فى هذه القبة المقدسة بكلام فارغ ولا يجلس فيها ليقرأ كتاباً من الكتب ومن قاوم هذا القانون يكون محروماً أي كاهن أو راهب دخل الى هذه القبة من غير ان يكون مرسوماً لخدمة هذا الهيكل فليكن محروماً اى كاهن من كهنة هذا الموضع يدخل بكاهن غريب من كهنة مصر أو رئيس الى هذه القبة الاسكنا المقدسة لاجل مجد الناس فليكن محروماً أى انسان استطال ودخل الى هذه القبة المقدسة يخرجه الرب يسوع المسيح خارجاً واى انسان يتعدى ليكون له نصيب فى هذا الموضع المقدس بمال أو هدية فليكن هو وكلمن يساعده على دخوله اليه لاجل مجد الناس لاسيما ان كان معروفاً بالشر والتجبر مرذولين اعلموا يا اخوتى ان نصيب يعقوب لا يكون لواحد من هؤلاء والقوة الساكنة فى هذا الموضع والهيكل المقدس لا ترضى بشىء من هذه الأمور بل يكون متواضعاً طاهراً وديعاً تاماً فى جميع الخصال المرضية كما شهد المعلم بولس فى قوله على هذه الرتبة إذ يقول ما هو ثابت فى مكاتبته الجليلة ثم قال لى الشخص المضىء لا استحق ان يخاطبنى خروجك يا بنيامين من هذا العالم الذى هو مفارقة نفسك لجسدك يوافق يوم تكريز هذه البيعة وتمضى الى السيد المسيح الذى تحبه لتستريح فى يروشليم السمائية مدينة المنتخبين مع جميع المختارين فقلت له يا سيدى ارجو ان يجعلنى الله مستحقاً لما قد ذكرته ويقبلنى انا العبد الخاطىء واصير إليه فى اليوم المذكور ومبارك سيدى يسوع المسيح حبيب نفسى وروحى لان رحمته سابغة على وعند هذا غاب عنى السارافيم وقال لنا بنيامين البطرك لا تظنوا يا اخوتى اننى كتبت هذه الحروم على الجيل بل كتبتها لاجل انه سيأتى جيل آخر فى آخر الزمان يستحق ما كتبته على ما اخبرنى به السارافيم الذى خاطبنى فيجب لكل مؤمن ان يحذر اتباع مجد الناس ويعمل ما يضاهى مجد الله ويحبه من كل قلبه وانت يا ولدى اغاتون القس اكتب عندك تاريخ هذا التكريز واذكرنى به فى كل وقت وكل يوم لاذكر

قول السارافيم فيه لى أن فيه يكون خروجى من هذا العالم الذى هو الثامن من طوبة الذى كان فيه تكريز البيعة المقدسة على اسم القديس ابى مقار ابينا ونذكر ايضاً اعجوبة كانت فى اليوم المذكور وذلك انه كان بمدينة نقيوس ارخن عظيم مقدم وكانت عادته ان يدخل كل وقت الى الديارات المقدسة بوادى هبيب فحضر يوم تكريز بيعة ابى مقار ومعه ولد له كان مبتلياً وظهرت منه ايضاً اية عظيمة ظاهرة من الآب المغبوط ابى مقار الذى هو أبو الجبل المقدس بوادى هبيب وعز جميع البطاركة والاساقفة والرهبان والمعلمين فى جميع المسكونة الذى روائح بخور اعماله وحسن افعاله قد ملأ الاقليم واضاء مصباحه على كلمن يأتى إليه وكانت عادة هذا الارخن ان يحضر الى الدير فى كل وقت فى أعياد الميلاد والغطاس والفصح فحضر فى يوم التكريز وولده معه وسلمه لراهب قديس ومعه غلام يخدمه فلما كمل التكريز والقداس وتقرب الشعب كان ولد الارخن نائماً فى البيعة المقدسة فصرخ فى النوم حتى أرعب الناس الحاضرين من صراخه فقوى ذلك الراهب قلبه وتقدم الى الصبى وأنبهه فلما استيقظ تأمله الجمع فإذا هو عوفى وكأنه كما ولد جديد فى يومه هذا فمجدوا الله لهذه الأعجوبة العظيمة التى كانت قال الاب بنيامين البطرك القديس فلما فرغت من القربان استدعيت الارخن والد الصبى واستعلمت منه حال ولده فاخبرنى بمرضه وجميع ما حل به ثم استدعيت الصبى وقلت له يا ولدى اشرح لى ما رأيته فى منامك ولا تخف عنى شيئاً منه فقال الصبى بينما أنا نائم رأيت رجلاً طويلاً شيخاً بلحية خفيفة نازلة على صدره وهو يعصر جسمى بيديه فصرخت من الوجع ثم انه امسك بيده طرف ثوبى واصعده من رأسى فرأيت جميع وجعى وجراحى ملتصقة بثوبى وقد انقلعت معه عن جسمى وقال لى تقو يا ولدى هو ذا قد عوفيت فلما انتهى هذا الاب الراهب قمت وأنا معافى هذه قضية حالى يا سيدى الاب فشاهدته انا بنيامين بعينى فى ذلك اليوم وقد برىء فمجدت السيد يسوع المسيح الذى أظهر لى قواته وعجائبه على يد القديس ابى مقار الذى يعافى النفوس والاجساد بشفاعته عند الله الذى صار مينا لخلاص العالم فطوبى لجبل

النطرون الذى استحق ان يكون فيه ابو مقار شفيعنا ولجميع من ياوى اليه أيها الجبل الذى سر الله به ايها الجبل الذى جمع اليه هؤلاء المصطفون الذين يضوءون فيه أكثر من نور الشمس نهاراً وتصعد صلواتهم كالنار المشتعلة أيها الجبل الذى اثمرت فيه الثمار الروحانية ثلثين وستين ومائة أيها الجبل الذى يملح الأنفس ويردها من الخطيئة وينقيها بالتوبة فتبيض كالثلج انت الجبل الحقيقى الذى تجتمع فيه الملوك والأغنياء والفقراء ليخدموا الله فيك أنت جبل الملح بالحقيقة المملح الأنفس الذى تثبت بالخطيئة والاثم انت الذى جعلت اللصوص معلمين وشهداء وصالحين فليدعوا الآن بغير ملل بين يدى سيدنا يسوع المسيح ان يثبتنا على الامانة الارثدكسية فى بيعته المنيرة لنفتخر نحن جميع بنى المعمودية فى كل زمان بها ونسألة أن ينجينا من شدائد المتولين علينا ومكر الصياد عدو الحق الشيطان الاركون الشرير والمجد لله الآب والابن والروح القدس والقدرة والعظمة الان وكل اوان والى دهر الداهرين أمين .

كمل بعون الله النصف الأول من الجزء الأول

من كتاب سير البطاركة بالمدينة العظمى الاسكندرية

خلفاء مارى مرقس الانجيلى رزقنا الله بركة صلواته

وصلواتهم وعدتهم ثمانية وثلثون بطركاً

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد

الجزء الثانى من سير البيعة المقدسة

وهو ست سير واربعة عشر بطركاً السيرة الخامسة عشر

اغاتون ولد بنيامين البطرك بالروح لا بالجسد

وهو من العدد التاسع والثلثون

ولما عاد المجاهد العظيم ضابط الامانة بالسيد يسوع المسيح ومعلم الامانة الارثدكسية انبا بنيامين من النفى وجلس على الكرسى الانجيلى ببيعة الله جدد ما كان قد هدمه هرقل والمجمع الطمث الخلقدونى وهو ابروطاريوس عاد هذا الاب انبا بنيامين بناءه ورتبه بمعونة السيد المسيح الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه كما قال فى انجيله الطاهر ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن خرافه فمشى بنيامين فى اثار سيده وحمل صليبه وتبعه وصبر على البلايا والشرور والتجارب العظيمة الى الموت من اجل الامانة المستقيمة ولم يتخل ولا رجع الى ورائه فى جهاده الى ان تممه حتى أخذ النعمة مع القديسين ابائه الذين تقدموه كما قال داءود النبى فى الزبور كريم امام الرب وفاة اصفيائه فمات الأب بنيامين وان الشعب المؤمن الخائف من الله بأمر الرب اخذوا ذلك القس الخائف من الله اغاتون واجلسوه بطركاً كاتفاق اسمه مع فعله معاً إذ هو صالح وعمله صالح مزين بكل فعل جميل مملوء نعمة روح القدس والأمانة الارثدكسية وكانوا المسلمون يقاتلون الروم بغضب وكان لهم ملك اسمه طيباريوس قد ملكوه وله عدة جزائر فاسروهم من بلادهم الى بلاد غريبة وكذلك صقلية وجميع اعمالها ملكوها واخربوها وجابوا سبيها الى مصر وكان هذا القديس البطرك اغاتون حزين القلب إذ يرى اعضاءه فى ايدى الأمم وكانوا الغزاة قد اباعوا منهم انفساً عدة فيشتريهم ويعتقهم وكانوا من اصحاب الهارسيس الطمث المعروفين بالغايانيين الذين لا يتقربون والبرسنوفية ولم يكن يدع قسمة الاساقفة فى كل موضع ليردوا الضان الذى قد اضلها الشيطان الى بيعة السيد المسيح واوقع به الشيطان تعباً عظيماً من أجل طهارة قلبه وفضيلته فتولى فى تلك الأيام امر الاسكندرية انسان اسمه تاوضوروس وكان رئيساً فى جماعة من

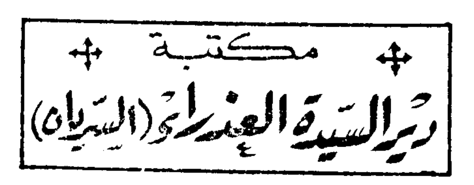
الخلقدونيين وكان مقاوم الارثذكسيين التاوضوسيين فمضى الى دمشق الى مقدم المسلمين واسمه يزيد بن معاوية أخذ منه سجلاً يتسلط به على شعب الاسكندرية ومريوط وكلما يليها ولا يكون لمتولى مصر عليه حكم لأنه دفع له مالاً جزيلاً وعاد وتسلط على الأب انبا اغاتون واقلقه وطلب منه المال الذى غرمه وأخذ منه ستة وثلثين ديناراً جزية كل سنة عن تلاميذه وليس هذا فقط بل وكلما كان ينفقه على النواتية فى الاسطول يخسره اياه وكلما يلحقه يلزمه اياه ولم تكن جماعة الخلقدونيين يختلطون بهذا الرجل وكان يحتاج الى سبعة آلاف دينار لتاوضوروس الخلقدونى خارجة عن خراج وساياه وما كان يمكنه يخرج من باب قلايته من قوة بغضته له لاجل الامانة الارثذكسية حتى أنه امر وقال من رأى باباً التاوضوسيين يخرج ليلاً أو نهاراً فيرجمه بالحجارة ويقتله وأنا المجاوب عنه وكان الاب اغاتون مختفياً ايام ذلك الملك المنافق وهو داع له كوصية الانجيل حبوا اعداءكم باركوا على لاعنيكم وفى ايامه عمرت البيعة التى على اسم ابى مقار وكثرت الاخوة حتى انهم بنوا القلالى قريب البسلس وكانوا ينموا بنعمة السيد المسيح وكانوا الاخوة المؤمنون يعينونهم وفى هذه الأيام ظهر انسان من الدير طاهر البدن نقى القلب عارف بالحكمتين البيعية والعالمية اسمه يوحنا من اهل سمنود كان معتفياً فى البرية اعتل علة عظيمة ولم يعتقد احد من الشيوخ إنه يبرأ فرأى ليلة من الليالى مناماً كان انسان مضىء عظيم المجد جالس على كرسى السارافيم ومعه جماعة نزل قريباً من باب قلايته ونظر جماعة من الشيوخ الآباء القديسين الذى فى البرية وتقدموا ليأخذوا البركة من الجالس على الكرسى فقال فى فكره لو أن لى انساناً يمسكنى انا ايضاً لأتقدم الى هذا الملك السماوى العظيم وأخذ بركته فلعلى كنت استريح من هذه العلة والوجع فعند ذلك تقدم اليه واحد ممن كان حول الكرسى والجالس عليه وهو لابس لباس البطاركة الرسل وعلى صدره كتاب يشبه انجيل فقال تختار أن أقدمك لسيدنا لينعم عليك بالعافية فسجد له بدموع وطلب اليه قائلاً ارحمنى يا سيدى وامض بى إليه لأننى فى تعب عظيم فاجاب ذلك القديس وقال له يا يوحنا لأنه كان كاهناً قل لى أنك إذا عوفيت من الرب تكون لى ولداً وأنا امضى بك اليه فعاهده

فى الرويا بأن يكون له ولداً الى يوم وفاته فامسك بيده وقدمه الى مخلص العالم فخر يوحنا ساجداً على رجليه فقال له المخلص يا يوحنا لماذا تحبون الباطل يا بنى البشر وترفضون الحق وتطلبون الكذب إذ ظننت انك جئت الى هاهنا تبنى لك قلاية طين وهى تضمحل عن قليل او تكتنز لك كنوزاً فى السماء وتبنى لك فى اورشليم السمائية المدينة الجديدة بيتاً لا يضمحل فوقع على رجليه وطلب منه العفو فاقامه الرب وقال له الآن قد انعمت عليك بالعافية لاجل مرقس الانجيلى فامض فكلما يأمرك به فافعله وصعد الرب الى السماء بمجد وكرامة فاستيقظ من الرويا وهو معافى وفكر قائلاً ما هذا الفعل الآن فنزل عليه التسلي من ذلك اليوم وصار الى دير من أعمال الفيوم ومعه تلميذاه واختفى هناك فظهر للآب انبا اغاتون من قال له انفذ إلى يوحنا القس الذى من سمنود ليعينك ويساعدك وهو الذى يجلس بعدك على الكرسى فانفذ كهنة الى اسقف الفيوم انبا مينا وكتب إليه بان ينفذ له القس يوحنا وكان ذلك الاسقف يحبه ويربح من كلامه فما قدر ان يخالف الاب البطرك فبعث الرسل إليه فحملوه فى مركب وانفذه الى اسكندرية فلما رآه البطرك فرح به لأن كان حكيماً جداً فسلم له بيعته وجعل له السلطان عليها وعلى المدينة وكان بعض الناس يسألوه أن يقسمه اسقفاً على الصعيد وآخرون لبعض الكراسى والله يحفظه لدعته مثل داءود حتى يتم له ما هو موعود به فى الرؤيا بوادى هبيب وكان الاب الحقانى اغاتون مهتماً فى جميع ايامه بقسمة الكهنة المستحقين للشرطونية الخائفين من الله والناس يشكرون الله على أفعاله وكان فى أيامه الأسقف المغبوط اغريغوريوس اسقف القيس وسريانى اسمه يوسف وفى أيامه ظهر هارسيس فيماناخوس النجسة وكان أمير من المسلمين اسمه مسلمه جمع سبعة اساقفة وأنفذهم الى سخا بسبب قوم على أنهم كانوا يحرقون بالنار من القوم المستخدمين ليكشفوا عن جريرتهم فوصلو واجتمعوا بانسان ارخن بسخا اسمه اسحق وسددوا حالهم واعفوا من الحريق واجتمع اسحق المذكور مع والى سخا وظفرا على تاوضوروس الخلقدونى الذى فى الاسكندرية وكان هذا اسحق قد تولى جميع الكورة لأجله لاجل ما فعله مع البطرك من السوء ثم انه اكمل كل أيامه بشيخوخة حسنة واعتل وأقام سبع

عشرة سنة على كرسيه وتنيح فى سادس عشر بابة وجعل جسده كما فى سيرة أبى مقار مع الآب بنيامين وهو حافظ الامانة الارثدكسية لابس اكليل البر مع جميع القديسين فى كورة الأحياء الى ابد الابدين أمين .

يوحنا من أهل سمنود
وهو الأربعون من عدد الاباء البطاركة

ولما تنيح الأب القديس أنبا اغاتون وضع تاوضوروس الخلقدونى يده على الكل حتى انهم لم يجدوا خبزاً يأكلونه فى يوم وفاته لأنه ختم على كلما له وعلى جميع ما عندهم الى ان انتقم منه الرب بضربة صعبة فى احشائه وهى علة الاستسقاء وصار يأكل كل يوم اثنى عشر رطلاً خبزاً واربعة وعشرين رطلاً لحماً وقرطلين تيناً ويشرب زقا واحداً نبيذاً من مريوط ولا يشبع ولا يروى ولا يمتلئ بطنه ومات بموته سوء وولوا ولده عوضه وصار لأبينا أنبا يوحنا كالولد وكان له أمانة فيه ومحبة وكان الأب البطريرك يهديه كالولد وكان فى بداية جلوسه على الكرسى قتل طيباريوس الملك على بزنطية واخذ ولده الملك واسمه أوغسطس ولما ملك هذا جعل اجتهاده السواحل التى أخذوها المسلمون فاستعادها فأخذ جزائراً كثيراً مما كانوا المسلمون ملكوها وكذلك صقلية غمرها وفى ذلك الزمان قام غير راهب فى مدينة القسطنطينية اسمه مكسيموس وحرك اضطراباً وقلقاً فى كورته وقال ان كنتم على امانة خلقدونية حقاً فاعترفوا بقول المجمع بطبيعتين وشخصين واقنومين وارادتين ومشيئتين فتبعه جمع كثير فوقع بينهم خصومة عظيمة وغضب عليهم أوغسطس الملك وأنفذ هذا الغير راهب الى النفى ومضى هذا الملك الى صقلية بعد زمان فقتل هناك ذبحاً بيد استاذ له من استاذيه وولى الملك بعده ولده يوستنسيانوس عوضه وكان ملكاً جرئاً فوقع خوفه فى قلوب المسلمين مثل اسد يثب على الذئاب وفى هذه الأيام بعد موت يزيد بن معاوية قام من كورة المسلمين ملك اسمه مروان نار مثل الأسد إذا خرج من الغابة جائعاً ياكل ويدوس الباقى برجليه هذا ملك الشرق وفسطاط مصر وولى أولاده كل الكور الكبير منهم اسمه عبد الملك دفع له دمشق والثانى عبد العزيز دفع له مصر وكان خوف عظيم



بين مروان وبين المصريين لانهم كانوا يترجون وصول انسان اخر اسمه ابن الزبير فوصل وغلب مروان وجعل له كاتبان مأمونان ارثدكسيان جعلهما على جميع كورة مصر ومريوط ومراقية ودبلوا وهى لوبية اسم أحدهما اثناسيوس واكان له ثلثة أولاد وهو من أهل الرها من أعمال سورية والأخر اسمه اسحق هو وولده من أهل شبرا تنى قوم اخيار ارثدكسيون ولما تولى عبد العزيز مصر كتب الأب البطريرك من اسكندرية الى مصر الى الكاتبين اللذين توليا ديوانه يعرفهما حال الختم الذى كان على الأماكن وما هو فيه من الضر مع الخلقدونيين الكفرة عند ذلك انفذا الكاتبان المذكوران رسلاً الى الاسكندرية بأن يفك الخاتم عن الأماكن وتسليم جميع ما للبيعة الى الأب البطرك وكان هذا الأب قديساً عليه نعمة الله ظاهرة فى وجهه مثل موسى النبى حتى ان كل أحد لا يتمكن من النظر إلى وجهه ولا يقدر يميزه ولا محاجر عينيه من كثرة النور الذى عليه وكان الرب يشفى كثيراً من المرضى بدعائه وكان بتول النفس والجسد وكان مسالماً لكل احد من الناس وظهرت افعاله وعجائبه حتى بلغت الى الملك وإلى جميع من فى قصره حتى أنهم انفذوا إليه هدايا من القسطنطينية وفى أول سنة تولى عبد العزيز مضى الى الاسكندرية كعادة من يتولى ليأخذ خراجها وكان ذلك فى كل يوم الف دينار عيناً فحمل الى ملك الروم مال كثير وكانت مهادنة عشر سنين بغير حرب فلما وصل الى المدينة ولم يكن وصوله ظاهراً بل مستوراً لم يخرج البطرك ليتلقاه لأنه لم يعلم بوصوله فحينئذ سعوا به اقوام كثير كفرة ومخالفون وكان مقدمهم رجلاً يسمى تاوفانيس وهو زوج أخت تاوضوروس الخلقدونى وقالوا انه ما خرج ولا تلقاك لكثرة تجبره وكبريائه وكثرة ماله فانفذ بغضب احضر الطوبانى انبا يوحنا الى الأيوان فاوقفه بين يديه وقال له ما سبب غلظ رقبتك وتأخيرك عن الخروج للقاءى دون هذه المدينة فأجاب الطوبانى وقال له قد علم الله أنى لم أفعل هذا لغلظ رقبة لكن لضعفى ولأنى لا أمكن فى كل وقت من الخروج من المدينة الى موضع أخر فحينئذ غضب الأمير وسلمه لمترسمين الى أن يقوم بمائة ألف دينار فتسلمه صاحب برج اسمه سمد رجل ليس فيه رحمة قاسى القلب مملوء سوءاً فتسلمه أول يوم من جمعة الفصح الكبيرة فأخذه ومضى به الى منزله ليعذبه

حتى يقوم بالمال فلما أوقفه قدامه وكان معه رجلان من أولاد الأخيار وهما اراس القس الأمين على مال البيعة رجل ذو سلامة مزين لكل فضيلة معروف بالدعة عند أهل كل المدينة والشماس كاتبه رجل حكيم محب للناس عارف بالكتب فاضل فلما أوقف ذلك الرجل السوء ابانا البطرك قدامه قال له أريد منك مائة ألف دينار التى أمر الامير ان تقوم بها فأجاب وقال له بسكينة وهدوء تطلب منى مائة ألف دينار وما معى منها مائة ألف درهم ولكن الاهى لم يجعل فى شريعته ان أترك معى شيئاً ولا اقتنى مالاً قط لأنه اصل كل شر فما شئت أن تفعل فافعل جسدى بيدك ونفسى وجسدى معاً بيد سيدى يسوع المسيح فلما سمع الكافر ذلك غضب جداً وصر اسنانه على القديس وأمر أن يحضر له قصرية نحاس ملا جمر نار وتجعل رجلاه فيها حتى يقول انه يقوم بالمال والله مدبر عبيده انزل فى تلك الليلة على زوجة الأمير عبد العزيز امراً صعباً حتى أنها قلقت وانفذت استاذها الى سمد وقالت له احذر ان تفعل سوءاً برجل الله البطرك الذى سلموه لك لأن قد اصابنى بسببه بلايا عظيمة فى هذه الليلة فخلاه بغير اختياره هو وولديه الاخيار الصالحين الى غد ليفكر فيما يفعل به فلما كان فى وقت صياح الديك مضى سمد إلى الأمير واجتمع به وعرفه الخبر وأنه لم يعاقبه فقال له الأمير إياك أن تمس جسده لأجل ما نالنا فى هذه الليلة بسببه لكن مهما قدرت عليه خذه منه بلطف وإلا فلا تقربه بسوء لأن الله قد أظهر لى أنه عبده فعاد سمد الى بيته وكان هذا يوم الثلثا من الجمعة الكبيرة فاحضر يوحنا البطرك القديس قدامه وكلمه بكلام كثير وهدده تهديداً عظيماً وجاب له ثياب يهودى وحلف انه إن لم يحمل ما يقرر عليه أولا بأول والا البسه إياه ولطخ وجهه برماد وطاف به حول المدينة كلها فلم يخاف بالجملة بل كان يقول له بقوة قلب إن لم يخلصنى الرب الاهى من يديك ولا فما لك قدرة أن تفعل فى شيئاً إلا بأمره فقال له سمد الكافر أنا أترك لك خمسين ألف دينار وتقوم بخمسين ألف دينار وأنا أطلقك تتسبب فى حالك وتحصلها أجاب القديس البطرك وقال له الذى أقدر عليه ثيابى التى على جسدى ولم يزل ينازله إلى أن بلغ عشرة آلاف دينار فقال له البطرك ما أقول ما لا أقدر عليه فلما اتصل الخبر الكتاب المتصرفين بالاسكندرية أن

الحال انتهت الى عشرة آلاف دينار أنفذوا إليه وقالوا له اقبل بالعشرة آلاف دينار ونحن نقسطها على الاساقفة والكتاب والدواوين التى نحن مستخدمون فيها لئلا يجرى على البيعة شيء ثم مضوا الى عبد العزيز وسألوه احضار البطرك ليسمع منه قوله وكان يوم الخميس الكبير فلما احضره ورفع نظره إليه رآه كأنه شبه ملاك الله فأمر للوقت ان يحضر له بمخدة كبيرة فرميت له فجلس عليها وقال له ما تعلم أن السلطان لا يقاوم فاجاب القديس وقال له السلطان يسمع منه امره فيما يجب ويخالف امره فيما يغضب الله فقد قال ربنا فى الانجيل لا تخافوا ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس والجسد جميعاً يعنى الله القادر على ذلك وحده فقال له الأمير إلهك يحب الصدق والحق فقال له البطرك الهى حق كله وليس فيه كذب بل يهلك كلمن ينطق بالكذب فاجاب الأمير وقال له أنت عندى صادق فمهما كانوا النصارى قد دفعوه لك بسبب مطالبتى لك ادفعه لى وما أريد منك غيره فقالوا الكتاب للبطرك افعل هذا فقبل البطرك ذلك واطلقه الأمير بمجد وفرح وسرور وبهجة نالت الارثدكسيين وغم وخزى نال اعداء البيعة وخرج البطرك المغبوط من دار الامارة راكباً والشعب خافون به وبين يديه وهو راكب دابته بالقراءة والترتيل حتى دخل الى البيعة وصلى على القصرية وغسل ارجل الشعب ثم قدس وحمل السرائر المقدسة وقرب الشعب وعاد الى قلايته برحمة الله ومعونته ونال المخالفين من ذلك خزى وغم كثير واكثر من الكل الذين سعوا به ولا سيما تاوفانس الرئيس على مريوط وفى تلك الأيام قبض الأمير عليه بسرعة وسلمه الى الكاتب فانفذه الى السجن ثم قتله بعد عذاب شديد ومضى إلى الجحيم والله صانع العجائب وحده رزق الأب البطرك قبولاً ونعمة عند الأمير فأمر فى جميع المدينة أن لا يخاطب أحد البطرك إلا بالخطاب الحسن ولا يذكر فيه كلمة سوء ولا يعترض له أحد فيما يريده ولا فى خروج ولا فى دخول فى المدينة حينئذ وجدوا الزمان وساعدوه الاراخنة والكتاب المؤمنون وجميع الشعب الارثدكسى حتى أوفى الأمير ما قرر له ومن بعد ذلك ساعدوه ايضاً فى بنيان بيعة الشهيد الجليل

---

(١) اللقامن

الإنجيلى مارى مرقس وكملها فى ثلث سنين بكل زينة واشترى لها رباعاً بمصر وفى مريوط والأسكندرية وبنى طاحون كعك ومعصرة زيت حار ودورا كثيراً جعلها لبيعة القديس مارى مرقس وباركه الرب من كل وجه فى أعماله وكلامه وفى أيامه اشتركوا الارثذكسيون مع أهل اغروة وأهل سخيطس لأنهم كانوا خلقدونيين وكانت نعمة المسيح تعينه وتقويه وسأل الرب أن يظهر له من يصلح لأن يجلس بعده على الكرسى فلما علم عن أخ عالم فضيل مشتمل بكل فضيلة متعبد فى دير القديس ابى مقار بوادى هبيب اسمه اسحق كان هذا قد صار ولداً روحانياً لأسقف اسمه زخرياء مملوء من نعمة روح القدس فى هيبته ووقاره واتضاعه وحسن اعماله فكتب القديس يوحنا البطرك فاحضره إليه وكان يحفظه مثل حدقة العين وكان الأخ اسحق مجتهداً فى أعمال الله وفى الكتابة والنسخ وكان قد أمره البطرك مع ذلك بمشاركته له فى الأعمال البيعية فحدث غلاء فى أيام القديس يوحنا البطرك المذكور اقام ثلث سنين واعان الله هذا الأب على القيام بحال ضعفاء المدينة ثلث سنين وإلا كانوا هالكين من الغلاء وكان يدفع لهم قوتهم دفعتين في كل جمعة ويدفع ايضاً لهم دراهم وكانت طاحونة الكعك لا تبطل لا ليلاً ولا نهاراً بل تعمل للمنقطعين وكانت عينه ملأى وكان كثير الصدقة وكان يدفع صدقات كثيرة مثل البحر وما كان يعجز عن شيء في أعماله المرضية لله كما فعل يوحنا الإنجيلى فلحقه وجع فى رجليه من النقرس وتعذب فى ذلك كثيراً جداً حتى أن الأطباء كانوا يعالجونه بمشورة أهله واخوته الحائطين به ثم سار عبد العزيز الى مصر فخرج صحبته الى أن وصل إلى مصر فلحقه نخس ف جنبه فاخبروا الأمير بذلك فحزن عليه وانفذ الكتاب ليفتقدوه واعدوا له مركباً لينحدر الى الاسكندرية وكان كاتب هذه السيرة معه لأنه ولده فلما وصل إلى مدينة الاسكندرية وصل الخبر الى جماعة الاساقفة أنه متوعك فدخلوا إليه وكان صحبتهم اغريغوريس اسقف القيس وابا يوحنا اسقف نيقيوس وابا يعقوب اسقف ارواط وابا يوحنا اسقف سخا وابا ثيدر اسقف مليدس وجماعة من الشعب وكانوا كلهم حزاناً لما رأوا راعيهم يدعى من الأرض إلى السماء وأنه لم يقم فى جيلهم من يشبه افعاله ولما وصل إلى بيعة القديس مارى مرقس

الانجيلى التى بناها باحكام الله الغير مدروكة حملوه ودخلوا به الى المذبح الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر على كمالها فغاب حسه فحملوه ودخلوا به مخدعه فاسلم الروح فى يد السيد المسيح بمجد وكرامة وكانت مدة مقامه على الكرسى تسع سنين وتنيح فى أول يوم من كيهك وجعل جسده فى المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مارى مرقس الرسول بقراءة وتسابيح صاعدة إلى الله الذى له المجد والوقار والتسبيح والعظمة والقدرة إلى أبد الأبدين أمين .

السيرة السادسة عشرة من سير البيعة المقدسة
اسحق البطرك وهو فى العدد الحادى والأربعون

هذا الأب ابا اسحق الذى ظهر للأب ابا يوحنا أنه يجلس بعده بسؤاله ورغبته على ما تقدم ذكره لأن الكتاب يقول ان الرب يفتقد اصفياءه وقال ايضاً لا يأخذ أحد كرامة من نفسه إلا أن يعطاها من عند الرب من السماء وقال فى المزمور طوبى لمن اصطفيته وقبلته إليك لما أن مضى ابا يوحنا إلى الرب بالتذكار الجيد اجتمعوا الاساقفة وكان مقدمهم اسقف القيس [1] اغريغوريس ويعقوب اسقف ارواط ويوحنا اسقف نقيوس وجماعة من الأساقفة والشعب المسيحي تشاوروا مع كهنة الاسكندرية فاشركوا معهم الكاتب المتولى واتفقوا فى أن يقدموا الشماس جرجة الذى من سخا بطركاً من غير مشاورة الأمير عبد العزيز وقالوا ان هو وجد علينا أو تقمقم قلنا له أن ابا يوحنا البطرك تقدم إلينا أن يكون هذا يجلس مكانه من بعد وفاته وأخذ علينا عهوداً وإيماناً بذلك فلم يمكنا مخالفته ثم اخذوا الشماس جرجة واقسموه قساً والبسوه اسكيم الرهبنة ثم نادوا فى البيعة ان فى غد يقسم البطرك ويسهوا عن قول الكتاب الرب يغدر آراه الامم ويبطل افكار الشعوب ويوقف أمور الملوك ولما كان بالغداة ألبسوه ثوب البطركية واعدوا حوائجهم واخرجوه بتعظيم وكانوا مجتهدين فى إصلاحه واجتمعوا بارشيدياقن المدينة وكان اسمه مرقس وكان رجلاً فهماً فاضلاً مميزاً فى المدينة وقال ان لم تجيؤوا يوم الأحد على ما جرت به العادة فى القوانين ويجتمع جميع أهل المدينة وإلا فما أوسمه

(١) القيس مركز بنى مزلر

وهذا أمر من الله ليقدم من اصطفاه أولاً وهو ابا اسحق الراهب من أهل شبرا فلما كان بالغداة وصل قوم من اصحاب الأمير وقالوا اين الذى أوسموه بطركاً وأين الأساقفة والكهنة الذين اوسموه نمضى بهم الى مصر موكلين بهم فاخذوهم وساروا فلما كشفوا الأمر وجدوا الكتب تشهد أنه ليس الذى قال عنه ابا يوحنا البطرك فى حياته فغضب الأمير عبد العزيز وبطل أمر جرجة وأمر بتقديم اسحق وكان الأمر من الله فمضوا به الاساقفة وأوسموه وجلس على الكرسى ثلث سنين وكان الرب معه يعينه حتى أقام البيعة الكبيرة التى للقديس مرقس لما مالت حيطانها والابسقوبين [1] وعلى يديه تجددت قداديس بيع الارثدكسيين التى لم يتمكنوا من أن يفعلوها أولاً وبنى بيعة بحلوان لأن فى ذلك الموضع كان يمضى الى الأمير عبد العزيز وكان قد أمر اراخنة الصعيد وسائر الكور أن يبنى كل واحد منهم لنفسه مسكناً بحلون المدينة وفى تلك الأيام كتب البطرك الى ملك الحبش وملك النوبة ان يصطلحا ولا يكون بينهما سجس وذلك لخلف كان بينهما فسعى قوم من أهل المكر إلى عبد العزيز فغضب جداً وأنفذ من يحضره ليقتله فكتبوا الكتاب كتباً غير الكتب ودفعوها الى الرسل الذين انفذهم إلى الحبشة وأخذوا تلك الكتب منهم خوفاً على البطرك وإنما فعلوا هذا الأمر لئلا يلحق البيعة ضرر ومن قبل أن يصل البطرك الى الأمير عرفوه أن الرسل هاهنا ومعهم الكتب فانفذ سرعة طلبهم وأخذ الكتب فلما وقف عليها لم يجد شيئاً مما ذكر له فسكن غضبه وانفذ للوقت واعاد البطرك الى الاسكندرية ولم يدعه بعد هذا يصعد الى القبلة حينئذ أمر بكسر جميع الصلبان التى فى كورة مصر حتى صلبان الذهب والفضة فاضطربوا نصارى أرض مصر ثم كتب عدة رقاع وجعلها على ابواب البيع بمصر والريف ويقول فيها محمد الرسول الكبير الذى لله وعيسي ايضاً رسول الله وان الله لم يلد ولم يولد ثم ان الطوبانى تنيح ومضى الى الرب بسلام وهو حافظ الأمانة الارثدكسية لابس اكليل البر مع جمع القديسين وبعد نياحته جعل جسده فى المكان الذى أنشأه فى بيعة مارى مرقس بقراءة وتسبيح وكان الشعب والكهنة مهتمين فى من يقدمونه بعده على

(١) الابسقوبين : الابسقوبيون مكان الاسقميه

كرسى البطركية ووقع بين كهنة مارى مرقس الانجيلى وكهنة بيعة الأنجيليون فى المدينة خصام قوم يقولون لاجل يوحنا الأغومنس بدير الزجاج ويسمى بالرومية طو هانادون انه مستحق لهذا لأنه رجل عالم كاتب وكان اشبين الكاتب المتولى واخرون يقولون عن انسان اسمه بقطر اغومنس دير تفسر وكان ايضاً رجلاً فاضلاً ثم عرفوا أهل بيعة الانجيليون لاجل يوحنا ففرحوا وساعدهم الكاتب لأنها البيعة الكبيرة وفيها مائة واربعون كاهناً فكتب لهم تاودرس ارخن مدينة الاسكندرية الى الأمير عبد العزيز يذكر له يوحنا اغومس دير الزجاج هو الذى وقع اختيار الجمع عليه ان يصير بطركاً ومدة مقام ابينا البطرك انبا اسحق على الكرسى الرسولى سنتان وتسعة شهور وتنيح فى اليوم الثانى من هتور ومضى إلى السيد المسيح حافظاً أمانته ضابطاً رعيته وقد ذكر لى فى نسخة أخرى انه اقام فى البطركية ثلث سنين الرب يرحمنا بصلاته وصلاة من ارضاه باعماله أمين .

سيمون البطرك
وهو من العدد الثانى والأربعون

وكان معه فى الدير رجل قديس خائف من الله فاضل عالم اكثر من جماعة فى جيله اسمه سيمون من أهل المشرق جاباه ابواه إلى الاسكندرية منذ صبائه ودفعاه قرباناً للبيعة مثل صمويل لاجل جسد القديس مارى سويرس لأنه فى تابوت فى ذلك الدير وكانوا السريان يجيبون له قرابين ونذوراً ثم أن تادرس المذكور اخذ سيمون أولاً من ايام انبا اغاتون ومضى به الى ابا يوحنا لما كان شماساً ليعلمه قوة الكتابة وفصول الكتب وبنعمة السيد المسيح الذى معه تعلم العتيقة وشيئاً كثيراً من الحديثة فى زمان يسير لأن ابا يوحنا كان فاضلاً فلما رآه انبا اغاتون جيداً فى أفعاله أوسمه قساً وهو كان الثانى بعد أبيه يوحنا فى طقس الدير فكتب الأمير وانفذ يحضر يوحنا فسار ولده معه وقوم من كهنة الاسكندرية والارخن تادرس صحبتهم فلما وصلوا دفعوا الكتاب للأمير وفيه اسم يوحنا فاراد أن ينظره فلما رآه طاب قلبه عليه لأن ان شخصاً حسناً بهى المنظر ثم سأل الكهنة والاساقفة عنه فقالوا نعم هو يصلح وجرى فى ذلك اليوم أمر

عجيب مثل أمر فارص وزارح أو مثل ادونيا وسليمان ولدى داءود وهو ان بعد ان استقر تقدمة يوحنا أقام الله واحداً من الأساقفة مثل دانيال فى ذلك الزمان بغير موافقة ولا مشاورة مع أحد وقال هذا لا يكون لنا نحن بطركاً فعند ذلك نزل على جميع الناس سكوت وبهيته حتى أنه لم يجاوبه أحد بحرف واحد فقال الأمير فمن يصلح تقول أنت لهذا الأمر فقال الاسقف بمحضر الجمع ان سيمون مستحق لهذه الرتبة فأمر الأمير باحضاره قدامه فلما نظره سألهم وقال هذا من أى موضع هو فقيل له هو سريانى من أهل الشرق فلما علم قال للأساقفة فما تقدرون أنتم أن تقيموا واحداً من بلادكم فأجابوه وقالوا له أن الذى قد اخترناه قد احضرناه الى بين يديك والأمر لله ثم لك ثم التفت الى المغبوط سيمون وقال له تستصوب ان يكون هذا الشيخ يوحنا بطركاً فاجابه وقال له ما يوجد فى كورة مصر ولا فى المشرق من يستحق مثل هذا وهو أبى الروحانى وربانى من صغرى وسيرته كسيرة الملائكة فلما سمع الأمير هذا تعجب جداً وكان جمع كثير مجتمعاً فخرج صوت من الاراخنة والاساقفة والكتاب قائلين الله يحيى الأمير لنا سنين كثيراً سلم الكرسى لسيمون فهو مستحق البطركية مثل انبا بنيامين كذلك سيمون وأن البيعة مساعده لهما فلما نظر الأمير إليهم وسمع كلامهم لأجل انسان غريب لا يعرفونه بالجملة إلا منذ يومين فامرهم بمعونة الله ان يمضوا به ويوسموه بطركاً وتقدم إلى أكثر الأساقفة بالمسير صحبته فمضوا به الى الاسكندرية وقدموه على الكرسى الرسولى فى البيعة العظماء المعروفة بالانجيليون وكان فرح عظيم للشعب الارثذكسى وسلامة واتحاد فى البيعة والأمور تنمو كل يوم ثم انه اقام اباه يوحنا على أمور البيعة وكان هو يقرأ فى الكتب المقدسة وفى طول حياة يوحنا لم يلتفت الأب البطرك لشىء من أمور البيعة بل سلم جميع ذلك الى يوحنا ابيه كما كان معه فى الدير وكان مطيعاً له ويدعوه ابى ثم انه كتب سنوديقاً الى يوليانوس بطرك انطاكية تعجب منها وانقذها مع اساقفة يذكر له فيها الاتحاد وان هذه الأمانة الواحدة والاتحاد بين الكرسيين الاسكندرية وانطاكية فلما وقف عليها وجدها مملوءة من حكمة الله والكتب الروحانية ففرح جداً وخطب فى بيعته باسم الاب انبا سيمون وكتب له جوابها

واعـاد رسله بكرامـات جـزيلات إلى مصـر فلمـا اقـام ثلث سنين تنيح ابوه يوحنا بسلام واستحق ان يجعل المغبوط سيمون البطرك يده على عينيه حتى أنه كفنه بيده واخذ بركة أبيه وحمله الى الدير ودفنه وقام عنده اربعين يوماً حتى بنى له قبراً وجعل جسده فيه ووسعه لنفسه إذا مات ليدفن معه فيه ثم نزل به تجربة من الله الذى يسبك اصفياءه وينقيهم مثل الذى ينقى الفضة الخالصة من الغش فيصيرون مثل الذهب النقى وبنعمة السيد المسيح صبر حتى نال الأكليل لأنه كان انساناً مملحاً مثل الملح الأنجيلى ليس عنده مراياة ولا بخل لاجل راحة أو اكل أو شرب بل كان زمانه كله غداؤه خبزاً وملحاً مدقوقاً بكمون وبقل وما يشبه ذلك ليضعف قوة شهوات الجسد ويجعله عبداً للروح ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لأنه كان يطلب الانفراد لملازمة أوقات الصلوات ولاجل هذا صار مبغوضاً من اهل الاسكندرية فمضى قوم من الكهنة الى قوم سحرة ودفعوا لهم ذهباً حتى عملوا لهم سموماً بسحرهم للموت وجعلوها فى الاناء الذى كان يشرب فيه وجاؤوا بها إلى الآب سيمون البطرك ليستعمل منه وكان قد تناول من السرائر المقدسة قبل أن يشرب منه فلما شربه لم يضره ثم فعلوا ذلك دفعة ثانية هؤلاء القتلة للاباء فلم يضره ولا ناله سوء فلما نظروا ذلك السحرة بهتوا من أمر هذا القديس ثم انهم اخذوا تيناً حسناً فى غير أوانه وجعلوا فيه سماً قاتلاً وأوصوا الكهنة وقالوا لهم اطعموه هذا وهو على الريق صائم بغير قربان فانه ينشف من وسطه فاتوا إليه بذلك بمكر ومراياة وسألوه وتضرعوا له أن يأكل منه وكانوا قوم يدلون عليه ولقموه من التين المسموم فتحركت عليه احشاؤه فى تلك الليلة واقام اربعين يوماً فى كرب عظيم حتى أن كل احد حتم عليه الموت فاقامه الرب المحيى واظهر فيه اعجوبة فظهر له فى الرويا قائل يقول له لأى سبب صبرت على هذه البلايا فلما وصل الأمير الى المدينة نظر إليه وقد تغير منظره مما جرى عليه فسأل عن سبب ذلك فقبل له من الكتاب ان اربعة من الكهنة سقوه سماً فأمر الأمير ان يحرقوا احياء والساحر معهم خارج المدينة من بحريها فى موضع يسمى الفاروس فعندما أرادوا أن يحرقوهم ركع الأب على وجهه بدموع غزيرة قدام الأمير وسأله فيهم وقال له أن نالهم شىء من اجلى وجب على القطع ولا

يصح لى ان اكون بعد ذلك بطركا فتعجب الامير من حسن افعاله وامر باطلاقهم وأن يحرقوا السحرة احياء لاجل عمل تقدم لهم فاحرقوا بالنار ثم أنه سلم لابا يوحنا اسقف نقيوس تدبير حال الديارات لأنه كان خبيراً بتقلب الرهبان وقوانينهم واعطاه سلطاناً عليهم وكانوا يعمرون القلالى بغير فتور والاراخنة يقومون باحوالهم ثم ان قوماً من المحبين الشهوات اخرجوا عذراء من ديرها ودخلوا بها وادى هبيب واوقعوا بها الفعل سراً فلما ظهر ذلك بين الرهبان كان بينهم قلق عظيم ما لم يسمع بمثله فى ذلك الموضع فاخذ الاسقف الراهب الذى عمل الخطيئة وضربه ضرباً موجعاً وبعد عشرة أيام من تأديبه مات الراهب فلما شاع الخبر اجتمعوا جميع الاساقفة بكورة مصر سراً وسألوا الاسقف عن قضية الراهب فاخبرهم بها واعترف انه الذى ضربه فاوجبوا عليه القطع لكونه تعدى حد الواجب من أدبه فقطعوه فوقف فى وقت قطعهم اياه وكانوا قالوا له ما أنت فى حل ان تدنوا الى شىء من آلات الهيكل من الآن بل تأخذ السرائر كراهب فنادى وقال للشعب كما قطعتمونى ظلماً الرب الإله الذى أعرف اسمه يجعل جميعكم يا اساقفة غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذى حكمتم على فيه ثم اقاموا آخر اسمه مينا من دير ابى مقار عوضه وكان رجلاً وجيهاً قوى الكلام محب الاخوة وبعد أيام قلائل تم كلام الاسقف القديس على الاساقفة المساعدين على قطعة وعلى كل الاساقفة فنزل عليهم امر كان فى ذلك الزمان قوم يتشبهون بالامم وتخلوا عن نسائهم الحلال واخذوا نساء غير الحلال يظهرون محبتهم للشهوة وكانوا يقولون انهم نصارى فيردعونهم الاساقفة ويمنعونهم السرائر المقدسة فمضى منهم قوم الى الأمير وقالوا له قد منعنا ان نتزوج واخرجونا الى أن نزنى فغضب وجمع الاساقفة من كراسيهم الى مدينة الاسكندرية فاجتمع اربعة وستون اسقفاً ولم يعلموا لماذا حضروا ولا السبب فيه وكانوا فى كل جمعة يسلمون على الأمير وكانوا اصحاب المقالات الغير اساقفة مجتمعين وهم ثاوفيلسطس من الخلقدونية وتاودرس كان من اصحاب اوطاخى الغايانيين ومن أصحاب برسنوفة جرجة وجماعة اخر يسمون اساقفة وكانوا ايضاً قد اجتمعوا فلما ان يوم احد وصلت اخبار الى الأمير أن عسكر الروم قام على يوستنيانوس الملك وخلعوه

وولوا عوضه لاوتنيوس فامر الملك للوقت أن يجتمع اراخنة كل كورة وأهل الاسكندرية والاساقفة والمسلمون ليعلمهم بهلاك الروم فاجتمع حينئذ جمع عظيم قالوا قد جرت عادة الروم فى كل وقت ان يخلع ملك ويجلس آخر ثم انه امر فى ذلك اليوم بان تمنع قداسات النصارى وقالوا انهم ضالون يجعلون لله زوجة وولداً ويقولون مقالات كثيرات فى دينهم وشتم قلة اتفاقهم على كلام الدين ثم التفت الى تاودرس الاسقف رئيس الغايانيين وقال له من هو من هؤلاء الثلثة اساقفة اقرب إليك وتقبله نفسك فقال ابا سيمون ثم التفت الى ثاوفيلسطس الاسقف صاحب الملكية وقال له من أقرب اليك وتؤثر دينه فقال دين ابا سيمون ثم قال لجرجس البرسنوفى من أقرب إليك من هذه الاساقفة ومن تقبله نفسك فقال دينى ودين ابا سيمون واحد وهو الذى تحبه نفسى ثم التفت اخيراً الى الآب ابا سيمون منادى الحق وقال من هو من هؤلاء اقرب اليك وتحبه نفسك فاجاب وقال فى المجمع بصوت عال وقال ما من هؤلاء احد يقرب التى ولا احب احداً منهم وانا احرمهم بالكتاب والكلام ومقالتهم المرذولة وشركتهم ومن يساعدهم ومن يتقرب منهم انا ارذلهم مثل اليهود حينئذ صاح الناس بصوت عظيم وقالوا ابا سيمون معترف بالحق بغير زلل وغشى هؤلائك فضيحة وبعد ذلك وصل قس من اهل الهند الى ابا سيمون يطلب منه ان يقسم له اسقفاً للهند ولم يكونوا اهل الهند مطيعين للمسلمين فقال له ما أقدر ان اقسم لكم اسقفاً بغير امر الامير المتولى على كورة مصر امض إليه واعلمه بحاجتك فان امرنى فعلت لك ما طلبته ومضيت مصحوباً بالسلامة الى بلادك فخرج من عنده ليمضى الى الأمير فاجتمع به قوم من الغايانيين ومضوا به الى تادرس رئيس اصحاب فنطاسياس وعرفوه السبب الذى أوصله من كورته فقال له أنا اقضى لك حاجتك ثم اخذ انساناً من مريوط اوسمه له اسقفاً واوسم له كاهنين وانفذهم سراً الى الهند وبعد ان مشوا عشرين يوماً قبضوهم حفظة الطريق الذين من قبل المسلمين وانفذوهم الى الأمير الكبير وكان اسمه عبد الملك فهرب القس الهندى وعاد الى مصر ومضوا بالثلثة الى عند عبد الملك مربوطين فلما علم انهم من كورة مصر ومريوط وهم سائرون الى كورة غريبة قطع ايديهم وارجلهم وانفذهن إلى مصر الى

عبد العزيز وكتب اليه يستعجزه ويقول له كأنك ما تعرف ما يجرى فى بلادك أن بطرك النصارى المقيم بالاسكندرية قد انفذ اخبار مصر الى الهند ويجب عند وقوفك على هذه الكتب ان تضربه مائتى سوط وتأخذ منه مائة ألف دينار وتحملها إلينا سرعة مع الرسل الواصلين إليك من غير تأخير وكان البطرك ابا سيمون يومئذ بحلوان ومعه اسقف فوصلت الكتب الى الأمير من عند اخيه فى ثانى ساعة من الليل فانفذ صقالبه واحضر القديس ابا سيمون وولديه الروحانيين كاتبيه فقال له الأمير خف من الله واحفظ نفسك ولا يخرج من فمك كذب فيما اسلك عنه فاجاب البطرك الاهى أنا اخاف منه ونفسى أنا مدبرها فى العمل لخلاصها بان تكون عاملة الصلاح فى كل حين وأما الكذب فليس اليوم فقط لكن جميع زمانى ارذله لانه من الشيطان عدو البشر وانا مستعد للموت أو للحياه فيما اعرفه من الصدق فانى اقوله امام الله وسلطانك فخمد ناره وغضبه وقال له حقاً وليت احداً اسقفية الهند فاجاب وقال له وصل التى قس من هناك والتمس منى هذا الأمر ورددته وقلت له ان لم تجنى بأمر الأمير فما اقدر ان افعل هذا ثم كتبت له الى الكتاب ليطلعوك على امره وخرج من عندى لما كنت بالاسكندرية ولم يعد التى الآن فلما سمع الأمير هذا القول ظن ان المغبوط خاف من القتل فاخفى الحق فقال له الويل لك هوذا إيدى وارجل اصحابك قد انفذهن الملك التى وقد أمر ايضاً ان آخذ منك مائة الف دينار بعد ان اضربك خمس مائة سوط وقد اخفيت الحق وانا اهلكك واقتل الاساقفة بالسيف واهدم جميع البيع والآن فهذا أمانى ان صدقتنى وزنت عنك المال من عندى ولم ينلك منى سوء فاعلمنى الحق وكان ذلك ليلاً حينئذ اجاب القديس بغير خوف وقال له كرامة الملك ان يحب العدل وشفاة متقلبة دغلة تكون مرذولة والآن على ما ارى لو نزل صوت من السماء يأمرنى بالاحادة عن الحق ما قلت سواه وانت فلا تصدقنى لاجل ما بينى وبينك من وصول الكتب اليك بقضية القوم المقطوعين الاعضاء والناس الذين قطعت منهم والآن فهم والكتب التى معهم تشهد لى وتظهر الحق فان وجدت امامك نعمة فاكتب لينفذوا الناس اليك لتعرف حقيقة الأمر مسهم ومن الكتب لاصادرة على ايديهم ويقولوا لك من انفذهم قال ظهر شىء يخالف قولى افعل ما تريد

فاجاب الأمير وقال له كيف يأتون بقوم قد قطعت ايديهم وارجلهم الى هاهنا اترى بطركاً آخر للنصارى بمدينة الاسكندرية غيرك . لماذا تحاججنى فاجاب القديس سيمون وقال له قد ضقت فى كل جهة الحق ما تقبله منى وانت تلزمنى ان اقول ما لم افعل لكن بموضع الله من قلبك امهلنى سبعة أيام وكلما جرى فانت تقف عليه على حقيقته فقال له لعلك تريد ان تهرب او تقتل نفسك لكن هذا الراهب إيش هو منك فقال له هو ولدى فقال له الأمير انت تستوثق منه فقال له نعم هو مثل روحى فقال له الأمير كما فعل اخى بالمأخوذين السائرين الى الهند كذلك افعل بك ان لم تصدقنى فاجاب القديس وقال له هوذا نحن بين يديك مع الله فمهما اردت فافعل فالذى عندى قد قلته لك فسكت الأمير ساعة وقال انا امهلك ثلثة أيام فامض وانظر ما تفعل ولعل الله يعلمنى الحق فخرج من عنده ودعا الله بخضوع ودموع وسأله أن يظهر للأمير براءته مما ذكر عنه فى هذه القضية وعند مغيب الشمس فى اليوم الثانى نظر ولده الراهب الروحانى الى شاطىء البحر فرأى ذلك القس الراهب الاسود الهندى الذى كان قد جاء إليه وسأله ان يصلح له اسقفاً ماشياً ولم يكن يعلم بشىء مما جرى لأنه كان هارباً فمضى إليه وقبضه ومضى به الى القديس البطرك وقال له يا ابى قد قبل الله صلاتك ايها الاب وكشف ظلامتنا واعلمه انه مسك القس الهندى فاحضره معه الى البطرك فحدثه بالخبر وكيف اقسم له تاودرس الغايانى اسقفاً وكهنة فلما كان غداة اليوم الثالث مضى به الى الأمير وهو محتفظ به وكان مهتماً كيف يخلصه ويخلص تاودرس من الموت فلما نظره الأمير قال له لعلك تقول الحق بغير كذب فاجابه القديس سيمون بعد ان سجد لله على وجهه وقال سلطان الناس من سلطان الله ويجب لمن تولى سلطاناً فى الدنيا ان يكون طويل الروح ممهلاً مثل الله تعالى وفى الصفح واريد ان تعطينى عهد الله لى ولمن ضحر معى فى هذه القضية ان لا تفعل بهم سوءاً ولكن تعفو عنهم لوجه الله ويظهر لسلطانك الحق فاعطاه يده انه لا يناله منه سوء فاحضر إليه القس الهندى فاعلمه بكلما جرى وان سيمون برىء من هذه القضية فلما علم الأمير انفذ الهندى الى السجن وامر أن يؤخذ تادرس يصلب وشكر القديس سيمون البطرك وفرح به وعرف صدقه وكتب الى عبد

الملك اخيه يعلمه بما جرى وان ليس لبطرك النصارى بمدينة الاسكندرية فى هذه القضية شىء وانه برىء منها ومدحه عنده وذكر له صلاحه وسداده وعفافه ووفى له بما عاهده عليه انه يهب له تادرس والقس الهندى وعلم ان ليس عنده غش وبعد ثلث سنين اطلق الاساقفة الى كراسيهم وأمر لهم أن يبنوا بيعتين فى حلوان وكانوا الاساقفة ينفقون من عندهم على عمارتهما ووكل الوالى بعمارتهما اغريغوريس اسقف القيس وكان الأمير محباً للعمارة وبنى حلوان واعمر فيها فساقي وكذلك مصر بنى فيها دوراً وقياسر وحمامات وفى كل مكان على البحر من مصر الى اسكندرية وامر بحفر بحر الاسكندرية من بحريها عند ترعة نقيطا وان تبنى عليه اميال الى مدينة الاسكندرية وكذلك المدينة اقام شوارعها بعد ان سقطوا وكان يستعمل الناس مثل فرعون فى زمانه واشياء كثيرة فعلها تضيق السيرة عن شرحها خوفاً من التطويل وكان هذا القديس سيمون مجتهداً طول عمره ان لا يكون له عثرة بين النصارى والمسلمين ولا يخسر احد م اجله وكان الرب يظهر عجائبه على يديه وكان له اقنوم قد ولاه الديكويه وهو قس وتحت يده كلما للبيعة وكان يوصيه فى كل وقت ويقول له يا قس مينا انظر لا ترفض بالبيعة فى كتاب ولا شيد لها تدعه فى منزلك فينزل عليك البلاء فلم يطب قلبه بهذا وكان الرب لم يعطه ولداً كما ضرب ابكار مصر فى ذلك الزمان وكان يضمر التوبة ولا يرتدع ثم ان الله انزل عليه سرعة علة التصق لسانه بحنكه وزال عقله وكان يمضغ لسانه وهو نائم على فراشه وثلثة رجال يمسكونه مما كان يفعله بنفسه فحملوه الى بيته وكان الاب سيمون البطرك مهموماً لاجله ولاجل مال البيعة لأنه تحت يده ولا يعرفه غيره فسهر وسأل السيد يسوع المسيح ان يقيمه من هذه العلة لاجل البيعة فلما كان النصف من الليل وصل الخبر الى الاب البطرك بان القس مينا قارب الموت فانفذ ولداً له وتقدم إيه بان يسأل زوجته ان كان قال لها شيئاً عن مال الكنيسة ومن قبل ان يصل رسول البطرك الى البيت خرج صوت صارخ بان القس قد مات ولما توفى البسوه ثياب الكهنة واضجعوه على مرقده كعادة أهل الاسكندرية وهو لابس ثياب قداسه فلما وصل ولد البطرك الى البيت الذى كان فيه مضطجعاً وحوله جمع كثير من الكهنة لاجل كهنوته

وطقسه يطنىء من عليه الأخ ليقبله فوثب جالساً وعلق يديه فى رقبته وقال الله الواحد الاه الاب الطوبانى انبا سيمون فلما نظروه الجموع الذين حوله هربوا خوفاً من ذلك الاخ الذى مسكه فقال له ثق وتقو وتصبر يا قس مينا فاجاب وقال له بصلوات سيدى الاب البطرك ابا سيمون وهب الله لى الحياة دفعة أخرى فاستدعى الاخ الكهنة وبقية من كان فى البلد وعرفهم ان القس مينا تكلم فقال لهم القس مينا وهو مبهوتون متعجبون انى مت مثل كل الناس الذين يموتون ومضى بى رجلان منيرات فاقاما بى قدام منبر المسيح الملك العظيم الكبير فنظرت الاباء البطاركة من الاب اسحق الأول الى البشير مارمرقس فى طقوسهم وبخونى قائلين لماذا اخفيت مال البيعة وكلما لها عن خليفتنا ابا سيمون ثم اوقفت امام المسيح الملك فقال امضوا به الى الظلمة البرانية وفيما هو يجبذونى سجدوا القديسون البطاركة إلى السيد المسيح قائلين بسؤال تراءف على ولدنا هذا العبد ان تطلقه هذه الدفعة لأنه لم يظهر مال البيعة وهذا اخونا سيمون يدعو بسببه فأمر باعادتى دفعة اخرى وقال لى هكذا تموت وتستحق الموت ولكن لاجل مصطفاى وخليفتى سيمون انا اطلقك هذه الدفعة ولذا انت لم تتمسك بالتوبة ولم تشفق على نفسك وإلا فانت تعود الى هاهنا ولا اقبل فيك سؤالاً ثم قام ونهض وقد عوفى ثم اخرج جميع مال البيعة وسلمه للاب القديس ابا سيمون وسلمه الاب البطرك الى ولده الروحانى ومكث عنده الى حين نياحته بخوف الله ومجد جميع الشعب الله صانع العجائب فى قديسيه على هذه الاعجوبة العظيمة ثم ان الاب البطرك ابا سيمون اختار قوماً روحانيين مضيئين فى افعالهم متبحرين فى الكتب والحكمة والعلوم فاوسمهم اساقفة على كل مكان واول اولاده الآب انبا زخارياس اسقف مدينة سخا وابا طلموس الاخ الروحانى اخوه فى الرهبنة جعله اسقفاً على كرسى منوف العليا [١] وكثير يسهون هؤلاء أوسمهم وفرقهم على الكراسى يرعون الخراف الناطقة واقام تسع سنين ونصفاً بطركاً ثم اعتل فى يوم الخمسين وعلم انه وجع نياحة فقال لولده نمضى إلى الوادى المقدس وادى هبيب أخذ بركة الاباء القديسين والرهبان فاننى ما ارجع اشاهدهم بعد هذه

(١) مركز منوف

الدفعة فى الجسد فانحدر من حلوان لانه كان قد توجه اليها من الاسكندرية بسبب الاساقفة حتى فرقهم فى الكراسى وانحدر الى وادى هبيب واخذ بركة الاباء القديسين الرهبان وتوجه الى الاسكندرية فانتقل باحكام الله الغير مدروكة الى كورة الاحياء فى الرابع والعشرين من ابيب الموافق للثامن عشر من يوليوس فى شهور الروم سنة اربع مائة وست عشرة لديقلاديانوس الملك الكافر قاتل الشهداء وتقدم لاولاده ان يجعلوا جسده فى دير الزجاج موضعاً جعل فيه جسد ابيه يوحنا واجتمع رهبان الديارات بها ناطون حتى كملوا عليه الصلوات ونزل جسده الى قبره بتمجيد وتهليل السيد المسيح الذى ينبغى له المجد والكرامة مع الاب والروح القدس المحيى الى الابد والدهر امين .

تمت السيرة السادسة عشر انتهت سير الاباء رزقنا الله بركة صلواتهم الى سيرة انبا سيمون وهو الثانى والاربعون بطركاً سوى ما نقلناه من دير ابى مقار وهى سير عشرة بطاركة من خايال الأخير الى سانوتيوس الاول سوى ما نقلناه هاهنا تسعة بطاركة وذلك فى سنة سبع مائة وست وتسعين للشهداء من بقيرة الشماس ومن ميخائيل ابن بدير الدمنهورى بفضل الله بوجودنا السير فى دير ابى مقار بالاخ تادرس الامين ابن بولس فى يوم الأحد سادس بؤونة سنة سبع مائة سبع وتسعين للشهداء الابرار وقابلنا بعضها مع بعض فوجدناها موافقة لنا نسخناه فتحققنا صحتها .

السيرة السابعة عشرة من سير البيعة المقدسة

الواجب أن نذكر ما قد كان من بعد وفاة الأب الجليل الكريم الطوباتى راعى الصالح أبا سيمون الذى سمع من السيد يسوع المسيح القول إنها العبد الأمين أميناً كنت على القليل أنا أقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك فاعلموا الأمير عبد العزيز والكتاب بمصر بوفاته فلحقهم عليه وجع قلب وحزن لأن جميع النصارى فقدوا راعيهم فى وقت صعب وبلايا من الولاة ولم يزل السيد المسيح يدبر البيعة وكان أثناسوس المؤمن متولى الديوان وكان مراعياً لأمر البيع ثم أنه هو والكتاب تقدموا إلى الأمير برأى موفق وقالوا له أن أمر البيعة بالاسكندرية بلزمها خراجاً عظيماً ونحن

نسألك ان تنفذ باغريغوريس الأسقف إلى الأسكندرية ليحتاط على مال البيعة وكلما يتعلق بها فالله فى عمرك إنها الامير فأجابه عبد بالعزيز داى ما سأله وانفذ اغريغوريس سقف القيس إلى الأسكندرية وجعل له الأمر فى مال البيع وإبسقوبية البطرك وتدبيره برأيه فكتب له بذلك سجلاً وأخذه وسار وكانوا مهنتين بمن يقدمونه بطركاً موافقاً لغرضهم من يعرف بالحكمة والعلم فاقاموا ثلث سنين هكذا إلى أن أراد الرب وطاب قلب الولاة على ذلك بعد سؤال عظيم وبارادة الله السيد يسوع المسيح العارف بمن يختاره من الطاهرين المنقين النقيين القلوب قدموا القس الأكسندروس من دير الزجاج وكان راهباً يتولا وديعاً لم يكن فيه عيب عالماً بالكتب من صغره وأحضروه إلى الأمير فنظر النعمة فى وجهه فاطلق لهم بارادة الله ان يقدموا الأكسندروس .

الأكسندروس البطرك وهو من العدد الثالث والأربعون

فاتفق الشعب الأرثذكسى بحضور جماعة من الأساقفة والكهنة وكتاب الديوان فكرزوا الأب الأكسندروس بطركاً فى يوم عيد القديس مار مرقس الذى هو أخر برمودة سنة أربع مائة وعشرين لديقلاديانوس ونال كورة مصر مسرة عظيمة وخاطة الأرثذكسيين لكون البيعة كانت معطلة ثلث سنين وكانوا فيها كاليتامى وكان الرب مع الأب الأكسندروس يسهل جميع اموره لتواضعه وعفته واتكاله على الرب وحده مدبره فلما مضت أيام يسيرة ومر مستريح أثار الشطيان شعثاً على الأساقفة مما نذكره كان لعبد العزيز ملك مصر ولد أكبر أولاده يسمى الأصبغ وكان يظن انه يجلس عوض ابيه اذا توفى فولاه على جميع الكورة والياً ومستخرجاً وكان جميع الطقوس سامعين له بخوف لأجل انه ولد الأمير ولما دفع له من السلطان وكان مبغضاً للنصارى سفاك الدماء رجل سوء كالسبع الضارى ثم أنطوى إليه شماس اسمه بنيامين فكان يعمر له وكان يحبه اكثر من جماعة أصحابه ويظهر له اسرار النصارى بسعايته حتى أنه فسر له الأنجيل بالعربى وكتب الكيميا وكان يبحث عن الكتب لتقرئ عليه وكذلك الأرطستيكات كان يقرؤها لينظر هلى يشتمون فيها المسلمون أم لا ولم يكن يتخلى

عن سوء يعمله مع النصارى وكان أصحاب النار المخالفون يسعون عنده بالرهبان النصارى وقولون أنهم يأكلون ويشربون فانفذ صاحباً له اسمه يزيد ممن يأمن إليه ومعه آخر فاخص« جميع الرهبان فى كل الكور ووادى هبيب وجبل جراد وسائر الأماكن وجعل عليهم جزية ديناراً واحداً على كل نسمة وأمرهم ان لا يرهبوا احداً بعد من اخصاه وهذه أول جزية وزنوها الرهبان من الكافر الأصبغ ثم ان اساقفة الكور الزمهم ان يقوموا بالفى دينار خارجاً عن خراج وساياهم وكانوا يقومون بذلك فى كل سنة وكان يفعل افعلاً عظيمة ويلزم الناس ان يصلوا صلاته وكان بنيامين الشماس الراهب اشر على النصارى من كل احد ويهيجة على كل بلاء واضطر جماعة إلى ان اسلموا ومن جملتهم بطرس والى الصعيد واخوه تاودرا وولد تاوفانس مقدم مربوط وجماعة كهنة وعلمانيين لا يحصون من كثرتهم فلم يمهله الرب يسوع المسيح وفى زمان يسير أزعجه من مسكنه لبغضه للشعب المسيحى وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الى دير حلوان نظر الى الصور مزينة كما يجب وكانت صورة السيدة الطاهرة مرتمريم والسيد المسيح فى حضنها فلما نظر اليها وتأملها قال للأساقفة وجماعة معه من هذه الصورة فقالوا هذه مريم أم المسيح فافترى عليها وملأ فمه بصاقاً وبصق فى وجهها وقال أن وجدت زماناً فانا أمحق النصارى من هذه الكورة ومن هو المسيح حتى تعبدوه الها ولما كان فى تلك الليلة انزل الله عليه انتقاماً فاصبح جاء إلى ابيه فوجده جالساً وعنده جماعة من المسلمين ومن النصارى وكان يوم أحد الفصح المقدس فجلس وقال لوالده يامولاى ان الشياطين عذبتنى فى هذه الليلة فقال له أبوه كيف يا ولدى فقال نظرت وكان واحد جالساً على كرسى عظيم مهاباً جداً ووجهه يشرق نوراً أكثر من شعاع الشمس وحوله الوف وربوات حاملين السلاح ولباسهم أبيض كالثلج وأنا وأنت خلقه قياماً مربوطين بسلاسل حديد فسألت واحد بصوت خفى من هذا الذى أخذ ملك أرض مصر من أبى فقال لى ما عرفت هذا الى الأن فقلت له فى المنام ومن هو هذا فأجاب وقال هذا يسوع المسيح ملك النصارى الذى هو اجل وأعلى من جميع ملوك الأرض هذا الذى هزنت به وبصقت فى وجهه أوراك ضعفك فى المنام أنت البائس وأباك وأوراك

مجده وجلالته وفيما هو يقول لى هذا واذ قد جاء الى واحد من حاملى السلاح وأنا عريان فطعننى بحربة فى جنبى ولم يقلعها حتى أسلمت روحى اليهم وهم الشياطين الذين سخرونى فلما سمع والده حزن جداً وحم الصبى للوقت بحمى عظيمة وحمل لوقته وأضجعوه على فراشه ولم يفتح فاه بعد ذلك والده عنه وبعد أربعين يوماً مات أبوه كما رأى ولده الكافر المنام فلما جرى ذلك مضى ثناسيوس المؤمن المحب للمسيح هو وأولاده إلى الأمير الكبير عبد الملك الى دمشق فقبض على أثناسيوس هناك وحاسبه فاخذ منه كلما كسبه بمضى بأخلاف عملها له ثم أنفذ ولداً له اسمه عبد الله يحتاط على كورة مصر فلما وصل الى كورة مصر فعال إيضاً افعال سوء وكان جميع الأراحة خائفين منه لفعله الذى حسنه له الشيطان وصنع آلات يعذب بهن الناس وكان كالوحش الضارى حتى انه فى اكثر أوقاته اذا جلس على المائدة يقتلون الناس قدامه وربما طار دمهم فى الصحن الذى يأكل منه فيفرح بذلك وفى تلك الأيام خرج الطوبانى الأكسندروس وسار الى مصر ليسلم عليه كالعادة من البطاركة والولاة فلما نظر اليه قال ايش هو هذا قالوا له هذا أب وبطرك جميع النصارى فاخذه وسلمه اراحد من حجابه وقال له أفعل ما تريد من الهوان الى ان يقوم بثلثة الاف دينار فاخذواقام عنده ثلثة ايام والنصارى مواصلون المسأله له ان يحط شيئاً مما قاله فلم يفعل وكان جميع من فى الكور تحت قلق عظيم لذلك ووقع خوف عظيم على الأساقفة والرهبان لأجل ما جعله على البطرك من المال فلما نظرذلك جرجة الشماس القمراوى أنه ما يخرج عن البطرك الا بعد ان يأخذ المال تقدم اليه وقال له ياسيدنا تطلب نفس البطرك أو مالاً فقال له أريد المال فقال له الشماس جرجة ضمنى اياه مده شهرين انحدر به الى بحرى أطلب له من الاراحة والنصارى واقول لك عنه ثلثة الاف دينار فسلمه اليه فطاف به المدن والقرى على المؤمنين بالمسيح حتى حصل المال وحمله وكان يجمع له الاساقفة والمقدمين والرهبان فيهزأ بهم يتجر بكلام صعب ويقول لهم أنتم عندى مثل الروم ومن قتل منكم واحداً غفر الله له لأنكم اعداء الله ولما استوفى الخراج من الناس الذى حرت به عادتهم استثنى عليهم وجعل على كلمن عليه دينار خراج دينار وثلثين حتى ان بيعاً كثيرة

خربت بهذا السبب وكان محباً للمال جداً ثم امر بأن يجمع جميع بلاده من ابن عشرين سنة الى ما دور ذلك فساروا وجمعوا وكان الذين اقامهم لذلك من أصحابه وحدين وهما عاصم ويزيد ومعهما جماعة من الأعوان وانزلوا على الناس بلايا عظيمة وقتل لأجل ذلم جماعة وأوسموا الغرباء الذين وجدوهم على أيديهم وجباههم وأنقذوهم الى مواضع لم يعرفوها وكان على الأرض قلق واضطراب وامر ان لا يدفن ميت حتى يقومون عنه بالجزية وولى انساناً اسمه محمد على ذلك حتى ان المستورين الذين لا يقدرون على الخبز اذا ماتوا لا يدفنهم احد الا بأمره فما أعظم الحزن والشقا والتنهد الذى كان بارض مصر والصعيد لأفعالهم حتى انتقم الرب منه سرعة بعد ان اقام سنتين يفعل هذه الأفعال فقبض الرب نفس عبد الملك ابيه وتولى موضعه ولده الأكبر وكان اسمه الوليد ولما جلس علي كرسى الملك بدأ يعزل الولاة ويولى غيرهم من أصحابه فولى واحداً مصر اسمه قزة ولم تيعرف ذلك الكافر عبد الله وبينما هو جالس فى قصره وصل التوالى عوضه بغتة وجلس موضعه فلحقه لذلك فضيحة عظيمة وخزى وأنزل قزة بلايا عظيمة على أصحاب عبد الله والنصارى والمسلمون طرحهم فى السجون أقاموا فيها سنة وكان فى ايامه انسان ارثذكسى اسمه يونس من دميرة وكان ذا أمر ونهى وفعل قزة بلايا بالبيع والرهبان حسب مايأتى شرحه وكانت مملكة الروم مثل لعب الصبيان فلما خلعوا الروم يوستنيانوس الملك ملكوا لاون موضعه وقتل لاون قبل ان يكمل له ثلث سنين فى الملك وملك بعده اسماروس وقتل جماعة من البطارقة فى القسطنطينية وقتل البطرك وملك وأطلق سبياً كثيراً من بلاده وعادوا الى بلادهم وزود كل واحد بثلثة دنانير نفقة الطريق وملك بعده فيلابكوس وبعد سنتين ملك انسطاسيوس الى الأن يعنى بقوله الى الأن الى زمان وضع السيرة وكان متولى ديوان الأسكندرية تلك الأيام تاودرس وكان بينه وبين الأب البطرك الأكسندروس معاداة عظيمة فلما وصل قزة الى مصر مضى الأب البطرك كالعادة ليهنه بالولاء ويسلم عليه فلما وصل اليه قبض عليه وقال له الذى قضه منك عبد الله بن عبد الملك نحتاج ان تقوم لى بمثله فقل له الأب البطرك شرعنا يأمرنا ان لاتكون لنا قنيه ولا تكثر ذهباً ولا

فضة بل نصرف حاجة يوماً فيوماً لما نحتاجه من الكلف والفقراء والمحتاجين وأنما فعل بى عبد الله ما فعل سعاية ناس السوء حتى طلمنى والزمنى ثلثة الاف دينار ولم يجد معى منها شيئاً حتى أخرجنى الى البلاد كالمكدى أتصدق حتى وفق الله ما طيب به نفسى وعلى الى الأن خمس مائة دينار فمن أين يكون معى شئ فقال الأمير فتحلف لى ان ليس معك ذهب فقال له قد أمرنا الله ان لا نحلف البتة فصدقنى الأن ان خراج اواسيى الذى لا بد من القيام به لا اقدر عليه والله أعلم ان ليس عندى ذهب فقال الأمير هذا كلام ما ينفع ولو انك نبيع لحمك لا بد من ثلثة الاف دنار والا فما تخلص من يدى فلما رأى انه لا يخلص منه ساله ان يسيره الى الصعيد ومهما فتح الله من صدقات الناس ارسله اليه فتركه قزة وطلع الى الصعيد يطوف المدن والقرى ويسأل فكان الرب يسوع المسيح يشفى اعلاء كثيراً بصلواته وكان كل أحد يفرح به ويقول ان من زمان الأب بنيامين ما رأينا بطركاً فى الصعيد الا هذا الأب ولقى تعباً ومشقة وغربة حتى ان الشيطان مبغض الخير فعل هذا الأمر وهوان سائحاً كان اسمه فيتباسطس وهو مقيم علي صخرة ومعه راهبان ولداه فامرهما ابوهما السائح ان ينضفا له موضعا خارجا عن الصخرة وفيما هما ينضفان ويحفران وجدا خمسة كيزان نحاس مملوءة مالاً من سكة الروم فاخفوا أحدهم وأظهروا الأربعة للسائح فقال لهما الشسخ السائح بقلب طاهر هذا جميع ما وجدتماء قالا نعم فسر بذلك ثم قال لهما الرب قد وفق هذا المال للاب البطرك لأنه مطلوب بما ليس معه ثم انفذ الى وكيل البطرك وكان اسمه جرجة الراهي والى كاتبه فاحضرهما وسلم لهما الأربعة كيزان وقال لهما خذا هولاء ادفعاها عن الأب الأكسندروس البطرك فأخذاها ومضيا ودفناها بفعل سوء وكان الأب البطرك غائباً يجمع فى لصعيد فأخذ الراهبان ولداً السائح الكور المال اقتسماه وبديأ يفعلا افعالاً غير مرضية وتركا الرهبنة وابتاعا لباساً فاخراً وجوارى سرارى فقبض الوالى والكاتب على احدهما وقالا له من أين لك هذا المال وعاقبوه فلما احرقه الضرب قال لهم عاهدونى ان لا تفعلون معى سوءاً واعرفكم كل شئ فعاهدوه فاعلمهم خبر الخمس كيزان وانه هو ورفيقه اخذا منهم واحداً وان الأربعة كيزان الأخر عند وكيل

البطرك وكاتبه فاعلموا قزة بذلك سرعة فأمر بغلق الأبسقوبيون واخذ كلما فيه من الأوانى والذهب والفضة والكتب والبهائم وأنزل بلايا عظيمة على أصحاب البطرك وأخذ الأربعة كيزان المال سوى أوانى البيعة ومال الأبسقوبيون وانفذ الى الصعيد وأحضر البطرك وهم بقتله بسبب يمينه ان ليس معه ذهب ولما أخذ منهم الأربع كيزان هرب جميع أصحاب البطرك مثل الحواريين ذلك الزمان فلما أحضروا البطرك اليه صر باسنانه عليه واراد قتله فمنعه الرب عنه فكبله بالحديد وطرحه فى السجن فاقام سبعة أيام ثم بعد هذا الزمه ان يقوم بالثلثة الأف دينار ولحقه تعب عظيم وضيق الى ان تخلصت له الف دينار بعد سنتين ثم حلت بالاب القديس تجارب كثيرة وهو صابر عليها ثم انت قوماً اسراراً مضوا وسعوا به ان عنده قوماً يضربون الدنانير وان عنده سكة وفيما هو جالس فى تاسع ساعة من النهار فى بعض الأيام يفطر وليس عنده علم الا وقد أحاطوا بالابسقونية وان أهل مدينة الأسكندرية والكاتب بأمر قزة قد قبضوا عليه وعلي أصحابه وطرحوه على الأرض وضربوا أصحابه وعوقبوا حتى سالت دماؤهم الى الأرض وكادوا يموتون من العقوبة ووجدوا ما سعوا به عليه باطلاً ولم يزالوا فى هذه البلايا الى اليوم الثانى من أمشير سنة أربع مائة وثلثين لديقلاديانوس ثم بعد هذه البلايا التى نالت الأب قاموا عليه اهل الأسكندرية والكهنة والزموه ان يقوم لهم برسوم ودياريات فى ثالث عيد الفصح ولم يكن له شي يدفعه لهم وكان يقول لهم يا أخوة قد نظرتم نهب جميع مال البيعة حتى الكاسات اللاتى يرفع فيهن الدم الزكى جعلنا عوضاً من الذهب والفضة كاسات زجاج والدسقسات خشباً من أجل نهبقزة لهم وكانوا يبكتونه بكلام كثير صعب وهو صابر على تنكيتهم وداع الى السيد المسيح راعى الرعاة ان يتسلم منه شعبه بسلام والرب يسوع المسيح فعل فى أيامه أموراً عجيبة لأنه مهتم بخلاص كل احد من الناس كان انسان اسمه يونس ارخن رزقه الله قبولاً عند الولاة فمضي الى قزة وقال له يجب ان تعلم ان الرهبان والأساقفة الذين فى سائر الأماكن قد نقل عليهم الخراج وهاهنا أمر سهل منهم من هو مكثر ومنهم من لا يقدر على قوته ونحن نعرف حال ساءر النصارى فان رأيت ان تولينى أمرهم استخرجت الخراجات فولاه

على الاساقفة والرهبان فلما اعطاه السلطان قال لقرة ان فيهم من لا يؤمن بامانة النصارى القط ولا يصلون مع المسلمين فميا ترى ان افعل بهم فقال افعل بهم ناموس النصارى وأضعف الجزية عليهم فخرج من عنده بتدبير الله ومضى أولاً الى كرسى ما وهو كرسه وكان هناك قوم مخالفون وهم غايانيون وشمطيكيون الذين ليس لهم بركة فازال مقالتهم النجسة وستدهم باسم الأب والابن والروح القدس فاضاء عليهم نور المعمودية وابتهجت نفوسهم ثم مضى إلى المنى وكان اسقف كرسيه ابا هور عمد الرهبان هناك عند دحضهم الخلاف وكذلك الغايانيون والرسنوفيون الذين هناك أشركتهم مع الأرثذكسيين وخرج من هناك مضى الى وادى هيب وكان هناك ايضا مقالة الغايانيين من مدة مائة وسبعين سنة من وقت الفرق على يد يوليانوس اعادهم ايضاً الى الأمانة الارثذكسية وجمع كل البيع مجمعاً واحداً بنعمة السيد المسيح معينه وليس هؤلاً فقط بل وفى كل موضع يجد فيه أصول مرة التى هى المقالات النجسات من الرهبان أو من غيرهم وفى مدينة بنا وبوصير وسمنود وأعمالهن ورشيد ودمياط قلعهم الرب من أصولهم ورمى بهم وجمع كورة مصر جعلها اتحاداً واحداً وامانة واحدة وابطل سائر المقالات النجسات وكان الأمير قزة محباً لجمع المال وكان كل ارخن يموت يأخذ جميع ماله وكان قد مات صاحب ديوان الأسكندرية وبقيرة الذى كان كاتباً من تنيس وجماعة لا يحصون من مصر وأخذ مالهم حتى الأساقفة أخذ ميراث الجميع وزار على البلاد مائة الف دينار سوى خراجها المعروف وكانوا الناس يهربون ونساؤهم وأولادهم من مكان الى مكان ولا ياويهم موضع من أجل البلايا ومطالبات الخراج وعظم ظلمه أكثر ممن تقدمه ثم انه ولى انساناً اسمه عبد العزيز من مدينة سخا وكان يجمع الذين يهربون من كل موضع ويردهم ويربطهم ويعاقبهم ويعيد كلهم الى موضعه وكان علي الناس بلايا عظيمة ثم انزل الله على ارض مصر وباء عظيماً وصار من يموت كل يوم لا يعرف عددهم وكان أكثر من يموت من المسلمين ثم دخل الوباء منزل قرة فماتوا نساؤه وغلمانه وكان يهرب موضع الى موضع خوفاً من الموت حتى فرغ من أجله فمات بغتة بموتة سوء وقد كان يوليانوس بطريرك انطاكية الذى مسك البيعة من أيام يوحنا بطرك

الأسكندرية الى ايام الأب الأكسندروس وتنيح ومضى الى النعيم الأبدى فاجتمعوا أساقفة المشرق ليقيموا لهم عوضاً منه وكان الوالى عليهم اسمه الوليد لم يمكنهم من ذلك وقال ما أدع بطركاً يتقدم فى أيامى وكانوا حزاناً لأجل ذلك فعمدوا الي أسقف خائف من الله ممتلئ من نعمة روح القدس اسمه ايليا أجلسوه على الكرسى بيعة أنطاكية وكتب سنوديقا بناموس العتيقة وأنقذها مع أسقف اسمه استفانوس الى الأب البطرك الأكسندروس لما بينهما من الأتفاق وكان القديس الأكسندروس يفتقد المواضع فاجتمع به فى وادى هيب فسلم له السنوديقا من الأسقف أنبا ايليا الذى اجلسوه على كرسى أنطاكية فوجدها موافقة للأمانة المستقيمة فقبلها بفرح واحضر مقدمى الكور واعلمهم ما جرى فى المشرق من منع الوالى للمؤمنين من تقدمة بطرك وان الأساقفة استخلفوا أسقفاً عوضه ليتم الشرطونيات الى حين زوال الغضب وقد كان مثل هذا فى زمان اغريغوريوس الثاولوغس وابينا تاوفيلس كان بالاريانيين والأكاكيين وفادت الضرورة الى ان أستدعوا الى القسطنطينية اغريغوريس المذكور وسلمت له البيعة ولهذا طابت نفوس الأساقف بمصر والبطرك وكتب جواب السنوديقا لأستفانوس ومن معه ومضى يسلام الى كورته ولما تولى تادرس أمور الأسكندرية فى أيام الأب الأكسندرس كان هناك طبنيب من أهل الأسكندرية فى أيام الوليد اسمه أنوبيس الذى هو وجه الحمار فلما وجد الوسيلة سأل الأمير ان يأمر ان يقدمه بطركاً من الأسكندرية وكان رومياً خلقدنياً مجدفاً فقبل سؤاله وكان كاتب اسمه انسطاسيوس من الأسكندرية ودفع هذا الكاتب الف دينار للأمير حتى جعل الغير بطرك الخلقدونى بمدينة الأسكندرية وكان يقاوم الأمانة المستقيمة ويتهزأ بالأكسندروس وبالخاصة اذا لحقه تجربة فى ذلك الوقت ثم ان الشعب اراد قطع الخلقدونى وقاموا عليه فانهزم ومضى الى الأكسندروس الأب وسأله بخضوع واعذر عما كان بلغه عنه ورغب اليه ان يقبله فى الأمانه الأرثذكسية فقبله بمحبة مسيحية وعاد الى وصايا الله الذى قال اذا رأيت حمار عدوك ملقياً مثقلاً فلا تولى عنه الى ان تنهضه ولم يذل على الأمانة الأرثذكسية ثم قام على البيعة تجارب وخرج أمر سوء بان تقلع من البيع العمد الملونة والرخام الذى فى البيع ويحمل

جميعه وكان الأب البطرك حزيناً لأجل بيعته لأنها صارت خراباً لأجل ما فعلوه معه وهو مع هذا يشكر الله ويصبر بشجاعة ثم ان امرين صعبين حدثا فى سنة أربع مائة واحدى وثلثين لديقلاديانوس فى ثالث عشر سنة من الدكتيون لأجل خطايانا وعظم أفعالنا وذلك ان من بعد موت قرة انفذ الوليد عوضه الى مصر والياً اسمه اسامة فلما وصل الفسطاط التمس علام جميع الكور وكتبها بالعربى وكان كبير الفهم فلما بدأ بذلك حدث غلاء عظم لم يسع مثله من الجيل الأول ومات فى ذلك الغلاء اكثر ممن مات فى الوباء وأشرفت جميع الأغنياء والفقراء على الموت ثم ان رجاء عظيماً اقبل حتى انتهى القمح الى خمسة وعشرين اردباً بدينار وبعد قليل وافى ايضاً وباء فأفنى العالم ولو لم يرحم الرب من بقى منهم على الأرض لم يبق منهم أحد وكان الأمير مقيماً على فعله السوء وكان المسلمين والنصارى تخائفون منه ثم تقدم ان لا بأوى احد غريباً فى البيع ولا الفنادق ولا فى السواحل وكانوا خائفين منه وطردوا من كان عندهم من الغرباء وتقدم الى الرهبان ان لا يرهبوا من يأتى اليهم ثم أخصى الرهبان ووسمهم كل واحد منهم بحقة حديد فى يده اليسرى ليعرف ووسم كل واحد باسم بيعته وديره بغير صليب بتاريخ مملكة الأسلام وكان فى سنة ست وتسعين للهجرة قلق على الرهبان وضيق على المؤمن واذا ظهروا بهارب أو غير موسوم قدموه الى الأمير فيأمر بقطع احد اعضائه ويبقى اعرج ولم يكن يحصى عدد من شوه به على هذه القضية وحلق لحى كثير وقتل جماعة وقلع أعين جماعة بغير رحمة وكان يقتل جماعة تحت العقوبة بالسياط وكان من محبته للدنانير يأمر الولاة ان يقتلوا الناس ويحضروا اليه مالهم ويكاتبهم ويقول سلمت لكم انفس الناس فتحملوا ما تقدرون عليه من أساقفة ورهبان أو بيع أو كل الناس فاحملوا القماش والمال والبهائم وكلما تجدونه لهم ولا تراعوا احداً وأى موضع نزلتموه فانهبوه وكانوا يخربون المواضع ويقلعون العمد والأخشاب ويبعون ما يساوى عشرة دنانير بدينار حتى صارت الفضة خمسة وثلثين درهماً بدينار والقمح أربعين أردباً بدينار والنبيذ أربعين مطراً بدينار والزيت مائة قسط بدينار وكلمن معه شئ يخاف عليه ان يظهره لئلا يعاقب ومن الضيق والضنك هموا الناس ببيع أولادهم

واذا اعلموا الأمير بهذا لم برق قلبه ولا يرحم بل يزيد فيما هو فيه وكان يكتب ويقول كل موضع يوجد فيه انسان ماشياً أو عادياً من موضع الى موضع أو طايعا من مركب أو نازلاً وليس معه سجله يوخذ وتنهب المركب وما فيها وتضرب النار واذا وجدوا من الروم فى البحر فيحضرونهم اليه فمنهم من يقتله ومنهم من تصلبه ومنهم من يقطع يديه ورجليه حتى انقطع الطريق ولم يبق من يسافر ولا يبيع ولا يشترى وثمرات الكروم تلفت ولم يبق من يشربها بدرهم واحد لأجل قيام أربابها عند داره شهرين ينظرون السجل بالافراج عنهم واذا اكل فار سجل الأنسان أو اصابه ماء أو نار أو شئ من العوارض وبقى معه منه قطعة أو جميعه وقد تغير رسمه لا يغير له حتى يدفع خمسة دنانير غرامة وبعد ذلك يغير له وكانت امرأة أرملة أخذت سجلاً لولدها اليتيم الوحيد ترجو من عمل يديه ما تقتات به فخرجت من الأسكندرية إلى اغراوة وخرج الصبى الى البحر يشرب ماء فخطفه التمساح والسجل مربوط معه وامه تبكى وتحترق عليه فرجعت الى الأسكندرية فأعلمت الأمير الغير مؤمن ماجرى عليها فلم يترأف عليا بل اعتقلها حتى وزنت عشرة دنانير بسبب السجل وأنها دخلت المدينة بغير سجل وباعت ثيابها وكل ما لها وطافت تتصدق حتى أوفت العشرة الدنانير وكان الشيطان الذى كان موافقاً له وقلبه مثل قلبه يلقى فى قلبه كل اليوم السوء ثم أنفذ كشف الديارات فوجد فيها جماعة من الرهبان بغير حلق فى ايديهم فمنهم من ضربت رقبته ومنهم من مات تحت السياط ثم انه ستر باب البيعة بالحديد وطلب منهم الف دينار وجمع مقدمى الرهبان وعذبهم والتمس منهم عن كل واحد منهم ديناراً وقال متى لم تقوموا بذلك هدمت البيع واخربتها وجعلتكم فى مراكب الأسطول فقلقوا شيوخ الرهبان وتمنوا الموت ولم يعلموا ما يصنعوا ولم يكن لهم الا أجتماعهم فى البيع والصلوات والتضرع الى السيد المسح ان يترأف عليهم بحزن وكآبة حتى سمع الله الكريم الرحيم دعاءهم ونجاهم بسرعة بأن توفى سليمان ابن عبد الملك وهو كان فى ذلك الوقت الملك الكبير وملك مكانه عمر بن عبد العزيز الذى كان أمير مصر وأنفذ للوقت بارادة الله الروف والياً الى مصر فرمى طوبة حديد فى رجلى اسامة البائس وخشبة فى يديه وجعله فى الحبس

وكان مظلماً الى ان يرى رأيه فيه صم أخذه فأخرجه من الأسكندرية الى مصر فقبض الله روحه فى الطريق عقوبه له وضيقاً بقدر استحقاقه وكان هذا عمر بن عبد العزيز يصنع خيراً عظيماً أمام الناس يفعل السوء أمام الله وأمر أن لا يكون على أواسى البيعة والأساقفة خراج وبداء ان يجعل البيع بغير خراج والأساقفة وأبطل الجبايات وعمر المدن التى خربت وكانوا النصارى فى أمن وهدوء والبيع ثم من بعد ذلك بدأ يفعل السوء وكتب كتاباً الى مصر مملوء غماً وهو فيه مكتوب عمر يأمر ويقول من اراد ان يقيم فى حاله وبلاده فليكن على دين محمد مثلى ومن لا يريد فيخرج من أعمالى فسلموا له النصارى ما بأيديهم من التصرفات وتوكلوا على الله وسلموا خدمتهم للمسلمين وصاروا عبرة لكثير ودخلت اليد على النصارى من الولاة والمتصرفين والمسلمين فى كل مكان كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم وأمر وقال أن توخذ الجزية من سائر الناس الذين لا يسلمون ولم تجر عادتهم بالقيام بها فلم يهمله الله لكن أهلكه سرة ولم يمكنه بالملك لأنه كان يشبه الدجال ثم تولى بعدد بعده يزيد وما نحسن ان نشرح ما جرى فى أيامه ولا نذكره من السوء والبلايا لأنه سلك فى طريق الشيطان وحاد عن طرق الله وأول ما أخذ المملكة اعاد الخراج الذى كان عمر قد رفعه عن البيع والأساقفة سنة واحدة وحمل علي الناس ثقلا عظيماً حتى ضاق كلمن فى بلاده ولم يكتف بهذا فقط حتى أمر بكسر الصلبان فى كل مكان وكشط الصور التى فى البيع لأنه قد أمر بذلك لكن السيد المسيح أهلكه لأجل ذلك وأخذ نفسه بعد أن ناله قبل موته بلايا كثيرة وكان مدة مقامه فى الملك سنتين وأربعة شهور وولى بعده هشام أخوه وكان رجلاً خائفاً من الله على طريق الأسلام وكان محباً لسائر الناس ويخلص الأثدكسيين فلما علم ان ليس لنا بطرك نحنالنصارى بالمشرق من بعد يوليانوس الماضى بطرك أنطاكية الذى جلس ايليا الأسقف عوضه وتوفى ايليا ايضاً فاخذ انساناً اسمه أثناسيوس مملوء بكل نعمة روحانية وكان ايضاً اسقفاً فأعطاه بطركية أنطاكية ووضعوا الأساقفة ايديهم عليه نيابة وصيروه بطركاً وكتب هذا أثناسيوس سنوديقا بعلوم وتواضع عظيم الى الأب البطرك المغبوط الأكسندروس يقول اننى غير مستحق لهذه

الرتبة من أجل ذنوبى وليس هذا باختيارى فعلت ذلك لكن الملك لأنه كان عارفاً به قبل هذا الزمان فقبلها الأكسندروس بفرح ثم كتب اليه جوابها باتحاد الأمانة والصلح والسلامة ثم كتب تبارك على الملك هشام ونسأل ان تتثبت مملكته سنينا كثيرة ويظفر بأعدائه ليفعل الأستقامة أمام الرب وشيع الرسل بسلام ثم ان هشاماً كتب الى مصر يأمر بأن تدفع لكلمن يزن الخراج براءة بأسمه حتى لا يظلم أحد ولا يكون فى مملكته ظلم فاعطاه الله مملكة جيدة فاقام اثنتين وعشرين سنة ملكاً ولم تقم عليه حرب لكن كل ثائر يثور عليه قد اسلمه الله فى يديه بصلوات البطركين الجليلين الأكسندورس بالأسكندرية وأثناسيوس بانطاكية وكانت البيعة الأرثدكسية بدمشق ملاصقة للقصر الذى هو ساكنه ثم أنه أمر ان يبنى البطرك بيته ملاصقاً لمجلس الملك من كثرة حبه له حتى يسمع صلاته وقراءته لأنه كان يقول له دفعات كثيراً اذا بديت بالصلاة بالليل تنالنى راحة عظيمة ويزول عنى الهم بأمر المملكة ثم يأتينى النوم براحة وكان يحبه كثيراً لأجل ذلك ويعطى كرامات كثيراً للبيع والنصارى وكان عنده رجل مسلم يحب البيع الأرثدكسية جداً اسمه عبيد الله فلما نظره الملك هشام يفعل ذلك فرح جداً وولاه مصر وأوصاه ان يفعل الخير مع نبى المعمودية فلما وصل الى مصر أمر بأن تحصى الناس والبهائم وان تقاس الأراضى والكروم بحبال القياس ففعل ذلك وان يجعل طابع رصاص فى حلق كل الناس من ابن عشرين سنة الى من عمره مائة سنة وأحطاهم وكتبهم جميعهم ودوابهم من الصغير الى الكبير والأراضى الركس التى هى صعبة التى تنبت خلفاً وشوكاً ونبى أميالاً فى وسط الغيطان على الحدود والطرقات فى جميع أرض مصر وأضعف الخراج فلما تم جميع ما ذكرناه وظلماً كثيراً لم تذكره لما وصل الفسطاط مضى الى مدينة منف وأقام بها أربعة شهور وأمر ان يجتمع اليه مقدمو المواضع الى منف وجعل علامة الأسد على أيدى النصارى كقول الكتاب الذى قاله يوحنا ابن الرعد اذ يقول لايبيع احد ولا يشترى الا من كان على يده علامة الأسد فلما تم ذلك كتب الى بلاد مصر يقول هكذا كلمن يوجد فى سائر المواضع فليس على يده الرسم تقطع يده ويخسر خسارة عظيمة لانهم لم يسمعوا أوامر الملك وخالفوه وكان له

ولدان أنفذ أحدهما الى القبلة والأخر الى بحرى وكان قلق عظيم واضطراب فى كل كورة مصرثم وصل الى الجيزة وبنى له بها ادراً عظيمة وكتب الى كور مصر بان تحشد له جماعة من الناس يشغلهم فيما يريد وبنى الفسطاط حتى ان الناس هلكوا من التعب من كثرة ما أشغلهم فلما عظم التعب والقيام بالخراج الذى اضعفه عليهم ثارت حرب على النصارى والمسلمين حتى سفكت دماء كثيرة بأرض مصر القبيلتين أولها فى مدينة بنا ومدينة صا ومدينة سمنود وما يجاورهن ومواضع كثيرة فى أسفل الأرض وكذلك كان فى الطرق والجبال والبحار ومتى شرحنا ذلك طال شرحه، ولما دخل الوالى الى الأسكندرية ليسم الناس قبض على البطرك ليسمه فامتنع فلم يدعه الوالى والتمس البطرك المضى الى الملك فلم يجيبه الى ذلك ثم بعد مده أنفذ البطرك الى مصر مع جند يوصلونه الى عبيد الله فلما حضر بين يديه عرفه سبب حضوره فلم يتركه بغير وسم فلما نظر الأب البطرك الأكسندرس انه لا يخلى قال لعبيد الله الأمير اسلك ان تمهلنى ثلثة أيام فاجابه وأمهله فدخل البطرك الى مخدعه وسأل الرب ان لا يمكنه من وسمه بل ينقله من هذا العالم سرعة فلما نظر الله سريرة عبده أنها حسنة افتقده فمرض فى اليوم الثالث وكان المرض يتزايد كل يوم عليه فلما علم ان السيد المسيح قد سمعه وقبل صلاته انفذ قوماً ثقات ورؤساء من الأثذكسيين أولاده الى عبيد الله يسأله لمن يطلقه ليمضى الى كرسيه قبل وفاته فلم يمكنه فظن انهذا منه محال وانه غير عليل فلما مضت أربعة أيام قال الأب للاخوة عبوا المركب عند غروب الشمس لنمضى لأن فى يفتقبلنى السيد المسيح فمضوا ولم يكن معه أحد من الأساقفة غير أنبا جمول أسقف وسيم فلما انحدروا هاربين وصلوا الى ترتوط عند الصبح ففى تلك الساعة تنيح الطوانى الأكسندروس فى ذلك المكان فلما علم عبيد الله انه قد هرب بغير أمر انفذ أميراً يعيده ومن معه فما وصل اليهم وقبض عليهم ليردهم بغضب فوجد الأب قد تنيح فتركه وقبض على انبا جمول وسيره الى عبيد الله فقال له بالحقيقة أنك أنت اشرت عليه بالهروب ولا بد مما تقوم بالف دينار لبيت مال الملك وكان انبا جمول فقيراً يعجز عن قوت يوماً وهو عريان وكان حلو المنظر حسن السيرة وكان يعظ من يخطئ فيسمع

منه وكذلك يثبت كلمن تهو عاجز فى الأمانة الأرثدكسية فحلف له أنه لا يقد على دينار ولا نصفه ولا هو فى ملكه فلم يقبل منه وسلمه الى شرطيين فلما أخذاه ذانك المسلمان الذان لا تذكر اسماءهما سلماه الى بربر متشبهين بالسباع فى افعالهم فجذبوه وجروه فى وسط مصر حتى جاؤوا به الى باب بيعة مارى جرجس وهم يسحبونه وكان هناك جمع كثير مجتمعين ممن يبيع ويشترى وكان خلق كثير يجروا خلفه فى مصر وطالبوه بالف دينار مع قلة ذات يده وبدؤوا يعذبونه ذلك اليوم بغير رحمة ونزعوا عنه ثوبه والبسوه مسح شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه باسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الأرض والجمع يشاهدونه وما حل به من الشرط وأقاموا أسبوعاً يعذبونه هكذا حتى جمعوا له ثلثمائة دينار ولما نزلوا قوم من أصحاب وعبيد الله يسأيلونه ورؤساء النصارى قائلون لهم قد قارب الموت وليس عليه ذنب فى هذا الأمر على ما عرفنا عند ذلك افرجوا عنه بعد شدة عظيمة لأنه قارب الموت ولما تنيح الأب القديس بالحقيقة الأكسيدروس بشيخوخة حسنة حزن عظيم لحق النصارى بسبب وفاته لأنه اقام أربعاً وعشرين سنة ونصفاً على الكرسى وكان فى أيام حياته قوم قديسون كثير فى كوره مصر فى البرارى والديارات يتعبون أنفسهم متعبدين لله وتظهر منهم عجائب وآيات وكان اثنان قس صياد فى كورة اسنا يعمل بالشباك ويتمم قانون الرهبنة وبعد زمان كثير مضى وبنى ديراً فى الجبل وترهب عنده جماعة وكانوا فى خيدة وضيقة فخرج خبر ذلك الشيخ فى الكورة البرانية وكان اسمه متيوس من أهل اسفنت فاظهر الله على يديه عجائب كثيراً فى الاعلاء والبرص والذين بهم الأرواح النجسة أشفاهم والموتى اقامهم باسم سيدنا المسيح وبعد أيام ظهر أمر عجيب أمامه كان انسان قبطى فى أسفنت وله ولدان وابنة واحدة يحفظهم فى بيته وكانوا ابكاراً اطهاراً خادمين لله فاضلهم الشيطان الثلثة بصنعة مرذولة وذلك أنه دخل فى اكبرهم فقال له اذا كان ابوك لا يزوجك فامض الى اختك نم معها فانها تكفيك الى زمان وحسن له ذلك ففعله وكذلك حسن الأخر الصغير معها ايضاً ففعلا المخالفة فحبلت بسرعة وكانا أبواها يحفظانها لأجل الفضيحة ولم يعلما ما كان فاقامت عدة

شهور ولم تلد فحملاها على دابة ومضيا بها الى القديس متيوس فلما قربوا من الجبل حرج الشيخ هارباً ينسف شعر لحيته حتى لقيهم تحت الجبل فعرفاه ابواها خبرها واردا ان يدفعا له هدايا لكى يصلى عليها لتلد فتقدم لهم لن ينزلوها برفق من على الدابة فنزلت وهى باوجاع عظيمة فقال لها عرفينى ما فعلت يامرذولة فعرفته بما قد ذكرنا واكثر منه فرفع يديه الى السماء وصلى ففتحت الأرض فاها وبلعتها حضر ذلك جماعة وشاهدوه وشهد لنا من كان حاضراً وهو صادق أمين من أولاد البيعة انذلك المكان صار مثل بئر مظلمة تنتهى الى العمق وأقام ستة شهور والنار تطلع منه الى الجو ورائحة نتن عظيم تصعد منه حتى لا يقدر أحد يقربه وهو بعيد من الدير خمساً وعشرين غلوة وكذلك دير القديس أنبا شنودة فى جبل أدريبا انتم تعلمون ان كثيراً من القديسين تثبتوا فيه وخاصة الطوبانى الأرشيمدريدس أبا حيث لأنه كان انساناً على طريق حسنة فى حياته وبعد ذهابه الى الرب نظرنا قبره بعينينا قد بنى عليه بنعمة من كثرة العجائب والشفاء والبرود التى تظهر من جسده المقدس الى الأن ما لا يحصى من كثرته لانه تكون منه عجائب فى كل يوم وفى برية وادى هيب ايضاً كانوا قوم قديسون ينظرون رويا وجلياناً واطلعهم الله على ما فى العالم يشاهدونه كأنهم حاضرون فى جميعه فمنهم من كان يظهر له السيد المسيح والحواريون المقدسون فيقيمونهم فى ضيقهم وعبادتهم ومنهم من كانت الملائكة يظهرون لهم وكان منهم شيخ فى دير أبى مقار اسمه يوانس من اهل شبرا ميسنا التى هى أرواط قبضوه البربر ثلث دفعات واسروه وجعلوه عيداً وضيقوا عليه وأنزلو به بلايا فنظر الرب الى صبره كل دفعة فاعاده الى ديره المقدس بعد ذلك صار أغومناً لأنه كان كاهناً وهذا كان قانوناً سرية وادى هيب اى قس انتهى اليه الطقس قدموه أغومساً فلم يتناول السرائر المقدسة حتى نظر السيد المخلص فى المنام والسيدة العذراء واسرار عظيمة ظهرت له وكان معه قديسون من هذه البرية لا يجب اظهار أمرهم وكان له تلميذ اسمه ابيمخس من ارواط واستحق طقس القمصية بعده وكان يقلبه مثله فى كل افعاله وعليه نعمة عظيمة مثل موسى النبى فى زمانة وكان يشفى المرضى ويبرئ كل علة وصار عمره أكثر من مائة

سنة وحلت عليه نعمة الروح القدس وأطلع على أمور جليلة حتى صار يعلم الغيب من قبل أن يسايله احد وكان له أخوان روحانيان احدهما ابا جرجة والأخر ابا ابرهام وكانا قديسين بتقلب حسن وافعال عظيمة وشهدوا من أجلهما ثقات أنهما سارا بسيرة الكبير انطونيوس وتمماها وكان الشعب فى ذلك الزمان متعبدين لله باجتهاد وكانا يشاهدان فى البيعة بنى المعمودية كأنهم خراف بيض صغيرهم وكبيرهم واذا بواحد من الشعب قد كسل ورجع عن حسن العبادة فشاهداه هذان الشيخان وقد عام لونه اسود فى وسط الأخوة واذا ما سرحوا الكهنة الأخوة ومضيا الى قلاية ذلك الاخ فقالا له تب عن كسلك ووعظاه وعزياه فاذا كان بالغداة وحصر الى البيعة فينظرانه قد ابيض اكثر من جميع الأخوة فمجدا الله على رأفته على حبس البشر هكذا ان اردت ان اذكر افعال القديسين فما يسعى الزمان ولا تحصيها الاقلام ولا نسعها القراطيس والمجد لله دائماً أبداً أمين.

قسما البطرك
وهو من عدد الأباء الرابع والأربعون

ثم لما تنيح الأب الأكسندروس قدموا عوضه رجلاً اسمه قسماً وكان راهباً قديساً من برية أبى مقار وكان من أهل بنا فاجلسوه بغير اختياره فلم يدع السؤال للسيد المسيح ليلاً ونهاراً ان يقبله اليه فلما كان تمام خمسة عشر شهراً تنيح بمجد وكرامة فى آخر يوم من بؤونة وكان بظاهر مريوط دير يعرف بطمنورة وكان فيه راهب شيخ قديس روحانى وشاب آخر راهب وكانا يعذبان اجسادهما بالحديد والسلاسل وكان رئيسهم اسمه يحنس أعطى نعمة ونبوة ورأى عجائب دفعات كثيرة وكان له تلميذ بخدمه اسمه تاودوروس وكان حاسداً لافعاله وهو سالك تقلبه واعماله كلها بمحبة روحانية وكان قد زاد على كلمن فى الدير بافعاله وعلى الدياقنية ومائدة الاخوة وعلى كل اسباب الدير وخدمته طالباً الاتضاع فى كل حين وكان متبعاً قول المسيح لتلاميذه من اراد ان يكون منكم كبيراً فيكن لكم خادماً وكان فعله هكذا الى شيخوخته كما قال لنا من فيه المقدس عند استحقاقه البطركية وكان يعلمنا ويحثنا على التواضع فى كل حين ولما كان

فى حياة الأكسندروس ابوه الروحانى قال له بنبوة يا ولدى تاودوروس آمن اننى لا أكذب فقال له نعم يا أبى اننى ما سمعت باسم الكذب من فيك قط قال له الأب وفى نسخة اخرى قال له الشيخ يا مؤمن بالله ان فى السنة التى يتنيح فيها الأكسندروس انا بمسكنتى اتنيح معه وأنت تجلس على كرسى الأب الجليل مارى مرقس وليس بعد الأب الأكسندروس لكن بعد الذى يأتى بعده فتم كلام الشيخ الأرثذكسى الأرشيمنطريذس وكان شعب الأسكندرية الكهنة والراخنة مهتمين فى من يقدمونه عوضاً من ابا قسماً حتى اظهر الرب فى قلوبهم ذكر الاب الراهب القديس تاودروس فمضوا الى الدير واخذوه واحضروه الى الاسكندرية .

تاودروس البطرك
وهو من العدد الخامس والأربعون

واجتمع جماعة من الاساقفة القديسين واوسموا الاب القديس تاودروس بطركاً بأمر السيد المسيح وكانت امور الابسقوبية والبيعة والارثذكسية نامية مستقيمة كل يوم من أيامه حتى عادت الى ما كانت عليه أولاً وأكثر إلى أن صارت كأنها لم تنهب اولاً وكان رجلاً صالحاً وديعاً محباً لكل احد حسن الصورة مثل ملاك الله لم يكن فى أيامه شيء من الشرور وكان عبد الله الملك بمصر ينزل عذاباً وبلايا وخسارات على أهل مصر واضاف على دينار من الخراج ثمن دينار وكان يحدث أموراً على الناس حتى أن الدينار قل وعليّ ولما تمادى على ذلك لم يصبر الله عليه لكن اثار عليه قوماً من مقدمى المسلمين مضوا الى هشام الملك وعرفوه الشرور التى يفعلها وما أحدثه من البلاء فى مصر فامتلأ عليه غيظاً وكتب للوقت يعزله وانفذ اميراً وجماعة معه بغضب عظيم وامر ان ينفى وولده الاصغر اسمعيل معه الى بلاد البربر من أعمال افريقية وينفى منها الى مغرب الشمس ويعذب لانه ما يفعل ما أمره به ففعل به ذلك سرعة وجعل ولده الأكبر القاسم بمصر والياً وولاه امورها عوضاً من أبيه ونفى المذكور الى البربر ولمه أقام هناك يسيراً ملك على البربر بافريقية وكان ولده اسمعيل هناك الى أن ينفى الى حيث أمر الملك وكتب الى هشام يستعطفه ويتوب اليه مما كان منه ويسئله أن

يوليه تلك البلاد فولى على البربر بافريقية وكانت افعاله ايضاً ردية فاخذ بنات الناس الملاح وبناب المقدمين والامراء فانفذهن الى هشام الملك سرارى ويكتب إليه انهن جوار اشتراهن له سرارى وكذلك النعاج اذا قربت ولادتها يشق بطونها ويخرج منها الخراف بعد ان يصوفون فيأخذ جلودهم يعمل منها فرله وينفذها الى هشام ويقول له انه ابتاعها له حتى افنى نعاجاً كثيراً من تلك البلاد فتشاورا عليه البربر ان يقتلوا ولده اسمعيل واهل بيته فاخذوه ونساءه وأولاده وسراريه وكلما ينطوى اليه وقتلوهم جميعهم قدامه وهو ينظرهم ويشقون بطون النساء ونزعوا الأولاد منها وطرحوهم قدامه ثم جابوه الى افريقية وهو مربوط الى ابيه وقتلوه قدامه وهو ينظره بعد ان شقوا بطنه أولاً وضربوا به رأس ابيه ووجهه ثم اخرجوه اباه من ديارهم وهم وراءه يشتمونه وهو حزين باك وكان ابونا تاودروس قد عاش ورأى جميع ذلك ثم افتقده الرب ومضي اليه بشيخوخة حسنة وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بغير مقاوم لها ولا شقاق فيها فى جميع ايامه وأقام على الكرسى الرسولى احدى عشرة سنة ونصفاً وتنيح فى سابع يوم من أمشير .

السيرة الثامنة عشرة
انبا ميخائيل البطرك
وهو من العدد السادس والأربعون

كما قال الكتاب فى المزمور [١] الذى سمعنا رأينا واخبرونا اباؤنا وكما اخبر موسى النبى فانه كتب ما كان فى الأرض من آدم الأول إلى زمانه ثم بعده الانبياء الذين تنبؤوا بما يكون ثم بعدهم الحواريون القديسون كرزوا بما شاهدوه وكذلك كلمن كان بعدهم على هذه القضية وتعالم الاباء المؤيدين الذين للبيعة والكلام المقوى للأمانة والاخوة فى المعمودية اللابسين النور والاباء المؤيدين الذين اثبتوا الاساس القوى والدعامة الوثيقة والرب يسوع المسيح المخلص الذى نجانا وخلصنا من اثامنا بتجسده من العذراء الطاهرة والمنعم علينا بفتح قلوبنا واذهاننا بسماع كتبه المقدسة فيلن ويستس ويوسابوس الذين من اليهود الذين اخبروا اولاً بخراب اورشليم والذين وضعوا

(١) مزمور ٧٧

لنا سيرة البيعة المقدسة افريقنوس واوسابيوس والصوزامنوس اظهروا لنا الجيد والردى والبلايا التى حلت بالقديسين والرعاة لقطعان السيد المسيح وما نالهم من التعب على البيعة والشعب الارثدكسى من المتولين فى كل زمان ليس كورة مصر فقط بل وانطاكية وورومية وأفسس التى كان فيها هارسيس نسطور الذى يستحق لسانه القطع من اصله وبقية المخالفين فى ذلك الزمان وبدد الله جميعهم مثل الغبار امام الريح شبل الاسد الحكيم كيرلص الذى قطعه وغيره من المخالفين وجعل كتبه فى سائر بيع المسكونة الارثدكسية كما اظهر لنا ذلك الكتاب الذى ابتدأ باسمائهم الى ان انتهوا الى المعترف المجاهد بالحقيقة ديسقرس الذى احرم لاوون الذى هو السبع المفترس للانفسن كاسمه واحرم الستمائة وثلثين المجتمعين بخلقدونية واحرم مرقيان الملك والملكة بلخارية المرذولة وجعل جميع من اتبع لاوون تحت الحرم واخرج بأمر الملك والملكة ومضوا به الى النفى وتم جهاده هناك واعاد نفوساً كثيراً إى السيد المسيح على يديه وكلما جرى كتب به الينا الى هاهنا فى ثانى عشر سيرة من سير البيعة والبدو بكتب ما بعد ذلك من الاب كيرلص وهو فى دير ابلاح الى الاب المعترف الأكسندروس نسأل عنه المعلم والكاتب فى زمانه الذى هو الشماس الارشيدياقن صاحب الاب البطرك انبا سيمون بطرك الاسكندرية وكاتبه الراهب ابا جرجة فكتب ذلك فى جبل القديس ابى مقار بوادى هبيب واعلمنا ما جرى فى زمان مرقيان الملك الكافر وما لحق ايا ءنا من التعب وما جاء بعدهم إالى زمان سليمن بن عبد الملك ملك المسلمين الذى ولى بعده الملك عمر بن عبد العزيز الذى هزم أسامة الملك الكافر الذى كان قبله بمصر ومن أجل ذلك اسألكم انا البائس الحقير ان تسألوا السيد المسيح عنى ان يحل رباط لسانى الناقص بصلواتكم ويفتح قلبى المظلم ويعطينى معرفة الكلام فلعلى أقدر ان اظهر لكم ولابوتكم ما تطلبونه منى مما لا تصل اليه قدرتى بهم كمعلم ومهد اكثر منكم ولكن كمتعلم ولما نظرت ما كتبته بعينى وكبرته على واسمة يدى وما سمعته من الأحباء قبلى ممن نصدق ونأمن إليه لئلا أكون على قول الانجيل الصادق فى العبد الذى دفن فضة سيده فى الأرض واقول لقدسكم انا البائس الذى فى الناس اننى تمثلت بقول داءود اذ يقول عن البارىء سبحانه فى المزمور الذى يقيم الفقير من على الأرض والمسكين من المزبلة

ويجلسه مع اغنياء الشعب هو الذى اجلسنى مع الاباء القديسين وشاهدت ما نالهم بقلبى لأكتب ذلك بغير استحقاق لأنهم صاروا رعاة على الأرض وبذلوا نفوسهم على اسم المسيح دفعات شت لاذكر يسيراً من أفعالهم وبقيتها السيد المسيح وحده العالم بها وما كان متقدماً فإن السيد المسيح يعلم أننا ما زدنا عليها شيئاً بل شرحت ما كان إلى حين نياحة الاب الطوبانى تاودروس بطرك الاسكندرية والمملكة التى كانت فى ايامه الى تمام السابع عشر سيرة المذكورة أنفاً والآن فبارادة الله وصلواتكم المقدسة نذكر السيرة الثامنة عشرة من سير البيعة لما خرج عبيد الله من مصر وتولى بعده القاسم ولده الذى صار فيه الشر أكثر من أبيه دفعات كقول الانجيل المقدس إن كل شجرة ردية تثمر ثمرة ردية هذا فعل الشر قدام الله والناس فى مملكته وسلك المسلك الردى كما اننا نذكر ذلك إذا تقدمنا قال سليمان بن داءود الحكيم الويل لأهل المملكة التى ملكها صبى وكان هذا القاسم صبياً فى عمره وفعله وإذا ملك ملك جاهل فكل من يصحبه يكون مثله فأول بداية فعله هذا كان محباً للشر ومحباً للنساء مثل الخيل التى تصهل جعل له سرارى من كل جنس ليس لهن عدد وكان قلبه ملتهباً بهن جداً كما شاهدنا بأعيننا دفعات شتى وكان ينفذ ويحضر الطوبانى تاودروس البطرك كالذئب اللابس لباس الخروف وكان يصحب الآب البطرك ابى الروحانى ابا مويسيس الأسقف حتى يجتمع به وكان الملك يحب أبى أكثر من كل الاساقفة وكان يحضر له الصغار من السرارى حتى يبارك عليهن وأنا ابصرهن وكان يقول للآب البطرك هؤلاء هن أولادك ضع يدك عليهن وباركهن واعطهن البركة لأننى اشتريتهن جدداً وكان يفعل ذلك دفعات شتى بالآب البطرك فلما حضرنا عنده دفعة كالعادة كان هناك الاب الاسقف انبا ابراهام اسقف الفيوم والارصينويتس لاجل امر مهم فلما حضرنا ايضاً دعا واحدة من السرارى وكانت مغربية فقال لابينا ابراهام هذه ابنتك وجعل يده فى يدها وكان قلبه كالأطفال وقال له انت تعلم اننى احبك جداً من زمان أبى وكلما كنت تطلبه من ابى افعله لك فقال له القديس ابراهام نعم فقال له اريد منك ثلثمائة دينار فتقدم ابى الى الارشدياقن الذى كان اقنومه اسمه سمعان كان قد جاء معه وهو الذى استخف الاسقفية من بعده فقال له احضر الثلثمائة دينار فاحضرها وسلمها للقاسم وكان له مال كثير

للبيع لان كان عنده فى كرسيه خمسة وثلاثون ديناراً بالفيوم وهو المتولى عليهم وكان عليه خراج خمس مائة دينار الذى لبيت مال السلطان لاجل ذلك كان مقدماً عند كل احد وكانوا تجار مصر يبايعونه ويشترون منه ثم انه بعد ان دفع الثلثمائة دينار قال له القاسم انا اكرمك بهذه الكرامة العظيمة حتى اننى جعلت زوجتى لك ابنة ولا تدفع لها شيئاً تكرمها به فاعطاها مائة دينار فى يدها واحتسب له بها فى الخراج الذى عليه وكان القاسم سالكاً فى طريق الجهل كل حين تضاعف الظلم فى أيامه على الناس وولى ولاة فى كورة مصر اشر منه قوماً يجمعون أموال الغرباء من اسوان الى اسكندرية والقى على الناس بلاء عظيماً فى كل البلاد والكور الكبار والصغار وكان الكبير يأكل الصغير والقوى يأكل الضعيف مثل سمك البحر وكانوا هؤلاء الذين يجمعون مال الغرباء يأكلون المستورين ويأخذون مالهم حتى ضاق كل أحد .

وبعد ذلك عمل مراكب مثل قصور الملوك وزينها وكان يركب فيها نساءه وعبيده ويخرج فى بلاد مصر ويمضى بهم الى الاسكندرية معه وتنيس ودمياط فيأخذ أموال التجار والناس والمقدمين فى تلك المواضع ويصعد الى صعيد مصر وينتهى إلى أسوان يفعل ذلك وكان يسير صحبته جماعة من الجند والعسكر ويدخلون الى ملعب انصنا فلما كان فى بعض الأيام وقد وصل الى دير القديس ابى شنودة صعد بتكبر عظيم واخذ معه سرية واحدة كان يحبها اكثر من جميع سراريه ومماليكه فركبها فرساً وركب هو فرساً أخرى وكان معه شيخ مقدم فى المسلمين اسمه ريان بن عبد العزيز الذى كان ملك مصر فلما وصلوا الباب خرج فى لقائهم الشيخ رئيس الدير وجميع اولاده ليكرموه بسبب المملكة ولما دخل الباب الثانى من الحصن الحائط بالبيعة وهو راكب ثم وصل باب البيعة فاراد ان يدخل البيعة راكباً فصرخ الشيخ رئيس الدير وقال انزل أيها الملك لا تدخل إلى بيت الله بهذه الكبرياء وخاصة هذه الإمرأة التى معك لأنه ما دخل قط باب هذه البيعة امرأة وخرجت بالحياة بل تموت للوقت فلم يلتفت الى كلامه لكن دخل ومعه جيشه وكانت البيعة عظيمة جداً تسع آلافاً فلما توسط البيعة وهو راكب فرسه نفرت الفرس التى تحت السرية بقوة الله فوقعت إلى الأرض فماتت السرية للوقت هى والفرس التى كانت تحتها واما القاسم فنزل عليه روح شيطانى نجس رماه وخنقه وحيطه

حتى ازبد وصر باسنانه مثل الخنزير البرى فلما تهدأ قليلاً نظر الى الشيخ رئيس الدير وقد حزن عليه فدفع للبيعة اربع مائة دينار نذراً والفرس الذى كان راكبه وكان هناك تابوت خشب ساج مصفح بالعاج مثل الطابق عليه جسد القديس ابى شنوده فحملوه برسم النذر ولمن يلقى فيه نذره وصاروا يجعلون فيه الكتب وكان حسن المنظر عجيباً مليحاً فاستحسنه ريان الذى كان معه واراد ان يأخذه وكان القديس ابو شنوده قد انفق عليه مالاً كثيراً فقالوا له ما تقدر تأخذه لأن الذى جعله هاهنا مع من خروجه فقال لابد لى منه بثمن او هدية ثم أمر عشرة رجال ان يحملوه فلم يقدروا ثم دعا بثلثين رجلاً فلم يقدروا ان يحركوه فلما نظر الاعجوبة دفع لهم ثلثمائة دينار ثم خرجوا بخوف وزمع وتعجب ولم يفارق القاسم الروح النجس الى يوم وفاته وهو يعذبه .

ثم أنزل الله على كورة مصر من اجل خطايا القاسم غلاء عظيماً فأول سنة كانت البلاد شراقياً فقلت الخيرات وغاب القمح وعدم حتى لم يجدوه ومات خلق كثير بهائم كثير ثم جاء وباء على كورة مصر ثانى سنة لم يكن مثله ومع جميع ذلك لم ينقص شر القاسم بل يزداد وضاعف الخراج على الناس واكان الانسان إذا نام ليلاً يخاف من ضوء الصبح وما يشتهى الليل حتى يفرغ من كثرة البلايا وبعد السنة الثانية المواتة جاءت السنة الثالثة شراقياً لم يصعد النيل البتة ولم ير الناس فى أيامه خلاصاً بل كانت السنين تنقلب هكذا بأمر الله سنة وباء وسنة شراقى الى اخر السنة التى أخذت منه فيها المد وهى السنة السابعة وكان الوباء من أول هتور كل سنة الى الثانى والعشرين من بؤونه ومعظمه بمصر لكثرة الخطايا التى كانت بها وكان من ثامن يوم من بشنس الى أول يوم من بؤونه حل بالناس فناء لم يحصى بعض من مات فيه يوماً يموت فيه الفان ويوماً الف ومائتان ويوما الفان واربع مائة بمصر والجيزة من سائر الناس القاطنين بهما وتجار من الغرباء حتى انقطع دفن الناس الأموات والقبور ولا يدفن رجل حتى يعلم به السلطان ويكتب اسمه واسم والده حتى الطفل الذى يرضع ثم ان اباءنا القديسين سألوا الرب وأيضاً الفقراء والاغنياء وتضرعوا اليه بالصوم والصلاة والبكاء والابتهال الى ان ترأف الرب عليهم ورفع الوباء ورحمهم .

وبعد هذا اباعوا التجار القمح للناس وظهر وكثر فمضوا قوم من تجار القمح التى شماس ساحر كان يسكن فى منف وهى مصر القديمة ودفعوا له مالاً كثيراً وسألوه أن يعمل بيحراً ليغلوا به القمح فبدأ أن يعمل اعمالاً تغضب الله بصنعته وسحره المرذول وكان عنده صبى يتيم ابن امرأة ارملة ليس لها ولد سواه فقال لها انت ما لك شيء تأبينه ولا تطمعين ابنك ادفعيه لى اجعله لى ولداً واعلمه صنعتى فسلمته له وهى مسرورة وكان ذلك الكافر قد مضى إلى سحرة كثير فى مواضع حتى علموه سحراً مثلهما فنفعل ما غلا به القمح ثم أن الكافر أخذ ولد الأرملة ودخل به بيتاً واغلق عليه الباب وعلقه بيديه ورجليه عن الأرض وفعل به ما يغضب الله ولم يزل يسلخ جلد الصبى من وجهه الى رأسه كل يوم الى أن انتهى الى اكتافه فغاب القمح وعدم بعد ان كان قد ابيع عشرة ارادب بدينار وابيع مدان بدينار ولا يوجد فمضى عريف صبيان المكتب الى الامرأة الارملة وقال لها لولدك عدة ايام ما جاء عندنا فاى موضع هو فمضت الى ذلك الكافر وسألته عن ولدها فلم تجده فقال لها لى عدة أيام ما رأيته وخرج من عندى ومضى الى عندك ولم اعلم له خبراً فلما سمعت هذا منه مضت بحزن عظيم وكان الصبى الى ذلك اليوم لم يمت بل معلقاً قد سلخ كثير منه وكان الصبى العريف ينظر معلمه الساحر يدخل ساعة بعد ساعة الى الخزانة التى فيها الصبى معلقاً فقال فى قلبه ما ذا يصنع معلمى فى هذه الأيام يدخل هذه الخزانة ويخرج وكان ذكياً فدخل المعاً فتبعه الصبى بمكر فسمع الصبى ابن الارملة يبكى ويتضرع اليه وهو لا يرحمه وكان يقول كلاماً بحزن القلب الويل لك يا أمى الحزينة الأرملة لأنك ما تعرفين ما حل بى الويل لبطنك التى حملتنى وثدييك اللذين ارضعانى اين انت تنظرين عذاب ولدك اليتيم ليت لو مت وانت حاملة لى ولم تلدينى على الأرض حتى وقعت فى هذا العذاب الشديد ابن عيناك تنظرانى اللتان تشتهيان ان تنظرانى وتشاهدانى فى هذا العذاب ويقول مثل هذا كثيراً والصبى العريف يسمعه فخرج مسرعاً بخوف عظيم يقع ويقوم من شدة الخوف الى ان وصل بيت الارملة ام الصبى فقال لها قد وجدت ابنك فجاءت مسرعة بعد ان عاد عليها ما سمعه من فم ابنها فمضت الى الوالى وعادت

عليه القضية وما سمعته فانفذ معها قوماً نفات من المسلمين ومعهم اعوان الى بيت ذلك الكافر فوجدوه داخل الخزانة التى فيها الصبى معلقاً مسلوخاً من رقبته الى كتفيه فحملوه والساحر مكتفاً معه الى الوالى وبغتة ربطوا يديه ورجليه وقطعت اذناه بين يدى الوالى فاعترف له بكلما كان منه واحضروا الصبى وعاينوه على تلك الحال وكتبوا فى الوقت الى القاسم ملك مصر فلما وقف على الكتاب امر برجمه وحرقه بالنار .

ومع هذه الأمور لم يتخل القاسم عن طريقته السوء ومحبته جمع الذهب وكان يغير الولاة كل وقت النواب عنه وكانت قبيلة فى الجبل الشرقى من مصر من بلبيس الى القلزم والبحر من المسلمين يسمون العرب وكان فيهم اكثر من ثلثين الف فارس منتشرين فى تلك البرارى والبلاد ومنهم امراء مقدمون عليهم فولى عليهم زماماً يسمى اباً جراح وكانت خيامه عند دير على اسم السيدة مريم قريب تنيس وفيه جماعة من الرهبان وكهنة مزينيين بافعال حسنة واغومنس قديس كان من وادى هبيب من دير القديس ابى مقار واسم الاغومنس ابيماخس واستحق الاسقفية بعد ذلك وكان معه من جملة الرهبان فى هذا الدير ابا مينا الذى صار اسقف مدينة منف وابا يعقوب القس وجماعة رهبان وكان للزمام اخوان فاخذهما وصعد الى الدير ودخل البيعة وطرد الرهبان من البيعة ونهبوها واخذوا كلما فى الدير من قماش وغلة واثاث وكان اخوه الصغير اشر منه وكان فى موضع الاغومنس صليب منصوب فى الشرق يستعين به على الشياطين المقابلين له فى كل وقت فدخل الصبى الى الموضع فقال للاغومنس لاى شيء هذا الصليب فقال هو صليب الهى المسيح فقال له انت تعبده فقال له نعم فبصق على الصليب واستهزأ به وشتم الشيخ الاغومنس فخرج الشيخ من الدير بقلق عظيم قائلاً إن لم يأخذ الرب الحق من هذا الصبى لا عدت الى هذه البيعة جميع أيام حياتى ثم مضى الى موضع آخر وأقام فيه وقال فى نفسه انى أصبر عشرة أيام وانظر ما يكون وإلا مضيت فلما كان فى اليوم الثامن مضى الصبى وجلس على بيت الماء فنزلت احشاؤه وامعاؤه وخرج كلما فى بطنه مثل اريوس الكافر فلما شاهد اخوه الزمام ذلك خاف وخرج من الدير ولحق الخوف كلمن سمع ثم انه طاف فى تلك الأماكن الى ان وجد

القديس ابيماخس فاعاده الى البيعة بعد سؤال ممجداً مكرماً واعاد إليه جميع ما أخذوه ووقع خوف عظيم على المسلمين الى مدة طويلة .

وفى جميع ذلك كانت بيعة الاسكندرية ارملة بغير بطرك فاجتمعوا الارثدكسيون التاوضوسيون وجمعوا الاباء الاساقفة وحضر جماعة من الخلقدونيين المخالفين وجعلوا مجمعاً بمصر واحضروا ثلثة اناس ليختاروا منهم واحداً فيجلسوه بطركاً فلم يشأ الرب ان واحد منهم يأخذ الدرجة لكن حفظها لمن قد اصطفاه وعرفه من البطن كما يظهر مستأنفاً من أول ونزع الله المملكة من القاسم وانفذ اليه الخليفة من قبض عليه وحمله اليه تحت الحوطة والضيق ولما سار الى بلبيس مع الموكلين به السائرين به إلى الخليفة لحقوه الاساقفة وجماعة من النصارى إلى بلبيس وسألوه ان يفسح لهم فى ان يقيموا بطركاً فالتمس منهم ان يدفعوا له مالاً فلم يدفعوه فامتنع ولم يطلق لهم اقامة بطرك فقال ابا تادرس اسقف مصر وكان اكبر الاساقفة فى ذلك الزمان وهو أول الثلثة اساقفة الذين جلسوا واحداً بعد واحد وكل منهم اسمه تادرس على كرسى مصر لابى الروحانى .. ابا مويسيس اسقف وسيم انظر ايها الاب فعل هذا القاسم الذى لم تشاهده انت إلا اليوم وما فعله من الشرور بالناس الذى أنا مشاهد له أكثر أوقاتى فقال له الاسقف انبا مويسيس اغفر لى يا سيدى الاب ان عاد هذا الى مصر دفعة أخرى فما تكلم الله فى أنا الخاطىء قط وستسمع ما يفعل الله بهذا البائس الشقى ثم سيروه الموكلون به ولم يعد إلى مصر بل أخذ جميع ماله وهو فى العذاب والاعتقال وانفذ الى مصر واخذ عبيده وسراريه ومضوا بهم الى الخليفة ثم عادوا الاباء الاساقفة ومن معهم الى مصر فوجدوا الخلقدونيين قد سبقوهم واخذوا انساناً من مقالتهم كان يعمل الابر فى السوق اسمه قسماً وكانوا قد جمعوا فيما بينهم ذهباً وفضة وآنية ودفعوه لذلك المخالف القاسم قبل مضيه وتقدم لهم بأن يقيموه بطركاً فاخذوه الخلقدونيون واوسموه بطركاً لهم وافتخروا على الارثدكسيين بأنهم اقاموا بطركاً ولم يقيموا هم بطركاً لهم .

(١) اوسيم مركز امبابة

وكان والى مصر بعد القاسم انساناً اسمه حفص بن الوليد الحضرمى كبيراً فى جنس المسلمين بمصر وكان سنياً على مذهبهم فلما كان فى تلك الأيام اجتمع مجمع اساقفة بمصر فى سنة اربع مائة وتسع وخمسين لديقلاديانوس فى اليوم الثامن والعشرين من مسرى وكان معهم كهنة الاسكندرية والاراخنة واحضروا قوماً صحنهم ليقع التخير منهم على احد وكان بعض الاساقفة قد ذكر اسماً واحداً سراً والله العالم بكل شيء قد حفظ هذه الرتبة لنستحقها وهذه اسماء الاساقفة الذين كانوا مجتمعين لتقدمة البطرك ابراهام اسقف الفيوم مويسيس اسقف وسيم مينا اسقف تمى يعقوب اسقف بوصير تادرس الاسقف المترانوس اسقف مصر بقطر اسقف مليج [٢] يعقوب اسقف صهرجت [٣] اسحق اسقف سمنود ابراها اسقف بلبيس بطرس اسقف ترنوط [٤] خايال اسقف اتريب وكهنة الاسكندرية فمضوا الى الزالى حفص وسألوه ان يأذن لهم فى إقامة بطرك فقال لهم إذا استقر رأيكم على انسان احفظوه حتى ابصره فخرجوا من بين يديه ومضوا الى بيعة ابى شنودة وصلوا وجلسوا فى طقوسهم كالقانون البيعى وكان كل واحد جالساً عند ابيه الاسقف بمدينة الاسكندرية جالسون قدام الاساقفة وجميعهم بسكينة ووقار لا يتكلم احد كلمة أو يأمروه الآباء الاساقفة وجميعهم وجوههم مطرقة الى الأرض صغيرهم وكبيرهم فلما عبرت الباعة السادسة رفع الشيخ الاسقف انبا مينا اسقف تمى وجهه وقال بصوت خفتى لابا ابراهام اسقف الفيوم يا أبى اغفر لى ما ترى ما نحن فيه ومجتمعون بسببه قال له يا أبى السيد المسيح يدبر الأمور كلها والقديس مارى مرقص وجميعنا ورئيس رعاة انفسنا واجسادنا معنا فصرخ جميع الشعب والجمع بصوت واحد قائلين السيد المسيح يتم هذا الأمر بارادته ووقفوا وصلوا فلما تموا بالصلاة استقر بينهم الاجتماع بالغداة فمضى كل واحد منهم الى موضعه وكان بعض الاساقفة البحريين قد ذكروا اسم واحد اختاروه فعلم ابا ابراهام اسقف الفيوم فقال لهم انبا بطرس اسقف ترنوط كان هذا قد قام جميع ايامه فى برية ابى قطر وهو حسن السيرة جيد الأفعال احذر ان تجعل يدك على الذى يقدمونه لك حتى يجتمع رأى الجميع عليه لأنه

١- اوسيم مركز امبابة ٢- مليج مركز شبين الكوم ٣- صهرجت مركز ميت غمر ٤- الطرانه مركز كوم جاده

ما يصلح لهذه الرتبة وكان انبا بطرس قد ضعف لكبر سنه زمن منفرد عنهم فلما كان في اليوم الثانى اجتمعوا وصلوا وجلسوا وحضروا كهنة الاسكندرية فقال الابروطس فلان وهذا اسمه مكتوبا فقال لهم تادروس لنا رضى به الجمع فهو جد فقال له الابروطس دبروا هذا الأمر يا ساداتى الآباء فقال له تادرس من الذى اخترتموه حتى نعرفه نحن ايضاً فقال الابروطس هذا الأمر هو الينا ما هو للأساقفة وليس لهم إلا وضع اليد فقط ونحن الذين نتخير بطركاً فقال لهم انبا ابراهام اسقف الفيوم واساقفتكم ايضاً يقدمون لكم الذى يختارونه لكن اذا قدمتموه وهو مستحق اوسمناه وان كان غير مستحق طردناه فوقع الخطاب بينهم فى اليوم الثانى فصلوا وانصرفوا ولم يزالوا هكذا الى عشرة أيام وكان الصلح فى هذه المدة بينهم ويجرى بينهم كلام كثير نهاراً وليلاً ولا يزالوا عن رأيهم ولا اشتركوا اساقفة الصعيد معهم فى ذلك وكانوا اساقفة الصعيد منفردين عنهم وقالوا ان كان ليس غير هذا فما تقدمه وكان بعض الاساقفة البحريين مع كهنة الاسكندرانيين متفقين على تقدمته فلما كان اليوم الرابع من الشهر الجديد وهو توت بدء الشهر ثان يلقى بينهم السجس فلحقهم حزن وبكاء لذلك وصرخوا الاساقفة المتفقون مع الاسكندرانيين وقالوا ان لم نجعل هذا الذى كتبنا اسمه والا فما نجعل احداً والسيد المسيح المهتم بجميع الأمور لم يرض بكلامهم والذى ارتضاه لهذه الخدمة محفوظ فوقع بينهم خصومة فى ذلك اليوم كما كان جرى فى نوبة البرسنوفيين وفيما هم كذلك طرح الله فى قلوبهم فى تلك الساعة بان يحضروا الاسقفين اسقف وسيم انبا موسيس وبطرس اسقف ترنوط وقالوا إذا لم تحضروا المذكورين ما يكون بيننا صلح وكان انبا موسيس ضعيفاً جداً له ستة شهور ملازماً المرض فى دير نهيا وكذلك انبا بطرس فى بيعة السيدة بجبل وسم المقدس فى دير نهيا الذى فى بر الجيزة غربى مصر فمضى اليهما الاثنان اسقف مصر واسقف الفيوم واعلماهما بما جرى ولم يكن انبا موسيس يقدر يركب دابه ولا يجلس من عظم الوجع فدبروا الآباء وحملوه على النعش الذى يحمل فيه الموتى لأنهم لم يروا هناك سواه وحملوه قوم مؤمنون على اكتافهم الى ان وصلوا به الى الفسطاط وركبوا انبا بطرس دابته وكان معه جمع كثير فوصلوا

واجتمعوا فى اليوم الثامن وكهنة مصر والاراخنة معهم لكى يفصلوا هذه النوبة بارادة الله ومعونته وكان معهم ارشيدياقن بيعة ابى سرجة والشيوخ الاراخنة منا وبولس وكثير من النصارى بمصر فصلوا وجلسوا وبدوا يتحاطوا فى الكلام كما كان فى الأول وزاد الشر وكانوا الاساقفة البحريون يقولون ما تقيم هذا المكتوب اسمه وابا ابراهام اسقف الفيوم يقول ما له معنا نصيب فقال لهم انبا ابراهام لكم ان سمعتم منى طلبنا الى الله جميعنا كما أمرت القوانين وسألناه ان يقيم لنا من يريد ولا يقسم البيعة قسمتين فرضوا قوم من الأساقفة البحريين على هذا الرأى وجلسوا عبدا اساقفة الصعيد وكان الطوبانى ابا مويسيس اسقف وسيم ملقياً وسط الجمع من شدة الوجع فسمعتهم يذكرون الفرق فقل بقوة روح القدس التى معه وأومأ بيده الى كهنة الاسكندرية فقروا منه فقال لهم ماذا تقولون انتم فقالوا ما يقوله ابا مينا اسقف تمى هو قولنا ونحن الذين نقدم بطركاً وليس لكم انتم فى هذا الشىء وكان بجانبه جريدة يتوكأ عليها لضعفه فذكر ما فعله السيد فى الهيكل لما طرد من كان فيه من الصيارف بالمخصرة الحبل فقام وطرد كهنة الاسكندرية وجرى خلفهم وضربهم بالجريدة حتى اخرجهم من الباب قائلاً لهم اخرجوا من وسطنا لا تخربوا بيعة الله لاجل شهوات قلوبكم ثم التفت إلى الأسقف ابا مينا ومن معه من الأساقفة وقال أى شىء بينى وبين هذا الإنسان الذى لم يختاره السيد المسيح وانت تريده وتفرح به إن كان عرفت له شيئاً من الفضائل اذكره وسط الجماعة قال رضيت به كان أمر من الله فيقدم فلما سمع ابا مينا هذا قال له الكتب انكرت هذا فدعه ومن رأيتم صلاحه قدموه ثم وضع مطانوة وخرج وقال يكون الاتحاد بينكم والاتفاق وانا برىء من هذا ثم افترقوا ذلك اليوم بعد صلاة السادسة بكآبة وحزن عظيم إذ لم يجدوا من يقدمونه وكان يذكر اسماء جماعة لم يتفقوا على أحدهم فلما كان النصف من الليل استيقظ شماس مع الاسقف ابا مويسيس وقال له اغفر لى يا ابى قد عرفت واحداً يستحق هذا الأمر فقال له من هو يا ولدى فقال له الشماس هو القديس النفيس القس ميخائيل ببيعة القديس ابى مقار بتول طاهر تربى فى البرية فصرخ الأب الأسقف أنبا بطرس وقال هذا الشماس الذى تكلم فيه المسيح بالحقيقة يا ولدى ان هذا

القس ميخائيل مستحق هذه المنزلة فلما كان بالغداة اجتمعوا وجرى بينهم الخطاب كما جرت عادتهم فاجروا ذكر القس ميخائيل المذكور فصرخ جميع الشعب الكبير والصغير كلهم من فم واحد قائلين بالحقيقة هذا المستحق وكان قبل ذلك قد نظر انساناً قديساً كانت الأمور معلنة له من قبل الرب لأنه يشهد له بذلك فقال انى سمعت صوتاً من السماء قائلاً وانا فى بيعة القديس ابي مقار ان القس ميخائيل مستحق البطركية .

ثم قاموا جميعاً ومضوا الى القصر وعرفوا حفصاً الذى جرى وما كانوا فيه وسألوه كتب كتاب إلى شيوخ وكهنة وادى هبيب ليسلموا لهم انبا ميخائيل المذكور فكتب لهم الكتب واخذوها وخرجوا من عنده وكان الرب يسوع المسيح قد حرك مقدمى وادى هبيب لسبب جرى فخرجوا من البرية وصحبتهم القس ميخائيل المذكور وكان السبب انهم اجتمعوا وتشاوروا قائلين ان القاسم الظالم اضعف علينا الخراج والجزية فوق طاقتنا وقد وصل ملك جديد فمضى اليه وندعو له ونهنئه بالقدوم ونتوكل على الله ونسأله ان يزيل عنا الظلم فوصلوا فى اليوم الثالث عشر من توت الى الجزيرة وفى اليوم المذكور خرجوا الرسل بالكتب متوجهين الى البرية فلما عدوا البحر لقوا شيوخ الرهبان وابا ميخائيل معهم الذى ساروا لاجله فلما رأوه تعجبوا عجباً عظيماً وبهتوا وفرحوا جداً وتعجب كل أحد منهم مما فعله السيد المسيح فاخذوه ومضوا به الى قصر الملك وجميع كهنة مصر صارخون بين يديه بالقراءة حتى وصلوا الى القصر وهم يقولون قد أرسل الرب لنا الراعى المأمون الذى هو مرقس الجديد فلما اعلموا حفصا بما كان تعجب جداً ودق يداً على يد وقال نبارك الله الاه النصارى قد فعل افعالاً نتعجب منها وقال لهم هذا الرجل الذى اصطفاه الله لكم ان يكون لكم اباً خذوه وامضوا به بسلام فتقدم اليه انبا تادرس اسقف الكرسى ودعا للأمير وسار معه وكان الشعب يقطعون من ثيابه للبركة ولما كان فى الغد وهو الرابع عشر من توت ركبوا الاساقفة المراكب وانحدروا الى الاسكندرية فى ليلة السادس عشر من توت فخرج اليه خلق كثير ولما وصلوا به شوارع المدينة ومعهم شمع وصلبان وأناجيل نزل عليهم مطر إقام ثلثة أيام وثلثة ليالى يسكب وان جميع القبائل بالاسكندرية قالوا هذا الرجل من الله قد مضت

سنتان ولم ينزل مطر فى هذه المدينة ومبارك دخول هذا الرجل مدينتنا واوسموه فى اليوم السابع عشر من توت .

ونريد الآن نذكر يسيراً من أفعاله فى الرهبانية وعجائبه قبل ان يكون بطركاً ولكن نخاف من التطويل لأن كل شيء له مقدار كما قالت الكتب غير أننى قد ذكرتها فى كتاب سيرته خارج عن هذه السيرة .

ثم مضى إلى الرب الطوبانى اثناسيوس بانطاكية واجلس الملك هشام رجلاً مؤمناً اسمه يوحنا ومات هشام وضبط الملك انسان اسمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جنسه يبغضه فبدى يبنى مدينة على اسمه فى البرية ويجعل اسمه عليها وكان الماء بعيداً منها خمسة عشر ميلاً وجمع الناس من كل موضع وبنى فيها بيد قوية ومن كثرة الناس كان كل يوم يموت فيها جماعة من قلة الماء وكان يحمل لها الماء الف ومائتا جمل وما يكفيهم كل يوم وكانت الجمال فرقين ستمائة تحمل يوماً وستمائة تحمل غداً فوثب عليه رجل اسمه ابراهيم فقتله واخذ الملك منه واطلق الاسارى فمضى كل واحد منهم الى موضعه وولى آخر فى ارض مصر اسمه حسان بن عتاهية هذا ابراهيم هو ابن عمه وفى نسخة أخرى عيسى بن ابى عطا كاتب لاسامة وهو عارف بجميع اعمال اسامة وكانت مصر قبل ولايته لها كثيرة الذهب والدينار مع الناس كالدرهم فى ذلك الزمان فلما وصل إليها نزل عليها وباء عظيم فى ايامه حتى ان العجل الصغير دفع فيه عشرون ديناراً فعرفه وكلاؤه واصحابه بذلك فقال انا اعرف اعمال اهل مصر ان عشت انا ادعنهم يشترون النور بدينارين وخسر اهل مصر خسارات عظيمات وانزل عليهم بلايا وتعب واباعوا الناس بهائمهم وأولادهم وكان بمصر صبى مسلم اسمه رجاء فحشد جماعة وأخذ المملكة وكان حفص الوالى مساعداً له ومضوا الى حسان يريدون قتله فهرب منهم الى دمشق وأمر حفص ان يصلى كلمن بمصر واعمالها بصلاة السنة وكلمن يتخلى عن دينه ويكون مسلماً لا تؤخذ منه بعداً جزية لأنها كانت على الناس كلهم ولاجل هذه الخصيلة اضل الشيطان خلائق فتخلوا عن دينهم ومنهم من اكتتب وصار من العسكرية وكان الاب البطرك انبا ميخائيل ينظر هذا وهو حزن باك لنظره س

يجحد السيد المسيح ومن أجل ذلك خرجت الاساقفة من كراسيهم ومضوا الى البرية الى الديارات وتضرعوا امام الرب بالصلوات ثم ان الاب انبا موسيس اسقف وسيم مسكوه بكرسيه أولاده لم يمكنوه ان يمضى الى موضع بل يصلى على رعيته لئلا يخطفهم الذئب من بيعته وكان فى الجيزة واعمال مصر يفتقد حال أولاده كل وقت واذا قوم ارثدكسيون من اراخنة مصر حضروا عنده وهم حزان وقالوا له يا ابانا صل علينا واجتهد فقد احصينا من انتقل الى دين الاسلام من اخوتنا بنى المعمودية من مصر واعمالها على يدى هذا الوالى اربعة وعشرين الف انسان فقال لهم الاب يا اولادى آمنوا ان فى هذا الشهر تنظرون باعينكم هذا الوالى الكافر حفصاً يحرق جسده بالنار فى وسط فسطاط مصر ويقتل رجا بالسيف فتمت نبوءة الاب سرعة وكان هذا القديس يشفى الاعلاء باسم السيد يسوع المسيح واعطى التوبة .

ثم ان الملك انفذ اميراً الى مصر ومعه خمسة الاف مقاتل ليقاتلوا حفصاً وكان اسم الامير حوثره فملك مملكة مصر واعمالها واحرق حفصاً بالنار وقتل رجا بالسيف واخذ جميع اموالهما كما تنبأ الطوبانى ونزع الولاية منهما لانهما طردا حساناً منها وتسلطا عليها بغير امره وانفذ امرهما الى الملك وعادت المملكة لحسان لاجل ذلك وكان قد حكم بالحق مثل سليمان وهو محب البيع والإساقفة والرهبان وكان يحب البطرك انبا ميخائيل وكان يحضره ويتحدث معه دفعات شتى عند مضيه اليه من أول بطركيته واما حوثره من بعد ما جرى اقام بمصر وجيشه وكان محباً للارثدكسيين وكان ينزل بوسيم وجميع جيشه ثلثة سنين ويشاور الاب انبا مويسيس لاجل خلاص نفسه وكان اضطراب كبير فى المملكة البرانية وبينهم قتال ويقتلون واحداً بعد واحد حتى ان الملك منهم لا يقيم سنة كاملة الا ويقتل حتى قام انسان يعرف بمروان ملك تلك الترك وجاء بجيشه فاخذ المملكة بقوة وساد عليها بذراع قوية مثل فرعون ولم يقدر احد على مقاومته حتى اباده بالسيف وكان كل سنة يسفك دماء كثيراً لكلمن يقاتله وكان فى بيته شماس خلقدونى اسمه ثاوفيلكتس صائغ يصوغ الذهب لاهله ويسئلهم ان يأخذوا له درجته من الملك بجعله بطركاً على اصحابه اليونانيين لانه لم يكن لهم بطرك فى ذلك الزمان ففعل له ذلك سرعة وصيروه بطركاً على الخلقدونيين .

وقلت السلامة والهدوء بمصر خمس سنين ثم انهم اخرجوه من مصر وولوا انساناً اسمه عبد الملك بن موسى بن نصير من جنس حسان اليهودى وكان قد جاب شيئاً من المغرب وكان يبغض النصارى جداً ومعه تكبر عظيم وانزل تعباً عظيماً على أهل مصر واظهر اموراً عظيمة بمصر واخذ لمروان الذهب والفضة والنحاس والحديد وكل شيء يجده وكان يفعل ذلك بمشورة رجل سوء يتعلم هذه الأفعال من الشيطان وكان رئيساً على جميع صنائع مصر وأمور المملكة اسمه عبد الرحيم وانتهى تعبه الى مالم يسمع بمثله وهو انه أخذ اللنطن وعقاقير اخلط جميعها ودهن بها مراكب الاسطول لكى إذا وقع على المراكب النار من الروم لا تحترق وكان ذلك مما نظرت بعينى وقد ضربك المزاكب بالنار فلم تحترق ل تنطفىء النار للوقت وكانوا تجار من البلاد يصلون ببضائعهم فجمعوا مالاً بينهم ودفعوه لمروان وسألوه ان يدعهم يبنون بيع مصر فاجابهم واصحاب ثاوفيلكس الخلقدونى ويدعى قسماً قالوا له ان لنا كنائس كثيراً بمصر تغلبوا عليها التاوضوسيون يعنى القبط عند أخذ ملك الروم وليس لنا بيعة نسأل ان يكتب لنا الملك كتباً على أيدينا الى مصر بان تسلم لنا بيعة ابى مينا بمريوط لنقترب فيها لأن كان لها اسم وعجائب كثير واوقاف فى كل موضع فاخذ ثاوفيلكس الكتب الى عبد الملك بين موسى بن نصير بان يكشف الحال بين اليعاقة والخلقدونيين ويحققوا من بنى هذه البيعة وسلموها اليه فلما وقف على الكتب من عند مروان انفذ أميراً الى الاسكندرية وتقدم باحضار البطركين اليعقوبى والخلقدونى وكان الصوم قد قرب فامر باحضارهما ولما وصل انبا ميخائيل الى وسيم خرج اليه الاسقف انبا مويسيس وسار معه الى ان وصل الى عبد الملك وكان معنا الاسقف انبا تادرس اسقف مصر الذى كان قبل اسقفيته ارشيدياقن بيعة القديس ابى مقار بوادى هبيب وكنا نحضر الى القصر مع الخلقدونيين كل يوم واقمنا كذلك اربعين يوم الصوم من باكر الى اخر النهار وكان اسقف الروم يمضى معنا وقسما بطركهم وكان الاسقف المذكور يبغض اهل ملته وقال انا ما جئت الى أن اجعل للثالوث رابعاً وكان اسمه قسطنطين ومعه شماس يسمى انسطاسيوس من بيعة الملكية بالاسكندرية وجمع عبد الملك الملكيين وقرأ عليهم الكتاب وكشف عن الحق وجرى من الخصومة قدامه امر عظيم وكانوا الارثدكسيون ظافرين بالخلقدونيين وما

يخاطبون به من الكتب المقدسة حتى ان عبد الملك تعجب ثم احضر صاحب ديوانه وكان رجلاً مسلماً تحت يده ديوانان ورجلاً آخر اسمه عيسى بن عامر وسلمهم له ليطول روحه عليهم وسمع كلامهم ويعرفه وامر ان يكتب كل منا ما يقوله فى كتاب فمضوا الخلقدونينون سرا الى دار عيسى وحملوا اليه هدايا ليساعدهم فيما يلتمسونه فجمع الاب البطرك انبا ميخائيل اساقفة وكتب كتاباً مملوء من كل حكمة ونعمة الله وكلام كتب الله المقدسة وما كان من بناء البيعة للشهيد مارى مينا وما لقبه اباؤنا البطاركة من التعب والنفى من الخلقدونيين واخذ البيع منهم بيد ملوك الروم وكتبوا ذلك قبطياً وعربياً فلما اجتمعوا دفعوا ذلك إلى عيسى المذكور فقرأ وتعجب من الفاظه ثم احضر الخلقدونيون كتاباً طوله شر فيه كلمتان فلما قرأه ضحك وهز رأسه ثم قرىء الكتابان علانية وكل الحاضرين يسمعون ما فيهما فقال له أبونا البطرك انبا ميخائيل أيها السيد الكاتب ما يجب ان تجعل اعداؤنا الذين ليس لهم الاه يسمعون كلامنا فيجعلوه لهم حجة فيما بعد فقال انا أقرأ الكتاب وانما فعل ذلك بمكر ومراعاة لهم لاجل البرطيل.

والذى كان فى كتاب الاب البطرك المغبوط هوذا نذكر بعضه ميخائيل بنعمة الله اسقف مدينة اسكندرية والشعب التاوضوسى الى السادة من اجل بيعة الجليل مارى مينا بمريوط وكان فى ذلك الزمان الملوك المؤمنون المحبون لله ارغاديوس وانوريوس على عهد الاب القديس ثاوفيلس البطرك ابتدأ بعمارة بيعة يوحنا المعمدان فلما كملها بنى بيعة ابى مينا بمريوط وبيعة اخرى على اسم تاوضوسيوس بن ارغاديوس الملك الذى ساعده على بناء البيع ولما تنيح ثاوفيلس صار كلمن جاء بعده يبنى فيها قليلاً قليلاً إلى ايام طيماتاوس البطرك فهو الذى كملها وبعد هذا أتى ملك شيطان اسمه مرقيان وهو الذى قسم البيعة بامانته الفاسدة ونفا الاب الجليل ديسقرس البطرك المجاهد عن امانة ابائه المستقيمة واخذ امانة جديدة مرذولة وساعده على ذلك لاون بطرك رومية الذى احرمه ديسقرس البطرك واحرم اقواله الطمثة المملوءة كفراً وفعل الملك المذكور بأولاد البيعة الارثذكسية افعالاً قبيحة فظلم كثيراً وقتل منهم وطرد ونفا وقاسوا منه شدائد عظيمة ولم يزل معهم هكذا مظلومين الى ان صارت المملكة للسادة المسلمين والى الآن نحن معهم متخاصمين .

هذا يسير من كثير مما تضمنه كتاب الاب الجليل انبا ميخائيل البطرك واما الخلقدونيون فكتبوا وقالوا فى البداية كان الملك لنا والكنائس وجميع مالها لنا وإنما المسلمون سلموها للقبط عند تغلبهم على ديار مصر .

وكان عيسى لاجل البرطيل الذى اخذه منهم يريد ان يصدقهم ويكذب القبط فقال إلا انتهم ولا هم اتيتم بحجة فامضوا واكتبوا غير هذين الكتابين واحضروهم إلينا ففعلنا كقوله فقال ايضاً ليس هذا كلام فامضوا واكتبوا غير هذين الكتابين ولم يزل يدافعنا شهراً كاملاً فقال بعض الحاضرين لانبا مويسيس اسقف وسيم الرأى بدفع ابينا البطرك لهذا شيئاً لينظفنا من هؤلاء المقاومين العادين المعاندين فقال له يا ولدى ما يليق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا البرطيل لاحد كما انهم لا يليق بهم اخذه من احد وما اقمنا بعد سنة ولا سنتين ولا ثلثين سنة صابرين مثل ابائنا ونحن الآن مقيمون فى مواضعنا وكنائسنا بيدنا والله ما يغفل عنا ولا يتخلى عن معونتنا وفى ذلك الاسبوع كافأ الله أولئك المخالفين بصلوات ابينا وعزله الوالى عن كتابته وديوانه وصار آخر عوضه رجل من اولاد قضاه المسلمين يسمى ابا الحسين وكان شيخاً وديعاً لا يحابى احداً ولا يأخذ برطيلاً وكان حكيماً فى كلامه يقطع بالحق فى قوله فسلمونا له ليحكم بيننا وكانت أول حكومته انه قال من هو ابو اليعاقبة فيكم فاشاروا الحاضرون الى انبا ميخاذيل وقالوا هو ذا هو ثم قال ابو الملكية واروه الآخر فقال لانبا ميخائيل انت على امانة يعقوب اسقف أورشليم احد تلاميذ السيد المسيح قال نعم انا هو ثم التفت الى الآخر وقال عرفنى ايها الشيخ من ابوك وما ملتك قال له بطرك الملكية انا على امانة مرقيان الملك فقال له القاضى انت تؤمن بالملك وليس بالله فقال له قل لى ابو مذهبك من هو ومن اين هو حتى اعلم واحكم بينكم فقال له ابى الذى بدأ ووضع الاساس هو نسطور جمع مجمع بافسس وكان المقدم فيه كيرلص ابو هذا وكان معهم راهب من جبل ادريبا من اعمال اخميم واخرجوه من البيعة وساعدتهم الملكة فى ذلك الزمان وبعد ذلك اقام الله مرقيان سرعة ولاون البطرك واجتمعا بنسطور ومن معه وملكا البيع فى كل موضع وولوا اساقفة عليها الى اليوم واسقفاً بالاسكندرية كان ابروتاريوس قتلوه الاسكندرانيون فامر الملك بعسكر افده الى الاسكندرية وامرهم ان يقتلوا بالسيف

فقتلوا ثلثين الفا فى ساعة واحدة فلما سمع القاضى ذلك دق يداً على يد وقال لمن كان حوله ما أعظم هذا الظلم فاجاب ابونا الروحانى وقال للقاضى هوذا لنا شهران ونحن فى هذا الأمر سلمنا الملك لعيسى بن عامر كما علمت أيها القاضى الذى يحبه الله من اجل احكامه بالبحف وقد كتبنا كتباً ودفعناها لعيسى ولم يفصل أمرنا وهو يطلب منا ما لا نعرفه فأمر باحضار كتب اليعاقبة والملكيين فقرأها وفهم مضمونها واستعظم ما كان بينهما وأخذها ودخل بها الى الملك فقرأها وتعجب ايضاً وأمر بنفاذ الحكم وامضاه فخرج القاضى وقال لقسما انت رجل ليس لك دين ولا الاه ووذا كتبك تشهد عليك ان البيعة لانبا ميخائيل وقد عرفنا ما كتبتم جميعاً فامضوا واكتبوا غير هذه الكتب وايتونى بها فخرجنا من عنده فعلموا الخلقدونيون انهم مغلوبون فقرروا بينهم كلاماً بمكر وانفذوا الينا وكان معهم قسطنطين اسقف مصر فقال لانبا ميخائيل ابوتك تعلم ما جرى علينا بالاسكندرية بسبب الامانة والى اليوم الخلاف فى الأمانة ونحن نريد ان يكون بيننا وبينك اتفاق فى البيعة ونعاهدك ونصير جميعنا قطيعاً واحداً وارسل الى الاب بذلك فقال الطوبانى انبا ميخائيل للاساقفة ماذا تقولون فى ذلك تنفذ رسولاً إيه ليسمع منطقه فقالوا هو يفعل هذا بمكر وخديعة فقال لهم انبا مويسيس يا أبهاتى فى قلوبكم سبعة افكار كما هو مكتوب افكروا فى امور لم تستطيعوا اقامتها لكن نجربهم فتقدم الى قس كان كاتبه والتى انا البائس واضع هذه السيرة وانفذنا اليه لنسمع كلامه فلما وصلنا اليهم خرجوا للقائنا بفرح فلما جلسنا وخاطبه القس مينا من كلام الكتب لأنه كان عالماً فسمع منه كلام البطرك وبدى بأمانة ابائنا الثلثمائة والثمنية عشر واثناسيوس وكيرلص وقرر الحال بإيمان عظيمة مخوفة معه ومع قسطنطين اسقف مصر الملكى واعترفوا وقال قسطنطين اسقف مصر الملكى واعترفوا وقال قسطنطين اسقف مصر الملكى هذه امانتى قبل اليوم وأومن بها الى النفس الأخير اتحاد واحد إلاه واحد رب واحد طبيعة واحدة وهو السيد يسوع المسيح ومن لا يؤمن هكذا فهو يهودى ومن يقول طبيعتين للواحد المسيح من بعد الاتحاد فهو غريب من الاب والابن والروح القدس ويكون نصيبه مع يودس الدافع فهذه امانتى فلما سمع انسطاسيوس ذلك غضب ولم

يقدر ان يتكلم وكان منتظراً لما يجرى بعد هذا فمضينا الى الاباء وقلنا لهم كلما جرى فعادونا اليهم وقالوا لنا قولوا لهم هذا الذى قلتموه تكتبونه فى كتاب يخطوطكم فلما عدنا اليهم قال قسما بطركهم عندى كلمة اخرى اريد ان اذكرها لكم فقال له القس لا تخف عنا شيئاً م افكارك لان الله ينظر إلى القلب ليس الى الوجه فقال إذا استقر الاتحاد اى شيء تفعلونه معى فقال له القس مينا عرفنا ما أريد فقال انا اريد إذا استقر الاتحاد ان تكون بيعتى وبيعتكم واحدة بالاسكندرية وإذا حضر ابوكم البطرك فى أيام القداسات كنت معه فإذا اكمل الصلاة خرج كل منا الى موضعه ولا يمنعنى احد ان احضر كل البيع كذلك هو هكذا فقال له القس هذا كلام فيه خديعة فقال له قسما ما تظن انت فقال امضى الى ابى واعود لك بالجواب فلما سمعوا الاساقفة ذلك صرخ انبا مويسيس وقال سيدنا المسيح يوصينا ان لا نسمى لنا ابا فى الأرض والآن ان كان ما قالوه يرضيكم فانا اقول فقال له البطرك قل فقال ان كان يرضى ان نجعله اسقفاً على كورة مصر كلها ويصير لنا اخا وليس ابا فان المسيح يحفظ لنا ابوتك لتحفظ بيعته المقدسة فعلنا فمضوا الى قسما واعلموه بهذا ففرح وطابت نفسه فقال انسطاسيوس ان تجعلونى انا ايضاً اسقفاً على كرسى ما فقال له القس مينا اليس تعلم ان كل انسان يطلب درجة ثانية لا يصلح ان يكون اسقفاً واهل مصر يساعدونك على هذا الكلام فقال له انسطاسيوس ان كان ما تفعلون فلا تتعبوا ولا تتكلموا شيئاً من هذا فخرجنا من عندهم .

ثم حضرنا جميعاً بعد هذا الى عند عبد الملك وكان قد كتب ذلك اليوم كتاباً إلى مصر وأعمالها يأمر أن يجمع إليه الكتاب والأراخنة من كل بلد واحضرهم وكان القصر مشحوناً بالناس حفلاً حتى لم يكن احد يسمع شيئاً من كثرة الأصوات فدخلنا نحن ايضاً وحولنا خلق كثير فلما جلسنا انفرد قسطنطين الاسقف عنهم وجلس مع اساقفتنا وسألهم ان يقبلوه ويشركوه معهم ويعطوه كرسياً وكانت الجموع واهل البلاد حولنا متطلعين لمعرفة ما يسفر وينظرون اساقفة الارثذكسيين والخلقدونيين فوثبوا قوم من الصعيديين على قسطنطين لما علموا انه خلقدونى ليطردوه حتى رموا الاساقفة

الارثدكسيون شيئاً من لباسهم واخلطوه معهم وإلا كادوا الصعيديون يقتلونه ثم صرخوا الصعيديون قائلين ابعدوا الذئاب من وسط الخراف اهربوا من السباع الضارية المفترسة للنفوس اطردوا الثعالب الذين يهلكون كرم رب صباآووت ابعدوا يودس من وسط التلاميذ تلاميذ المسيح لا تجعلوا ثيابكم تخلط بهؤلاء الأنجاس يا عبيد المسيح فعند ذلك اختفى قسماً الى أن زال غضبهم ثم بعد سؤال عظيم من ابائنا اقبلوا يتهدؤون قليلاً فلما عرفوهم إنه سأل ان يجعلوه تاودسيوسياً فرحوا وصرخوا فى وسط القصر ان قسطنطين اعترف بالأمانة المستقيمة امانة ابائنا الارثدكسيين ثم حضر للوقت الارخن متولى الاسكندرية ابراهيم الماحكى لأنه كان جالساً فى ناحية من القصر ومعه جماعة من الهراطقة والشماس سرجيوس ولد البطرك ومعه اثنان من معلمى الهراطقة فجروا وارادوا الهرب وان رجلاً من أهل دمياط كان شريراً جداً فخاطته أنا الخاطىء بكلمة سمعتها فوثب فى وسط الجماعة ووقف وشتمنى وجدف على الثالوث المقدس فحينئذ شاهدته وكل الحاضرين قد انشق الثوب الذى عليه من فوق الى اسفل على ثلث قطع فصرخ كلمن فى القصر المسلمون والنصارى لا امانة إلا امانة الآب انبا ميخائيل وكان صراخ عظيم فى القصر وسعوا الناس لينظروا ما قد كان حتى ان الناس والعسكرية من كثرة زحامهم نالهم جراح وقتال فامر عبد الملك باخراج كلمن فى القصر وبالغداة أمر القاضى ان يفصل النوبة وقال انجز حالهم ودعهم ان يمضوا فجلس القاضى واصحاب الدواوين الكتاب ووجوه المملكة فلما جلسوا قالوا للبطرك انبا ميخائيل تحلف ان هذه البيعة لك ولأبائك ملك فقال لهم البطرك شرعى يأمرنى ان لا احلف صادقاً ولا كاذباً لكنى اكتب مسطوراً واظهر الحق لك فيه فقال القاضى للهراطقة قسماً تحلف انت ان هذه البيعة لك واسلمها اليك فقال نعم انا احلف فحرك القاضى رأسه كالمستهزىء به وقال له أين لك شاهد بها بانها لك اذا حلفت ثم قال لابينا انبا ميخائيل الك شاهد بان هذه البيعة لابائك فقال نعم لى من يشهد لى بذلك من يوم عمرت الى الآن فقال له كم لها يوماً منذ بنيت فقال ثلثمائة وخمسون سنة فقال له القاضى والشهود يعيشون الى اليوم من ذلك الزمان وانت تخاطبنى بامثال عرفنى الحق فاجاب وقال ان ابى ثاوفيلس وطيماتاوس الذى بعده الذين بنوها وهم الذين يشهدون لى انا ثاوفيلس الذى اسسها

ورتب اسطواناتها وهذا اسمه مكتوباً عليها وتنيح وطيماناوس اكملها واسمه مكتوب عليها هؤلاء شهودى الى اليوم . فارسل القاضى نقاته ومعهم الكتاب والتراجمة وقرروا المكتوب عليها فوجدوه على ما ذكر ابا ميخائيل واستقضى القاضى صحة الخبر جيداً وكرر السؤال فيه فوجده صحيحاً فلما وقف على صحة قوله وتحقق ذلك سلم البيعة لنا واطلقونا مبجلين مكرمين فتسلمنا بيعتنا .

وكان ابونا يوحنا البطرك بانطاكية الذى كان اسقفاً بينه وبين اساقفته مشاجرة هذه أيام ولم يستطع الصلح وكتب الى الملك كتباً وكتب سنوديقاً ما وجد سبيلاً لانفاذها الا فى ذلك الوقت فلما وصلوا وتسلم الاب انبا ميخائيل من الرسل السنوديقا والكتب فقرأها وحزن جداً لاجل الخلف الذى بينه وبين اساقفته لانهم قالوا انه اسقف وليس هو بطرك وانهم لم يقدروا ان يخاطبوه فى ايام هشام بالبطرك ثم ان انبا ميخائيل احضر جميع اكابر اساقفته بكورة مصر وقرىء عليهم الكتب فقالوا نحن ما نكتب الى هناك كتاباً ولا ننفذه لان هذا امر فيه صعوبة ان ارادوا ان يخرجوه قال لهم السلطان لا لأنه اسقف وإن كتبنا اليهم ان لا يخرجوه انقسمت الاساقفة كما قد كتبوا بل اجعل يا ابانا الامر باقياً على ما هو عليه ففعل ذلك .

وأنا أريد الآن ان اذكر يسيراً من كثير مما فعله الرب على يد الاسقف انبا مويسيس وما اعطاه الرب من النبوة والشفاء من الأمراض فآمنوا بقولى بقلب طاهر كنا نحن سائرين الى الاسكندرية ليقبل الكرسى المرقسى الانجيلي الاب انبا ميخائيل وينزل الجمع المقدس ولما مشينا فى مدينة وسيم المحبة للمسيح كان فى البيعة انسان مفلوج اليدين والرجلين مولود كذلك كان عمره خمس عشرة سنة فظهر له الشهيد مارى جرجس وقال له ما يكون شفاؤك إلا على يد الاسقف انبا مويسيس فمسك ثياب ابى وكان الجمع حوله يسبقونه فصرخ وقال صلب يا ابى القديس على اعضائى المفلوجة فصلب على يديه ورجليه وسرنا فلما عدنا بمشيئة الله خرج فى لقائنا يمشى ويقفز مع أهل المدينة ويحدث بما كان فيه ويمجد الله ويشكر عبده الصالح الاسقف ونقى البرص واخرج الشياطين وفعل افعالاً عظيمة مثل التلاميذ .

وكان فى تلك الأيام قلق عظيم بالمشرق من اجل الاساقفة وجاءت حشود كثير على مروان والتقوا وسفكت دماء كثير بينهم ثم ان عبد الملك جمع بمصر مقدمى جيشه واعتقلهم سبعة ايام واعتقل ايضاً كتاب الدولة ومقدمى البلاد والمواريث وطلب منهم رفع الحساب والقيام بما عليهم ثم احضر الاب انبا ميخائيل الى مصر لاجل خراج بيعة فلما وصلنا اليه طلب منا مالا نقدر عليه فأمر ان نعتقل وان ترمى فى رجل البطرك خشبة عظيمة وطوق حديد تقبل فى رقبته ولم يكن معه احد إلا أنبا مويسيس اسقف وسيم وانبا تادرس اسقف مصر وانبا ايلياس بولس ولد انبا مويسيس بالروح وجعلونا فى خزانة مظلمة لا تنظر منها الشمس وليس فيها طاق [1] لانها كانت نقرت فى حجر وكان ابونا البطرك تحت ضيق عظيم من التكبيل بالحديد من الحادى عشر من توت الى ثانى عشر بابة لم ينظر فى هذه المدة شمساً وكان فى الاعتقال معه ثلثمائة رجل ونساء ايضاً معتقلات فى ضيق اكثر من الرجال والحزن والبكاء والضيق العظيم عند انقضاء النهار ويغلق المتولى للسجن علينا ويمضى ولا يعود الى سابع ساعة من النهار وكانوا المرضى والاعلاء يجيؤون الى الاب البطرك الى السجن حتى يبارك عليهم فسروا ومن النصارى والمسلمين حتى البربر كانوا يجيؤون إليه ويعترفون له بذنوبهم التى فعلوها وكذلك المسجونون منهم من يقول ان له فى السجن ثلث سنين ومنهم قوم لهم اربع سنين وكان يعزيهم ويصبرهم ويقول لهم انكم إن نذرتم لله انكم لا تعودون الى فعلكم الأول فإن الله يقبل توبتكم ويخلصكم قبل فروغ هذه السنة فحلفوا له انهم لا يعودون الى خطاياهم فتخصلوا كلهم من السجن قبل ان تفرغ السنة بصلواته فاما اباؤنا الاساقفة فلم يغيروا ثيابهم ولا قلانسهم مدة سبعة عشر يوماً وهم ملازمون الاب البطرك وكانوا مربوطى النفوس معه عوضاً من الحديد وكان على مائدة الملك رجل مؤمن خير يهتم بالاب البطرك ويفتقدنا ويجيب لنا فى السجن ما نحتاج اليه وانا الخاطىء ملازم لخدمة هؤلاء الثلثة شهداء بغير سفك دم ليلاً ونهاراً وكان قد نزل فى تلك السنة وبآء عظيم على الاطفال المرضعين بمصر حتى مات جميعهم وفيما انا نائم عند رجلى البطرك فى

---

(١) طاق . فتحة

بعض الليالى وهو يعلمنى من الكتب ويحيينى عن كلما اسأله عنه فسألته عن موت الاطفال وقلت له يا ابى اترى الله يأخذهم لاجل ذنوب والديهم ام لأمر آخر فقال لى لا تظن يا ولدى ذلك لكن نظر الله جنس البشر وقد عمل اكثرهم إبادة الشيطان باهتمام باطل والجحيم عامر والنعيم الفردوس خال فأخذ الاطفال الذين ليس لهم خطيئة الى الفردوس موضع الرحمة ثم سألته وقلت لماذا اخرج الله الشيطان من السماء من قبل ان يخلق العالم ولا الناس فاجابنى وقال يا ولدى ومن انا البائس الحقير عند هذا القول حتى تسألنى عنه فاكثرت عليه اللجاج والطلبة فى السؤال فقال لى قال القديس اغريغوريس الثاولوغس ان الشيطان كان منذ أول ما خلقه الله يسعى باصحابه الملائكة إلى الله وكان الله يمهله ويصبر عليه فلما خلق الله سماء جديدة وارضاً جديدة وخلق الانسان بصورته ومثاله وقد سبق فى علم الله ان الشيطان محب للكبرياء فامره ان ينظر الى آدم وحسن منظره فاخذ معه العسكر الذى قد جعله مقدماً عليه ومضى الى حيث آدم فلما نظره تعجب منه وقال لاصحابه اريد ان انصب لى كرسياً على السحب وتكون الجبال العالية تحتى واكون مثل العلى فيكون العالم كله فى قبضتى واملك عليه ثم انه صعد الى السماء فقال الله له اعجبك ما رأيت ورضيت بالعالم المخلوق لعلمه بضميره. ثم قال له قد جعلتك رئيساً عليه وقال له هذا لئلا يسقط من المجد الذى كان فيه وكان هو يحفظ الشر وفكره فيه السوء ثم انه بعد ذلك تأمل فقال انا ارد ان أعرف كيف اللاهوت لكى اذا نزلت افعل ذلك ولا تبقى لى حاجة عند الله بعد هذا وهذا ما كان يهتم به واراد ان ينظر اللاهوت فدخل فى وسط الملائكة بسرعة فأمر الله ربوة من قوات الملائكة السمائية ان تحطه الى الجحيم الاسفل فى الظلمة البرانية هو وكلمن معه هذا اظهره الله لاغريغوريس الثاولوغس وهو الذى وضع لنا ذلك والمجد لله الى ابد الابدين امين ثم أنى قلت له ايضاً الله يصبر على هؤلاء الملوك الكفرة الذين يفعلون بنا هذه الفعال فى كل وقت ولا يطلقونا من هذا الرباط فقال لى تصبر يا ولدى وتقو اذا خرجنا من هاهنا وخلصنا فسنقع فيما هو اعظم من هذا فتصبر الآن فليس يأخذ أحد اجره بغير تعب ومن يصبر الى المنتهى يخلص والذى يكون بعد هذا ستنظره

فليس فى هذين الملكين شىء من الخير فلما تمت سبعة عشر يوماً من الشهر المذكور انفاً ونحن فى ذلك الضيق فامر الملك باحضاره فحضرنا وطالبه بالمال وقال له بيعك كلها بغير خراج وأنا مطالبك عنها بما يجب عليها وضيق عليه فقال له اذا كان هكذا ايذن لى ان امضى الى الصعيد مهما دفعوه لى النصارى وساعدونى به احضرته لك فاطلقه وخرجنا من عنده وسرنا الى الصعيد فلحقنا برد عظيم الثلج فى الليل والحر فى النهار من الشمس وكانت كورة مصر قد هلع أهلها من الظلم والخسائر والخراج وتعب الاب انبا ميخائيل فى طريقنا وشقى ثم إنه اشفى مرضى واعلاء كثيراً بصليبه فقط واخرج الارواح النجسة من الناس واعاد خلفاً كثيراً كانوا حادوا عن الأمانة الارثدكسية واعانه الله وعدنا الى مصر ليلة الحادى والعشرين من طوبة ليلة نياحة السيدة العذراء مرتمريم وفى تلك الليلة حدث غضب عظيم من الله وكانت زلزلة عظيمة على الكورة وانهدمت دور كثير فى كل المدن ولم يخلص منها احد ولا نفس واحدة وكذلك فى البحور غرقت مراكب كثيرة تلك الليلة فى جميع بلاد الشرق من مدينة غزة الى آخر اعمال الفرس واحصوا المدن التى انهدمت تلك الليلة فكانت ستمائة مدينة وقرية ومات من الناس والبهائم ما لا يحصى عدده وكانت كورة مصر واعمالها سالمة سوى دمياط فقط ولم يكن بمصر الا خوف عظيم بغير موت ولا هدم وكانت الاخشاب التى فى الأبواب والحيطان تبرز من مواضعها تخرج وتعود بعد ساعتين وشهد لنا من نأمن اليه والى قوله انه لم يهلك من بيع الارثدكسيين ولا مساكنهم فى المشرق شىء بالجملة وكان الاب انبا ميخائيل قد تقدم الى جميع سكان مصر ونواحيها بمداومة الصوم والصلاة فلما نظر ذلك الكافر عبد الملك ما جرى من غضب الله اخذ الذى تصدق به النصارى على البطرك منه واطلقه .

وقد تركت كثيراً لم اكتبه لئلا تطول السيرة ويمل القارىء ولكن قد اضطرنى الأمر أن أذكر شيئاً يسيراً لا تجب الغفلة عنه وذلك انه كان فى دونقلا بلد من بلاد النوبة ملك اسمه مرقوريس وكان يدعى قسطنطين الجديد لأنه صار بافعاله الجميلة كأحد التلاميذ ووهب له الرب ولداً سماه زخرياء فلما مات مرقوريس الملك لم يختر

زخرياء ان يكون ملكاً بل كان مشغولاً بكلام الله وخلاص نفسه فرفض المملكة ويقدم على المملكة قريباً له اسمه سيمون وكان ارثذكسياً فسلك طريق مرقوريس الجيدة ومات سيمون فعمد زخرياء الى شاب شجاع من القصر اسمه ابراهيم جعله ملكاً وكان متكبراً شريراً وكان اسقف مدينة الملك يردعه ويعلمه فلا يلتفت اليه ولاجل ذلك وقع بين الملك والاسقف خصومة فكتب كتاباً الى الاب البطرك انبا ميخائيل يقول فيه ويقسم انك اذا لم تقطع كبرياقوس وإلا جعلت كورتى كلها تعبد الاوثان لأنه كتب عنه قولاً محالاً وشهادات زور فلما وقف البطرك على ذلك كتب له كتب سلامة فلم يرض لكنه رجع كتب كتباً اخرى اشر من الأول بشهود زور وانفذها الى الاسكندرية مع كبرياقوس الاسقف القديس فجمع الاب الاساقفة وعمل سنودس [1] بمدينة الاسكندرية فلما اجتمعوا اخرج الكتب وقرئت فعلموا ان كلما فيها محال ثم انهم قالوا كلمة لاجل ملك الكورة لئلا يكون فساد من الشيطان هناك فسألوا الاسقف كبرياقوس ان يجلس في أحد ديارات الاسكندرية الى أن يزول غضب الملك فلم يجب إلى ذلك فلما رآوه لا يسمع منهم قالوا امض الى حيث تريد لتقيم هناك ولم يطلقوا له القداس فى كنائس مصر واقسموا الذي انفذه لهم الملك وكان اسمه يوأنس وقالوا لكبرياقوس ان كان هذا الأمر ليس هو من الله فسوف تنظر ما يكون وتعود الى كرسيك دفعة أخرى لأننا لم نبعدك عن كرسيك بحرم لكن لاجل شر الملك وما اعتمده فلما نهضوا كل منهم الى موضعه ظهرت اعجوبة عظيمة كان لوح عظيم فوق كرسى البطرك انبا ميخائيل وفيه صورة يوحنا فم الذهب فبعد ازالتهم الاسقف عن كرسيه انقطعت الحبال من الصورة ونزلت فى وسط الاساقفة ولم تزل تتحرك وتقفز حتى خرجت من وسطهم فمضوا واخذوها واعادوها الى مكانها الأول ولم تزل هكذا ثلث دفعات وكلما علقوها نزلت هكذا حتى مضت الى موضع من البيعة ووقفت هناك وكان ذلك الأسقف يشبه صورة يوحنا فم الذهب لان خديه كانا خاليين من الشعر حتى كانه بغير لحيه وهذه من صفات يوحنا فم الذهب إنه كان كذلك وكان الاسقف شيخاً ابن ثمانين سنة فى ذلك اليوم وكان

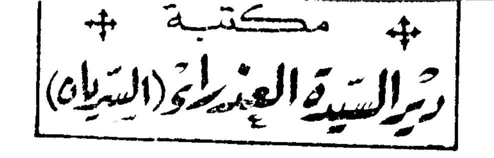
(١) مجمع كنسى

منظره مثل ملاك الله ثم انصرفوا الاساقفة الى كورهم ومضى كرياقوس الى دير من ديارات بلاد النوبة ويوأنس الاسقف الجديد مضى الى مدينة المملكة وشهد لنا ثقات ان المطر لم ينزل على تلك الكورة مدة ما كان بقى من حياة كرياقوس الاسقف وفى كل سنة يأتى عليهم وباء والذين شهدوا عليه بالزور عميت عيونهم سريعاً وكمل له من العمر مائة وأربع سنين ثم سأل الله أن ينقله من الجسد فلما تنيح مضوا اهل كورته الى قبره وسألوه بدموع غزيرة بان يسأل الله ان ينزل عليهم المطر فكان ذلك حتى اخصبت كورتهم وارتفع الوباء عنهم فلما نظر زخرياء الملك الى هذه الأمور نفا ابراهيم الملك الى جزيرة فى وسط البحر واقام ملكاً اسمه مرقس عوضاً منه لان زخرياء كان قد صيار ابا الملوك الى الآن ثم ان اصحاب مرقس مضوا سراً بمكر ليقتلوا ابراهيم فى النفى فلما علموا اصدقاء ابراهيم الملك بذلك مكروا بمرقس الملك وهو يصلى قدام الهيكل فى البيعة فقتلوه فى سادس شهر من مملكته ثم اقاموا ملكاً اسمه قرياقوس صديقاً خيراً وكان باقياً الى يوم وضع هذه السيرة وكان هذا الملك قد كوتب وقت كون الأب أنبا ميخائيل فى الحبس ونحن معه ووصلت الكتب اليه وسمع عبد الملك فاخذه واعتقله ثم سار الملك من بلاد النوبة يريد ديار مصر فى عسكر عظيم فيه مائة الف فارس بمائة الف فرس ومائة الف جمل ولقد شاهد من اخبرنا بعينه ان الخيل التى تحتهم كانت تقاتل بأيديها وارجلها فى الحرب كما يقاتل فرسانها فوقها وكانوا خيلاً قصاراً مثل الحمير فلما قربوا الى مصر ليسبوها ونزلوا في البركة المعروفة الى اليوم ببركة الحبش [١] نهبوا وقتلوا وسبوا المسلمين وقد كانوا فعلوا ذلك بمسلمى الصعيد وكان الملك قبل وصوله الى مصر قد سير رسولاً اسمه الابرخس من كبراء المملكة الى عبد الملك يأمره أن يطلق البطرك فأخذه عبد الملك واعتقله مع البطرك فلما علم بمجىء الملك ووصوله إلى مصر ولم تكن له قدرة على محاربته وخاف منه جداً اطلق رسوله الابرخس من السجن فخرج فى لقاء الملك بعد ان قرر معه واستحلفه انه يرده وعساكره الى بلاده ولا يدعه ان يتقدم الى حصونه ولا يحاصره وكانوا المسلمون يسرقون النوبة ويبيعهم بمصر

(١) كانت موجودة بين مصر القديمة والبساتين . راجع خريطة القاهرة القديمة ابو المكارم جزء ثانى

فعاد بعسكره بعد أن نهب من المسلمين شيئاً كثيراً لأنه اعلمه الابرخس ان البطرك قد فرج عنه واحسن عبد الملك اليه وهو يأمره ان يعود ويبارك عليه وكانوا جماعة من أولاد القيس يعبدون وثناً يسمى سلقيطاً فظفر بهم ملك النوبة فنهبهم وغنمهم عسكره ثم أنفذ عبد الملك الى البطرك بأن يكاتب ملك النوبة فكتب له كتب سلامة ودعا له وبارك عليه وعلى من معه وعاد بغير حرب وكان ذلك فى سنة مائة وثلثين منذ ظهور ملك المسلمين وكان تحت يد كرياقوس ملك النوبة ثلثة عشر ملكاً ضابطين المملكة والبلاد وكان ملك المقرة الحبشى الارثذكسى وهو الملك العظيم الذى نزل عليه التاج من السماء وملك الى اقاصى الارض القبلية لأنه هو الملك اليونانى رابع ملوك الأرض لا تقاومه مملكة وملك بروح عنده فى بلاد وهو تحت سلطان مرقس الانجيلى وحكم بطرك اليعاقبة بمصر عليه وعلى ملوك الحبش والنوبة جميعهم وعنده فى بلاد اسقف ارثذكسى قسمة البطرك مطراناً فصار يقسم له الاساقفة والكهنة فى تلك الكورة وإذا مات المطران قسم لهم بطرك الاسكندرية غيره ممن يختاره ويقسمه لهم .

وكان عند خروجنا من الاعتقال اجتمع إلينا من الناس خلق كثير وسألوا الاب البطرك ان يقدس لهم ويقربهم من يده المقدسة بالجسد والدم العظيم ومضوا معه الى بيعة الشهدين سرجيوس وواخس وقدس لهم ذلك اليوم وناولهم من السرائر المقدسة وأوصالهم وعلمهم وجاء رجل يطلب ان يتناول القربان من أول ما تقربوا الاخوة وهو يمنعه ويعود ولا يدفع له قرباناً ولما سرح الشعب وصرف الناس بسلام حضر ذلك الرجل الى الاب وهو يبكى فقال له اريد ان تعلمنى لأى سبب يا ابى منعتنى من القربان فاجابه الاب الروحانى وقال له يا ولدى انا ايضاً خاطىء ما منعك القربان إلا السيد المسيح هو الذى منعك ان تأخذه فاظهر الآن ما قد فعلته فى وسط هذه الجماعة اخوتك لئلا يفعل أحد منهم مثلك فعند ذلك صرخ وقال ان اسلك يا سيدى الاب ان كانت خطيئة قد فعلتها فاغفرها لى فما اعود إليها فقال له الأب لابد ان تعترف بها فقال له انا كنت افطر فى بيتى واجىء بعد افطارى الى الكنيسة اتقرب وكذلك فعلت اليوم فلما سمعت بك تقرب الشعب الارثذكسى قلت فى قلبى امضى آخذ القربان من يده



الطاهرة وكان ذلك منى محبة مستحيية والآن فقد أظهرت لك ذلك ومنعتنى وفى صعيد مصر قوم كثير يفعلون هذا ولا يعلمون انها خطيئة فلما سمع الاب ذلك أمر ان تكتب الكتب الى كل مكان بان لا يتقرب احد من المؤمنين إلا وهو صائم ولا يتقرب دفعتين فى يوم واحد ثم بارك على ذلك الرجل ومضى يمجد الله صانع العجائب قديسية

ولم تجد ديار مصر طمأنينة ولا راحة فى أيام مملكة عبد الملك لأنه لم يكن من جنس ملوك الاسماعيليين الذين ملكوا عليهم مثله وصنع مع الديارات مالا يجوز لبغضته فى النصارى وكما كان يشاء أن يعمل كذلك فعل والسيد المسيح الذى قلوب الملوك بيده رق قلبه لمحبه ابا ميخائيل البطرك وكان يدعوه الى قصره ونحن معه ويطلب منه ان يدعو له وكانت ابنته قد سكن فيها روح نجس وكان عمرها اربع سنين فسأل الأب البطرك أن يصلي عليها فاخذ زيتاً وصلى عليه ودهنها به فخرج الشيطان منها للوقت فصار يحب النصارى لاجل محبته للاب البطرك وكان ايضاً يحب الاساقفة ويكرمهم وكان ابونا انبا ميخائيل حلو الكلام حسن المنظر تام القامة نظيف اللباس ذا هيئة ووقار وكان كلامه مثل السيف على أهل المعاصى وتعليمه مثل الملح لاهل الصلاح والعفاف وكانت يد الله معه فى هذه الشدائد التى فعلها عبد الملك وكانت بيعة الاسكندرية تحت ببلاء عظيم فى زمان الاسكندرس البطرك كان لما نزع منها رخامها وخشبها الجليل الذى لبس له ثمن فاهتم بها الاب ميخائيل وجددها واصلحها وبنى غيرها من شرقى البلد ومن غريبها وتم ما بناه فى أيام حياته .

ولما كان فى بعض الأيام اراد الوالى بالاسكندرية ان يرمى مراكب الاسطول الى البحر وكانوا جماعة من الارثذكسيين فى بيعة السيدة مرتمريم نحو من عشرة آلاف انسان فنظر شاب من المسلمين مثال صورة السيد المسيح على الصليب مصوراً على الحائط وصاحب الحرية يطعنه فقال للنصارى يجرسهم أى شيء هو هذا الذى على الصليب فقالوا له هى علامة الهنا المسيح على الصليب لخلاص العالم فعند ذلك أخذ قصبة وصعد على الاسطوان الفوقانى وطعن الصورة فى الجانب الآخر الايسر وهو

مستهزىء بكلامه ويجدف وللوقت صارت صورة الشاب مبسوطة كأنه مصلوب على مثال شبه الصورة التى طعنها ولحقه وجع عظيم حتى كأنه قد طعن فى جنبه مثلها والتصقت يده على القصبة التى طعن بها ولم يقدر أحد يخلصها من يده وصار معلقاً فى وسط الشعب بين السماء والأرض فلم يزل كذلك نهاره أجمع وهو يصرخ ويقول يا قوم طعنت فى جنبى فصرخوا المسلمون على النصارى بصوت عظيم ممجدين لله صانع العجائب وسألوهم أن يدعوا الله لخلاصه فدعوا النصارى وقالوا كيرياليصون عدة دفوع فلم ينزل من مكانه الى ان قال واحد من المسلمين له انك ان لم تعترف بامانة النصارى وتقول ان هذه الصورة صورة المسيح ابن الله وتتكلم بما يقولونه ويعتقدونه مثلهم وإلا فما يخلك تنزل ابداً فقبل قول ذلك الرجل المسلم واعترف انها صورة المسيح وقال انا نصرانى وعلى دين المسيح اموت فحينئذ نزل وسط الجماعة ومضى الى الديارات وتعمد هناك وكان الملك ذلك الزمان مروان وكانت مملكته من بلاد الفرس الى الاندلس وكانت يده ثقيلة جداً على جنده واقاموا زماناً يتحاربون ويسفكون دماء بعضهم بعضاً حتى كان يموت فى يوم عشرون الفاً وثلثون الفاً الى سبعين الفاً ولا يهدؤون من الحرب مدة سبع سنين التى ملكها مروان لاجل انه اخذ مملكتهم وفى السنة السابعة نظر شاب اسمه عبد الله مناما وصوت من شخص يقول له ثلث دفعات قاتل مروان قاتل بالله تغلبه وكان الشاب عبد الله من البادية يسكن البرية فى الخيم وكان ابوه شيخاً اسمه ابو مسلم فظهر له فى المنام كما ظهر للشاب عبد الله وكتب الشيخ المنام وعلقه على باب الخيمة فلما رأوه المسلمون اجتمعوا له ليعرفوا الخبر فاعلمهم فقالوا له نحن نساعدك وإذا نصرك الله نحن نملكك علينا فاجتمع له عدة كثيرة من القبائل لما سمعوا بذلك وصار معه عشرون الف فارس ولكن لم يكن معهم سلاح فقطعوا جرائد من النخل وجعلوا عليها الاسنة وخرجوا للقتال وقوة الله معهم فخرج اليهم مروان ومعه مائة الف مقاتل بالعدد والسلام والزرود والخوذ والتقوا فقسم عبد الله جيشه على فرقتين فلما رآهم مروان قال لهم كما قال جليات الجبار لداءود خرجت للقائى مثل الكلب فاخرج مروان له اربعين الف فارس بثياب ملونة مدرعين لابسين الحديد وكان اكثر عسكر عبد

الله رجاله فقتلوهم بنصر الله حتى لم يسلم واحد منهم ونصرهم الله عليهم كقول موسى النبى ان واحداً بنصر الله له يهزم الفا واثنان يرعبان عسكراً ونظر ابو مسلم ملاك الرب وبيده قضيب ذهب وباعلاه صليب فهزم اعداءه وكان ينظر الموضع الذى يدنو منه الصليب يسقطون بين يديه امواتاً فيأخذ اصحاب عبد الله وابى مسلم خيلهم وسلاحهم ثم اخرج لهم ايضاً مروان اربعين الف فارس اخرى فى رابع ساعة من النهار من خلف المحجر فاسلمهم الله فى ايديهم واخذوا خيلهم وسلاحهم فلما نظر مروان ذلك انهزم وفعل خديعة وهو انه اخرج ماله وما يملكه من الأموال والأوانى والمتاع وجعل الذهب في مزاود وصار بيده فى الطريق وهو منهزم ومعه عشرون الف فارس التى بقيت معه ولم يعرف عبد الله وابو مسلم خديعته فلما تبعوه اشتغلوا بنهب المال والسلاح سبعة أيام فمضى مروان وعدى الفرات وغرق جماعة من اصحابه وطرح النيران فى المراكب ولم يصل الى البر الا هو فى ثمنية آلاف رجل فتقدم الشيخ ابو مسلم لعسكره بان يعملوا صلباناً من كل نوع ويجعلوهم قدامهم وقال لهم ان هذا هو الذى اعطانا الله الغلبة به وهو الذى اخذ لنا المملكة وكانوا يزدادوا كثرة ويجتمع الناس اليهم من كل موضع يصلون اليه من خراسان وبيت صيدا والفرات وبلاد الروم وكلمن سمع من البلاد البعيدة وكل مدينة يملكونها يركزون اصحابهم فيها فاما مروان فكان يطرح النار فى كل موضع يصله وهو منهزم فلما وصلوا ابو مسلم وعبد الله الى الفرات ونظروا الحريق فى المراكب لبسوا ثياباً سواداً ولم يحلقوا رؤوسهم ولا اجتمعوا بنسائهم ولزموا الصوم والصلاة ستة شهور الى ان اسلم الله عدوهم فى أيديهم ثم انهم استخدموا مراكب وعبروا الفرات وتبعوا مروان وكانوا اذا وصلوا موضعاً فيه نصارى يصلحون عليه علامة الصليب وكانوا يعملونه على خيامهم وثيابهم والمسلمون يلبسون ثياباً سوداً ومن لم يكن بهاتين العلامتين قتلوه لأن اصحاب مروان كانوا فرسيين فكانوا لا يرون بذلك فكانوا إذا وجدوهم قتلوهم وشقوا بطونهم وكانوا يشقون بطون نسائهم الحبالى ويقتلون الاطفال ويقولون ما ندع لهم من يسئل على الأرض .

ثم دخل مروان الى بيت مال المملكة يعنى دمشق لانها كانت كرسى مملكة فى أمته وأخرج منه مالاً كثيراً وجواهر وذخائر واحرق الباقى بالنار وكان يفعل هذا حتى

احرق سبع كور فلما سمع عبد الملك صاحب مصر الخبر خاف ان يخرجه مروان الى الحرب فكتب اليه كتاباً بمكر يدعوه الى مصر ويقول له فيه ليس لأعدائك مدخل اليها فسار وكان يقتل مقدمى البلاد والكور التى يعبر عليها ويأخذ اموالهم وكذلك كان يفعل فى ديارات الرهبان اخربها واخذ أموالهم وكان باعمال فلسطين دير طاهر نظيف ويقرى آلافاً من عابرى الطريق وكان فيه الف راهب وكان اسم ذلك الدير دير موت ويسمى بلغة القبط دير ابا هرمانوس وهو الذى اصلح فيه مكسيموس ودومادیوس اخوه هناك أولاً وهو الذى اخذ طومس لاون ومضى الى قبور ابائه ومعه جند الملك وصاح على قبورهم بصوت عظيم وقال لا تظنوا انكم نيام وليس لكم امر حى هو الرب ان لم تجاوبونى لاخرجن عظامكم واحرقها بالنار عرفونى ما ترون هل اقبل طومس لاون أو مائة نيقية فقولوا لى علانية سرعة فاجابوه كلهم من فم واحد وصرخوا وقالوا ملعون لاون الكافر الاسد المفترس للنفوس وطومسه الطمث وملعون مرقيان الكافر وبلخازية المرذولة وملعون مجمع خلقدونية الستمائة وثلثون اسقفاً المخالفين وملعون كلمن يقبلهم وملعون من يجعل المسيح ابن الله طبيعتين بعد الاتحاد فلما سمع الطوبانى ابا هرمانوس سقط على الأرض قلما نظره الأمير الواصل بالطومس وسمع كلامهم له حلق رأسه وصار راهباً وجماعة معه ثم استحق الشهادة بعد ذلك لأن مرقيان الملك لما بلغه عنه ما فعل انفذ فقتله ومن ذلك الزمان جماعة من الارثدكسيين باقون فى هذا الدير الجليل ولما وصل مروان الى هذا الدير المذكور طالبهم بمال مبلغه ثلث وزنات وانزل على رئيس الدير والذى معه عذاباً شديداً وقتلهما ونهب الدير وخرج ومعه جيشه فلما بعدوا عن الدير قليلاً كان هناك حبيس على عمود شيخ كبير له فيه عدة سنين وكان ارثدكسياً تاودوسيوسياً فقال بعض اصحاب مروان ان هذا الشيخ الراهب كلما يقوله حق ويصح وجاء إليه فقال له ماذا يجرى على فقال له الشيخ بصوت خفى كصوت ارميا النبى إذا قلت لك الحق انت تقتلنى ولكن انا اقول ما اظهره الله لى والذى قال الله لى عنك الكيل الذى كلت به يكال لك كما انك جعلت الامهات بغير اولاد كذلك تصير امك بغير اولاد ويكون مسلكك مخوفاً جداً لكلمن يشاهدك ويستأسرون أولادك ونساؤك وكلمن لك ويأخذ ملكك الذى يتبعك الآن ولا يأخذ احد من جنسك الملك الى

الأبد ويهزمونك اعداؤك الى ان تصل الى ارسنويتس الى الكلاوبطرة يحل بك هذا كله في هذه السنة فى شهر مسرى فلما سمع ذلك مروان أمر بهدم العمود وانزل الشيخ منه فاحرقه بالنار وهو حى .

ثم وصل إلى مصر فى عشرين يوماً من شهر بؤونة فى سنة اربع مائة وسبع وسنين للشهداء وكان قبل ان تجرى هذه الأمور قد عصى على عبد الملك قوم من الشمور ومقدمهم مينا بن بقيرة وقوم آخر من شبرا بسنبوط ومسكوا تلك الكورة ولم يعطوه خراجاً ولا لصاحب ديوان مصر الى ان افتقدهم الرب وكان يعطيهم الظفر فخرج اليهم عبد الملك بعسكر فهزموه بقوة الله وقتلوهم بحد السيف وانفذ عسكراً آخر واسطولاً فى البحر وبقوة الله هزموهم وقتلوهم ولما وصل مروان الى مصر عرفوه جميع ذلك فكتب لهم كتباً واماناً فلم يقبلوه فانفذ لهم عسكراً كثيراً من مسلمى مصر ومن وصل صحبته من الشام فلم يقدر العسكر ان يصل اليهم بالجملة لانهم تحصنوا فى مواضع الوحلات التى لا يقدر ان يصل اليها سوى رجل رجلا فإذ زلت رجله عن الطريق غطس فى اللوث وهلك وكانوا العساكر يحرسونهم من برا فيخرجون لهم فى الليل الشامرة من طرق يعرفونها يتلصصون عليهم ويقتلون من قدروا على قتله ويسرقون اموالهم وخيلهم فيطول عليهم الأمر فيرحلون عنهم .

ثم وصل عبد الله الملك بعساكر عظيمة الى اعمال دمشق فقسم عسكره مع أميرين شجاعين يسمى احدهما صالحاً بن على والآخر ابا عون صديقه وقال لهما اذا وجدتما مروان واخذتماه قدمتكما ملكين وابو عون اعطيه مصر ثم سير مع صالح ستين الف فارس وستين اميراً وسلم لأبي عون اربعين الف فارس واربع مائة قائد فوصلا الى دمشق وكان واليها صهر مروان زوج ابنته الكبيرة فخرج اليهما طائعاً فابقياه على ولايته وتوجها الى مصر وعند وصولهما الى غزة قالوا لهما اهلها لم يلبسوا اهل دمشق السواد ولا أدوا لكم طاعة فعادوا بغضب وقتلوا جماعة كثيرة من اكابر اهل دمشق وقتلوا واليها صهر مروان واسروا ابنة مروان ولما بلغ الخبر مروان عرض عسكره

فوجد من وصل معه ثمنية الاف فامر الرعية قائلاً كلمن لا يدخل فى دينى ويصلى صلاتى ويتبع رأيى من اهل مصر قتلته وصلبته ومن دخل معه فى دينى خلعت عليه واركبته واتيت اسمه فى ديوانى واغنيته فتبعه الف انسان سرعة وصلوا صلاته فدفع لكل واحد عشرة دنانير ثم اجتمع اليه الفان من مسلمى مصر سوى من قد اطلقه من الحبس ومن كان خدمه من اجناد عسكر المملكة وانفذ ابن اخته الى الاسكندرية ومعه مقدم من مقدمى عسكره وامر ان يأخذ الاسماعيليين بان يصلوا صلاته وكان بالاسكندرية رئيس مقدم المسلمين اسمه الاسود قد اجتمع له خلق كثير عضد ما كانوا المسلمون يقاتلون الروم وكان قد تقدم مروان الى الذين انفذهم اليها بان قتلوه هو وعشرة مقدمين له من اجل انه لم يصل اليه إلى مصر وكان للاسود صديق مصر عند مروان جليساً له فسمع ذلك فكتب الى الأسود يعرفه بما كان قبل وصولهم الى الاسكندرية فلما علموا أهل الاسكندرية ذلك حلفوا للأسود وصاروا هو وهم قلباً واحداً فلما وصل رسول مروان ومن معه قبضوهم ورموهم فى السجن وحشد الأسود جمعاً كثيراً من الاسكندرية ومريوط والبحيرة من المسلمين الذين فى تلك النواحى وجعلوهم خارجاً عن صور الاسكندرية لحفظ الطرقات فلما اعلموا مروان ذلك انفذ عسكراً عظيماً صحبة أمير مقدم اسمه كوزاراً وكان يشبه الوحش فى خلقه وخلقه وكان شجاعاً ومعه خمس مائة مقاتل وتقدم اليهم بان يخربوا الاسكندرية فنزلوا فى موضع يسمى باقوم بعيداً من الاسكندرية فلما سمع الاسود ارسل اليهم اخاه ومعه خمس مائة رجل ليتحققوا الخبر فلما نظروهم اصحاب مروان ظنوا انه عسكر من البلد وليس فيها من يقاتلهم سواهم فنهضوا اليهم وقتلوا اكثرهم وانهزم بقيتهم عائدين إلى البلد وهم يتبعونهم فلما وصلوا الى الاسود ومن معه صرخوا قائلين قد اخذت مدينتنا فانهزموا جميعهم وكان عددهم ثلثين الفا وهرب الاسود واختفى ودخل عسكر مروان المدينة مع كوزاراً وملكها وقتل منها جماعة ونهب اراختنها واستأسر أولادهم ونساؤهم واخذ كلما لهم واخذ الاب انبا ميخائيل وقال له كيف مكنت اولادك النصارى ان يقاتلونا يعنى عن البشامرة وخاطبه بكلام كثير والتمس منه مالاً فلم يكن معه شيء فأودعه السجن

وجعل رجليه فيهما طوبة حديد وكان تلاميذه وبعض كهنته لما جرى بالاسكندرية هربوا ولم يبق منهم سوى انبا مينا القس الاقنوم الذى لبيعة مارى مرقس الانجيلى التلميذ ولاتينوس الشماس كاتب القلاية وبارتولوماوس الراهب السمنودى لأنهم كانوا قد ربطوا معه ثم انه اخذ قسماً بطرك الملكية وجعل رجليه مع رجلى ابينا البطرك فى الحديد فبعد خمسة ايام احضر قسماً من شعبه وبيعته الف دينار ودفعها لكوزارا فحلاه وانفذ الى ابينا وقال له افعل هكذا واخليك فاجابه ان ما فى بيعتى شىء وأنا اجعل نفسى عوض المال فما اردت فافعل فى وضيق عليه حينئذ الى تمام تسعة أيام فاحضره اليه وامسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه وكان فى يده قضيب فضربه به مائتى دفعة على رأسه بكل قوته وحيله وكان السيد المسيح معينه وحافظه لم ينله من ذلك شىء ثم أمر بضرب عنقه وكانوا يحبذونه مثل الخروف الساكت فلما بعدوا عن ذلك الكافر قليلاً أنزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه ثم إنه مد رقبته سرعة بفرح ومد السياف يده وجرد السيف وصاح قائلاً أخذ رأسه كما جرت عادته ان يستأذن عليه ثلث دفعات ثم استأذن ثانى دفعة وهو يأذن لم ثم طرح الله فى قلبه وقال ما فائدتنا فى قتل هذا الشيخ وقد كان منع البشامرة عن قتالنا وكتب اليهم فما قبلوا منه لكن نحمله معنا الى رشيد وندعه ايضاً ان يكتب لهم ويقول ان كلما حل بى لاجلكم فامر بتخليته .

فلما بلغ الخبر البشامرة خرجوا لاولئك الذين كانوا يحاصرونهم فقتلوهم وطردوهم وهم مسيرة يومين والذى خلص من الموت مضى الى مروان وعرفه الذى جرى عليهم ووصل الخبر الى مروان بان اعداءه قد قربوا منه وقتلوا صهره زوج ابنته والى دمشق فكتب مع الذين انهزموا إليه من عند البشموريين كتاباً يقول لهم تعالوا الى سرعة قد احتجت اليكم وكل بلد تصلون اليه انهبوه واقتلوا اهله فساروا اولئك الكفرة الى الصعيد وقتلوا جماعة من الأراخنة ونهبوا اموالهم وسبوا حريمهم واهاليهم واولادهم واحرقوا ديارات الرهبان واخذوا الرهبانات حتى وصلوا الى الشرق وكان هناك دير رهبانات عذارى كن فيه عرائس للمسيح وعدتهن ثلثون عذراء فملكوهن عسكر مروان

وكان فيهم صبية عذراء دخلت الى الدير وهى ابنة ثلث سنين فلما نظروها بهتوا من حسنها وقالوا ما شاهدنا قط فى بنى آدم صورة مثل هذه فاخذوها واخرجوها من وسط اخواتها وتشاوروا فيما يفعلونه فيها فمنهم من قال نتقارع عليها ومنهم من قال نمضى بها الى الملك وفيما هم يقولون هذا قالت لهم الصبية اين هو مقدمكم اعلمه بشيء يساوى اموالاً وتخلونى فانا عابدة لله وما يحل لكم ان تفسدوا عبادتى بل إذا علمتكم بذلك الشيء الذى يحصل لكم فيه اموال تردونى الى ديرى فقال لها مقدمهم انا هو فقالت له ابائى كانوا قوماً مقاتلين شجاعاناً اقوياء دفعوا لى دواء كانوا يدهنون به إذا خرجوا للقتال فلا يعمل الحديد فيهم شيئاً وتصير السيوف والرماح مثل الشمع قدامهم فان خليت سبيلى دفعته لك وان كنت لا تصدق كلامى فانا ادهن رقيق قدامك وجب اجود سيف يكون مع رجال ودع أقوى من فيهم ان يضربنى فلا يقطع فى شيء لتعلم صحة قولى وإنما قالت ذلك لأنها رأت أن تموت بالسيف ولا يلتصق بها نجاسات الكفار ولا يتنجس جسدها الطاهر بهم ثم دخلت بيتها فاخرجت برنتية فيها زيت قد صلى عليه القديسون وكان محفوظاً عندها فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها وصلت تركب على ركبها ومدت عنقها فظنوا الجهال ان الأمر صحيح ولم يعلموا ما فى قلبها ثم قالت لهم من كان فيكم قوياً وسيفه ماض قاطع فيظهر قوته فى فأنكم ترون مجد الله فى هذا الدواء عند ذلك وثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها ببلينها وطأمنت رأسها وقالت له اضرب بقوتك كلها ولا تبال فضرب القديسة الشهيدة فطارت رأسها فعلموا حينئذ ما فعلت وانها خدعتهم فندموا وحزنوا حزناً عظيماً ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتوا بعدها لاحدى من الرهبانات العذارى بل تركوهن ومضوا وهم يمجدون الله .

ثم كتب مروان الى كوزارا الذى كان قد انفذه الى الاسكندرية بان يسرع إليه ولا يتأخر عنه فإنما سار الى رشيد اعلموه ان البشامرة قد قتلوا المسلمين الذين كانوا فيها واخربوها واحرقوها بالنار وان العدو قد قرب فسلم الاب البطرك لاحد الامراء ليوصله الى مروان ثم انى سرت واعلمت ابى ابا مويسيس الخبر لما فيه من النبوة التى اعطاه

الله إياها والعجائب فصدقونى فيما اقول فقد ابصرت بعينى وذلك ان قبل وصول مروان الى مصر لم يكن هناك قتال اعلم بنبوة من الله ما يكون من الملوك وما يجرى على البيع والشعب المؤمن المسيحى قالوا له فى الرؤيا استعد فانك تكون مع الآباء فى القتال وفى تلك السنة كان يكثر صلواته وتعبده ونومه على الأرض نهاراً وليلاً ومداومة الصلاة والحزن والبكاء والدموع الغزيرة فلما رأيته انا البائس كنت اسأله واتضرع اليه ان يعلمنى السبب الذى يفعل ذلك بنفسه لاجله وكان ذلك الأب القديس يبغض المجد الفارغ ويقول لى يا ولدى ذنوبى كثيرة واذا ذكرتها بكيت وندمت وقدمت الصلوة لله اسأله الغفران وكان فى انا الخاطىء يسير من الإدلال عليه لملازتى له ليلاً ونهاراً ولاجل ذلك مسكت قدميه وقبلتهما ودموعى تجرى عليهما وقلت ما اقوم ولا ارفع وجههى حتى تعرفنى حقيقة هذا الأمر فقال لى إذا كان لابد لك من ذلك فتكون مشاركاً لى انت ايضاً لأنه لم يبق لاحد فى أيام هذه المملكة خلاص وخاصة ما يجرى على البيعة من الشعب لكنى اعلم ان السيد المسيح ما يتركها الى التمام وانها تخلص من التعب وهذه المملكة تبيد وجميع جيوشها وتكون بعدها مملكة جديدة فسمعت منه من هذا وغيره كثيراً وانا اعلم ان كل كلمة يقولها حق وتتم فى وقتها وبقيت متطلعاً لذلك ولما يأتى بعده ومن بعد ذلك اليوم وقع الطرد على مروان ومملكته ووصل الى مصر كما تقدم القول وكنت متفكراً وقائلاً ما الذى يجرى على بيعة الله فى زمان الصلح والهدوء وغيره وفيما هو يحدثنى وإذ الآب البطرك قد وصل وصحبته الجند الى باب البيعة المقدسة بمدينة وسيم صباح يوم الأحد العاشر من أبيب فلما ابصرهم ابى القديس مويسيس قال لى يا ولدى هذا اليوم الذى انا منتظره الذى قلت لك قد حضر والعيان أجود من السماع والآن من اراد ان يبذل نفسه فيتبعنى وانا افرح اليوم لان لى زمان اشتهى هذا اقول اننى ما استحق ان اسفك دمى الدنس عوضاً من الدم الزكى المسفوك عنا لكن عظيم هو الحزن الذى فى قلبى لأن جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جداً إذ لا نجد انساناً يشاركنا فى هذه الخدمة هكذا كما شهدت فى زمان المجمع وكان ابى مويسيس مع ما كان عليه من الصوم والصلاة والصلاح الكثير يقول

ويلى انا الخاطىء انا اعتقد ان المسيح ما يتخلى عنى لكن يعينني وكانوا الجند يقلقونا ثم تقربنا من يد الاب الجليل ابا ميخائيل البطرك القديس والشهيد المختار ونظرنا النار صاعدة فى الفسطاط واخبرونا ان مروان احرق مخازن غلة وقطن وتبن ومخازن الشعير فلما علموا الجند بهذا اقلقونا كثيراً وصرخوا علينا بضجر عظيم وجعل ابى مويسيس يده على يدى ولبس ثوباً ووزرته وترك جميع ما فى بيعته وخرج ولم يكن احد مع البطرك من الاساقفة ولا من أولاد البيعة سواى وحدى وقارىء واحد من بيعة القديس ابى مقار اسمه يعقوب كان من أهل بلنيس وأمر مروان ان يضرب البوق بمصر والنداء ثلثة أيام ويقول انه بعد ثلثة ايام أن وجدت بمصر انساناً أو دابة متخلفة قتلته لأنى اضرب جميع الفسطاط بالنار فعدوا الناس كلهم الى الجيزة والجزيرة وغيرها وهرب جميع الناس في المراكب حتى البنات المخدرات اللاتى لم يخرجن قط خرجن اليها مع اهاليهن وتركوا الناس جميع اموالهم وضرب النار من قبلى مصر الى بحريها حتى انتهت الى الجامع الكبير الذى للمسلمين ووقع فى البحر من الناس والبهائم ما لا يحصى عدده بحسب انهم لم يجدوا من يعدو بهم لما هربوا من النار وكان الأخ يهرب من أخيه والصديق من صديقه والأعمى لا يجد من يقوده والمقعد والمفلوج والضعيف والشيخ الفانى والعجوز التى لا نهضة لها جميع هؤلاء احترقوا بالنار وكانوا الناس مطروحين فى الشوارع والازقة والغيطان فى أعمال الجيزة كالأموات مما حل بهم تحت شقاء عظيم وجوع ونعطش ولا يجدون ما يقتاتون به من كثرة الخلق وكانت الغلات التى بمصر قد أحرقها مروان فمضوا الجند الى كوزارا واسمه فى نسخة أخرى حوثرة فاعلموه بوصولنا فأمر واحداً اسمه ازرق ان يأخذنا عنده حتى يدبر رأيه ثم اعلم مروان ان اعداءه الخراسانيين قد وصلوا الى الفرما فانفذ قوماً الى بحرى فى المراكب الى كل كورة ليحرقوا كل مركب يجدونه فى البحر ففعلوا ذلك وأرسل قوماً أخرين فى البر وتقدم اليهم بحرق المدن والكور والكروم والسواقى وكلما يجدونه فساروا حتى وصلوا أتريب فهموا بحرقها وكان هناك خمسة بحور ماء تجرى الى الغرب سوى خلجان كانت تجرى من البحر المسمى جيجون وهو بحر النيل وظن مروان انه يقيم فى الوجه الغربى

والخراسانيون فى الوجه الشرقى وأنهم اذا وجدوه خراباً رجعوا لكونه خالياً من الناس والبهائم والغلات والمستغلات ولا يجدون فيه ما يقوم بأودهم ولا مراكب يعدون فيها اليه فلا ستقر بهم المقام فيرجعون على أعقابهم فأعلموه بقرب وصول أعدائه وان فى البحر مواضع مخاضات يتواصلون فيها اليه فعرفوه فأنفذ أعاد الذين سيرهم الى أتريب ولم يحرقوها لأنهم عادوا اليه سرعة وفى ثامن عشر يوم من أبيب سنة أربع مائة وسبعين للشهداء أحرق حصناً فى مصر فى تلك الليلة لأنه عدا فى المراكب هو وجميع عسكره فنزل على شط البحر حتى أحرق الحصن ولم يحرق المراكب التى كانت معه فى بر الغرب وكانوا الجند يحضرون اليه فى كل يوم فى فيقول لهم احتفظوا بالمراكب وفى كل موضع يمضى اليه يسوقنا معه ونحن تحت تعب عظيم من كثرة الخلق والدواب والزحام والضغطات .

وعند غروب الشمس فى اليوم التاسع عشر من أبيب وصلوا الخراسانيون الى مصر وشاهدهم من البر الغربى فأمر بأجتماع أصحابه فى تلك الليلة ثم تواصلوا الخراسانيون الى مصر بالغداة وهم يشتمون مروان وأولاده شتماً قبيحاً وتكاثروا جداً وضربوا خيامهم قبلى الفسطاط فى موضع يعرف بالاصطبل وافترشوا الى الجبل وشط البحر كان أولهم وآخرهم من الفرما الى غزة وكانوا هؤلاء الطوالع ونزل مروان ساعة فى ليلة العشرين من ابيب وكان سائراً على الطريق وأمر باحضارنا لأنه كان ممتلئاً حنقاً وغضباً علينا مما حكى له عنا حوثره فما أعظم الحزن والمهم اللذين نزلا بنا فى تلك الساعة وأنا اذا تفكرت فيما كان أخاف وارتعدت ممن لا يبكى اذا نظر ما جرى علينا ومن لا يحزن لما أصابنا لأنه تم علينا قول داءود النبى فى المزمور[1] اذ يقول معارفى وقفوا منى بعيداً هرب كلمن كان معنا وحولنا من التلاميذ وغيرهم ولم يبق معنا سوى القس مينا ارشيبايا بيعة أبى سرجة والاغومنس تيدر الذى استحق الأسقفية بعد ذلك والشماس كاتب البطرك لأنه كان بمصر هؤلاء تركوا نساءهم وأولادهم ومالهم وتبعونا قائلين نحن نموت معكم فلما رأى الأب ميخائيل حسن سريرتهم بارك عليهم وأمرهم ان

(١) مزمور ٣٧

يعودوا ولا يتبعونا فلم يفعلوا ثم مشوا معنا وكنت انا لابساً اسكيم الرهبان بغير استحقاق وكان أبى مويسيس الأسقف يمسك يد الأب الشمال وأنا امسك يده اليمين فلما وصلنا الى خيمته خرج الينا السياف وهو مخوف جداً فعاد معنا بأمر الملك فلما نظر الينا قال من هو فيكم البطرك فقبل له هذا فأمر ان يقدموه اليه وسلموا أبى الى جند يأكلون لحوم الناس وافردونا ناحية ثم طرح الأب انبا مويسيس على ركبته ورفعوا رجليه الى فوق وضربوه بدبابيس نحاس على أجنابه وعلى رقبته وكانوا يقولون له أعطنا برطيلاً ونخليك فلم يقل لهم كلمة واحدة لأنه ما يعرف ما يقولون له الا ما كنت انا أفهمه من كلامهم واقوله له كلمة بعد كلمة وكان ساجداً على الأرض يصلى ويشكر ويدعو الى الله ان يجعله مستحقاً ان يتألم من أجل بيعة الله ولم يخاطبنى انا بلفظة واحدة لأنهم كانوا ينظرون لباسى زرياً وكان الأب القديس انبا ميخائيل البطرك قائماً ووجهه الى مروان وكان ينظر نحو مصر وينظر اعداءه والخراسانيون ينظرون اليه والمصريون علي شاطئ البحر جميعهم يشتمون مروان كما قلنا أنفاً واذا بواجد من الخراسانيين رمى بنشابة الى البر الغربى ونحن نظره وكانوا بقية النصارى بمصر قالوا للخراسانيين هذا أبونا البطرك عند مروان الكافر وما ندرى ما يصنع به وكانوا البشامرة قد لقوهم من الفرما وقالوا للخراسانيين ان بطركنا قد أخذه مروان ليقبله بسبب اننا قاتلناه وقتلنا عسكره قبل مجيئكم وكان حوثرة الكافر عند مروان يقول له هذا البطرك كان يقول تقووا فان الله ينزع المملكة من مروان ويسلمها لاعدآئه ومثل هذا كثيراً فلما سمع مروان هذا قال ترجمانه للأب البطرك أنت بطرك الأسكندرية وذلك عن قول مروان فقال انا عندك نعم وأنا سمعت منه هذا لأنى كنت قريباً منه فقال له مروان قل لى أنت رئيس اعداء مذهبنا فاجابه البطرك القديس وقال ما أنا رئيس اشرار بل اخيار وشعبى ليس يعمل سوءاً لكن التعب أهلكهم حتى أباعوا أولادهم ولم أسمع بعد هذا كلمة أخرى من فمه ثم أمر مروان الأعوان الذين يمسكونه ان يمدوا اليه ايديهم بسرعة وينتفوا شعر لحيته من عارضيه ورموا شعره فى البحر وأنا انظره بعينى يعوم على الماء وكانت لحيته كبيرة حسنة نازلة على صدره مثل لحية يعقوب اسرائيل وكانوا

الخراسانيون فى البر الشرقى ينظرون ما يعمل به فلو وجدوا سبيلاً يعدون الى مروان لكانوا يقتلونه لما رأوه من ظلمه وقساوة قلبه ولكن لم يجدوا مراكب يعدون فيها بالجملة ولم يكن البحر زاد شيئاً الى أول سرء وكان البحر الغربى قد نشف بغير ماء والبحر الآخر الشرقى كان فيه مراضع قلة مخاضات ولم يكونوا الخراسانيون يعرفونهم وكان مروان قد حرس عليها لمعرفته بها ولا يقرب مركب من ناحية الغرب الى مصر ثم جازت الساعة السادسة ذلك اليوم والأب البطرك قائم بين يديه أمرأمره بغير لحية وأبى مويسيس فى العقوبة التى ذكرناها أولاً الى الوقت المذكور فتح الرب محب البشر عينى قلبه ونظر الشهيدين سرجيوس وواخس ونعمة الله حائطة بهما فى شبه فارسين من جند الملك عدوا البحر وهما راكبان خيولهما ولم يشاهدهما أحد سواء وحده حتى وقفا مقابل وجه مروان فقالا له ما قعادك هاهنا وقد عدوا أعدأوك الى الغرب ولم يشاهدهما أحد الا أبى الأسقف أنبا مويسيس ومروان لا غير وكان الأب البطرك مع الأعوان يعذبونه ثم غابا الشهيدان القديسان . ورحل مروان وأمر الحشود ان تلحقه وأمر ان نحفظ الى الغداة فاقمنا بقية ذلك اليوم على شاطئ البحر ونحن فى الشمس كما أمر الجند حتى ظننت ان أبى ما يعيش الى مغيب الشمس من شدة العذاب الذى عذبوه فما كان بالغداة باكراً كان معنا أساقفة ورهبان من وادى هبيب جاؤوا لينظروا ما فعلوا بنا فجاؤوا الآخر معنا ثم جاء مروان لأنه كان راكباً وجلس وأمر بأحضارنا باكراً لفما طلعت الشمس أحضر سيافاً وأحضر أبانا انبا ميخائيل وحده ليدخل به اليه فمسك السياف يده وخل به وقال لنا قفوا حتى يستدعيكم فصرخ أبى أبا مويسيس وقال حتى هو الرب لا فارقت أبى ابداً لكن أتسعه الى كل مكان يمضون به اليه فاسرعت انا ايضاً معهما لأعلم ما يعمل منهما فلما رائ السياف قال له ما أمر الملك الا بدخول البطرك وحده فقال له الأسقف قد قلت لك انى ما أقدر انت افارق أبى بالجملة وأنما جئت هاهنا بسببه فمهما أردت أفعل فما افارقه فغضب السياف وقال له بحنق ما يجوز مخالفة الملك وأنت فما تسمع وكان فى يده دبوس نحاس يكون وزنه عشرين رطلاً فشال الدبوس ليضرب أبى على رأسه فقدم رأسه اليه فلما اراد ان يضربه صاحوا عليه جماعة

من أصحابه المستخدمين ولم يدعوه ان يضربه وكان جميع العسكر يقولون بلسانهم ولغتهم حقاً ان هذا الأسقف نعم الخادم لربه ثم جاء رسول أتى قائلاً أدخلوا بجميعهم فقد أستدعاهم الملك فدخلنا جميعاً فكان مروان جالساً على شاطئ البحر فتقدم أولا الأب الطوبانى وحده كما أمر مروان وأوقفه بين يديه نهاره أجمع نحو عشر ساعات ووجهه اليه وكان قلبه عند المسيح ويداه مبسوطتان وجوارحه تدعو ويصلب على وجهه ولا يخاف من الملك لبغضه لعلامة الصليب فلم يخاطبه بكلمة واحدة وكان حوله عده سيوف مسلولة والات الحرب فاما نحن فأمر ان يجعلونا على ساره فى ناحية مفردة وأمر أيضاً باحضارنا وتسليمنا الى قوم أخرين غير الذين جابونا من الأسكندرية فسلمونا الى قوم كأنهم الوحوش وأمر رجلاً من أصحابه مقدم رجال عنده اسمه يزيد كان شجاعاً أكثر من كل من عنده ان يتسلمنا وكان عدتنا فى ذلك اليوم عشرة سوى الأب البطرك أنبا ميخائيل فجعلو مع كل واحد منا ثلثه من الجند وضيقوا علينا جداً فلما حميت الشمس اعد لنا ذلك الأمير الات العذاب مختلفات لأنهم لم يتفقوا على قتلة يقتلونا بها ثم سألنا انا وأبى مويسيس الأب البطرك ان يقول علينا صلاة التحليل كقانون البيعة ففعل ذلك ثم قلنا على بعضنا بعضاً وصغيرنا يقول للكبير أن وجدت رحمة عند المسيح أذكرنى وحولنا وجوهنا الى الشرق وصلينا والناس ينظرون الينا من البر الشرقى والغربى وجماعة من المسلمين يكون علينا وكان ولد مروان الكبير اسمه عبد الله باكياً علينا أيضا مع الناس فتصلع مروان الى البر الشرقى فرأى الخراسانيين فى كثرة فقلق لذلك وكان يقول كيف أقاتلهم ولم يدر ما يفعل وكان عبد الرحيم الكافر المذكور انفاً عرف الذى لطخ به المراكب فامتنعت النار عنها فلطخ المراكب وحمل على كل مركب ثمانين رجلاً وأمر ان يقاتلوا الناس فرموا عليهم النيران ومهما وجدوا من المراكب أحرقوها ووصل مركب الى البر الشرقى كان فيه صالح وأبو عون ومن معهما فانقلب به المركب فغرق جميع من فيه خلا رجلاً واحداً ويلقطون المصريون الموتى وأخذوا ما عليهم توما كان لهم من عدة ومال والأحياء الذين لم يغرقوا استأسروهم وربطوهم رجلين رجلين بسلاسل الحديد فى حلوقهم وجذبوهم الى البر

وسلموهم تالى الخراسانيين وكانوا الخراسانيون قد جابوا مراكب عدة الى مصر فلما جازت عشر ساعات من ذل اليوم تقدم الى يذيد الذى نحن عنده ان يأخذنا الى بحرى النزهات فصلينا على حافة البحر فى الغيظ فلما مضوا بنا يجرونا بحق عظيم فنظر الرب سريرتنا وأمانتنا القى فى قلب عبد الله ولد مروان الكبير أن يطارح اباه مروان وهو يبكى بدموع غزيره وسأله ان يخلينا وقال هو ذا ترى اعداءنا محتاطين بنا ونحن مستعدون اذا اشتد بنا الءمر لأن بمضى الى بلاد السودان وهم على ما قيل لنا أولاد هذا الشسخ فان قتلته فما يقبلونا بل يقومون علينا هم ايضاً ويقتلونا فلما سمع منه ذلك أعادونا الى الاعتقال وكان فى ذلك الموضع أربع حبوس فما دخلوا بنا الحبس استونقوا منا بالخشب والحديد ونحن تحت ضيق عظيم وأول من قيد بالحديد الأب القديس البطرك وبعده الأسقف أنبا مويسيس وأنا ولده يحنس الفقير البائس الشماس الذى وضع يده المقدسة على بغير استحقاق ثم اسقف طنبذا[1] أنبا مينا كاتبه وأنبا زخارياس أسقف اتريب وولده الروحانى اسقف بوصير واسمه بطرس الذى اخذ الكرسى فى تلك الأيام والشماس جرجة ولد الأب الروحانى الذى أخذ كرسى البسراط وأثناسيوس أرشيبايا بيعة أبى مقار وأبا يعقوب الذى استحق ايضاً أسقفية سنجار[2] واخوه الروحانى ولد الأب بطرس من سمنود ونخن الأحد عشر جعلوا فى رجل كل واحد منا طوبة حديد ثقيلة جداً يكون وزنها نصف خنجور وجلعونا خلف ثلثة أبواب خشب ليس ضوء ولا هواء ولا راحة وكناواحد ينظر الى الشرق وواحد ينظر الى الغرب وكان يغشانا الضيق اكثر من الحديد حتى فقاربنا الموت من الضغطة والرباط بغير رحمة وأمر ذلك الملك الكافر مروان ان يضيق علينا وكان الأب حزيناً علينا أكثر من همه بنفسه وكان يشجعنا بكلام الله والقوانين المقدسة التى لأبائنا المقدمين وكذلك ما كان احد منا يخفى عن الآخر شيئاً وكنا كلنا نفساً واحدة كما قال بولس منتظرين الأمر ونسئل الله ان يأتى به سرعة لنجعل نفوسنا عن الشعب لئلا يهلك واحد منهم وكان الأب اذا تكلم يتكلم بمنطق روحانى كأنها قيسارة يخرج من فيه نسيم الحياة بتسابيح

(١) طنبوى مركز شبين الكوم (٢) قرب مندثره فى بحيرة البواس شمال الدلتا

روحانية وكان مواصلاً الصيام والصلاة نهاراً وليلاً فاما أبى مويسيس فأول ساعة دخلوا بنا السجن وقيدونا تنبى لنا وقال ما يقتلونا فى هذه الدفعة ولا نخرج من الأعتقال ومروان فى الحياة وكان كما قال وكنا اذا اردنا ان نفطر كان انسان يعرف ابن كسطس ينفذ لنا ما نفطر عليه وليس عندنا سعة تأكل ولا تقدر ان نلتفت يميناً ولا شمالاً من الضيق وكان غلاء عظيم فى بر الجيزة من كصرة الخلق وكان القمح لا يوجد بالجملة والشعير كذلك بعد ان كان بيع الويبة بثمن عظيم وعند الضيقة صار الملح بسعره الأول .

ثم أن مروان بعد تلك البلايا التى فعلها تفى كل مكان أمر من معه ان يفتلوا ويأسروا وينهبوا ففعلوا ذلك وأنفذ الى الصعيد وقتل جماعة النصارى وكان المتولى لهذا الأمر من قبله رجلاً يسمى مروان بن عبد العزيز الذى بنى حلوان وأخربوا من منف الى مدينة تاوضوسيا فلما أراد الرب ينتقم منهم لم يصبر عليهم بعد ما أفسدوا واستباحوا من النساء وافسدوا من العذارى كثيراً فجاؤوا قوم يعرفون مخائض البحر فعرفوا الخراسانيين بها ودلوهم عليها وعدوا بهم الى بر الغرب وجعلوا عسكرهم أربعة أجزاء جزء مع رجل يسمى صالحاً يجزأ يحفظ مصر وجزء مع رجل اسمه أبو الحكم وكان كبيراً عند الملك وجزء فى أسفل شطنوف ونواحيها يمنع من يعدو وجزء مع أبى عون ازلاً على مخاضة قد نشفت ثم ان مروان أنفذ حوثرة ورجاله مقابلهم لألا يعدوا فاما مراكب مروان فاخذوها الخراسانيون الابسون الثياب السود الذين هدموا بيعة بدير الشهيد ونحن مع هذا كله فى سجن الجيزة فى الأعتقال والضيق مع من هو معنا ولم يدع احداً الخوف ان يسأل عنا لئلا يعاقبونا لكن اذا اراد انسان ان يجئ الينا لياخذ بركة الأباء يدفع للموكل بنا برطيلاً كبيراً فيضيقون علينا أكثر كما فعلوا باغناطيوس القديس الشهيد لما سلموه الى عشرة من الأسد كذلك كانوا اذا فعلوا أخوتنا معهم خيراً قد عذبونا اكثر ثم اقمنا معه عشرة أيام وعشرة ليال هكذا فلما نظر الشماس القارئ الذى من بليس ما نحن فيه من الضيق أسوع ومضى الى دير أبى مقار القديس بوادى هيب وجمع الأباء الرهبان القديسين وأنتصبوا للصوم والصلاة فى البيعة ليلاً ونهاراً

صاخين للسيد المسيح ان ينظر الينا ويكشف ضرنا وما الناس فيه من السبى والقتل والنهب وضجيج الصغار والكبار فسمعهم الله الكريم واثار عليهم الخراسانيين فعدا أبوا عون وجيشه الى بر الغرب فلما نظره حوثرة وجيشه أصحاب مروان انهزموا فتبعوهم وقاتلوهم ولم يزالوا يقتلون منهم الى ان وصلوا وادى هيب بصلوات القديسين وعدا عسكر الخراسانين فى اليوم الذى اجتمعوا فيه الرهبان الى البيعة وكان يوم سبت آخر يوم من أبيب وقتلوا خلقاً كثيراً من عسكر مروان ولم يبق معه من ثمانية الأف خرج بها من مصر سوى أربع مائة رجل فقط فلما علم مروان انت عسكرهم قد انقسم على أربعة أجزاء انهزم قبل تعديتهم بيومين وحمل نساءه وأمواله وهرب فى خفيه وقتل من أصحاب يزيد ثلثمائة لأنه أنهزم من شطنوف يريد جبل وسيم فقتلوه رجاله وقتلوا فرسه الذى كان تحته ومضوا الي أولئك وحالفوهم وكانا ولدا مروان فى الجيزة لما هرب أبوهما ولم يعلما أنى وجه توجه اليه لأنه كان أنفذ الصغير بحرى جزيرة النزهات وكان كثير الشر مثل ابيه واما الكبير عبد الله فان اباءنا كانوا يدعون له ان لا يقع فى تجربة ولا بلاء لأجل ما فعله معهم وهكذا كان وأما الصغير فكان عمرخ خمس عشرة سنة فانهزم الى النزهات ومعه أربع مائة فارس فوجد زتا يسمى زيت الكلاب فى خوابى رخام فاقلبه على البحر واطلق النار على النزهات ولحق مروان اباه وأطلق كلمن في الحبوس التى كانت هناك ولم يطلقونا بل اراد ان يحرقنا بالنار فندخل فى وسط مراكب الأسطول ليحرقها واذا بصوت يصرخ بقوة هو ذا أعداوك قد جاؤوا فهرب سرعة هو ومن معه والذين بقوا فى النزهات من أهلها أطفؤوا النار وأطلقونا عند غروب الشمس من الأعتقال والحديد فى أرجلنا الله يشهد ان قوماً من المسلمين كانوا ركاب خيلهم نزلوا من عليها وفكوا الحديد عنا وأخذوا ثياب النساء لبسوها وأخفوا فى المخازن والمخادع من خوف ذلك الصوت المهول الذى سمعوه وأخذونا نحن مضوا بنا الى مار بطرس فى الجيزة وكان يمشى معنا قوم مؤمنون وكانت ليلة الأحد الأول من مسرى .

ولم يكن فى بحر الجيزة ماء بالجملة لأنه نشف بأمر الله ولم يزد الماء ولم يتحرك بالجملة الى يوم عدونا فيه بارجلنا فلما علموا الخراسانيون ان أولائك انهزموا ركبوا

المراكب تلك الليلة وعدوا الى الجيزة وركبوا خيلهم وتبعوا مروان وكلمن لقوه بغير اللباس الأسود قتلوه وفى تلك الليلة جاء الى القبلة أول الجيش الذين عدوا مع أبى عون من شطنوف وسيوفهم مجردة فى ايديهم وهم مدرعين بالحديد كلهم يقاتلون مروان لياخذوه فلم تنم نحن ولا غفونا فى تلك الليلة فاقاموا ثلاثة أيام وثلاثة ليال يتواصلون أول مسرى ويسيرون ونحن ننظرهم عسكراً واحداً من الجبل الى البحر فطلب حوثرة اماناً فلم يقبلوه وقالوا اذا لم تعطنا عدو الله مروان والا فما لك منا امان فمضى وقبض مروان ومكر به وقال له هوذا اعدآؤنا قد قربوا منا قم ناخذ نساءنا واولادنا وأموالنا ونركب المراكب سراً وننحدر فى البحر ونمضى الى الروم فان وقعنا فى يد هذا فهو يهلكنا فقال له مروان يا حوثرة انت تمكر بمولاك عند ذلك أخذ مروان سيفه وضرب رقبة حوثرة بيده فقتله والخراسانيون ما كان أحد يقاومهم ولا قفت قدامهم بعد ان قتل حوثرة ثم انهم نادوا من كان نصرانياً يعلق مثال الصليب من الذهب والفضة والنحاس على جبهته وعلى ثوبه وعلى باب بيته ومن لم يعمل ذلك قال فلا ذنب علينا منه وكانوا للخراسانيين أيضاً فى حلوق خيلهم صلبان ذهب وفضة ثم لحقوا مروان وولده العسكر الذى مقدمه صالح وكانوا قد طردوه يوماً كاملاً فالتفوا ولم نزل القتال بينهم من الليل الى الغداة حتى قتل خلائق كثير ويتبعونه الى جبل ابة غربى كلاوبطرية المدينة التى بناها الأسكندر العاقدونى الموضع الذى تنبى عليه الشيخ الحبيس القديس الذى أحرقه مروان بالنار وهو حى وقال له قبل ان يحرقه انه يقتل هناك وقتل معه ايضاً ريان بن عبد العزيز وهرب ولدا مروان وملكوا الخراسانيون حلوان وكلما كان فيها وشقوا بطون النساء وأخذوا كلما كان فى حلوان من أموال مصر وقتل الفرسيون أصحاب مروان بالسيف وأخذوا كلما لهم وحملوه فى مراكب الملك وزاد النيل بعد ان كان البحر قد نشف حتى عدوا الخراسانيون الى بر الجيزة واهلكوا مروان ثم رجع زاد من أول يوم من مسرى وكان يزيد فى كل يوم نحو الذراع حتى أنتهى الى ثمنى عشرة ذراعاً تلك السنة ولأجل ذلك كانوا الناس يقولون ان يد الرب مع الخراسانيين وكانوا اذا وجدوا قوماً عليهم علامة الصليب يحففون عنهم الخراج ويرفقون بهم ويعملون معهم

الخير فى جميع البلاد وصلبوا مروان منكساً بعد ان قتلون لأنهم أخذوه فى موضع يسمى داوتون ونحن نشاهده وقطعوا رأس وزيرة ولما سايلوا عنا أولئك الملوك مقدمو الخراسانيين ومضينا اليهم فيخلون الأب القديس الشهيد أنبا ميخائيل واكرموه كرامة عظيمة وكانت لحيته قد تجددت وطلعت احسن مما كانت عليه بقدرة السيد المسيح ومجدنا الله وجميع من نظر وشهد الخبر وقال الاب انبا ميخائيل اننى رأيت شخصاً وأنا فى الأعتقال مسح يده على وجهى فطلعت لحيتى أحسن مما كانت ولما التمس الأب انبا ميخائيل من الملك رزق البيع فى جميع الكور فعل له ماطلبه منه وأما البشامرة فانه سامحهم بالخراج ودفع لهم خراجاً آخر وكان مروان قد احرق جميع الكتب وحساب الدواوين ولم يكونوا يعرفون مبلغ الأرتفاعات ولا الغيرة وكان بمصر فى أيامهم أمر عظيم ومضى صالح وجيشه الى فلسطين ولما اطلقنا مضى كل واحد منا الى موضعه وأبو عون تولى مصر وبعد قليل وصل رجلان من أصحاب الواوين الى مصر من عند الملك وكان مسلمين وكان اسم أحدهما عطا بن شرحبيل والأخر سفى وكانا بعيدين من معرفة الله فأحضر لهما أبو عون جميع حساب مصر وأعادها الى ما كنت عليه مع مروان وبعد ان كانا قد طردا من القصر اعادهما الملك فجعلا مكسين على الوجه البحرى ومكساً واحداً على الوجه القبلى وذلك فى ثانى سنة الأمن والصلاح فى المملكة وعلما الملك وعرفاه بلايا عظيمة من اجل بعضتهما لنا نحن النصارى ومحبتهما للفضة فأعطيا السلطان ليفعلا ما أرادا وكان ارتفاع مصر بعد اقطاعات الأجناد ونفقات دار السلطان وما يحتاج اليه لتدبير المملكة مايفضل بعد ذلك ويحمل الى بيت المال مالاً جملاً فى كل سنة مائتى الف دينار سوى النفقات والكلف وما قدمنا ذكره ولما كان فى ثالث سنة من مملكة الخراسانيين أضعفوا الخراج وأكملوه على النصارى ولم يوفوا لهم بما وعدوهم ونسيا الكاتبان المذكوران هما والخراسانيون ان الله الذى أعطاهم الملك ورفضوا الصليب المقدس الذى أعطاهم الظفر وكتب عبد الله الملك الي جميع مملكته ان كلمن يصير على دينه ويصلى كصلاته يكون بغير جزية فمن عظم الخراج والكلف عليهم انكر كثير من الأغنياء والفقراء دين المسيح وتبعوه فمضى الأب البطرك أنبا ميخائيل الى

أبى عون الوالى وخاطبه بسبب البلايا الى فعلت بمصر من بعد فعل الخير الذى أضمرة فقال له الملك أمر بذلك لأن قوم سوء شهدوا له قائلين ان وجدوا أهل مصر راحة سنة واحدة نافقوا عليك وحاربوك كما حاربوا البشامرة مروان فسأله ان يفعل خيراً مع بيع الأسكندرية فى خراج ما يزرع برسمها فقط فأمر أبو عون الوالى ذينك الكاتبين وقال لهما ما أراده البطرك افعلاه له فلم يقبلا منه وكانا يميلان قلبه الى السوء فاقام الأب البطرك وأبى أنبا مويسيس معه وأنا الحقير أكثر من شهر ملازمين القصر نرآءى هؤلآئك الكافرين وكان هناك شيخ اسماعيلى ينظر الينا فى كل يوم على تلك القضية وكان خائفاً من الله فحدث أبانا أنبا ميخائيل حديثاً قائلاً مثل ما أفتقرنا تنحن العباد المسلمون أنا أعلم انكم سوف تكونون مثلنا فقال له الأب صدقت وأنا أريدك ان تعلمنى تعنى قولك فقال له الشيخ كنت وأنا صبى قد سلمنى أبواى الى صديقين تاجرين اسماعيليين لأمضى معهما بتجارة الى افريقية ابيعها فلما سرنا الى الخمس مدن توكانت الجمال موفرة بتحف مصر والمشرق نزلنا على بركة ماء عميقة جدا وكان فى وسط كل واحد منا كيس فيه أربع مائة دينار فمن تعب الطريق والحر تعرى احدنا لينزل الماء يستحم فطرح هميانه الى رفيقه ليمسكه الى حين صعوده من الماء فسقط الهمبان من يده فى الماء ولم يعلم بذلك أحد فتعرى الرجل الذى وقع منه ونزل فى طلبه فلم يجده فطلع ذلك الرجل ودفع لرفيقه هميانه عوضه ولم يعلمه أنه ضاع منه ومضيا الى افريقية وابعنا تجارتنا واشترينا غيرها مما يصلح لمصر فقال الكبير للصغير أعطنى الأربع مائة دينار التى معك لأبتاع بها تجارة فقال له ما أبتعناه يكفينا فى هذه الدفعة ولج عليه فلم يقل له الخبر فاشترى بالاربع مائة دينار التى كانت معه بضاعة فلما عدنا الى البركة فعل ما فعل أولا وتعرى الكبير الذى كانت له الدنانير وضاعت منه ونزل يستحم فوجد الهميان الذى كان ضاع منه فلما نظر اليه عرف انه هميانه فقال لصديقه أعلمنى ماجرى عليك فعرفه ما كان من حديثه وكيف ضاع منه فلم يقل له الآخر التى وجدته حتى وصلوا الى مصر وباعوا التجارة فدفع الكبير للصغير ربح الأربع مائة دينار وأوصلها اليه وقال له الله أعطاك هذا المال لك والربح يجب أن يكون

لك فلما فعل ذلك خاطبه رفيقه فيما بينهما واشتهر الأمر الى الحاكم وجماعة الناس تعجبوا من ذلك وأخذ كل واحد منهما شيئاً من ماله وصدقه على الفقراء وانفردا للعبادة وتبعتهما انا ولمبيع واحد منا ولم تشتر والأن أيها الرجل القديس فهو ذا ترى كل أحد كيف هو محب للظلم وقد جعلوا السوء تاجاً على رؤوسهم وأنت مشاهد هذا وتعلم انه صحيح ولما حدثناذلك تفرقنا الى مواضعنا فلم يصبر الله عى الخراسانيين فاثار عليهم الحروب من كل موضع فالاول عبد الرحمن بن حبيب أخو الأسود المذكور أولاً ملك أفريقية فانفذ عبد الله الملك عساكر الي افريقية لياخذوها وذلك فى السنة الرابعة من مملكته وفى سنة أربع مائة وسبعين للشهداء سار من مصر من أول شهر أبيب ولم يجسروا على الوصول الى أفريقية بل أقاموا فى البرية وهلك أكثرهم بالعطش وأهلك الله عبد الله فى تلك السنة وجلس ولده مكانه ووقع بمصر قتال عظيم بين صالح وبين أخيه الذى جلس ملكاً ثم أنفذ صالحاً الى مصر يطلب عسكره ويستنقذه من يد أخيه ثم انه أعاد العسكر الذى كان سيره الى افريقية ودخل الى مصر فى تاسع عشر يوم من بابة وسار الى فلسطين ليقاتلوا اخاً صالح وكان أبو عون هناك فقتل من عسكره خلق كثير وكانت الحروب بينهم قائمة لم تنقطع وجازاهم الله عوض السوء الذى فعلوه بأرض مصر وأفنى بعضهم بعضاً بغير يد غريبة ولم يزالا يقتتلا حتى مضى صالح الى الملك الكبير فى العراق ورجع أبو عون الى مصر وهرب أخو صالح فلم يظهر بعد ان أفنوا العساكر بينهم .

ثم تنيح أنبا يوحنا بطرك أنطاكية بعد أن أقام مصالحاً الأساقفة ثلث سنين ومنع الله الماء ان يطلع وأبو عون بمصر وجميعاً ما وصل الى اربع عشرة ذراعاً ووقف وكان الماء الذى يستحبه السلطان للخراج ست عشرة ذراعاً وانمامنع الله الماء من أجل ذنبك الرجلين الكاتبين اللذين يشبهان الدجال فى افعاله وكان منع الماء بارادة الله ليظهر عجائبه التى أظهرها كل زمان وصحة دين النصرانية وكانوا الأساقفة وصلوا من كراسيهم الى البطرك ليجتمعوا عند البطرك فى عيد الصليب كما جرت العادة أن يجتمعوا عنده ويكون لهم مجمع دفعتين فى السنة ومضى اسقف مصر وغيره واظهر

الله ذلك لأبى الأسقف أنبا مويسيس وأمروا ان لا يمضى الى المجمع بالاسكندرية أحد كما جرت العادة تلك السنة فجمع الأساقفة بها عند البطرك ولما كان السابع عشر من توت يوم عيد الصليب المجيد جمع كهنة الجيزة والنزهات وأكثر أهل الفسطاط والكبير والصغير من شعبه وحملوا الأناجيل ومباخر البخور ودخلنا الى البعة الكبيرة القتاليكون التى على اسم القديس بطرس وكان أساسها فى البحر ولم تكن البيعة تسع الناس من كثرتهم حتى انهم كانوا فى الغيطان والمواضع ورفع البطرك الصليب وكان معه انبا مينا اسقف منف والأنجيل المقدس معه ويخرجنا جميعاً نحن حاملون الصليب والأنجيل المقدس ووقفنا على شاطئ البحر قبل طلوع الشمس وصلى الأب البطريرك وأنبا مينا الأسقف ولم يزل الشعب صارخين كيرياليصون الى ثلث ساعات من النهار حتى بهت جميع الجموع من اليهود والمسلمين وغيرهم من صراخنا الى الله سبحانه وتعالى فسمع جل اسمه الكريم وطلع البحر وزاد ذراعاً واحدة ومجد كل أحد الله وشكره ولما أتصل الخبر بابى عون تعجب وخاف هو وجميع عسكره وطرح الله فى قلبه ان قال لجيشه ولأهل مصر نريد ان نعرف أى الأديان هو الدين الصحيح فأمر ان يجتمعوا المسلمون المقيمون بمصر ويخرجوا الى الجبل الشرقى بمصر فاجتمعوا الصغار والكبار والشيوخ والشباب والعبيد والأحرار ولم يبق احد من أهل دينه وملته واقاموا الناس مجتمعين من نصف الليل الى أربع ساعات من النهار وصلوا ونضرعوا الى الله ويقولون هكذا ياالله الواحد الذى لا نظير له يا خالق السماء والأرض أنت تعلم أننا لا نشرك بك ولا تعبد معك أحداً ولا نقول مثل النصارى ان لك ولداً ولا انك مولود بل نوحدك ونعبدك بالتوحيد نريد ان ننظر عجائبك اليوم التى أنت عاملها لنعلم وتتحقق انه ليس دين مثل ديننا الذى ورثناه من أبائنا ونسألك ان تفعل معنا أعجوبة كما فعلت بالنصارى امس الذين هم أعداؤنا واعداء مذهبنا الذين يجعلون معك الأها آخر مولوداً منك من البدى ويسمونه المسيح المولود من مريم ويقولون انه ابنك وروح القدس وأنت ثالثهم وكلاماً كثيراً ونسألك ان تصنع لنا علامة وأية فى هذا الماء وفيما هم فى ذلك واذا رجل من

قياسى الماء يجرى فقال لهم الذى زاد الماء أمس نفصه اليوم فلحقهم حزن عظيم ولم يعلم ما يقول ومضوا الناس الى مواضعهم بكآبة عظيمة ثم أمر ان يجرب أهل مصر فأمر المنادى أن ينادى بخروج المسلمين الى الجبل ليصلوا وبالغداة خرج جميعهم واليهود والسمرة خرجوا ثانى يوم فلم يزد الماء ولا نقص بل ثبت على ما كان عليه فبقى أبو عون الوالى تحت كآبة ولم يؤمن وقال حتى أنظر أخر الأمر وبقى حائراً يقول بصلاة النصارى زاد الماء وصلاتنا نقص فتقدم فى اليوم الثالث ان لا يخرج احد بالجملة ولا يطلع احد الى الجبل ولا يصلى ولم يزد الماء فى الثلثة أيام شيئاً وبعد ذلك أمر بأحضار النصارى الذين بالفسطاط وقبائل لم نذكر اسماءهم وتقدم الى أنبا مويسيس ان يصلى هو وشعبه فصلوا الصلاة وشكروا الله الى سادس ساعة من النهار ونزلوا طافوا بمصر وأتوا الى ساحل البحر وصلوا بقية النهار وفى تلك الليلة زاد البحرثلث اذرع حتى صار على رأى سبع عشرة ذراعاً ففرحوا الناس كلهم فرحاً عظيماً وشكروا الله ومجدوا اسمه وأما أبو عون فلاجل ذلك زاد فى فعل الخير مع النصارى كنائسهم وخفف عنهم الخراج ومن ذلك اليوم كان الأب البطرك والأساقفة وبنو المعمودية والبيعة تحت امن وسلامة بفرح وابتهاج عظيم بأرض مصر والخمس مدن وكل المواضع التى فى كرسى الأب البشير مار مرقس الأنجيلى لما شاهده السلطان من تعجائب البيعة وقوه فعلها وكان السلطان يقول ان النصارى قلب واحد متفقون وكانت الأباء فى ذلك الجيل نقلهم مثل افعال الملائكة الروحانيين واحد يشفى المرضى وأخر يظهر العجائب وآخر يفسر الكتب ويعلم ويعظ وآخر يتعب جسمه بالعمل والكد وكان جميع الشعب يتعجبون منهم ويطبون بركتهم وكان الأب أنبا ميخائيل لأجل ذلك مسروراً بأساقفته وجميع رعيته وكان يطوف عليهم ويفتقد جميع احوالهم باهتمام ويعظهم بكلامه المحيى مثل الحواريين الأباء أولاً ومثل سكان البرارى والمغاير يثبتهم ويعلمهم مقاتلة الأرواح الشيطانية ورهبان الديارات يعلمهم التواضع والمحبة تكون بينهم والشعب المؤمن يهديهم الى ما يرضى الله والقليلى الأيمان يعلمهم التعاليم الأنجيلية والذين هم متخاصمون يصلح بينهم ويهدى شرهم ويسكن حقدهم بتعاليمه من الكتب المقدسة .

ولو لا غرضنا الاختصار لضاقت الكتب عن افعال هذا الأب القديس أنبا ميخائيل وكانت فرقتا هارسيس أصحاب مليطس قديماً ويوليانوس فراسلهم الأب برسل وكاتبهم فلم يجيبوه فمضى بنفسه اليهم فلم يقدر ان يعيدهم بقلب مستقيم لأنهم انكروا خلفهم وكانوا معتزلين فى الدياوات منهم وفى البرارى فرفع يده الى السماء وقال ان كان هؤلاء الذين جحدوا قدامك وفعلوا افعالاً رديئة فاظهر فيهم آية قريباً غير بعيد لينظرهم كان أحد ويمجد اسمك فبعد قليل أهلكهم الرب وافناهم كما أهلك سدوم والدير الذى كان فيه ثلثة الأف انسان لم يبق فيه سوى عشرة انفس مؤمنين ولم يسلكوا طريقهم وخاطبتهم انا الحقير ونظرتهم وقد سكنت الوحوش مساكنهم بصلوات الأب القديس أنبا ميخائيل فى أيام ولاية عبد الله فان قال قائل لا يعرف الخبر ما جرم هؤلاء حتى هلكوا فانا أقول لكم بمعونة الله لما كان ديونوسيوس الحكيم بطركاً علي الأسكندرية ظهر الكافر بولة السمياطى وكان بطرك أنطاكية فاغضب الله بأفعاله النجسة فلما سمع ديونوسيوس كتب الى الملوك المحبين لله المؤمنين بعلمهم ما أنتهى إليه عن بولة المخالف وطردوه ولم يعلم أحد كيف كان هروبه وكلمن اراد ان يعلم فعله الطمث فهو يجده فى رسالة أثناسيوس الرسولى التى كتبها من أجله فانه يفهم ذلك ويعرفه ولما كان فى أول قسمة أبا موسيس كان هناك ديارات كثير فى كرسيه بوسيم لهؤلاء أصحاب مليطس وكانوا سكاناً فيها فنفى جميعهم فمهم من ليس الأسكيم من يده وساروا متحدين بنا وكان من أجل ذلك يبنى وينهم مصادقة زماناً كنت فيه علمانياً فلما نزعوا عنهم ذلك الإسكيم الروحانى الذى فى يد أبى لم ترجع تكون بينى وبين أحد منهم مودة فسألته عن فعلهم أولا وكان يسميهم السحرة بنى الشيطان فقال لى أريد ان اقول لك شيئاً آخر يفعلونه الغير متأهلون للدخول فى شعب الله ولا ملكوته وهو انهم يسحرون أولاد الناس ويخرجونهم الى البرية يربطونهم بحيث لا يراهم أحد ويجلسون قريباً منهم يحرسونهم فاذا شكوا العطش لا يسقونهم فاذا اشد بهم العطش سكبوا الماء علي رؤوسهم وبطونهم فاذا قارب أحد منهم الموت وبدرت عيناه ولصق لسانه بحنكه قد قطعوا رأسه بسكين قبل أن يموت فيتكلم الشيطان فى تلك الرأس

بغير كذب فيضلون الناس بأفعالهم الشيطانسة المرذولة وكان قس قديس مشاركنا مقيماً فى قلاية وسيم فلما كان يوم الجمعة من أيام الصوم وكنت معه فى القلاية وكان أبى موسيس الأسقف لا يرى أحداً من الناس على شغله بالصلاة وعذاب نفسه الا يومى السبت والأحد فنظر ذلك القس تنيناً عظيماً فى قلايته فعمل صليباً فضة وجعله فى موضع وآه فيه فلما كان الغد وجد التنين ميتاً تحت الصليب فهل قوة أعظم من قوة الذين يعبدون الله بنية خالصة صادقة وأمانة قوية .

وكان فى تلك الأيام غلاء عظيم فدخل رجل الى النزهات يطلب صدقة فسرق منها شيئاً فرآه رجل آخر وكان رجلاً مؤمناً فاراد ان يوبخه لكى يتوب من السرقة فمنعه من ذلك سلاحه وأفكاره فى الخير ثم مضى أيضاً ذلك الرجل السارق فسرق من ذرع جيرانه ودفنه حتى يأخذه فيأكله فحضر صاحب الزرع عند أبى موسيس فقرأ عليه من الكتب واوصاه ان لا يجازى شراً بشر لكن يجازى الشر بالخير ففعل ذلك وسمع منه فوسع الله ماله حتى تعجب منه كلمن يعرفه وذكرت لكم ايها الأخوة حال أهل فلسطين الملعونين وأقول عن معرفتهم وأريد ان أذكر أعجوبة أخرى ظهرت من الأب ايماخس الأسقف كان فى بعض الأيام يعلم شعبه فى مدينة الفرما ويوصيهم ان يعدوا عن المخالفين ولا يشاركوهم فى شئ واذا قس قد حضر عنده من الخلقدونيين ليجربه بمكر فقال الأسقف كلاماً كثيراً ثم قال له أنا أومن بأمانتك واعترف وأخذ الأسقف ابيماخس زيتاً مقدساً من جسد القديس ساويرس البطرك ودهن وجه القس الهراطقى وقال له أن كنت تهزأ الرب يظهر فيك قوته وللوقت بسرعه وثب عليه روح شيطان نجس فصرعه وخنقه وعذبه فازيد ولم يزل عليه يعذبه الى يوم وفاته .

ثم تقدم الأسقف بأن لا يكون لأحد من رعيته أشبين غريب الا من أهلهم وأبائهم وكان هناك قوم مخالفون لم يسمعوا منه فجازاهم الله بسرعة حتى تعجب كل أحد من تعاليم الرب وكانت امرأة موسرة أخذت رجلاً كان يزني بها جعلته لها أشبيناً فلما عادا الى بلدهما وهما فى الطريق وصلا الى برية تحرك فيهما الأثم كعاتهما فاضجعوا

الصبى وعليه ثياب المعمودية وكان فى الطريق فندق فدخلا اليه وفعلا فضيحتهما فوقع عليهما البيت فماتا وشهدا لنا الأسقف انه شاهدهما مجتمعين لما قلعت الحجارة عنهما ورؤوسهما كما كانا وجه الرجل فوق وجه المرأة ونظروهما جماعة من الناس وخافوا وشاع الخبر عند كل أحد وأشاعوا الناس ذلك فثبت علمه عند أبائنات فمنعوا من ذلك اليوم ان يشابن أحد غريب بل من أهله ولم يبق أحد يأخذ اشبيناً غريباً وأنا فى صغرى رأيت جماعة زانوا مع اشابينهم وأنا فى الحياة حتى انقطعت أعمارهم وخربت مساكنهم وكان الأسقف أنبا يوحنا أسقف سرسنا[1] يخرج الارواح النجسة بما اعطى من النعمة لبتوليته وجهاده لانه اقام راهبا واسقفا عمره جميعه وتنيح بشيخوخة حسنة وكذلك أبا قيرة أسقف طانة فى وقت رهبانيته ظهر له عجب وهو ان انساناً هراطقياً جادله بسبب الأمانة فمسك يده ان يدخل به الى داخل عمق النار فما قدر وهرب من يده فيأخذ الأسقف ازاره وهو راهب رماه فى النار ولم يحترق وأنا أعلم اننى قد طولت الكلام ولم اقصد بذلك الا أعلامكم بما كان لتفهموه وأما النزول فى فعال أنبا زخارياس أسقف اتريب فانه كان من صغره فى البرية مواظب الصلوات ودموعه تجرى مثل مجارى المياه وكان البكاء عنده حلو وكان كثير الصدقة على الى قطعين وكل أحد يحبه وأولاده الروحانيون سالكون طرقه وكذلك الطوبانى استفانوس أسقف شطب[2] الذين كانوا قبله على هذا الكرسى الذين كانت طرائقهم الجيدة أكثر من أساقفة مصر الذين منهم الأسقف أبا هزوقس الشاومنطس العظيم المعترف المتكلم بالألهيات واستافانوس الذى سلك طريقه ووهب الله له ان يشفى الأعلاء ويعرف ما يكون قبل ان يكون وأظهر عجائب كثيرة وكان فى كرسيه قس حبلت زوجته قبل وفاته وكانت طاهرة وبعد موته طردوها أولادها الكبار وقالوا أنها حبلت من غيره فقال لهم الأسقف دعوها الى ان تلد فلما ولدت أخذ الطفل عنده وحمله على كتفه وكلمن فى كرسيه حاضر وأمر الطفل ان يتكلم قدام الشعب ويقول من هو تأبوه وللوقت تكلم بلسانه كأنه شبل الأسد وقال انا ولد فلان القس حبلت بى أمى منه قبل وفاته بتسعة

(١) سرسنا مركز شبين الكوم (٢) شطب مركز اسيوط

أيام ولم يعلم أحد بهذا الا الله الذى خلقنى ورادوا أخوتى ان يطردوا أمى ظلماً فصلب الأسقف على شفتيه وأمره ان لا يتكلم بعدا الى أوان الكلام فكان كذلك وكذلك الشيخ أبا بوله أسقف أخميم[١] وهو كان الرئيس الثانى فى دير أبى شنودة القديس كوكب البرية كان انسان ساحر أخذ صبية جعلها حمارة بفعله السوء قدام كلمن ينظرها وأقامت هى معه ثلث سنين كما ذكرت هى فاذا خرج بها الى البرية صيرها أمرأة تخدمه ويزنى بها واذا دخل المدينة ركبها كأنها حمارة فلما السابع من أبيب عيد القديس أبى شنودة النبى الفاضل اجتمع به الشيخ ابا بولة وهى ست فأخذها منه ولم يعلم بها أحد سوى الساحر الملعون الكافر ومسكه واسلمه الى السلطان فاحرقه بالنار بعد ما قتله ثم حلها من رباط الشيطان وسلمها لرئيسة دير الرهبانات وكان عندهن من العلمانيات نساء كثير يعشن معهن فهؤلاء الأباء الذين رأيناهم وسمعنا كلامهم ولا تحصى أعمالهم الحسنة ومنهم ابا كرة الذى من جوجر الذى رأس على أربعة كراسى كان قد تزوج من صباه وعاش مع زوجته زماناً كثيراً وبلغ مائة وخمس سنين وهما بكران طاهران نائمان على فراش واحد زماناً طويلاً وطعامهما خبز شعير وملح بعبادة عظيمة وكلمة لهم وكلما يجدانه يصدقانه على المستورين فلما طعنا فى السن سلم ابا كرة زوجته الطاهرة لدير الرهبانات والأب ابا اسحق اسقف علي كرسى سمنود وما لقيه من العذاب والجهاد مع البرسوفيين حتى أعادهم الى الايمان بكرسى مار مرقس الرسولى .

وكانت بيعة أنطاكية أرملة بغير بطرك وملك انسان اسمه عبد الله أبو جعفر من جنس ملوك الأولى قيل أبو مسلم عمه وكان أبو عون بمصر وصالح مع عبد الله وكانت البيعة هادئة تحت سلامة فى أيام الأب البطرك القديس أنبا ميخائيل على ما ناله من التعب والجهاد الذى ذكرنا بعضه الى ان تم خدمته وتنيح ومضى بسلام الى السيد المسيح الرؤوف كما ذكرنا فى آخر هذه السيرة ولم تزل بيعة انطاكية بغير بطرك بعد أنبا يوحنا المتنيح لأجل الحروب والعساكر الى ان ملكوا الخراسانيون وفى أول ملكهم مض اسحق أسقف حران الى عبد الله فسأله فى بطركية انطاكية لأن انبا يوحنا كان قد تنيح كما أعلمنا ولداه اللذان جاءا الينا وذلك ان عبد الله الملك كان من أهل حزان

---

(١) اخميم مركز شرق سوهاج

وكانت زوجته عاقراً فرآت فى منامها هاتفاً يقول لها اطلبى اسحق الأسقف ان يصلى عليك والرب يعطيك ولداً وكانت هذه الأمرأة عابدة لله خائفة منه وكان لما خطبها عبد الله ليتزوج بها شرطت عليه ان لا يتزوج بغيرها عليها ولا يتسرى وقالت له قد عرفنا ان الله خلقنا فى البدء ذكراً وانثى فان لم تعاهدنى على ذلك فما أتزرج بك فعاهدها وحفظ لها العهد الى يرن فراقها فاحضروا الأسقف انبا اسحق اليها فى صباح الغد فعرفنا ما رأت فى منامها فجعل بينه وبينها اسبوعاً سأل الله ان يتم ما طلبته ثم مض« الى الدير الذى كان فيه راهباً فاعلم الأخوة بالخبر فاجتمعوا الى البيعة على جسد أبى الدير واستشفعوا به الى الله بسببها ولما كان بعد ثلثة أيام وهم صيام نظرت المرأة الى رجلين قائمين على موضع فراشها يشبهان انبا اسحق الأسقف وأبا الدير قائلين لها ان الله قد سمع الدعاء وفى هذه الليلة تحبلين بولد ذكر ثم غابا عنها فقال لبعلها ذلك ففرحا جداً ثم حبلت وولدت غلاماً ولأجل ذلك كانا يحبان الأسقف انبا اسحق الى ان اعطاه الله المملكة فاعطاه عبد الله الملك السلطان ان يكون بطرك أنطاكية والمشرق وأمر انه متى قاومه احد يقتل بالسيف ثم انه قتل سارانين كبيرين من تلك الكورة لأجل انهما قالا له أنت أسقف حران كيف تخالف القوانين وتتقوى بيد السلطان على ان تأخذ كرسى البطركية غصباً وأنت فقد وجب قطعك لأن القوانين تأمر ان كلمن يعتز بالسلطان يقطع فشكا ذلك للملك فامر بقتلهما وكان هناك قلق عظيم فى ذلك المكان ثم أخذ انبا اسحق سجلاً من الملك الى أبى عون الوالى بمصر يقول فيه كلما يكاتبك به البطرك انبا اسحق اسمع منه وأفعل له ثم كتب كتاباً عن نفسه الى الأب المغبوط أنبا ميخائيل بطرك مدينة الأسكندرية سنوديقا وأرسلها بكرامات مع ولدين له قس وشماس كانا كاتبه ومطرانين من الكبار أحدهما مطران دمشق والآخر مطران حمص ليأخذوا له الجواب وكتب السلامة مع بطرك مصر وأساقفته بأن يرفع ايهما عندهم كالعادة والاتحاد وكتب عن نفسه الى أبى عون الوالى بانه ان لم يفعل ذلك فليحضر الى عند عبد الله الملك فلما وصلوا الكتب الى أبى عون انفذ الى اسكندرية وأحضر انبا ميخائيل البطرك الى مصر وحدد وقرأعليه الكتب والسجل

فاجابه وقال له لا تلزمني بهذا حتى أجمع الأساقفة ويتشاورون على هذا الأمر حسب قوانيننا وشريعتنا ففسح له في ذلك وأمهله فيه ثم جلس بمصر وكتب الى اساقفة بحرى وقبلى والصعيد الأعلى والأدنى بأن يحضروا اليه جميع الأساقفة وينظروا فى ذلك ويكتبوا اليه الجواب فلما حضروا أجابوا قائلين للبطرك هو مماثلك يا أبانا وشريكك فى الخدمة فافعل ما تراه انت معه فاما نحن فما لنا فى هذا شئ وصار بينهم سجن عظيم وكان معه أنبا تاودرس أسقف مصر الثانى الذى كان أغومنس لفسطاط وقس بيعة أبى سرجة هو وأبى أنبا موسيس أسقف مسيم فقط فانفذوا الى انا الخاطئ لانهم يعلمون انى عضو من أعضائهم كما هو مكتوب ليس بمعرفتى لكن بمحبة روحانية فمضيت اليهم كالولد من بعد شهر وهم ملازمون لهم لطلب الأجوبة والتقليد الذى هو السطاتيكا وكانوا قوماً فيهم دين ومحبة فلما نظرونى المشركيون الرسل وأنا بلباس الرهبان وافعالى بعيدة من الرهبنة فاشاروا الى ابائى قائلين انت الذى حضرت معنا وحدك تكون نائباً عن أخوتك فلما نظرونى جالساً مع الأساقفة واراددهم فى الخطاب تعجبوا وقالوا ما رأينا قط راهباً يرادد البطرك مثل هذا فقالوا المطارنة ان لسانه مثل السيف ما يقاوم فقالوا لهم ابائى هو بمنزلة أسقف فتعجبوا فقال واحد من المطارنة لى كم لك من الأولاد فى كرسيك وبلادك فقلت له لى عشر منى فيها عشرة اناسى منها خمسة تكون فى كل سنة منها نحو خمسين نسمة فقالوا بالحقيقة نحن نراك متعوباً ضعيف الجسم فقال أحدهما أنا عندى فى كرسيى تسع مائة ضيعة سوى المدن والملى وكراسى لطاف وكورنا قليل ومضى بينى وبينهم كلام كثير وهم قوم فيهم دين ومحبة .

فلما كان فى الشهر الثانى اجتمعوا فى بيعة السيدة واستقر تالأمر مع البطرك انبا ميخائيل قال السيف أو النار أو الرمى الى الأسد أو النفى أو السبى فما يقلقنى ولست أدخل تحت ما لا يجب ولا ادخل تحت حرمى الذى كتبته بخطى وبدأت به بان لا يصير أسقف بطركاً والأباء الفضلاء أحرموا من يأخذ رتبة من رتب الكهنوت بيد السلطان أو عناية لان الأساقفة كانوا كتبوا التى من انطاكية فى زمان انبا يوحنا البطرك ان كلمن نبت بهده من السلطة على الكرسى يكون محروماً فكتبت هذا بخطى فكيف يجب ان احرم نفسى واحلل اليوم ما حرمته بالامس وما أنكرته امس ارضى به

اليوم وما أنكروه الأباء القديسون قبلى وقطع الخطاب فتقدموا الى أبى عون الوالى وقالوا له تنفذ معنا البطرك الى بلادنا كما أمر الملك ولم يكن أبو عون يريد ان يسير الأب لأجل محبته له وللنصارى وكان له عناية من الله بهم وقبوله دعائهم له فقالللبطرك انت قد طعنت فى السن والطريق بعيدة جداً وأمض وشاور نفسك أياماً قلائل فان سهل عليك الأمر والا فالمسير بيدك فخرجنا من عنده فاقلقونا المطارنة والرسل وخاطبوا البطرك فى نجاز الأمر بالمسير معهم ولم يدعونا فاهم الأب بالسفر وهو وجع القلب قائلاً لأبى موسيس تصحبنى فى هذه الطريق الصعبة فاستعد أبى موسيس للسير معه وأبا تاودرس اسقف مصر وأنا البائس يونس فلما استعدينا للمسير وصل الخبر الى مصر فى تلك الليلة ان اسحق الأسقف الذى وثب على كرسى انطاكية بيد السلطان قد توفى بانطاكية وقد ناب على الكرسى انسان اسمه اثناسيوس وجلس فى اليوم بعينه قبل مغيب الشمس فمات الآخر فى ثالث يوم ودفنوهما فلما سمع ذلك المطارنة ومن معهم من الكهنة هربوا لم نعلم كيف مضوا الا انا لم تشاهدهم بعد ذلك اليوم .

وأنا أقول لكم ما قد قيل لنا من أجل هذا اثناسيوس كان من الأساقفة القدم ومطرانا وتولى من حد حزان الى داخل وكان كرسيه بعيداً جداً حتى انه كان يسير على الحال والصخور والحجارة الحادة برجليه وفيهما مداس حديد حتى يطوف على كل كوره وحدثونا انه كان شديد القوة طويل القامة ممتلئ الجسم وكان قد اعطى فى المجتمع ان يقسم الأساقفة لبعد الكورة فلما وثب على الكرسى مات .

وجاء الينا انسان من الخلقدونيين اسمه جرجة وكان خيراً ودخل معنا فى الأمانة الأرثذكسية فوقع اختيار الجمع عليه فصيروه بطركاً على انطاكية فلم يمر عليه الا قليل حتى وثب عليه من اساقفته يسمى أبا داءود وكانت امه داية لأبى جعفر المنصور ملك المسلمين فسعى حبه بكلام لا يجب ذكره فى سيرة البيعة وأفعالنا وذنتوبنا ما تحتاج الى زيادة ثم اخذ ملك هذا جرجة وكبله بالحديد والخشب وأودعه السجنت فى السنة الثامنة من ملكه ومن مد ذلك الوقت والى الآن لم تصلنا سنوديقا ولا مضى من عندنا كتاب

وأذكر لكم أعجوبة بطرك القسطنطينية والملك وانسان خلقدونى فى سنة أربع مائة ثمانين للشهداء كان انسان مقدم من القسطنطينية اسمه فيلبس قد حسن له البطرك ان يقاتل الملك وقال له انك اذا قاتلته ظفرت به وأخذت المملكة فلما بلغ الخبر الملك نفاه الى بلد غربة وطرح فى مواضع ضيقة وأقام بطركاً غيره وكان الملك يفعل فعالا لا يحسن ذكرها ويمحى الصور من البيع وما ذكرت لكم هذا الا لتعلموا ان هذه الأمور كانت عامة ليس بانطاكية فقط بل وفى جميع المملكة والبطركان الفسطنطينى والأنطاكى اعتقلوا فى زمان واحد .

وقد ذكرنا يسيراً مما قد لقيه الأب البطرك أنبا ميخائيل من الجهاد وأم يكن معه احد مقيماً فى شدائده وتوانيه يساعده الا الأب الأسقف انبا تادرس اسقف مصر وانبا موسيس يقف وسيم ولما طعن فى السن سأل الله الرحوم ان ينقله من هذا العالم ليتنيح مع القديسين فاجابه واسلم نفسه بعد ما جاهد وعمل من الأعمال الحسنة فى اليوم السادس عشر من برمهات وكان مدة مقامه على الكرسى الإنجيلى على ما وجدنا فى الولثاكى بدير القديس أبى مقار ثلثاً وعشرين سنة ونصفاً ووضع جسده المقدس مع أجساد أبائنا القديسين بمجد وكرامة صلواته تكون معنا آمين .

السيرة التاسعة عشرة من سير البيعة
أبا مينا البطرك وهو السابع والأربعون من العدد

ان الواجب علينا الأستقصاء والبحث عن جميع سير البيعة كما كان اباؤنا المتقدمون يفعلون فاما فيلون ويوستس ويوسابوس من اليهود فانهم سيروا ما جرى بيروشليم من أجل المسيح والذى كتب سير البيعة الأثذكسية افريقانوس واوسابيو وأعمالهم أيضاً مينا الكاتب هؤلاء كتبوا ماجرى علي تالبيعة الى ديسقرس الأب العظيم المعترف بالمسيح وقاتل الحق الذى خلصنا من الطوفان الثانى ومن غرق العمق الذى ليس له نهاية ومن التمائة وثلثين المجتمعين بخلقدونية ولؤون الكافر صاحب رومية هذا قد كتب لنا فى ثانى عشر سيرة للبيعة الذين ذكرنا اسماأهم لأنهم كانوا قد

دعوا بهذا الأمر وكذلك فى كل جيل لم يدعنا الله هكذا الإرشيدياقن والد أبينا الأب القديس أنبا قسما بطرك الأسكندرية الذى هو قريبه وأنبا مقارة أيضاً ومقارة الراهب ويدهما يوحنا أبن أنبا موسيس أسقف وسيم .

وأنا الفقير الزمت من أبى الراهب بمنام رآه لأنه كان شيخاً قديساً فتقدم الى وأمرنى ان أكتب سيرة أبائى الطوبانيين وما شاهدته ونقلته لى قوم نقات وكنت خادماً لأبى أبا يوسف وعند رجليه أنام وهو الأب الروحانى الذى طعن فى السن وكذلك الأب البطرك أنبا شنودة فسألت الرب الكريم وقلت كما قال داءود يار افتح شفتى حتى اقص ما جرى على الأباء المغبوطين ربحاً لمن قرأه وشجاعة لمن سمعه .

لما وصب أبونا المغبوط أنبا ميخائيل من شيخوخته وتنيح بمجد وكرامة أصعدوه جسده عند أجساد أبائه فى الأسكندرية فى بيعة مار مرقس الإنجيلى بمجد عظيم وبكى عليه جميع الشعب وسألوا الله وطلبوا منه من يقيم لهم بطركاً بعده مدبراً مثله فأجتمعوا الجماعة والأباء الأساقفة لتقدمة من يختاره الله الذى يعرف خفايا القلوب ويعطى النعمة لمستحقيها فذكر القس مينا الراهب بيعة القديس أبى مقار رجل يعجب الناس بقلبه وطريقته وكان راهباً من صبائه وكان ولد الأب انبا ميخائيل وقيم منشوبيته[1] فى دير أبى مقار فقدم بتدبير الله بفرح وأنعم الله على بيعته بهذا الراعى المأمون الى كان مع انبا ميخائيل يشاهد أعماله لكونه معه من صبانه .

فلما جلس على الكرسى الرسولى علم التعليم الروحانى حتى ان كل أحد عجب من عظم النعمة الحالة عليه وحسن تعليمه والرب الذى اصطفاه جعل للبيعة نموا وحفظاً فى مجمع أعمالها حتى نسوا الناس جميع ما جرى عليهم فى أيام أنبا ميخائيل المتنيح ودامت السلام فى البيعة .

فأقام الشيطان مبغض الخير تجربة على الأب المغبوط فتكلم على لسان انسان جعله له مسكناً وكان شماساً راهباً اسمه بطرس ان يتكلم فى قلبه بالعظائم عن أنبا

(١) منشوبية ⲙⲁⲛ̀ⲱⲡⲓ : سكن

مينا والأساقفة الذين فى كرسيه وكان هذا الشماس من قرية تسمى دسيمة وكان هذا الراهب ولداً لأنبا ميخائيل المتنيح تربى فى قلايته وطرح مبغض الخير فى قلبه ان يطلب أسقفية وليس هو مستحقها من أبينا أنبا مينا فقال له الأب كما قال بطرس السليح لسيمون الساحر ان ليس له معنا نصيب ولا جزء فلم يصبر فركب المراكب ومضى الى الشام فلما وصل الى هناك عمل كتباً مزورة عن أنبا مينا الى بطرك السريان أنبا جرجة بطرك انطاكية وأساقفة ومطارنته يقول فى الكتب ان البيعة بمصر قد جرى عليها تعب عظيم وأضطهاد وشدة من اولاة وكان عارفاً بمكاتبة البطاركة والمطارنة والأساقفة فلما وقف بطرك انطاكية فى الكتب قبله بفرح عظيم لقوله انه رسول اخيه بطرك الأسكندرية وجمع له مالاً ودفع له كتباً الى سائر مطارنته وأساقفته ليجمعوا له ويكرموه باجتهاد عظيم فعله معه فلما حصل له ما يبتغين به على فعله الردى وما يتوصل به الى الملوك فمشى معه مبغض الخير وبعد أيام وصل الى مدينة الملك وبدأ يكتب قصص فى البطرك أنبا مينا وقلبه مملوء حنقاً ومكراً ويقول فيها أن بيت مال الملك خال من المال مع حاجته للنفقة للأجناد وتدبير المملكة وبمصر انسان بطرك كبير فى النصارى يعرف بعمل كيميا الذهب ولأجل هذا قد ملأ كنائسه آلات ذهب وفضة اللاتى يقدمون فيهن القرابين وأنت ايها الملك السيد مستحق ان تكون فى خزانتك هؤلاء الألات العظيمات اللاتى هى فى كنائس مصر من الذهب اللاتى يعملوا فيهن ما لا يرضى الله فلما كتب هذا النجس هذه القصة وقف ينتظر يوماً يجد فيه الوسيلة لدفعها ودفع لكل حاشية الملك مصائعات برطيل حتى يقدموه وفعل له الشيطان كما عمل لخواصه واتباعه عجباً عظيماً مثل ما عملت المرأة العرافة فى أقامة صمويل النبى من القبر لشاوول وحاشا صمويل من هذا التشبيه ولكن عرفناكم مايفعل الشيطان فى كل زمان من التشبيه والخيالات .

وكان فى ذلك الزمان أبو جعفر عبد الله ابن اخى أبى مسلم وهو الذى قام بذكره فى السيره الثامنة عشرة للبيعة وهو أول من ملك خراسان وكان قد تزوج بامرأة ذى شئن وهو فى حران قبل مملكته فلما ملك سكن دمشق وكانت هذه المرأة خائفة من الله

جليلة القدر فى سبطها وجنسها وكانت قد استحلفته عند تزويجها له انه لايتزوج غيرها عليها لكى تحفظ ناموس الله فلما تزوجها لم يعطه الله ولداً عدة سنين وبعد ذلك نظرت مناماً وشخصاً يقول لها أحضرى اسحق أسقف حران حتى يصلى عليك فان الله يقبل صلاته بسببك ويعطيك ولداً ففعلت ذلك بامانة وجعلت لعبد الله زوجها ان ينفذ يحضر الأسقف وقبل وصوله رأت مناماً ثانياً شخصاً يقول لها قد سمع الله طلبتك وتمم ارادتك بصلوات الأسقف اسحق فلما وصل صلى عليها وباركها فحبلت وولدت ولدين ومن زجل ذلك كان الأسقف عندهما فى منزلة عظيمة فلما ملك عبد الله سأله الأب الأسقف اسحق ان يعطيه سلطاناً على بطركية انطاكية والمشرق ففعل له ذلك وكان ذلك بسبب سقوطه لخترفه : القوانين ولما لم يصبر الله عليه ان يدعه على الكرسى كما قال الإنجيل المقدس هوذا الفأس موضوع على أصول الشجر فكل شجرة لاتثمر ثمرة صالحة تقطع وتلقى فى النار كذلك حل بهذا اسحق لما جهل وخالف شريعة الله وجلس بطركاً بيد السلطان وتعدى وصايا أبائه قطع الله حياته من على الأرض فمات عاجلاً قبل كمال السنة وجلس على الكرسى انسان اخر اسمه اثناسيوس غصباً فى يوم وفاة اسحق فمات ايضاً ليلته كما ذكر فى ثانى عشر سيرة .

فلما كبر الولدان اللذان لعبد الله من المرأة العفيفة الخيرة المذكورة انفاً مات احدهما فحزن الملك عليه حزناً عظيماً وحزنت أمه وجماعة أهل القصر وأصابهم عليه حزن سديد وأمر عظيم وكانوا أهل القصر يعلمون محبة امه له حتى انها لم تسكت ساعة من البكاء عليه ليلاً ونهاراً والملك فى حزن عظيم وكان وفاة الصبى ابن الملك قبل وصول الشماس بطرس الغير مستحق لهذا الأسم فخرج الملك ذات يوم من القصر وعسكره حول المدينة لتسلى عن ولده كعادة الناس والملوك فتطلع ونظر بطرس الغير مستحق قد جعله الشيطان فى عينه يشبه صورة ولده الميت حتى كأنه اياه لم يعجز من صورته شيئاً بالجملة حتى شعر رأسه فلما رآه الملك استدعاه بفرح وعانقه وقبل فاه وعينيه كأنه ولده حقيقاً ومن فرط فرحه عاد الى القصر ودخل الى زوجته بسرعة وقال لها اذا رأيت شبه ولدك حيا تتخلين عن هذا البكاء والحزن فقالت ومن أين لى هذا

حينئذ أمر الملك ان يدخل لها الشماس الذى قد سكن فيه الشيطان وجعله فى عينها كهيئة ولدها سواء فلما رأته قامت مسرعة واستقبلته مستبشرة وظنت انه ولدها وأعظم من هذا ان الشيطان ازال الحزن من قلبها عن ولدها فاقام عندهما فى القصر عدة شهور ينظران وجهه ويتسليان به ورزقه الله عندهما نعمة حتى ان الملك قال له ان كان لك حاجة عرفنى يا لاقضيها لك فعرفه ما قد بدينا بذكره وبعد ثلثة شهور سأل الملك ان ينفذه الى مصر وان يكتب له باصلاحه بطركاً على مصر وزن يسلطه على انبا مينا البطرك وأساقفته ليعمل فيهم ما يجب فكتب له سجلاً الى والى مصر فى ذلك الزمان وكان اسمه ابن عبد الرحمن بفعل له ما يأمره به ثم أمر ان تعمل له قلنسوة من ثوب جليل ليس له قيمة وكتب عليها بالقلم العربى اسمه وهو هذا بطرس بطرك مصر وكتب ايضاً اسم الملك معه عليها فقال من جهله بعد ان قدم اسمه وعبد الملك .

فلما وصل الى مصر دفع الكتب للوالى فلما وقف عليها أنفذ أحضر البطرك القديس انبا مينا وجماعته فلما وصلت الرسل الى ثغر الأسكندرية وأعلموا البطرك ما جرى حزن وصرخ الى الرب من عمق قلبه وقال يارب اخرجنى من هذا الفخ الذى اخفى لى لأنك أنت الهى فلا تسلمنى الى المضطهدين لى لأنه قام على شهود الزور وهوذا عيناك يارب على خائفيك المتوكلين على رحمتك لتخلص نفوسهم من الموت ولم يفتر من الصلاة والبكاء ليله أجمع الى الغداة فحضروا الرسل واقلقوه الى المسير فقام وقال بقلب منشرح يارب اجعلنى مستحقاً ان أتعب من أجل اسمك فانك وحدك رجائى يارب ياالاهى فلاجل ذلك لا أخاف ماذا يفعل بى الأنسان وكان يقول هذا من اسكندرية حتى وصل الى مصر فاعلموا الوالى بوصوله فأمر ان يحضر بين يديه فلما نظر اليه فرح لأنه كان يحب النصارى ويراعى الأب القديس أنبا ميخائيل البطرك المتنيح فقال للأب انبا مينا ان ينالك منى كل خير كما كنت أفعل مع البطرك الذى مات قبلك لكن قد وصل أمر الملك بأن تطيع الواصل به وهو على دينك ومذهبك ولا تخالفه فيما يأمرك به فتطلع الشجاع الذى لا يخاف هيبة ملوك الأرض المتكلم بالحق أنبا مينا فى وجه يودس الجديد بطرس الشماس الذى وثق بالسلطان وظن انه قد أعطى سلطان البطركية فقال له

نعم ما قال فيك الإنجيل الصادق لا يأخذ أحد كرامة من ذاته الا ان تعطى من السماء من عبد الله لكن اسمع ما يقول الله عليك وعلى من يسلك ملكك ويقطع عليك بالامر الذى تستحقه اذا قال سيدنا المسيح من فيه الطاهر كل شجرة لا يعرسها الأب السماوى تقطع وتلقى من أصلها كذلك أنت يزول عنك هذا الأسم ونموت موته فقر موتة سوء فاجابه ذلك الجاهل وقال للاب القديس أفعل الأن ما آمرك به لتخلص من العذاب الذى اعزله عليك حتى أعلم أنك تقاوم أمر الملك والتفت المرذول فقال للوالى عوض ما يجيب بالسمع والطاعة لأمر الملك هوذا هو تيقول كلاماً انه يسأل الله ان ينزع منى السلطان الذى سلمه لى الملك فاجاب الوالى وقال للبطرك لا تقاوم أمر الملك لكن تتم ما أمر حينئذ قال له أنا أفعل ذلك بفرح لأتمم الناموس الذى أمرنى بطاعة الملك كطاعة الله لأنه يقول من قاوم السلطان وخالفه فقد قاوم الله ربه فلما سمع الوالى ذلك فرح بجواب البطرك وقال للمرذول مهما ارذت مره به فقال ينفذ ويحضر جميع الأساقفة الذين تحت حكمه لآمرهم معه بما يجب فسأل الأب الوالى ان يمهل اياماً الى ان يجمعهم فقال المخالف نمضى به الى الأعتقال حتى ادخل الكنائس بمصر وأصعد مذابحها كفعل البطاركة فاعتقل البطرك وأسقف مصر تاودوروس وتقدم الى الكتاب بمكاتبة جميع الأساقفة لكى يحضروا وظن هذا المخالف أنهم يطيعونه ويفعلون له ما قد أضمر خارجاً عن قوانين البيعة فكتب الأب البطرك كتاباً ملوءاً حزناً وغماً ولم يشرح فيه خبراً تلئلا يضعف قلوبهم ان لا يجاهذوا مكتوب فيه هكذا فى كل زمان لا يدع الشيطان عروسة المسيح البيعة الجامعة بغير مقاومة لها ويقيم اضطرابا وشعثا لكى يغلبها بمناصبته وعريسها المسيح الحق يحطم قوته بالقول الذى قاله لرئيس الحواريين بطرس ان أبواب الجحيم لا يقهرونها وقد عرفتم الأن ان السيد المسيح هو الغالب فتقدموا الى الجهاد ولا تخالفوا وتوكلوا على الرب فهو يذله ويبطل مؤامرته ويمجد بيعته عروسته ونحن ايضاً تفرح لأننا قد تسلحنا كالجند للقتال فى الحرب لننال الأكليل السماوى كما انه يدعونا فى كل زمان كقول لسانَ المعلم بولس ان الأنسان لا ينال الأكليل الا ان يقاتل فاسرعوا الآن لتنالوا ذلك ياأحبائى الذين لنا محبة الرب .

فلما وقفوا الأساقفة على كتابه وهو يعزيهم اسرعوا وساروا واجتمعوا بفسطاط مصر فما علم ذلك الضال ولد الشيطان لهم قذ اجتمعوا فى البيعة يوم الأحد قام بشيطنة ومعه جند من عند الوالى وتقدم بغير خوف وصعد علي الهيكل ليقول صلاة الشكر والسلامة كالبطرك والقلنسوة التى عليها مكتوب اسم الملك علي رأسه فلما رأوه الأباء الأساقفة وقد فعل هذا الفعل اجتمعوا بروح القدس فوثب اليه أنبا مينا اسقف صنبو[1] وأنبا موسيس أسقف وسيم ومسكا القلنسوة ورمياها ورميا به من علي الهيكل وقالا له يايونيانوس الجديد ماتستحق بيع مصر ان تتنجس بك فامتلأ خزياً ذلك النجس ثم غضب جداً وأمر الذين معه ان يمضوا بجميع الأساقفة الى الحبس ويعملوا فى رقابهم وأرجلهم الحديد فلما نظرهم الأب البطرك القديس قبلهم وعزاهم وقال يا أحبائى الذى يقاتل عنا أعظم ممن يقاتلنا والرب ينجينا من أعدائنا وينقذنا ممن قام علينا ويخلصنا من عمال الأثم فلما سمعوا ذلك قالوا يا أبانا نحن مستعدون للموت معك ونحن نؤمن ونتوكل اننا ننال الخلاص بصلواتك .

فلما مضت لهم فى السجن أيام قلائل وذلك النجس يتفكر فيما يفعله بهم من السوء والبطرك فتقدم الي الوالى بأن يخرجهم من السجن ويوقفهم بين يذيه ففعل فقال الكافر للأب البطرك أنا ما أفعل بك شيئاً تخاف منه كما كان غيرى يفعل بغيرك ممن هو قبلك من زمان أنبا اغاثون البطرك انه كان يلزم بعمل مراكب الأسطول كما كان تودوروس الخلقدونى رئيس الأسكندرية يعمل باغاثون فى مملكة يزيد بن معاوية الملك قم أخرج من البيعة الآنية الذهب والفضة ليحملوا الى بيت مال الملك فلهذا جئت فلما سمع منه الأب البطرك قال فى نفسه احاط بى مخاض الموت وأهوال الجحيم حدثتنى قال هذا لعلمه بأن ليس شئ فى البيع مما يطلبه منه وقد كان جرى على الأباء قبله أمور مشهورة لم يتركوا شيئاً من أوانى البيع مع أموالهم حتى أخذوه منهم المخالفون المبغضون فى زمان بعد زمان ولما كرز هذا الأب الجليل علي الكرسى لم يجدد شئ حتى أنهم فى مدينة الأسكندرية لم يجدوا مايتقربون فيه الا كأس زجاج وكأس خشب فقال

(١) صنبو مركز باسيوط

الأب القديس لذلك الكافر أنت ما تعرف حال البيعة من ذلك الزمان والى الآن فقال له الكافر الشقى هوذا أعرف عندك كتاباً تقدر ان تصير غنياً بسرعة فيه صنعة عم ل الذهب فاجاب الأب الروحانى وقال له ماأعرف شيئاً مما تقول لكن أفعل ما تريد وتوكلى على الله لأنى عارف ان ما فى البيعة شيئاً مما تذكر وقد قلت للملك الكذب فاجاب وقال البطرك انا افعل معك جميلاً ولا الزمك بان تتفق شيئاً على المراكب لكن وحق الملك لا عمل أحد المشاق بالزفت غيرك وأساقفتك بأيديكم فقال له أنا افعل هذا مسروراً وأتشبه بقول بولس الرسول الذى قال انا اعمل بيدى ثم قال يشتمونا ونحن نبارك عليهم ويطرودنا ونحن نصبر عليهم ويسبونا ونسألهم .

فخرج الأب انبا مينا والاساقفة الذين معه ليفعلوا ماأمروا به كل يوم فى صناعة المراكب بمصر يعملون بأيديهم كلما تحتاج اليه المراكب فى مدة سنة ووجوههم فى الشمس النهار كله فى أيام الصيف والبطرك والأساقفة فى وسط الناس والرمادية فى فسطاط مصر يكون بتنهد وبعد هذا أعيد الأب وجماعة الأساقفة الى الحبس وكان يطالبهم بآنية البيع ويقول لهم انى ما وصلت من عند الملك الا لأجل ذلك فلما جازت أيام وهم فى الحبس وكان يطالبهم فنظر الرب الى تنهد اصفيائه ففعل أعجوبة وانتقم الذى يقدر على الأنتقام وقد كنا قلنا فيما تقدم ان الوالى كان محباً للنصارى وكان اذا رأى هذا الأنسان المرذول يقلق البطرك والأساقفة ولا يتمكن من ارداعه لخوفه من الملك وكان يقول له لا يجوز لك ان تفعل هذا بمقدم النصارى فيقول له وانت ايضاً تقول انه كبير النصارى وترفض أمر الملك فانا أمضى الى الملك فاعرفه انك قلعت منى ما جعله لى الملك فعند ذلك كمل فيه قول سليمان الحكيم لسان الجاهل فخ له فقال له الوالى انت تريد ان تمضى الى الملك وتكذب على وترفع على كما قلت وفعلت مع هذا الشيخ الخائف من الله أنا لان بعد تيومى هذا لا أدعك تشاهد الضوء ويعلم كل أحد ان الله قد أخذ لهذا الشيخ حقه منك فأمر فى تلك الساعة ان يمضوا به الى الحبس ويطرحوه فى المطبق وتكيل الحديد فى يديه ورجليه ويحتفظ به فى موضع تضيق فافام هكذ ثلث سنين وتقدم للوقت بالافراج عن البطرك والأساقفة المجاهدين عن الحق وكانوا يسبحون

الله ويقولون كما قال اشعياء النبى ان الله يهلك مؤامرة المخالفين المنافقين ولا يخلى الرب المتوكلين عليه الخائفين الله وقد تمت الآن كلمة ملاخيا النبى فينا انتم الخائفين من اسمى تضئ عليكم شمس البر اخرجوا وانتم مسرورون مثل العجول التى تنطلق لأمهاتها وتدوسون المنافقين .

فمضى الأب الى الأسكندرية ودخل الى البيعة بفرح ومجدوا الله علانية وكان مهتما بقطيع المسيح وتدبير الكرسى الإنجيلى بالنعمة التى معه موكان مع هذا كآب على ذلك المسكين البائس الخاطئ الذى اسلم نفسه للموت بالخطيئة وصلى الى الله قائلاً أنت الله الرحوم الذى قلت انى لا أحب موت الخاطئ مثل ما يرجع وينوب وأنت يارب تحفظ نفس هذا الأخر لئلا يموت فى الخطيئة لكن خلصه لكى يندم ويبكى على غلطه حتى حى نفسه لان الشطيان فى كل حين يجذب الناس الى الجحيم الذين يطيعونه والشيطان مبغض الخير ملأ الذى فى الحبس مؤامرة وفكر سوء وكان يقول فى قلبه النجس منه ومن الأساقفة والبيعة لأجله ولما تمت ثلث سنين وهو فى الحبس عزل الوالى ابن عد الرحمن عن مصر وأنفذ غيره الى مصر وعند وصوله الفسطاط كشف عن الحبوس ليعلم جزيزة كل معتقل فلما أعرض عليه خبر بطرس أمر بأحضاره فلما نظره عرفه فقال له اليس أنت الذى انفذه الملك الى مصر فى ذلك الزمان فقال له نعم فسأله ما الذى لحقك وقطع ذكرك من عند الملك وصرت مع الموتى فاجاب وقال عن البطرك العظائم والوالى ابن عبد الرحمن المعزول فانه عطل أمر الملك واعتقلنى ثلث سنين وقال كلاماً كثيراً عن النصارى وعن البيعة قال له الوالى تمضى الى عند الملك انفذك اليه قال له نعم هذا غرضى لأتم ما فى قلبى فانفذه الوالى سرعة وأصحبه كتاباً يشرح فيه ما جرى عليه فاعاده الشيطان مبغض الخير الى ما كان فيه أولاً وجعل فى قلب الملك له محبة أكثر من الأولى سيما وقد قال له اننى أريد ان ادخل فى دينك وأعود الى مصر وآخذ حقى من أعدائى ففرح الملك بذلك فانكر النجس اسم المسيح المخلص واعترف بدين الأسلام فدفع له الملك كرامات كثيرات فى ذلك اليوم ثياباً ومالاً وخيلاً وسرارى وسماه أبا الخير .

فأراد الرب تبارك أسمه ان يريح الأب القديس انبا مينا لئلا ينظر الى شئ من العذاب من هذا الرجل الجاحد فاظهر الله أعجوبة لما نظر الذى تسمى أبا الخير وهو أبو كل الشرور والمكر فدفع له الملك ما طلبه منه من الكتب للوالى بمصر فسار الى مصر وأعتقد انه يفعل بالبطرك كل سوء تصل قدرته اليه فمن قبل ان يصل الى مات عبد الله الملك فلما علم الشقى ان رجاءة قد بطل تم عليه قول النبى مرذول الأنسان الذى يتوكل على انسان فخزى ومضى الى بلدة التى ولد فيها فنظروه أهله وأقاربه ومعافه فصار عندهم مبغوضاً ممقوتاً كمثل اليهود الذين قتلوا ربهم وكانوا يبكتونه قائلين له يامن صار ولد الشيطان وزاغ عن طريق الحياة ابن تركت خوف الله والجحيم وصوت خالقنا الذى يقطع بالامر الهائل ان كلمن جحدنى قام الناس انا اجحده قدام الأب الذى فى السموات انكرت هذا الصوت الحق فانك تسمع عوضه اذهبوا به الى النار التى لا تطفأ والدود الذى لا ينام جزاء تمخالفك وقوله ايضاً لمن هو مثلك تباعدوا عنى ياملاعين الى النار الموقدة المعده لأبليس وجنوده ثم يقال لك ان عوض الأسقفية التى طلبتها اكتساب الخلاء وعوض النعيم الروحانى اكتسبت نجاسة الجحود ويسمع من هذا كثيراً وهو ممتلئ حزناً وخجلاً كل يوم ثم انه مضى الى أساقفة كورة مصر الذين ابلاهم بذلك العذاب وسألوا ان سألوا الله فيه ان ينقذه من تلك الضلالة وكأن قلبه مستقيم وكان تيسمع من فم الأساقفة كما قال الرب لتلاميذة فى ذلك الزمان من اجل يهوداء الأسخريوطا انه لا يهلك الا ابن الهلاك .

ثم بعد ذلك أراد الرب ان ينيح الأب انبا مينا وينقله الى أورشليم العليا من هذا العالم المملوء نصباً وتعباً وتنيح وكان مده مقامه على الكرسى سبع سنين فى آخر يوم من طوبة وتمم تعاليمة حافظاً لأمانة ابائه ومضى الى السيد المسيح بسلام الى الرب الذى احبه وأخذ اكليل الغلبة مع جماعة أخوته المجاهدين وتنعم معهم فى كورة الأحياء وبعد نياحته مضى ذلك الشيطان الى البلد التى ولد فيها ومات هناك بموت مر وهو موت الخطيئة والفقر كما تنبأ عليه أبونا أنبا مينا وتعجب كلمن شاهده ومجد الله وقال لقد تم ما نتبأ به عليه الاب انبا مينا بروح القدس وقال كما قال داءود عبد الله

فى المزمور انه مثل المتكبر مثل الجريح وقال ايضاً فى المزمور[١] ملعون كلمن يحيد عن وصاياك وبقيت البيعة أرملة لا راع وافتقد الرب خرافه الذين اشتراهم بدمه وأجتمعوا الاساقفة الى مدينة الأسكندرية وتشاوروا وسألوا الرب ان يضهر تلهم راعياً أميناً وذكروا اسماء كثيراً فقاموا عده أيام فى هذا والرب يحفظ مصطفاه الذى يصطفه ويمسحه بدهن رحمته ليدعوه للبطركية لأنها كانت له وكانوا اباؤنا اذا اجتمعوا للأنفاق على اقامة لطرك يكتبون اسماء كثيراً فى رقاع صغار ويضعونها فى الهيكل ويصلون الأساقفة والكهنة والشعب الأرثدكسى الى الرب بنية خالصة ويصيحون كيرياليصن ثم يجعلون طفلاً لم يعرف خطيئة يمد يده يأخذ رقعة من جملة الرقاع فالذى يخرج اسمه يقدمونه على البطركية فلما فعلوا ذلك وكان قيماً لبيعة القديس أبى مينا قس اسمه يوحنا ولد بالأب انبا ميخائيل ومولده فى بوصير وترهب بوادى هيب فائتمنوه على الأقنومية[٢] من قبل الأب أنبا مينا المتنيح فذكره شيخ شماس دين من كهنة الأسكندرية فقال لهم هل ذكرتم القس يوحنا قيم بيعة أبى مينا لتكتبوا اسمه ولم يكونوا ذكروه بل الرب ذكره على فم الشيخ الكاهن فكتبوا اسمه وصلوا وفعلوا ما قدمنا ذكره ثلث دفعات فخرج اسمه فيها الثلث فتعجبوا الناس الحاضرون وصرخوا وقالوا بالحقيقة انه مستحق فقدموه وجلس على الكرسى .

الأب الجليل أنبا يوحنا البطرك وهو من العدد الثامن والأربعون

وبعد جلوس الأب انبا يوحنا كتب سنوديقا ممتلئة حكمة الى الأب المغبوط جرجة بطرك انطاكية بعلمه اتحاده معه بالامانة وسبب جلوسه على الكرسى توجرجة هذا الذى ذكرناه كان قد قام واحد من اساقفته ورفع عليه عند الملك حتى اخذه وقيده وحبسه وجلس الأسقف الرافع عليه على الكرسى ولم يكن كتب رسالة الى بطرك الأسكندرية ولا تقليداً فمات وعاد جرجة وافرج عنه وجلس على كرسى انطاكية بعد عشر سنين بمجد وكرامة فلما وقف على كتب المغبوط انبا يوحنا عند وصول رسله الى انطاكية قبلهم وفرح بهم وكذلك جماعة المطارنة والأساقفة المجتمعين عنده مجدوا السيد المسيح

(١) مزمور ١١٨ (٢) إدارة الدير

على اتفاق كلمهما على الأمانة الأرثدكسية واجتماعهما بعد الأيام التى جازت بفرح عظيم وبهجة روحانية وكتب جرجة ومصارنيه وأساقفته جواب السنوديقا الى الأب انبا يوحنا كالقوانيين البيعية السالمة من الزوغان .

وبأن أنبا يوحنا حسن الهيئة تام القامة مؤيداً من الله فى جميع أموره وكان كل أحد يشتهى ان ينظر صورته المقبولة ورزق قبولاً عند كل الملوك والولاة مثل يوسف الصديق الذى كانت يد الله معه وخلصه من جميع احزانه واعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون وكان الأب يوحنا مدمناً على فعل الخير وأهتم ببناء بيعة ومسكنت بطريركى وزينه بكل زينة حسنة وزين البيع بالأسكندرية بكل زينة وجمال وكان الزمان مساعداً له وكانت السلاطين تهابه وتبلغه أغراضه وتقبل قوله ولا تمنعه من شي يريده وكان الشعب الأرثدكسي يطيعه وكان البيعة فى أيامه هدوء وسلامة وما يفتر من فعل الخير وأكثر أهتمامه بعمارة بيع الأسكندرية حتى انه عمل تذكاراً عظيماً له بهذه المدينة وكانت سيرته جميلة حتى ان المخالفين الذين بمدينة الأسكندرية حسدوه كعادتهم الملاعين مع الأرثدكسيين حتى فى الأمانة وخاصة فى أيام هذا القديس يوحنا لنظرهم لأعماله الحسنة فى البيعة وفى جميع البيع بالاسكندرية بالمجد والكرامة .

والكذاب الذى كان فى ذلك الزمان ابا الهراطقة انسان يسمى بولتيانوس كان رجلاً طبيباً ماهراً وكان ملوك الأسلام تراعيه لأجل صناعته ولم يفتر من ذكر أبينا البطرك أنبا يوحنا بكلام الحسد وكان الله الذى يعرف الخفايا يرفع هذا الأنسان يوماً بعد يوم وكانت روائح طيب تعاليمه قد بلغت الى كل أحد ولأجل هذا كانوا محبوا الله يفتكرون ويقولون نحن سلم اليه أموالنا ليبنى بها بيع الأسكندرية تذكاراً لنا ولمن يجئ بعدنا وهكذا كانوا يحملون اليه المزين بالفضائل مالاً جزيلاً وكرامات ويسئلونه ان يهتم فى عمارة البيع حتى تم ماقيل فى النبى داءود غيرة بيتك أكلتنى فيقبل ذلك منهم لعلمه بمحبتهم وابذالهم مالهم وخيرهم وأمانتهم المستقيمة بالله وكان قد صحبه شماس محب لله متيقظ جذاً ممتلئ أمانة وحكمة روحانية اسمه مرقس وهذا كان اسكندرانياً

وقد مسك رجل السفينة التى هى البيعة سفينة النجاة من طوفان الشياطين باجتهاد وكان أبونا انبا يوحنا بعرفه من صباه وكان قيم بيعة أبى مينا وبحكم معرفته له ولاهله جعله شماساً وكان يقرأ الإنجيل فى كل موقع يقدس فيه ويحضره بصوت حنين والحان مطربة تخشع لسماعها القلوب ولأجل هذا كان الشعوب يبكرون الى البيعة لسمعوا قرأته وحسن صوته ولمعرفته بالقراءة وحسن منظره وعند قراءته يجعل كل كلمة فى موضعها وكان عالماً بالكتب وقراءة جميع المسطاغوجى[١] وكانوا يقولون مبارك هو الرب الاله الذى دفع ولداً حكيماً لداءود كما قيل ذلك كان الشعب المؤمن بقول يتمجد الله مبارك هو الله الذى أقام لنا هذا الشماس المحب لله مرقس مبارك هو الرب الذى جعل هذا الغصن يزهر لنا من هذه الشجرة المباركة أبانا القديس يوحنا وولده مرقس طوبى لمدينتنا التى استحقت هذه النعمة وكان أبونا البطرك اذا شاهد هذا الشماس وافعاله يفرح به ويشكر الله الذى وهب له هذه الموهبة للبيعة فتركه له مشيراً فى جميع أحواله وكان مرقس كلما قدمه البطرك ازداد تواضعاً لكل أحد من صغير وكبير وافضل من هذا صاعته للأب فى كلما يأمره به فلما امتلأ من النعمة طلب من ابينا ان يجعله مستحق الأسكيم الملائكى الذى هو الرهبنة فأخذه معه الى البرية عند نظره لشهوته الى دير الأب المفئ أبى مقار مجمع الرهبان وموضع الحكمة العالية والصلاة الدائمة ليلاً ونهاراً بتعييد الثالوث المقدس فى السابع والعشرين من برمهات وهو يوم نياح القديس أبى مقار فما لبس الأسكيم نظر اليه انسان شيخ راهب مضاء بروح القدس فقال هذا الشماس الذى اسمه مرقس هو مستحق ان يجلس على كرسى ابيه مرقس الإنجيلى وبدأ ان يزيد فى التواضع والطهارة والقدس حتى تم فيه ما قال الله لمن انظر الا على المتواضع القلب الخائف منى .

فلما سمعتم ياخوة منى هذا الكلام فلا تجدوا على اننى تركت عنى كلام الأباء المغبوطين وبناء البيعة بمدينة الأسكندرية وذكرهم مع ازومه لنا وهكذا يجب علينا ان تذكر البنين المتواضعين الذين فازوا بالاعمال وارضوا الأباء بتقلبهم حتى تسمع الإجيال

(١) التعاليم الأيمانية

والقبائل الآتية فينموا هم ايضاً بنعمة روح القدس كمثل ما كتب لسان العطر بولس وقال اني بالروح ولا ادع عنى هذا وتفسير انني غيور يعنى بالأعمال الروحانية اسمعوا كيف بدأ البطرك أنبا يوحنا أن يهتم ببناء لبيعة مثل ماطلبا منه المحبان لله الطوبانيان كرا وبرنابا ولما رأيا شهوة شعب المسيح فى هذا وكان للبيع وصايا فدعا الشماس مرقس وقال له ياولدى يكون لك أجر من الله ان تقف على بناء البيع لأنك عارف بالمدينة الصناع وأعمالهم وأنا أعلم ان الله معك واعتقد وآمن ان الذى تهتم به من الخير بامانتك يكون لك فقال قدسك يعرف ان حجج المخالفين الملاعين كثيرة التى يقاومونا بها وهو خطيئة على ان قاومت روح القدس الساكن فيك والآن فانت ياأبى قد أردت فعل الخير ثم ضرب له المطانوة وقال له صلى على يا أبى فقال له الرب يبارك عليك ويكون معك حتى تكتمل عمارة بيته المقدس لتفتخر به بعدنا فقال للبطرك تأمرنى ابوتك ان اضع الاساس كما بنور الله على فاهتم البطرك بكلما يحتاج اليه البناء وجمع الفعلة والرؤساء وصلى ووضع اساس البيعة والمساكن المحيطة بهاوسلم كلما تحتاج اليه فى يد الشماس مرقس المحب لله ليهتم بالبناء وهكذا أوتمن على بناء البيعة المقدسة وكان الله معيناً له بالنعمة والبناء كل يوم ينمو ويتقدم فوسوس الشيطان فى قلب الكذاب المخالف صاحب الطبيعتين ان يذكر الأب أنبا يوحنا عند السلطان انه أخذ مواضع للسلطان بناها كنائس وفعل هذا حسداً لكى يبطل البناء مثل الكلدانيين الذين أرادوا تبطيل بناء بيت الله المقدس فصبر الأب انبا يوحنا واحتمل امراً عظيماً مما لحقه من الكذاب وخسر لأجل ذلك للسلطان مالاً كثيراً وكان القديس يفرح بهذا وكان يذكر انبا يوحنا بكل سوء وكذب وكلما شاهدوه كل يوم فى نمو وزيادة وشعبه مستقيم وتعاليمه دائمة وبيعه مثمرة وهو أيضاً يبنى ويجدد فى البيع قد ازدادوا غيظاً فلم يقدروا على مقاومة قوة الله كمثل فعل الكلدانيين فى هيكل أورشليم وبدد الله أمرهم وكذلك فعل هكذا هاهنا بدد مؤامرة المخالفين اليهود الجدد وبرأفة السيد المسيح جعل فى قلب السلطان ان يأمر الأب أنبا يوحنا بكمال البيعة وترتيبها كما يريد وكملها فى مدة خمس سنين وكرزها باسم رئيس الملائكة ميخائيل

وهذه البيعة تسمى اليوم بمدينة الأسكندرية بيعة التوبة وكان مع أبينا البطرك كاتب اسمه يوحنا شماس وهو الذى استحق اسقفيه كرسى سخا بعد وفاه الأب أنبا يوحنا .

فما كان بعد تمام بيعة الملاك ميخائيل بأحكام الرب الغير مدروكة نزل غلاء عظيم على مدينة الأسكندرية وصعيد مصر حتى ان القمح بلغ ثلث وتبات بدينار انفس كثير وكان أبونا حزيناً لما يرى من الموتى والفناء ويدعو بدموع ويقول كاشعياء النبى صرفت وجهك عنا واسلمتنا لأجل أثامنا والآن يارب فانت أبونا ونحن كلنا تراب وعمل يديك لا تصنع بنا مثل خطايانا ولا تغضب علينا الى التمام ولا تذكر خطايانا والتفت لنا يارب لأنا شعبك وكان يواصل الصلاة ليلاً ونهاراً قائلاً يارب أرحم خليفتك وعمل يديك لا تصنع بنا مثل خطايانا فنحن مستحقون لكل ادب لأنا لم يسلك فى طريق وصاياك والان فيارب لا تؤدبنا بقضيب غضبك ولا تذكر أثامنا أمامك وكان ينظر الى ضيق الناس من عظم الغلاء وكانت الرحمة تقلقه الى الدعاء فدعا ولده الشماس مرقس ومشاركه فى أفعاله وأعطاه السلطان ان يفعل رحمة مع كلمن فى المدينة وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده ايتمنه الأب انبا يوحنا عليها عند تجربته لطريقة وكان يغيث كل جائع ويدفع لهم طعامهم بكرة وعشية فى كل يوم وكان يشاهد على باب البطرك خلقاً كثيراً من كل جنس وهو يقوم بهم من شئ البيعة لانها كانت ذلك الزمان مملوءة خيرات حتى ان رائحة طيب أعماله الحسنة فاحت وملأت المواضع بسيليوس وأوسابيوس الأسقفان هذان اللذان جعلا لهما الصدقة اهتماماً لا يقطعانها أكثر من كل وصية هكذا هذا القديس فعل مثلهما حسداً لفضلهما حتى يشكلهما فى ذلك ومع فعله هذا لم يخل بشئ من الوصايا ويحضر الرؤساء والأغنياء ويقول لهم كونوا رحومين للضعفاء ويحثهم على الصدقات من الكتب المقدسة ويقول لهم اغتنموا هذا الوقت وهذه النعمة التى هى جليلة عند الله وكان يعظهم بما قاله داءود النبى لولده لا تصرف وجهك عن الفقراء فان الرب لفا يصرف وجهه عنك وقول غيره من الأنبياء ان الصدقة تخلص من الموت وتصعد من الجحيم ولا تدع انساناً ان يدخل الظلمة وكان يذكرهم ايضاً ما كان بولس يكاتب به طيماتاوس ولده اذ يقول له اغنياء هذا الزمان أوصيهم ان لا يتكبروا بل يجعلوا توكلهم على الله الى يعطى الغناء

لكل احد لكى يستغنوا فيتكل شئ ويجعلوا لهم اساساً ليتمسكوا بحياة الحق وكان يوصيهم بهذا وغيره حتى حسدوا افعاله الأغنياء والرؤساء وصاروا يفعلون كما أوصاهم من مالهم ولم يتأخر احد منهم عن الصدقة والأفتقاد للأرامل والأيتامت والحبوس بالطعام والكسوة وكذلك الكهنة والفقراء وكان جماعة من الرؤساء فى ذلك الزمان ينزل عليهم الفقر وكانوا يساعدونهم ايضاً وكان يأوى الغرباء حتى رحم الرب شعبه ورفع عنهم الغلاء بصلاة الأب القديس أنبا يوحنا لم تنيح بطرك أنطاكية أنبا جرجة وأوسم عوضه انسان قديس اسمه كبرياقوس بتدبير من الله واجتماع كلمة المطارنة والأساقفة وجميع شعب الشام والمشرق وكان مملوءاً من نعمة الروح القدس فلما اتصلت به أعمال الأب القديس انبا يوحنا أحضر مطارنته وأساقفته وقال لهم ما يجب ان نتأخر عن مكاتبة الأب أنبا يوحنا صاحب الكرسى الإنجيلى بمدينة الأسكندرية العظمى التى هى لنا ميراث من أبائنا من زمان الأب ساويرس وثاودوسيوس المجاهدين على الأمانة الأرثدكسية وقد كنت بدأت بذكر الأب انبا جرجة المتنيح ان كان فى السنين الماضية التى أعتقل فيها لم تصل سنوديقا من ناحيته الى مصر الى تاالأب مينا لأحل اضطهاده واعتقاله ولأن انبا مينا لم يكتب أيضاً لأشتغاله فيما جرى عليه من الشماس المحروم بطرس الجاحد الغير مستحق الأسم الى حين خروجه هو والأساقفة من الحبس ومكاتبهم التى ذكرناها أنفاً فقال الأب انبا كيرياقوس ان نحن لم نكتب كان علينا أثم وخطيئة لأجل الاتفاق الذى بيننا والأتحاد وكانوا زمان ابائنا السالفين متفقين على الأمانة الحق والمحبة ويذكرون اسماء ابائنا على هياكل كورة مصر تجميعها فلا نقطع ما بيننا وبينهم من المحبة المسيحية والاتفاق الروحانى فكتب أبونا انبا كيرياقوس بطرك انطاكية الى أبا يوحنا بطرك الأسكندرية سنوديقا مملوءة من نعمة روح القدس وأنقذها على يد مطران دمشق انسطاسيوس ومعه اسقفان من كرسيه يذكر فيها ما بين الكرسيين انطاكية والأسكندرية من الأتحاد الأرثذكسى وكيف جلس على كرسى اغناطيوس اللابس اللاهوت فلما وصلت الى أنبا يوحنا ووقف عليها فرح فرحاً عظيماً ومجد السيد يسوع المسيح الذى يهتم بيعته وشعبه فى كل زمان الذى اشتراهم بدمه الكريم فأمر أبونا أنبا يوحنا بقراءة الكتب على الشعب فتعجبوا عند سماعهم ما فيها

من الألفاظ ولبعد عهدهم بوصول سنوديقا وشكروا الله على ذلك فلما شاهدوا الرسل انسطاسيوس والاسقفان بيعة الأسكندرية عجبوا من نقوشها وزينتها وطقس البطرك والأساقفة والكهنة والسبع طغمات البيعية ووقار جميعهم توالسكينة التى عليهم وخوفهم من الله فبهتوا ومجدوا الله على عظم النعمة عليهم من نعمة مارى مرقس الإنجيلى المقدسة فلما شاهدوا ذلك قالوا ما قاله داوود فى المزمور كما سمعنا كذلك رأينا وفرحوا فرحاً عظيماً روحانياً كما كتب فى الأبركسيس ان الكلام يصل الى مسامع البيعة بيروشليم من أجلهم فانفذوا برنابا الى انطاكية فلما وصل ورأى نعمة الله فرح وأقاموا عند الأب القديس يوحنا أياماً قليلاً وودعهم بمجد وكرامة بعد ان كتب لهم جواب كتبهم فمضوا الى كورتهم ممجدين لله على ما عاينوا .

أردت يا أبائى القديسين ان اتمم الخطاب بأفعال ابينا المبارك انبا يوحنا غير ان لسانى الناقص لا يستطيع ان يقول يسيراً من أفعاله لكن عند ذكرى للناس القديسين الذين كانوا فى زمانه يجب ان اذكر لأبوتكم حسن الأفعال ونبوتهم لتسر قلوبكم كما هو مكتوب اذا ذكر الصديق فرحت الشعوب .

كان فى ذلك الزمان شيخ قديس فى البرلس [1] اسمه جرجس وكان حسن الأفعال وينظر من البعد بروح القدس أسراراً عظيمة قبل ان يكون الشئ ليعلم به لجودة أعماله وكان قد تنيح انبا جرجة اسقف مصر فى ذلك الزمان وكان رجلاً قديساً رحوماً محباًللدقة وأقام عندهم زماناً عظيماً يرعاهم بطهر وصدق فحزن عليه الشعب المؤمن وأجتمعوا وسروا وكاتبوا الأب انبا يوحنا وسألوه ان يجعل ولده مرقس الشماس اسقفاً عليهم بمصر عوضاً من جرجة المتنيح فلما وقف على الكتب اراد بلوغهم غرضهم لمراعاته قلوبهم وأمر ان يقدم لهم مرقس الشماس وخاطبه فلم يفعل وطرح فى رجليه قيوداً حديداً واقسمه قساً ليتمه أسقفاً وهذا بغير اختياره وكان باكياً حزيناً ويقول انت يارب تعلم اننى لا أصلح لهذا الأمر فاسلك ياسيدى ان تخلصنى من هذا الذى لا أقدر عليه فسمع الرب محب البشر الذى يصطفى من يختاره لنعمته قبل ولاده فقال لذلك

(١) شمال الدلتا

المؤمن قم اخرج من هذا الموضع الذى انت فيه فقام فى تلك الساعة فوقع الحديد من رجليه وانفتح له الباب وخرج ولم يستيقظ له أحد ممن كان يحفظه فلما أصبح طلبه فلم يجده فأمر بالبحث عنه فما قدر عليه فصعب عليه ثم انه قدم ولداً له اسمه قسماً واوسمه للمصريين فاقام اياماً ومات وكان انسان يسمى ميخائيل حسن الفعال اقسمه لهم اسقفاً وكان البطرك قد وجد على الشماس مرقس لبروءومخالفته لأمره فكتب كتاباً الى الأب القديس جرجة فى البرلس الذى ذكرناه انفاً يعلم انه واجد على ولده مرقس لمخالفته اياه وهروبه منه وانه ركس جاهه عند المصريين فاجابه جرجة القديس النبى وقال له لا تؤاخذ أبوتك ولدك لأجل مخالفته لك فانت اردت ان تقاوم أمر الله لأن الذى اردته له ليس هو له من عند الله بل الله قد حفظه ليأخذ كرسيك ورئاستك بعدك فلما سع الأب البطرك هذه النبوة تعجب لأنه كان يصدق بكلما يقول له الشسخ القديس السائح فلما علم بهذا مرقس عام الى البطرك وسجد له واستغفر منه فلم يجد عليه بعد وكان عنده من ذلك اليوم جليل القدر ولم يرجع يفارقه فى كل موضع كان يمضى اليه .

ثم توجه البطرك الى فسطاط مصر لأجل الخراج الذى كان على الأواسى[1] للبيعة وهذه آخر دفعة مضى اليها فعمل مبغض الخير الشيطان ان يشير عليه ملأوقال هذا الشيخ يقاومنى ويبنى البيع والتذكارات أنا أيضاً اجعل أجرته ان تكون نكدة كان فى ذلك الزمان وال مبغض المسيح رمى الشيطان فى قلبه ان يهدم بعض بيع مصر لكن الرب محب البشر انتقم منه سريعاً ومات موتة سوء بسرعة وولى مكانه بعده انسان محب للنصارى فتقدم لهم بتغليف بيعهم التى كان الأول قد شرع فى هدمها لكنه لم يأمرهم بأن يبنوا وكان البطرك بمصر قد قضى جميع حوائجه وعول على العودة الي الأسكندرية وكان عيد السيد ثمنية وعشرين يوماً من كيماك فطلب لايه الأساقفة والشعب ان يقدس لهما ويقربهم قبل مفارقته لهم وكانت هذه النبوة منهم ان يأخذون السرائر المقدسة من يده قبل خروجه من هذا العالم فلما دخل البيعة نظرها بغير سقف فتنهد فقال ياربى والاهى يسوع المسيح انت قلت لبطرس رئيس التلاميذ اننى ابنى

(١) الاوسية : مكان ادارة اراضى الدير

بيعتى على الصخرة ولا تقهرها أبواب الجحيم ان كان ظلمها بعض الملوك المنافقين يسيراً بكلمتك يارب لا تبطل الى الابد وقد طرحت الملوك الطاغية مثل ديقلاديانوس ويوليانوس ومن يشبههما وأما البيعة فهى ترتفع فى كل زمان وقضى الأيمان ياسيد انا اطلب اليك وارغب ان تجددها بالنعمة وتضع كلمن يقاومها من الملوك المنافقين وتربهم ضعفهم سريعاً وتبطل مؤامرتهم وتنعم على بسلطان طالب الحق يأمر بعمارة البيع واعادتها الى ما كانت عليه من الزينة والفخر باشراق نورك فيها وفيما هو يصلى بهذا ومثله سمع صوتاً يقول مثل داءود المغبوط لما انت فأخذك الى واريحك من تعب هذا الزمان والذى يجئ بعدك هو الذى يبنى البيع ويجددها فلما سمع هذا بدأ بالقداس فلما أكمل الخدمة ناول الشعب من السرائر المقدسة وأعطاهم السلام وعادوا الأساقفة الى كراسيهم فحينئذ توعك أبونا أنبا يوحنا ولحقه ضربان فى رأسه وكانوا الأباء الا ساقفة يريدون بلوغه مراده وطيبة قلبه ويقولون له ي أبانا لا يضيق صدرك بسبب خراب البيعة الرب يقيم لها من يعمرها أجود مما كانت بصلواتك وقدسك ولا يصغى لقولهم لان قلبه اشتعل بما سمعه من الصوت وانه خارج من هذا العالم وكان يطلب الى الأساقفة ويقول لهم تخذونى الى مدينتى الموضع الذى اختاره الرب لى لكى اسجد للرب على كرسى أبى مرقس الإنجيلى قبل خروج روحى من جسدى .

فسمعوا منه وحملوه الى مركب وكان معه من الأساقفة ميخائيل اسقف مصر وجرجة أسقف منف وفى يوم انحدارهم من مصر ولى على مصر وال جديد اسمه الليث بن الفضل وكان انساناً خيراً محباً للنصارى فلما انحدرنا بدأ البطرك ان يخاطبنا وهو فى المركب ويقول قد حضر فكر على قلبى اقوله لكم لأجل قدسكم وأظهر لكم ما خفى عنكم قد عملتم ما لقيت من التعب وصبرى الى سفك الدم والأن فانامنتقل الى حيث أبائى فقد طلبت الى الله ان لا يخرجنى بغتة بغير ثمرة بل مقينى سنة واحدة ويعطينى بأن اعود اليه بكل قلبى وأتوب وأبكى على خطيئتى ويرينى سلطاناً عادلاً بارض مصر يحب النصارى ولم يمنعنى الله من هذا وانعم على بالحياة الى سنة وأخرها هذه الأيام وقد بلغنى ان والياً قد ولى مصر وانه يفعل مع البيع والأخوة كل جيد وأنا

ماضى الى الله الأن ولا تنظرونى بعد فى الجسد لأن زمانى قد أقترب هذا الذى أعلمت به من الله فاسمعوا الأن اذا انا مت اسرعوا واجلسوا من يختاره الله على الكرسى .

فلما سمعا الأبوان الأسقفان هذا تيقنا موته فتنهدا ولم يقدرا ان يصبرا من كثرة البكاء لقوله انكم لا تشاهدونى بعد فى الجسد فقالا له يا أبانا لما أظهر الله خروجك من هذا العالم من أعلمك به انه يجلس على الرسى بعدك فقال لمما الذى حرسه الله الى الأن وسر به ان يرعى شعبه واردت انا ان اجعله اسقفاً وكان تدبيرالله ان يحفظه لهذه الخدمة وهو ولدى القس مرقس قال هذا وهم منحدرون فى المركب فلما وصل الى مدينة الأسكندرية ثقل عليه المرض والورسكين وهذا عجب آخر أظهره الله لأبينا القديس انبا يوحنا لا تحجب الغفلة عنه لما كان فى اليوم السادس عشر من شهر طوبة عيد القديس فيلاتاوس الشهيد [(١)] وهو يوم ولد فيه هذا الأب كما ذكر الجمع وهو اليوم الذى وسم فيه بطركاً وفى هذا اليوم بعينه اسلم نفسه للرب .

والذى اقامه على الكرسى اربع وعشرون سنة وكانت وفاته فى سنة خمس مائة وخمس عشرة للشهداء وعظم حزن الشعب الأرثدكسى فى ذلك اليوم عليه ولما كملت عليه الصلوات والقداس جعل جسده المقدس مع ابائه القديسين التادورسيين وقبل الرب نفسه الطاهرة واعد مع القديسين فى كورة الأحياء والمجد للسيد يسوع المسيح ولأبيه الرحوم والروح القدس المحى الأن وكل أوان والى دهر الدهور أمين .

مرقس البطرك وهو من عدد الأباء التاسع والأربعون

ثم عاد الأسقفان الى مصر وهما أنبا ميخائيل أقفها وجرجة أسقف منف بسرعة ليقدما أمر من يرسم بعده فلما اجتمعوا الاساقفة والشعب الأرثدكسى بالاسكندرية وتشاوروا فيمن يقدمونه فقالوا الأساقفة نحن سمعنا ان ابانا انبا يوحنا ذكر اسم القس مرقس انه الذى يجلس بعده فقالوا جميع الكهنة من فم واحد هو مستحق بالحقيقة هذا الطقس هذا القديس الذى أرضى روح القدس وأرضى روح ابينا الطوبانى يوحنا مدة

(١) سنكسار ١٦ طوبة

مقامه معه فى جميع الأساقفة والكنة كتبوا كتباً الى انبا ميخائيل اسقف مصر هكذا يقولون ابوتك تعلم ما جرى علنا من اليتم فى مضى ابنا الطوبانى ابا يوحنا الى الرب فى هذا الزمان الصعب وتقلب الملوك وابوتك تعلم ان قطيع خراف بغير راع يدخله الذئب فيشتته وكل مدينة بغير سور العدو يهلكها ولاجل هذا اجتمعنا فى البيعة العظمى الاسكندرية والاباء الاساقفة فقد كتبنا بقول واحد منا طاب به قلبنا على القس مرقس ان يكون لنا ابا لانا علمنا ان الرب قد اصطفاه وان ابانا الماضى قد اعلمكم بهذا قبل نياحته من اجل ذلك نقول كما قال المغبوط داءود عوض الاباء صاروا ابناء تجعلهم رؤساء على جميع الارض .

وأنفذوا الكتب مع بعض الأساقفة وارشيدياقن المدينة فلما اتصل بالقس مرقس خبر الكتب التى كتبت من أجله حزن جداً ويهض للوقت وهرب الى دير أبى مقار بوادى هيب وكانت البرية ذلك الزمان مثل فردوس الله فيها قوم قديسون روحانيون منهم من تنبأ على هذ القديس انه مستحق لهذه الخدمة كما ذكرنا انفا فلما وقف الأب أنبا ميخائيل اسقف مصر على الكتب ذكر كلام معلمه انبا يوحنا البطرك المتنيح فاحضر جميع الرؤساء بمصر ومضوا الى الوالى ودخلوا اليهالأساقفة انبا ميخائيل والرسل ولم يمكن غيرهم من الدخول فقال لهم ماحاجتكم فقال له انبا ميخائيل نحن نعلم رئاستك لأجل ان أبانا الشيخ ابا المذهب الذى كان لنا قد توفى فقال لهم فما تريدون فقالوا له الله يديم أيامك وعلي أواسى البيعة خراج كثير ومال ولأجل ذلك أردنا ان تقيم آخر عوضه يدبر البيعة والشعب فقال الوالى فما اسمه قالوا له مرقس فأمر يكتب اسمه فى الديوان ثم اذن لهم فى اقامته عوض انبا يوحنا وخرج من عنده .

ثم بلغ الأسقف انبا ميخائيل هروب القس مرقس وكان انبا ميخائيل الأسقف متولى ما يتعلق بالديارات فانفذ الوقت الأساقفية والكهنة وأمرهم ان يقيدوه ويمضوا به الى الأسكندرية ففعلوا به ذلك في اليوم الثانى من أمشير يوم عيد الأب لنجينوس وكان يوم احد يوم وصوله الى الأسكندرية وكان مع الأساقفة أبا حرجة اسقف منف واوسم فى اليوم المذكور بمدينة الأسكندرية فلما جلس على الكرسى الإنجيلى وجميع الشعب يشهدون له بالاستحقاق فقرأ عليهم الاكساكسيس الذى يسمى عند

الارتدكسين اللوغس وذكر فيه انه عارف بأعمالهم وهذا اللوغس ممتلئ من نعمة روح القدس مقالات الأرثدكسيين وأظهر فيه سقطة المجمع الخلقدونى والرد عليهم ومن ضلالتهم وأنهم عابدون انساناً ورد على الذين أنكروا آلام المسيح الأهنا الذى قبلها عنا بارادته بالجسد وهم يقولون انه خيال فلما كمل خدمة القداس كالعادة ناول الشعب أجمع من السرائر المقدسة بالجسد والدم الطاهر فلما تم كل شئ وبعد تكريزه باسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى الى الدير المقدس دير الزجاج ليتعكف فيه على الصلوات فى أيام الصيام المقدس فلما وصل اليه كتب أنبا ميخائيل اسقف مصر مشير عليه بالدخول الى مصر تبعد عيد الفصح المقدس ليسلم على الوالى وكان ذلك تدبيراً من الله لأن بعض البيع كانت مهدومة الى ذلك الوقت والشعب حزين لذلك .

فلما تم عيد الفصح دخل الأب البطرك انبا مرقس الى فسطاط مصر ليسلم على الوالى فلما وصل مصر اعلموا الأب ميخائيل الأسقف والشعب بوصوله فخرجوا اليه بالاناجيل والصلبان والمجامر ولقوه بفرح عظيم وتهليل وقراءة وكانوا يقولون نعم وحسن وصلولك الينا يا مرقس ابن مرقس فمضى لمنزله ليستريح لأنه كان آخر النهار وبالغداة قام البطرك والأسقف انبا ميخائيل وباقي الأساقفة المجتمعين معهما ليجتمعوا بالوالى فلما وصلوا الى داره استأذنوا عليه فأمر بدخوله فلما دخل وسلم على الوالى التقاه ودعاً له حتى تعجب الوالى من حلاوة لفظه وكلامه الممتلئ نعمة ومن النعمة التى هو مشتمل بها فجعل الله فى قلبه له رحمه وأمره ان يجلس وساواه فى المخاطبة وقال له البطرك ان تالله يرفع سلطانك ويسعد أيامك ويوفق رعيتك ببقائك وخرج من عنده بسلام .

فلما رأوا مخاطبة الوالى له وأهتمامه بأمر البيع قال انبا ميخائيل اسقف مصر الواجب ان نعتم بعمارة البيع فى هذا الوقت لما ظهر من محبة الوالى للنصارى ولما كان بالغداة عاد البطرك الى الوالى فسلم عليه فبجله وأكرمه واجلسه وخاطبه قائلاً قد قلت لك بالامس انى أقضى جميع حوائجك ولم تطلب منى حاجة والأن فمهما كان لك من حاجة فاذكرها فانها مقضية عندى لمحبتى لك فقال له البطرك بكلام لين الرب يحفظ ايامك ويزيد فى رفعتك وسلطانك تعلم ان لم يولوا عبدك على مال ولا خراج بل على

الأنفس والبيع وارغب الى جلالتك ان لنا هاهنا بيعاً قد هدم الظالم بعضها قبل وصولك الى مصر فهدم الرب دياره وقطع حياته من على الأرض فان رأى رأيك فيها ان يتقدم لنا بعمارتها لنصلى فيها وندعى لجلالتك فالامر لك فجعل الله فى قلبه عاجلاً ان يأمر بعمارتها فبنيت جميع بيع فسطاط مصر وكان فرح عظيم لجميع الأرثدكسين وسبحوا الله على عظم رحمته التى فعلها معهم وعاد حزنهم الى فرح وكان أبونا مرقس يتهلل بالروح ويرتل مع داءود يقول مبارك الرب الذى لم يرفض صلاتى ولم يبعد رحمته عنى .

وعاد الى الأسكندرية واهتم بإجتماع اتحاد الكرسيين اسكندرية مع أنطاكية وكتب سرديقاً كما جرت العادة ممتلئة من كل حكمة وارسلها الى كرياقوس بطرك انطاكية يعلمه فيها بنياح الأب انبا يوحنا وكيف كان جلوسه على الكرسى الإنجيلى وأعلمه فى رسالته عن جميع المخالفين وإجتهاد ابائنا على صحة الأمانة وبعد كل الشقاق والمخالفين والمجمع الطمث الخلقدونى لأنه سبب الشك بجميع المسكونة وشيعة نسطور هم اليهود الجدد وبين اتفاق الكرسيين ويدعوه ابا وشريكاً فى الخدمة وارسلها مع اسقفين فهمى الخطاب بكلام اليونانى أحدهما مرقس اسقف تنيس الحكيم والأخر مرقس ايضاً اسقف الفرما [1] والشماس جرجة قيم بيعة الأسكندرية فلما وصلوا بالسنوديقا الى البطرك كرياقوس ووقف عليها حزن على نقلة الأب يوحنا وفرح بجلوس الأب انبا مرقس والأساقفة القديسين فلما قرئ الكتب فى بيعة انطاكية فامتلأت نفوسهم فرحاً عند سماعهم كلامه والحكمة المملوءة طيباً روحانياً التى تنبع من قلب انبا مرقس الممتلئ روح القدس وباركوا الرب واعطوا الطوبى للأباء الذين يستحقون الجلوس على كرسى مرقس الإنجيلى ثم تعجبوا من الأساقفة الواصلين من مصر بالسنوديقا لحسن منظرهم ولباسهم وأتضاعهم وفصاحة منطقهم وطيب كلامهم واقاموا عند البطرك اياماً قليلاً وودعهم بكرامات تضاهى البطركية وكتب معهم كتب السلامة بتمجيد ابينا القديس مرقس البطرك ولما وصلوا مصر وقريت كتب البطرك كرياقوس بيع مصر مجدوا الشعب الله وفرحوا بأتحاد الأثنين بعضهما مع بعض .

(١)من أثارها تل الفرما جنوب بورسعيد

ونذكر ايضاً امراً فعله الرب فى أيام ابينا مرقس لتفرح قلوبكم وتعرفوا انه قد ضاهى الأب ساويرس وكيرلس ديسقرس هؤلاء الذين أبعدوا المخالفين فى زمانهم كان بمصر قوم يعرفون بارسنوفة ويسمون ايضاً من ليس لهم رأى اقامت هذه الهارسيس زمانا كثيراً من ايام بطرس البطرك الذى جلس بعد طيماتاوس المعترف فى زمان زينون الملك الذين كانوا بعد هذه المدة باقين على خلافهم فحزن الأب مرقس الذى يهتم بخلاص انفس الناس ودعاً الى الرب من أجلهم ويقول يارب القوات الأبدى النور الذى لا يدرك ولا يلمس ولا يشاهده احد ولا يدنو اليه الذى ينظر الى الخليقة التى خلقها بيده وهى عارقة فى عمق الخطيئة لأجل الخلاف صنعت لنا خلاصاً بسر لايدرك وجعلت الأرض مثل السماء بموتك وقيامتك المقدسة كما قال بولس الحكيم لكى يجمع الأمم اليه بالسلامة بقوة صلبه الذى أهلك العدو وبشرنا بالسلامة للقريب والبعيد ومضيت الى الجبل حتى رددت الخروف الضال وخلصته من فم الذئب الردى ولم تأخذه بسيف ولا سوط بل برحمتك العظيمة ولم تقنع بعودته لكن دعوت القنوات السمائية والطغمات الملائكية العلوية لكى يفرحوا معك اذ قلت لهم فى انجيلك افرحوا معى لوجودى خروفى الضال والأن يارب اسمع صلاة عبدك وليدخل دعائى أمامك بسبب هذه الخراف الضالة ولتجتمع اعضاء بيعتك ليكونوا قطيعاً واحداً وراعياً واحداً كالقول الصادق فى الإنجيل فسمع الرب دعاءه بسرعة فحرك قلوب رؤساء تلك الهارسيس وكان مقدمهم اسمه ابراهيم وابوه الجسدانى كان اسقفاً لهم وهو علمهما ان يعرفا الضلالة التى كانوا فيها وتركوا ينبوع ماء الحياة من الكرسى الإنجيلى وحفروا لنفوسهم بئر البقطة كما قال أرميا النبى فقاما مسرعين وحضرا عند الأب البطرك انبا مرقس الحديد وطرحا نفسهما بين يديه وسجدا له قائلين مبارك الله الذى انار علينا بتعاليم قدسك التى وصلت الى مسامعنا وردنا من الضلالة التى غشيت علينا طول هذه المده نحن الأن محسوبان من خرافك مثل أولادك التذين لكرسيك الإنجيلى الذى للقديس مارى مرقس فلما رأى ابينا البطرك رفضهما ما كانا عليه وعودتهما الى القطيع الروحانى فرح جداً ومجد الله لأجل ذلك وقال التسبيح الذى ينبغى كما قال داءود المسبح لله فى المزمور اذا رد الرب سبى شعبه صرنا كالمتعزين فليفر يعقوب وليتهلل اسرائيل .

ومن نعمة المضيئة فى أبينا القديس البطرك اراد ان يجرب ويكشف مانة الرجلين ان كانا متضمين كما ينبغى لمن يريد ان يعود الى المسيح ام هما لأبسان الكبرياء لأجل الرئاسة التى كانا فيها حينئذ قال لهما بتواضع ورحمة اعلما ما قاله الذى فيه ينبوع الرحمة لسان العطر بولس فى بعض رسائله مانصيب المؤمن مع غير المؤمن وما سرة المسيح مع الشيطان وانتما الأن فلا تظنا انكما تقيمان فى هذا الطقس الذى انتما فيه مما أخذتماه من هذه الملة المخالفة بغير وسم حسب ما فى القوانين ولم تحل عليكما روح القدس الهابطة على الأباء الأساقفة عند قراءة الصلاة القانونية التى قررها الاباء الحواريون عليهم فلما سمعا ذلك منه اجابا بالاتضاع لما صار تاليهما من النعمة بدعاء الأب القديس فقالا له يا أبانا القديس ومن الأن ما تستحق ان نكون فى طقس ولا نبقى فيه لكننا أتينا اليك لنكون تحت ظل صلواتك ولكنا نطلب منك شيئاً واحداً ان نسال الرب فى ان يغفر لنا اثم ما كنا عليه من الضلالة والتفريط وقالا هذا بقوة إيمان وأعتراف والتمسا منه دواة وقرطاساً وهما جالسان بين يديه وكتبا بخطهما انهما يحرمان نفسيهما انهما لايلتمسان منه طقس أسقفية ولا كهنوت فى موضع من المواضع فلما نظر قوة زمانتهما ورجوعهما الى الأمانة الأرثدكسية التى لابائنا القديسين الابسين النور بارك عليهما من عمق قلبه قائلاً كما قال بولس الرسول اله الرجاء يملؤكما من كل فرح وسلامة لتكثرا فى الإيمان المستقيم بقوة الروح القدس وكعادة المحبة واظهار الخير فى كل وقت والمجازاة عليه أظهر لهما بسرعة ثم أمر ان يؤخذ الرجلان جرجة وولده ابرهيم وبعد ان تحقق نياتهما أوسمهما أسقفين وقرأ عليهما الصلاة القانونية والبسهما ثياب الأسقفية وكان ذلك ببيعة الشهيد مارى مينا بمريوط فى يوم عيده الجليل وهو الخامس عشر من هتور وجميع الشعب الأرثدكسى مجتمع لعيد الشهيد وكان الجمع قياماً على اطراف أصابع أرجلهم ينظرون ما كان ويمجدون الرب الصانع العجائب على يد هذا القديس قائلين المجد لك يا محب الشر الذى انقد نفسى هذين من عبودية الشيطان المضل ثم لما أكمل العيد المقدس عاد الى مدينة الأسكندرية وجميع الشعب بفرح عظيم ويمدحون الأب البطرك لأنه قدم للرب هذا القربان وأخذ هذين

الأسقفين اليه ولا زمهما وبعد قليل تنيح اسقفان من جملة الأساقفة بكورة مصر أحدهما بقيرة اسقف طيبذا ومينا اسقف اتريب فقسم ابرهيم على اتريب وجرجة اباه على طيبذا وصار هذان الأسقفان مصطفيين عنده الى يوم نياحتهما والمجد للسيد يسوع المسيح الذى يفرح بكلمن يعود الى الحياة .

فلما نظر البرسنوفيون المقدم ذكرهم الذين كانوا بكورة مصر ان رؤساءهم قد عادوا ارثدكسي ولم يبق لهم اساس كتبوا الى أنبا مرقس يسألونه ان يمضى اليهم ليكرز بيعهم فلما وقف على الكتب فرح فرحاً عظيماً وترك جميع اشغاله ومضى مسرعاً الى مصر وكرز لهم البيع والديارات وجعل لهم القداسات بالناموس البيعى وأعطاهم السرائر المقدسة جسد ودم السيد يسوع المسيح الاهنا وكان بفسطاط مصر فرح عظيم ومسرة روحانية وكان السيد يسوع المسيح يفعل مع ابينا القديس مرقس كلما يسأله فيه وكانت كل الجموع تجمتمع اليه لتسمع كلامه وتعاليمه العدبة ومن بعد أيام قليل نظر تلك البيعة التى كرسها للبرسنوفيين أصحاب تلك المقالة اذا دخل اليها لقدس لا تسع الجموع فدعا بالصناع وانفق عليها من عنده حتى بنيت بناء حسناً وسميت بيعة البطرك الى يومنا هذا .

وكانت هذه النعمة العجيبة تنمو فى أيامه فلم يصبر العدو عند نظره السلامة والأمور العلوية والوصايا التى ثبتها فى قلوب المؤمنين وتخلص السبى الذى عاد بصلواته فاطلق سهاماً فى بيعة المشرق وعمل فى مطران من مطارنة كرياقوس البطرك بانطاكية يسمى ابرهيم حتى انه قال كلاماً معوجاً فى سرائر المسيح ما لا اردنا ذكره لولا الضرورة لكى لا ينجس مامع المؤمنين الأصفياء سماعه لأننى اعلم تانكم مشتملون بالنعمة فى كل حين بنور البشر مارى مرقس لان بصلوات ابينا للبشير الإنجيلى لا تخلية الى الأبد من النعمة وهذه الضلالة التى صل فيها ذلك المطران بتجديفة على السرائر حينئذ لما سمع أبونا مرقس حزن جداً وقال ماالذى نربح اذا كنا الزمان كله باتحاد واحد فى الإمانة فتظهر تهذه المقالة الغريبة فى بيعة أنطاكية وهذا

الوجع هو لى من أجل اتحاد الأباء الأرثذكسيين الذى نحن وهم متمسكون تبه ولاسيما لقول بولس اذا تألم عضو واحد من الجسد فقد تألمت جميع الأعضاء واذا تمجد عضو واحد من الجسد قد تمجد معه جميع الجسد قال هذا القيس مرقس البطرك وهو داع الى الرب ولأجل عظم اهتمامه بالامانة والاتحاد معهم كتب الى الأب البطرك كيرياقوس بما هذه نسخته اتصل بنا ما قد بذره الشيطان فى بيعتكم المقدسة من ضلال ابراهيم فحزنت بيعتنا وتجمعنا لذلك لأنا لم نسمع قبل هذه الأيام شئ غريب من اتحادنا بالامانة الرثذكسة وما جمعه الرب وجعل جميعنا بالنور الحقيقى وصرنا الأن مثل من قد سبى سبياً ويقدمه كرامة للملك وفيما هو مهتم بهذا قام عليه شعب غريب وملك السبى لكنى أؤمن من ذلك الملك الذى نحن متدرعون سلاحه لقتال اعدائه ان يحزى اعداءه سريعاً وينفذ السبى من ايديهم ومن أجل ذلك أيها الأب المبارك لا تغفل عن طلب الضال واغذه بالطعام الذى يجب ان يغذى به لاعلاء الذى هو كلام الله كما كتب لنا المعلم بولس يقول ان الضعفاء فى الأمانة اقبلوهم وايدوهم ليس بمحاورة فكر لكن بصنعة الطب طب الاجساد الذى يعرف العلة فيها بمعالجة الأضلاء تعافوا ويقروا وانت الأن طيب الأنفس وبقدر تعليم سيدنا المسيح تبطل الذى للعدو والسلامة لأبينا القديس المبارك أمين .

فلما وصلت الكتب الى بطرك انطاكية كرياقوس تعجب من أهتمام هذا القديس وأهتم بكل جهده فى اعادة ذلك الظالم فلم يقدر عليه وكان الشيطان يميل قبله حتى ان جماعة ممن معه من الأساقفة بأعمال انطاكية مالوا اليه وضلوا معه فى هذه الظلالة وسموهم أهل المشرق الابراهيميين هؤلاء افترقوا من البيعة والمجمع الأرثذكسى .

فلما عاد أبونا أنبا مرقس إلى الأسكندرية بعد بناء البيعة المعروفة به فرحوا الأرثذكسيون وامتلؤوا جميعهم حسداً الهياً فاما الرئيس المحب لله سليمان وجماعة معه فحضروا عند ابينا وسألوه سؤالاً كثيراً قائلين له ان أرض جميعها امتلأت مسرة ببناء البيع وخاصة هذا البيعة التى بنيتها بمصر وأنت تعلم ياأبانا انه من حياة أبينا أنبا يوحنا سألناه فى بناء بيعة السيد المخلص ان يوسعها ويزيد فيها لأجل كونها فى

وسط المدينة فلم يتفق هذا الأمر وبقيت الى الأن ونحن نسئلك ان تورينا هذا الفرح فى أيامك فاجاب الراعى الصالح وقال لهم انتم تعلمون حسد هؤلاء المجاورين لكم ومتى بدأنا بعمل ما ذكرتمون فهم يرفعون فينا السلطان ويشكونا فنقع فى تجربة مثل ما قد صبرنا دفعات عليه انا وأبى يوحنا عند بناء بيعة ميخائيل الملاك بيعة التوبة وكلما كلمهم سألوا زادوا فى السؤال قائلين له صلواتك المقدسات يكن لنا حصنا حتى يكمل هذا التذكار فلما نظر قوة إيمانهم وحموة أمانتهم أجاب سؤالهم وأحضر جماعة من الصناع والمهندسين ووضع تالأساس على اسم السيد يسوع المسيح وكانت هذه البيعة فى وسط المدينة وكان يقوم وقت الصلاة ووقت صياح الديك ليشاهد البناء مثل أحد المهندسين ويدبره لأن الرب قد أنعم عليه بكل حكمة وكان يحسب تعبه راحة لأجل محبته وشهوته للصالحات وبناء البيع وكلما بنى البيعة المذكورة يتعمة الرب الحالة فيه زينها بكل زينة الى ان صارت كمداً للمخالفين الخلقدونيين وفرحة وبهجة للمؤمنين الارثدكسيين فى اليوم مالسابع عشر من توت يوم عيد الصليب اجتمع الأساقفة الذين فى كورة الأسكندرية وأساقفة أخر من المجاورين بمصر وكرزت البيعة على اسم السيد يسوع المسيح فما أعظم ذلك الفرح الذى كان فى ذلك اليوم بتسبيح وبركات وتمجيد كطغمات نالسماويين فى العلاء وتصدق ذلك اليوم على الفقراء وأهل الحاجة باشياء كثير فما أكثر اعمال الأب الجليل مرقس البطرك التى لا يحصى لها عدد ولا يقدر لسانى الناقس ان ينطق بها.

وفى تلك الأيام أقام الأب قيماً على الخدمة البطركية وكان ذلك القيم مملوءاً حسداً وسوءاً لكل أحد وخاصة لرجل كاتب لأبينا أنبا مرقس وكان يذكر عنه كل قبيح لكى يطرده أبونا البطرك ويسلم له البيعة وحده فيردعه أبونا يمنعه ان يتكلم بهذا الكلام فلم يقبل الدواء من الطبيب ولما كان يوم من الأيام وهو اليوم السادس عشر من طوبة اراد الأب القديس انت يتم يوم نياح الأب يوحنا الذى توفى فيه حضر ذلك الشرير وبدأ ان يتكلم فى الأخ الكاتب مثل أخوة يوسف معه فقال البطرك له الأن قد عسر داإك الأن قد جربناك فى كل شئ لخلاص نفسك وأنت لا تكف بل تزيد والأن

فظلمك يكون على هامتك كما قال النبى فى المزمور وكان هناك قونة فيها صورة السيدة الجليلة مريم والسيد المسيح فى حضنها منصوبة فى موضع جلوس البطرك فنظر اليها ذلك القيم ومد أصبعه من يده اليمناء وقال ان كنت وقوتها قلت كذباً فيما ذكرته فهذه الصورة تنتقم منى فاسمعوا الأن ما نزل على هذا الشقى من الأمر المر من فم ذلك النبى القديس الذى قوله بسلطان قال له قولاً مملوءاً خوفاً مثل قول دانيال النبى للشيخين المخالفين شهود سوسنة العفيفة قائلاً يا من عتق فى أيامه السوء ملاك الرب يضربك ويقطعك نصفين مثل ما ضرب الذى شهد على سوسنة بالزور فى تلك الساعة عند تمام الكلام الخارج من فيه وقع ذلك الشقى على جنبه الأيمن تحت رجليه وهو جانب يده اليمناء التى مدها الى الصورة بالسوء وانفلج الى يوم وفاته فلما نظروا الأعجوبة والأمر الهائل خافوا جميعهم من كلامه الذى كانت مثل كلام الأنبياء .

والآن ياساداتى الأباء وأولاد الارثدكسيين قد بدأت وذكرت لكم انى لا أقدر أن أنتهى فى ذكر أفعال أبائى لعظمها لأننى كالسرات خلف الحصادين وليس لى قلب مضئ لأنى عارف فى ظلمة ذنوبى وقد سمعنا من تقوم نقات سادقين كانوا يخدمون أباءنا القديسين فى كل زمان ما نحن ذاكرون بعضه وأذكر أيضا ما ظهر تمن هذا الأب أنبا مرقس البطرك لكى تتعجبوا وتمجدوا الله من أجل الرأفة والرحمة التى يعملها مع أصفيائه كما قال بولس ان الذين يحبون الله يصنع معهم كل عمل جيد كان فى زمان هذا القديس جراد عظيم ظهر فى أعمال البحيرة والأسكندرية فأضل جميع أثمار الأرض والكروم كما هو مكتوب فى المزمور انه قال فجاء جراد وجندب فأكل جميع عشب الأرض فحزن الأب عند معرفته بذلك وأمر الشعب الارثدكسى ان يخرجوا بالبخور والصلبان والأناجيل ويسألوا الله الرحوم ان يزيل عنهم الغضب الحال بهم وخرج معهم الأب وهو يسأل الله فى قلبه بدموع غزيرة وخرجوا خارج المدينة موضع الجراد كما قال لهم ونظروا الجراد وقد طار متعالياً الى الجو وكان أمراً عظيماً حتى غطا الجو وكانت دموع الشعب تختلط مع دعائهم والأب البطرك يقول يار ب يارب الرأفة والرحمة لا تهلكنا لأجل خطايانا وذنوبنا ولكن تجاوز عن سيئاتنا لأجل رحمتك وكما سمعت صراخ أهل نينوى اسمع يار ب تضرعنا وأقبل دعاءنا يارب وكما سمعت

دعاء موسى فى ذلك الزمان وازلت الجراد عن ارض مصر اسمع اليوم دعاءنا وانظر دموع شعبك وتنهدهم من عمق قلوبهم وأزل عنا هذا الغضب ولولا انا نكره التطويل لشرحنا كلما قالوه من الدعاء والتضرع بالأتضاه والحرقة والدموع والله العظيم الذى يسمع دعاء عبيده ويخلص الذين يصرخون اليه ويدعونه يا لعظم تلك الأعجوبة التى لم تنقص شيئاً عما كان فى أيام موسى يالعظم قوة المسيح التى فى أبينا البطرك ففى تلك الساعة طار الجراد فوق رؤوسهم الى ان نزل فى لجج بحر اليم ومات جميعه بصلاته

أسمعوا الآن يا أبائى وأخوتى ما تفرح به قلوبكمت برأفة الله التى نلناها فى هذا الأب لنا كان بعد ذلك عند عودته من مصر وهو يفتقد الشعب أجتاز بلد تسمى الآن اغروة وقديماً اغرا وخرجوا الكهنة للقائه كالعادة ليقرؤوا قدامه وجماعة من الشعب رؤساء مقدمون وبارك عليهم ودعا لهم جميعهم فخرج مع الناس انسان به شيطان فصرعه بين الناس وخنقه حتى خرج الزبد من فيه فلما رآه أبونا حزن عليه وتحنن وأمتلأ من روح القدس وقال لهم قدموه التى ورسم على وجهه علامة الصليب وقال الرب يسوع المسيح الكلمة الوحيدة من الأب الذى أخزى الشياطين وعتق خليفته منهم أنت الذى عرفوك الشياطين وأنت الذى القيتهم فى قمر الجحيم فصرخوا وقالوا ما لنا ولك يايسوع ابن الله أتين لتهلكنا قبل الوقت الذى نعذب فيه أنت الأن ياسيدى يسوع المسيح أصرف هذا الشيطان النجس وأخرجه من هذا الرجل فلما قال هذا سقط الرجل على الأرض وانقطع حسه وسبت كأنه نائم وقام بعد ساعة وقد خرج منه الشيطان بصلواته فسجد على قدميه المقدسة وشكر الله على ما ناله من الخلاص حينئذ قال له الأب قول الرب الذى قاله فى الإنجيل لصاحب اليد اليابسة لما ابرأه قد عوفيت فلا تعود تخطئ فينالك أكثر من هذا وأنظر كيف تصمعد اتأخذ السرائر المقدسة وأعلم ان الذى حل بك هو تبسبب انك كنت تتناول السرائر القدسة بجهل فاحفظ نفسك من الكلام البطال الذى يخرج من فيك فنظرتم يا أحبائى هذه النعمة العظيمة التى أستحقها أبونا أنبا مرقس وأنه بكلام فيمه يطرد الشياطين بأمر وسلطان مثل الحواريين تلاميذ المسيح الرسل الاطهار وكان يدهن جماعة من المرضى بالزيت باسم السيد المسيح ويصلى عليهم فيبرؤون عاجلاً فان قال أحد من المقاومين فلأى شئ لم يشف نفسه من

وجع الضربان الذى تكان به فليقرأ فى الكتب فيجد قول الله انه يجرب أصفياءه بالعلل والتجارب مثل أيوب الصديق بالجذام ويوسف برميه فى الجب من ايدى اخوته ودانيال مع الأسود الضوارى والثلثة فتية فى أتون النار واشعياء النبى بمنشار الخشب وأهل هذه الطبقة من الأنبياء والصالحين كثير لو شرحنا ما نال كل منهم لما وسعه المصاحف.لأن القديس بطرس الحوارى كان ظله اذا مر على مريض فى الطريق قد برئ من مرض ولأجل هذا كانوا المرضى يجلسون فى الطريق التى يعبر فيها فيمر ظله عليهم فيبرؤون وكان فى ساق بولس نملة وهو متألم منها لا يقدر على بروتها وانما ابلاه الله بها رحمة منه لئلا يكبر نفسه عند ما يعمل العجائب بأسم المسيح وسمعان الحبيس كان به قروح تدودت لم يقدر على بروئها وكان بصلاته يبرئ العميان ويطهر البرص ويعمل اعمالاً كثيرة وكلما اقام فى علته ثلث سنين وأبونا القديس أنبا مرقس البطرك أقام اثنتى عشرة سنة فى وجعه وكان يشكر المسيح ويقول اشكرك ياربى والاهى اذ جعلتنى مستحقاً لهذه الآلام مثل العازر المسكين وكانت الشعوب وجميع كورة مصر فى سلامة بهدوء فى جميع أيامه .

فلم يصبر الله مبغض الخير الشيطان لما رأى من أعماله وعجائبه التى هى كل يوم تزيد فبدأ الله يقيم الفتن على كورة مصر وصار حزن فى كل مكان وفى الأسكندرية فلحق البطرك قلق عظيم حتى ان الأنسان اذا سمعه لا يصبر عن البكاء وأنا الأن اذكر لكم ذلك كان قد مات فى تلك الأيام هرون الرشيد بغدادوجلس موضعه محمد ولده المعروف بالأمين وكان سبب ذلك أن هرون الرشيد قد جمع قبل موته وجوه دولته وقال لهم الخلافة بعدى للسيد المأمون ولدى فلما وصل الخبر الى محمد الأمين أمتلأ غضباً وجمع اليه جماعة وحاربه فقتله وجلس على كرسى الملك ولما وقع الخلف بين الأخين قام تاثر وحشد اليه جماعة وخلائق لا يحصى عددها وحفظ طريق مصر والمشرق وكان يهب جميع مال المسافرين الى مصر والصعيد والحبشة والنوبة حتى انقطعت الطرق وجميع المسالك من خوفه استطال النور على مصر وجميع أعمالها بحكم اضطران مملكة بغداد وخرجوا الخوارج على المملكة بمصر وجبوا الخراج لنفوسهم وكان من جملتهم رجل يسمى عبد العزيز الجروى أخذ من شطنوف الى الفرما وشرقية

مصر بلبيس وأعمالها ورجل اسمه السرى بن الحكم أخذ من مصر الى اسوان واستوليا على الخراج وقوم يسمون لخماً وجذاماً القبيلتين أخذوا غربى مصر وأعمال الأسكندرية ومريوط وملكوا البحيرة جميعها وكانت هاتان القبيلتان فى أكثر الأوقات متحابتين ونهب بعضهم بعضاً وكان على البلاد منهما بلاء عظيم فلما ضيقوا على مدينة الأسكندرية دعوا أهلها وأستغاثوا بالرب وسألوه ان يخلصهم من هذه الأمة الظالمة.

وكان فى تلك الأيام غربى اسكندرية دير يسمى دير الزجاج وفيه شيخ حبيس وقد أعطى نعمة ان ينظر بروح القدس علامات وأشياء واسم ذلك الشيخ يونس فقال لأهل الأسكندرية نبوة أراكم قلقين من أجل هذه الأمة هكذا صدقونى أنه تجئ أمة من الغرب وتهلك هذه الأمة وهذه المدينة بغير رحمة وينهبون كلما فيها فلما كان بعد قوله هذا دخل الى اسكندرية قوم ومعهم شئ كثير من جزائر الروم يسمون الأندلسيين واقاموا على هذه القضية من مصر الى جزائر الروم ينهبون ويحسبون السبى الى الأسكندرية ويبعونهم كالعبد فلما نظر أبونا مرقس ذلك السبى حزن جداً لبيعهم الأنفس مثل الغنم ويسلم منهم كثير وما فى قلبه من الرحمة كان يشترى منهم كثيراً مثل رهبان واقتناء وشمامسة وعذارى وأمهات أولاد الى ان اشترى منهم ستة الأف نفس وكان اذا اشترى منهم شخصاً قد كتب له عتاقته لساعته وسلم له كتاباً عتقه تفى يده ويقول لهم من أراد منكم ان يجلس عندى فهو مثل ولدى ومن أراد العودة الى بلده دفعت له ما يوصله الى أهله وكان جماعة منهم عند نظرهم أفعاله يقعدون عنده فيسلمهم لمعلمين يعلمونهم المزامير وعلم البيعة ومن أراد منهم ان يروح لأهله زوده ودفع له ما يحتاجه فشاعت اخباره وما فعل الى ممالك الملوك وأهل الدول وصار له بينهم سمعة جميلة فحسده الشيطان على افعاله فحرك عليه البلايا وأظهر شوكة شره وكان فى مدينة الأسكندرية فى تلك الأيام وال كبير فى جنسه من المسلمين يسمى عمر بن مالك فثاروا عليه اللخميون والجذاميون والمدلجة وطلبوا قتله حتى يملكوا المدينة وبدؤوا يقاتلونه فما قدروا عليه وكان شيخ كبير من الأندلسيين وكان قد وصل الى الأسكندرية منذ صباه ويعلم كل مكر ودغل وكان يتوسط بين لخم والندلسيين ليساعدوه على قتل الوالى وأتفق رأى الجميع على ذلك فأتوا اليه فى اليوم العاشر من

بؤونة سية خمس مائة وثلثين للشهداء فلما أنفق رأى الشيخ معهم الى ما عملوه فقتلوا الوالي وملكوا المدينة والذى جرى بعد ذلك يحزن ويؤلم فلما كان ثانى يوم بعد قتل الوالي وهو الحادى عشر من بؤونة انفسد ما بين اللخميين والأندلسيين وصار عوض الصلح عداوة وحرب والتقوا ولم يزل الحرب بينهم الى الليل وظفروا الأندلسيون فلما نظروا أهل الأسكندرية ذلك جزدوا سيوفهم ومشوا فى الأسواق والشوارع والحمامات والبيوت وقتلوا من وجدوا من الأندلسيين فى كل موضع وكان عده الذين قتلوا منهم ثمانين نفساً فلما افترق القتال وانهزموا اللخميون سألوا الأندلسيون عن قضية أصحابهم فأعلموا ان الأسكندرانيين قتلوهم وامتلؤوا غيظاً كالأسد الضارية لشجاعتهم فجردوا سيوفهم وخرجوا فى المدينة مغضيبن وقتلوا كلمن لقوه من أهل البلد من المسلمين والنصارى واليهود وأى موضع وجدوا فيه أحداً من أصحابهم المقتولين أحرقوه بالنار فلما انتهوا الى بيعة المخلص وهى السطير التى يناها أبونا مرقس وجدوا بعض أصحابهم على أبوابها مطروحين لأن المسلمين قتلوهم هناك فى الدور وحملوهم رموهم عند باب البيعة فعند ذلك غضبوا جدا وظهر فى ذلل الوقت شيخ من فوق الدور ينظر الى الطريق وهو الشيطان الذى ظهر بذلك الشبه وقال للاندلسيين انا رأيت صاحب هذه البيعة وقد قتل أصحابكم فرموا النار فى البيعة وكان النار تعلوا جداً حتى انها أحرقت أماكن بعيدة فلما علم أبونا بهذا الأمر بكى بكاء مراً وحزن جداً وقتلوا ما لايحصى عدده من الخلائق ومواضع كثير نهبوها وأحرقوها وبعد هذا نحن الأن نريد ان نتكلم على مادخل على قلب أبينا البطرك مرقس من الألم وخاصة ببيعة السطير وكان ينوح بهذا النوح كما قيل فى المزمور يا الله دخلت الأمم الى ميراثك ونجسوا هيكل قدسك جعلوا يروشليم خراباً كمثل ظلمة الحبس جعلوا جثث عبيدك طعاماً لصير السماء ولحوم قديسيك لوحوش الأرض وسفكوا دمائهم مثل الماء حول يروشليم ولم يكن لهم من يدفنهم ثم نزل من على كرسيه وجلس على الأرض وكان مداوماً هذا النوح مثل قول أيوب المغبوط انا كنت فى السلامة بددنى ونزع عنى حلتى وارشق فى سهامه ويقول هذا وما يشاكله ولم يفطر ذلك اليوم وتلك الليلة ولم يقدر أحد أن يجلسه على

كرسيه ولا على حصير بل كان مطروحاً على الأرض بنوح فلما كان نصف الليل قام ليصلى كعادته فلما أصبح خرج ومعه اثنان من أولاده وقال ياأيها المدينة المقدسة التى كثر فيها القتل وملكها العدو ياكرسى الذى قد أعتقدت ان لا أجلس عليه تبها الموضع الذى لابائى القديسين الابسى النور الذى سبحوا فيه بابتهاج وسرور وأنا صرت غريباً منه لأجل خطاياى قال هذا وخرج من المدينة وسار من مكان الى مكان يشق بحار مياه وأماكن صعبة فاقام فى هذا الضيق خمس سنين من بعد خروجه من المدينة كمن هو سبى وكان فى جميع ذلك شاكراً لله ليلاً ونهاراً وما دا حل بأولاد البيعة من البلايا فى ذلك الزمان والأباء الأساقفة والأراخنة وكانوا يأتون اليه ويعزونه ويسألونه وكل منهم يسأله ان يمضى به الى منزله ليأخذ بركته فلم يفعل وكان الارخن الدين مقارة بن النبرواى من كرسى سمنود فلما سمع ما جرى قام ومضى الى عند عبد العزيز المتولى على المشرق وخاطبه بسبب الأب البطريرك أنبا مرقس وان الأمم الذين تعلموا على الأسكندرية نهبوا جميع ماله وترك كرسيه وجاء سكن تحت ظل الله وظلك فان كنت قد ظفرت بنعمة أمامك فأكتب له كتاباً باسمك ليتقوى بأمرك ليكون فى موضعه آمناً .

حينئذ كتب له سجلاً عظيماً كما التمس الرئيس[١] المحب لله حينئذ أخذ ذلك الأرخن نصيب دروتاوس أرخن سخا الذى أوى اليه الأب القديس سويرس حتى تنيح عنده ثم أنفذ رسلاً من عنده وسجل الأمير الى الأب البطرك ان يأتى ويقيم فى منزله فقام أبونا البطرك وصلى وسار الى ان وصل الى نبروة فخرج اليه ولقيه وكلمن معه من أجل الرئاسة فلما رأى الأب سجد له بقوة أمانته وقال الرب قد صنع معى اليوم رحمه عظيمة اذ جعل أبوتك ان تنزل بيت عبدك وأنا أومن ان مجيئك الينا يكون بركة ومعافاة لأنفسنا ثم مضى معه الى البيعة بالقراءة أمامه كما يجب للبطاركة وجعله فى موضع يشاكل رئاسته وهو موضع اعمره والداه على اسم القديس أبى مقار بوادى هيب

ومع جميع ذلك لم يكن يتخلى هذا الأب القديس عن الأهتمام بالبيع المقدسة بالأسكندرية والبطركية وبيعة الشهيد أبى مينا بمريوط وأيضاً لأجل اتحاد الأعضاء

التى افترقت من بيعة انطاكية التى افرقها ابرهيم المطران ومن معه وفيما هو مهتم بهذه الأمور أخذ الرب الأب كيرياقوس بانطاكية وتنيح وجلس بعده انسان جيد اسمه ديونوسيوس فلما جلس المذكور على الكرسى بدأ بمخاطبة ابرهيم بخطاب لين وأعاد جماعة ممن كان قد ضل معه فاظهروا التربة واعترفوا بضلالتهم فلما أتصل بأبينا القديس مرقس ذلك فرح جداً وأسرع وكتب كتباً الى الأب ديونوسيوس بطرك انطاكية بأهتمام بأعادة الضالة أول كتابه هكذا مبارك الرب اله المجد الذى لم يزل فى كل حين مهتماً بقطيعه وبيعته الذين اشتراهم بدمه الطاهر وعلم فى البدء وان ابوتك يصير بأسمه المقدس كما شهد عن بولس ان هذا يكون لى أناء منتخبا بأسمى أمام الملوك والأمم كذلك بأرادته المقدسة أصطفاك لا سيما فى هذا الزمان الذى اقتناه وهو التمام كما قال الرسول المغبوط وأنا اسأل الآن ابوتك ان تقدم صلوات ودعاء كثيراً الى السيد المسيح الرؤوف الهنا ليهدينا وبيعته لأنا قد افتقرنا جداً لأن بأحكامه الغير مفحوصة يتم ما قد بدأ وقال ان الأمم دخلوا الى ميراثه ونجسوا هياكلنا المقدسة وجعلوا المدينة العظمى الأسكندرية مثل محرس حبس لما جرى من الحروب فيها من الأمم حتى ان قتلاءها لم يجدوا من يدفنهم وأجساد كثير منهم صارت طعاماً لطير السماء ووحوش الأرض وبهذه الأفكار كان يتكلم لأنه مثل ما كتب عن يروشليم فى نواح أرمياء النبى لما جرى عليها بعد قيامة السيد المسيح لأجل ما فعلوه اليهود الكفار ارسل عليهم طيطس ملك الروم الكافر المجوسى يفعل فيهم ما هو مشروح فى كتاب يوسف ابن كرتوس الذى أهتم وجمع أخبار اليهود فى البيت الثانى ومن أجل ذلك خرجنا من المدينة لما شاهدناه فيها لأنهم لم يكفوا عن القتل والنهب والحريق وليس من يمنعهم ولذلك اخترنا ان نسكن فى الغربة وندعوا الى السيد المسيح الاهنا وأردنا أعلام أبوتك ذلك ولكن حزن عظيم بسبب الذين افترقوا من البيعة بجزيرة المسمى ابرهيم ولما أتصل بنا الأن ان بعض منهم طلبوا التوبة ويعودون من ضلالتهم فرحنا جداً ونسنا الأوجاع المحيطة بنا لأنه اذا كان اتحاد فى البيعة المقدسة وهى تحت السلامة تضاعفت عندنا النعم والآن يا أبى القديس نحن نعلم رحمة السيد المسيح الاهنا الذى أتى الى العالم ليس لأجل الصالحين لكن من أجل الخطاة وافتح لهم الأن باب التوبة وأهدهم الى طريق

الحق لكى تفرح بعودتهم طغمات السموات لأنهم أعدوا فى أبناء النور فلما وصلت هذه الكتب الى الأب ديونوسيوس فرح جداً وجميع شعب سورية لكثرة أهتمامه وصلاحه أعنى أبانا أنبا مرقس ولذلك أعاد الذين ضلوا فى تلك الأيام عند سماعهم كتبه الا يسيراً مع ابرهيم الذى هو رأس الضلالة وهم يسمون الأن ابراهيميين وصارت بيعة أنطاكية بفرح عظيم ثم ان الأب ديونوسيوس بطرك انطاكية كتب سنوديقا الى الأب أنبا مرقس يظهر له اتحاد المحبة ويشكر محبته وأهتمامه فى خلاص كل أحد ولذلك صار فرح عظيم فى كورة مصر والمشرق بهذا الأتحاد ومجدوا الله .

فلما تمت هذه النعمة لم يصبر الشطيان الذى هو مقاوم الصلح فى كل حين ومقيم الشرور فبدأ وانزل على برية وادى هبيب بلايا عظيمة التى هى مسكن للعرب وكانت برية وادى هبيب مثل فردوس النعيم فنهبوها العرب وأسروا الرهبان وهدموا بيعها والمناشيب وتشتتوا الشيوخ القديسين فى كل موضع من الأرض فلما نظر الأب أنبا مرقس هذا الأمر الصعب أفكر القديس معدن المحبة الروحانية التى تنبع منه المحبة والأمانة لكل أحد ولا سيما فى البرية المقدسة التى لأبائنا فى تلك الأمور فلم يحتمل هذا الحزن بل كان يسأل الرب من عمق قلبه ويقول قول داءود فى المزمور اضطرب قلبى داخلى وفى كلاى اشتعل النار عرفنى يارب أنتهائى لأن رجائى قد فنى وليس لى مينا سلامة انجوا به لأن قد انقضى افراح كورة مصر ووادى هيب الذى هو قدس القديسين صار خراباً مساكن السباع الضارية مساكن أبائى المباركين الذين رقدوا بصلواتهم صارت مأوى للبوم ومغاير ثعالب السوء هذه الأمة النجسة وكان أبونا لا يفتر من البكاء ليلاً ونهاراً من أجل الضيق والحزن الموافى وخاصة خراب الديارات المقدسة وكنائسها فلما نظر الرب هذه البلايا والأحزان التى صبر عليها هذا القديس اراه ان يربحه من نفاق هذا العالم فاخذته حمى أياماً قليلاً فظهر له فى المنام مرقس الإنجيلى فى اليوم السابع عشر من شهر برمودة وكان يوم أحد الفصح تلك السنة وقال له افرح يامرقس خليفتى المأمون افرح أيها المجاهد علي الحق هو ذا قد وهبك السيد يسوع المسيح هذه الموهبة ان ينقلك الى مساكنه الأبدية فى يوم قيامته المقدس كن مستعداً للقائه فى هذه الليلة تفارق هذا الجسد وهذه علامة لك ان عند تناولك من السرائر

المقدسة الله يقبل روحك اليه فلما استيقظ الأب القديس قال للأساقفة الجلوس عنده اسرعوا لتتموا القداس مجداً لقيامة المسيح ربنا فلما نظروه الأباء الأساقفة وهو قلق جداً ما أرادوا مفارقته فلما صلب عليهم فعلوا ارادته وقدسوا فلما فرغ القداس جاؤوا اليه بالكأس فتناول جسد ودم المسيح الاهنا ثم قال لهم أنا أودعكم جميعكم للرب وفتح فاه واسلم الروح يا لعظم ذلك الحزن الذى نال جميع الأرثدكسيين فأجتمعوا اليه وقرؤوا عليه كما يجب وكفنوه وجعلوه فى تابوت خشب فى بيعة نبروة الى زمان اراد الله ان ينقله الى مدينة الأسكندرية والذى أقام على الكرسى عشرون سنة وسبعون يوماً وكان نياحته فى الثانى والعشرين من برمودة خمس مائة خمس وثلثين للشهداء وهو ماسك البيعة المقدسة وكتب فى أيامه أحداً وعشرين مصطاغوجياً وعشرين أرطستيكياً وسكن مع القديسين فى كورة الأحياء والمجد للأب والابن والروح القدس الى الأبد أمين

أنبا يعقوب البطرك

وهو من العدد الخمسون

كان قبل نياحة الأب القديس أنبا مرقس كانت البرية المقدسة بوادى هيب خراباً الى ذاق خرابها الأب المذكور حتى انه سأل الرب فى نقله من هذا العالم وألا يبقيه للحزن الذى ناله على تلك المواضع لما نالها من العرب المخالفين وكونهم ملكوها وطردوا أباءنا القديسين الذين كانوا فيها وقتلوا منهم جماعة واحرقوا البيع والمناشيب أعنى القلالى بالنار ولأجل ما نالهم من القتل تفرقوا الرهبان فى المدن والقرى والديارات بأعمال مصر والصعيدين ولم يبق فيها منهم الأنفر يسير ممن اختار الموت ليفدى نفس أخوته بنفسه فورث الحياة الأبدية بصبره وحفظهم الرب فلم يرجع أحد يؤذيهم ولا يضرهم وكان فى ذلك الزمان فى دير أبينا أبى مقار قس مضئ الأفعال اسمه يعقوب هذا لما بدأ خراب الديارات خرج منها ومضى الى دير فى الصعيد ليتعبد فيه منتظراً زماناً يعود فيه الى الجبل المقدس ميزان القلوب وادى هبيب والرب محب البشر العارف بالسرائر المخفية التى يظهرها لقديسيه فى كل زمان ويفعل أرادته فيهم صنع أمراً عجيباً فى هذا الأنسان المذكور القس يعقوب القديس وهو أنه استحق ان

ينظر جلياناً لأنه كان فى الموضع الذى كان فيه يصلى كما جرت عادته فنظر أموراً عجيبة وذلك ان السيدة الطاهرة أم النور ظهرت له قائمة عند رأسه ليلاً وعليها تاج عظيم تنير بنور عظيم جداً ومعها ملاكان وقالت له ملكة الحق ياولدى يعقوب ما الذى فعلت معك من الشر أبا التى ربيتك من صغرك وحفظتك الى الآن لما اصطفاك ولدى الحبيب من وقت كنت فى بطن امك ليقيمك على بيته فمضيت الآن عنى لا تفعل هكذا لكن قم وعد الى المكان الذى خرجت منه لانك انت تكون رئيساً على شعب عظيم وهم المصطفون الى مكان الراحة قريباً غير بعيد فلحقه خوف عظيم ولم يكن ذا قلبين ولا شك فى المنام الذى شاهده بل نهض مسرعاً وعاد الى البرية المقدسة ميزان القلوب فلما وصل اليها أراد الرب ان يطيب قلبه له الأب الروحانى أبا مقار وقال له نعم مجيئك الى هاهنا أيها المأمون عند الرب انظر لا تكن ذا قلبين ولا بشك فى المنام الذى رأيته لأن بك يجتمعون أولا دى الى مواضعهم التى بددهم منها الشيطان فاقام فى وسط من بقى من الرهبان يعزيهم ويسليهم يوماً بعد يوم ولما نظر المنام زاد فى نسكه وأعماله الحسنة حتى شاهد أموراً عجيبة عظيمة علوية وكان كلمن يشاهد النور الذى هو حائط به يعلم ان الله قد اصطفاه ثم اظهر الله أمراً عجيباً له فيما هو تقائم يصلى للرب بالليل ويجعل بقية ليله فى عمل يديه كعادته لحقه خوف ورعب وبكى جداً فقال له من كان معه ما الذى حل بك ياأبى القديس ما أنت نائم فقال لهم يا أولادى أفكارى أختطفت الى فوق وسمعت أمراً لأجل أبينا القديس أنبا مرقس ان يقيم على البطركية أربعين سنة ثم بعد ذلك سمعت أمراً اخر من عند الرب بأن تنيح أبانا البطرك فى هذه السنة ولأجل ذلك بكيت بحرقة قلب فسألت الرب ان يصطفى من يجلسه على هذا الكرسى باستحقاق ثم سكت ولم يمض بعد نظره الرويا الا زمان يسير حتى بدأ الأب مرقس القديس ان يمرض مرض وفاته كما شرحنا انه سأل الرب ان ينقله اليه وكان عنده اباء اساقفة فسألوه بتضرع قائلين يا أبانا المغبوط نسألك ان تقول لنا ما أظهره الرب لك من يستحق ان يجلس بعدك على الكرسى الإنجيلى ولم يكن الأب القديس يظهر للأساقفة ولا يوجدهم أنه يعدف شيئاً من هذا بل قال لهم قد أوقد الرب المصباح وجعله على المنارة ليضئ على سائر من فى بيته الذى هو البيعة فوقف أحد الأساقفة ممن كان

فيه أمانة قوية فى الأب البطرك وبدأ ان يسأله ويقسم عليه باسم الرب والكرسى المقدس ان يقول له من الذى اصطفاه الرب للجلوس بعده على الكرسى فاجاب بصوت خفى وقال للأسقف يعقوب القديس الذى من بيعة أبينا القديس أبى مقار هو الرجل المزين بأفعاله وتقدم الى الأسقف ان لا يعلم أحداً بهذا واقسم عليه بالبيعة على ذلك حتى ينظروا مجد الله يتم فيه ثم تنيح الأب القديس كما ذكرنا انفاً فيا لهذا المجد العظيم الذى لكرسى القديس مارى مرقس الإنجيلى ولكلمن يجلس عليه لأنه بنعمة روح القدس النار يصطفى ويختار بحلوله معلي كل واحد منهم كما قال الرب لتلاميذه ورسله هو ذا أنا معكم كل الأيام والى أنقضاء العالم .

وأنا أشرح لكم يسيراً من أعمال يعقوب القديس القس فى رهبنه قبل ان يجعلونه قساً ومن أن يجلس على الكرسى عبر أنى أعرف عجزى وانى لا أبلغ شيئاً من معظم أفعاله ومجد الثالوث الحائط به ولذلك اختصر فى الكلام فاما بداية وسمه وما عليه فهو ربح وبركة لجميع الأرثدكسن .

لما تنيح أبونا البطرك أنبا مرقس حزنت البيعة عليه حزناً عظيماً وجميع الشعب وخاصة المدينة المحبة لله الأسكندرية لعلمهم نظر أبيهم من بينهم ومن غيبته عنهم وبعد أيام زال الحرب والقتال من الأسكندرية ومصر وجميع قبائل الأندلسيين واللحميين والمدالجة وبدؤوا يبتهلون ويصلون الى الله فى ان يذكر بيعته التى اشتراها بدمه ويظهر لهم راعيهم الذى يرعاهم ويعزيهم فى قلقهم فاجتمع الأباء الأساقفة والشعب المحب للمسيح وطلبوا من مستحق هذه الرتبة وذكروا جماعة وفيهم المضئ يعقوب القس وكان هذا تدبير من الله وجعل اسمه فى فمهم لأنه المستحق لهذه الرئاسة فذكر الأسقف المغبوط الذى كان قال له الأب البطرك مرقس المتنيح من أجل العمود المضئ يعقوب فاعلم السر لجماعة الأساقفة فصرخوا بصوت واحد يستحق يستحق يستحق الذى أفعاله كل افعال الملائكة وهو الأرضى وهو سمائى فاسرعوا وجاؤوا الى البرية الى بيعة القديس أبى مقار وأخذوا القس يعقوب بعتة قبل ان يعلم وساروا به الى مدينة الأسكندرية وكان يبكى ويقول مبارك هو الرب الويل لى أنا الغير مستحق لهذه

الكرامة العظيمة لنقضى عن هذا الأمر والمجد العظيم الذى أنا قادم عليه ويسأل الله ليلة ونهاره أجمع ان يخرجه من العالم قبل ان يقلده هذا الأمر وهو ذا هو باك وسائل فى هذا اذ رأى مناماً عجيباً كعادته ان الله يعزيه ويقول له كما قال ليعقوب الأب الأول لا تخف يايعقوب فهو ذا أنا معك الى مصر واقويك وأكون معك فى جهادك لتستحق الأكليل مثل اخويك المجاهدين ساويرس وديسقرس اللذين سيرتك مثل سيرتهما فاستيقظ برعب ثم دخلوا به الى الأسكندرية وقسموه رئيساً على الأساقفة بيد كاملة وشرطونية صحيحة وأستوجب ان ينظر شيخ راهب كان خرج من البرية عندما فرشوا الأنجيل فوق رأسه صورتين أحديهما تشبه صورة ديسقرس والأخرى تشبه صورة سويرس تمسكان الإنجيل من هاهنا ومن هاهنا واسم يعقوب البطرك فى وسطها فلما نظر هذه الأعجوبة وفيما هو يفكر ترأى قوماً يتحدثون ويقولون هذا الأنسان فعله يشبه فعل هذين الرجلين بحقيقة يا أبائى ان هذا القديس كانت سيرته فاضلة مثل سيرة القديس ساويرس فى أفعاله وكان عقلة للمخالفين بالخوف ويحسن أمانته وأعترافه وطقسه وكانوا يهابون كلامه لأنه عند جلوسه عمل مقالة نوثانيربون يقطع فيه جميع الهارسيس الأكسارسطوس والمجمع الطمث الخلقدونى وأصحاب الخيال الذين هم الغايسيون هؤلاء الذين ينكرون الآلام المحيية التى لله الكلمة التى قبلها بالجسد وفى بعض الأيام للرب الشعب وجاء الى منزله وكانت عادة الأسكندرانيين ان يدعون عندهم المحالفون ليروا أعيادهم ومجد البطرك وكانوا يفعلون هذا حتى يظهروا لهم المجد الذى أعطاهم الله وما يظهره لهم من أعمال للأباء جاؤوا وجلسوا على كرسى البشير مرقس ففعلوا هذا مع الأب البطرك يعقوب وحضر جماعة منهم فنظروا الممتلئ من نعمة الروح القدس وهم مختلطون مع الأرثدكسيين وقال مثل ما قال بولس الرسول أى شركة للحق مع الأثم أو أى شركة للنور مع الظلمة أو كيف يتفق المسيح مع الشيطان أو أى نصيب لمؤمن مع مخالف وقال ليكونوا هؤلاء المخالفون وجماعتهم مبعودين من هذا المجمع المؤمن المبارك وكما ان ليس لهم معنا نصيب فى اروحانيات ولا يكون لهم فى الجسدانيات فخرجوا جميعهم يخزى وخجل من باب البيعة وكان فيهم انسان غنى مسلط على جباية خراج الأسكندرية فى ذلك الوقت وكان له سلطان فى الأندلسيين

وولاية فمضى مسرعاً يعلم صاحب الخراج ما جرى وتكلم فى الأب البطرك أبا يعقوب وقال له انه قد أحرمهم فلما سمع المخالف هذا أمتلأ غضباً على أبينا البطرك وقال كلاماً عظيماً وارسل الى الأب وقال له أنى أدعك أن تلتفت فى البيعة اذا قلت السلام لا تجد انساناً يقول لك ومع روحك فلما سع أبونا هذا الكلام من المخالف قال بنعمة روح القدس هكذا نعم ما تنبأ به على هذا المخالف اشعياء النبى اذ يقول ان غضبه وزخره وفكره يرجع على راسه وظلمك وغضبك قد صعد التى فانا أربطك بلجام فى شفتيك ولا يزول من مكانه حتى تتم القضية عليه وهكذا تكون قضية وحقاً أقول لكم أننى لا أدخل بيعة الرب حتى يتم الله هذا الحكم فيه عاجلاً وبعد ذلك وقع للمذكور خصومة وقتل وأخذ جميع ما فى بيته ولم يبق له شئ فلما نظروا المخالفون الذين فى الأسكندرية هذا العجب الذى كان وتمام ما قاله الأب المشتمل بروح القدس لم يقدر أحد ممن المخالفين ان يخاطبه بكلمة وكان بطركهم يوقره ويخافه ويحيد عنه وكانت أعماله الحسنة تتزايد وتكثر أكثر من أعمال رهبانيته ولم يكن ينظر مجد الناس بل يعمل بأعمال الله وعقله فوق مثل بولس الرسول الذى لم يكن يفتر من الكرازة والبشارة باسم يسوع المسيح ويسح الله فقال لشعبه سمعت ان منكم قوماً بطالين كالى وأنا أطلب اليكم أن تعملوا أعمالكم بدعة وتأكلوا خبزكم كما قال بولس الرسول ان بيدى كنت أخدم ولم أثقل عليكم ونعم اصلاح نصيب المحتاج ولا يأخذ من أحد وكان هو يسير من الدنيا يكفيه وليس ينصب للموائد مثل الناس بل يأكل خبزه بالدموع بل كانت أعماله تنير فى وجهه وكلما يطلبه من الله يعطيه وكلمته تقطع أكثر من سيف ذى فمين .

وأخبركم ياأخوتى انه كان فى أيام هذا المغبوط البطرك أنبا يعقوب له قرابة محب لمسيح رئيس مقدم فى نبروة اسمه مقارة فلما سمع بجلوسه على الكرسى فرح فرحاً عظيماً ومأييد الله الذى يختار أصفياءه وزاد فى الصدقة ومحبة الأخوة وارسل الى الأسكندرية ما تحتاج اليه البيع بحكم انه قريب البطرك وكان يكرم الأساقفة ويخافهم وبدأ الغلاء والسى يفل فى الأسكندرية ولم يجد البطرك ما يدفع للبيع كالعادة ولم يبق معه شئ وانقطع مضى الشعب من كل موضع الى بيعة الشهيد مارى

مينا بمربوط ومنه كان البطرك بالبيع وسبب هذا الحرب والقتال الذى كان بين المصريين والمدلجه والأندلسيين وكان هذا بالأسكندرية وكان شماس اسمه جرجة من مقدمى كهنة الأسكندرية وكان قيماً لبيعة الأسكندرية فبدأ يتكلم عن هذا الأب حتى انه قال له تدفع تلنا ما نحتاج اليه كما جرت العادة والا فامض الى البرية من حيث جئت فلما سمع قول هذا العاتى الأب البطرك وانه ما أحتشم منه وزاد فى كلامه قال له لا تعود من الأن تدخل رجلك من هذا الباب الى هذا الموضع فخرج الشماس بغضب عظيم من عنده يمضى الى بيته ولم يلتمس من الأب القديس تحليلاً ولا تاب فلحقه حتى صالبة كانوا يمسكونه من قوة النيران التى تلحقه وتوفى فى يومه وأعلموا البطرك بهذا فحزن حزناً عظيماً وطلب الى الله ان يحل نفسه من الرباط الذى ارتبط به ويحله أيضاً من الخطيئة ومن يوم وفاة هذا الشماس دخل الموت والفناء الى جميع بيته ولم يبق فيه أحد الى اليوم فلما نظر الجمع هذه الأعجوبة وان كلامه بسلطان كمثل الرسل خافوا وفزعوا وارتعبوا ولم يجسر أحد ان يخاطبه وكان عندهم مثل نبى .

فلما قربت الأربعون يوماً الصوم المقدس أراد الأب أن يمضى الى برية أبى مقار ليقوى الأخوة الرهبان ويعزيهم ويقيم عندهم الى عيد الفصح المقدس كما جرت عادة الأباء البطاركة فلما وصل اليها فرح جميعهم ولقوه وصاحوا مبارك الأتى باسم الرب وجاء كل الأباء الشيوخ من مغايرهم والجبال يجرون كمثل الوحوش المستاقين الى مجارى الماء وكانوا يأخذون بركته بفرح عظيم وكانت هذه البرية مثل فردوس الرب بصلاة الأب البطرك ومساعدة المعمودية المصريين وكان للبطرك محبة عظيمة للبرية أكثر من الرهبان ويفعل فيها مثل قرنيليوس فى زمانه فأرسل الى جميع الأباء والمناشيب وقال كلمن يحتاج الى شئ لمنشوبيته يأتى يأخذ لأن البربر كانوا قد نهبوا جميع مالهم وهدموا البيع واحرقوا القلالى بالنار فلما اجتمعوا الاباء الرهبان سبحوا الرب على تجديد النعمة عليهم ومجدوا الله على ذلك ولما رأى الاب ان الحمام قد عاد الى وكره الأول فرح وكان فى أيام قسيسيته قد بدأ بعمارة هيكل على اسم القديس شنودة قبلى هيكل القديس أبى مقار وكانوا الرهبان يجتمعون اليه عوض البيع

المهدومة وكمله وجدد البيع وسبحوا مجدوا الثالوث كالملائكة فلم رأى الشيطان هذا زار كمثل السبع وأعد سهاماً للبطرك وللبيعة وكان فى ذلك الزمان للبطرك شماس يختص به لخدمته ويفعل ما يريد بغير مشاورة فضرب أحد التلاميذ لأجل شئ عمله وعنف عليه فمن كثرة ما ضربه مات وكانت منصوبة من فخاخ العدو الشيطان فلما شاهدوا المدالجة خفراء الدير ذلك مسكوا الأب البطرك واقلقوه لأجل موت الأنسان وطلبوا منه الشماس ليقتلوه عوضه وكان الأب مجتهداً فى خلاص نفس الشماس لأجل تربيته له من صباه وكان يظن انه يقدمه فى درجة الكهنوت ولما رأو المدالجة أعتناء الرب به وعلموا انه ما سيلمه اليهم تشددوا فى طلبه وطلبوا منه مالأاً جزيلاً ولم يكن مع البطرك شئ يدفع لهم فاعانوه الأساقفة والشعب المحبون لله الى ان دفعوا لهم شيئاً وخلصوه من أيديهم ثم خرج الأب المغبوط يعقوب الى الصعيد لفيتقد الشعب والديارات فلما لقوه الشعب والرهبان كانوا يمجدون الله ويقولون مبارك الآتى باسم الرب وتعجبوا من أعماله ويقولون مبارك أبونا ايلياس الجديد وأقام عندهم اياماً قليلاً وعاد وكانوا يفتخرون بأعماله وفضائله وذكر أبونا الأتحاد والمحبة والرباط الذى بينه وبين ديودوسيوس بطرك أنطاكية وكان يحب النظر اليه بالمشاهدة أو بالمكاتبة ويمنعه من ذلك الحروب التى كانت بارض مصر وفى الطرق لأنها أقامت اربع عشرة سنة وكان يطلب الى الله ان يثبت المحبة بين الكرسيين الجليلين الأسكندرانى والأنطاكى ويدعو الى الله ان يجمع بينهما بالمشاهدة والمكاتبة فلم يرفض الله صلاة هذا الأب بل كملها بنظر الأب ديونوسيوس بالجسد وأنا أعلمكم بالسبب واعلمكم القلق والضيق الذى لحق أرض مصر والأب يعقوب البطرك وملكوا الأندلسيون الأسكندرية وعبد العزيز الجروى ملك بعض البلاد وكان الأب مبتهلاً وباكياً لأجل خراب البلاد وطول استمرار الحروب فى القتال وان اجساد الناس طعام لطيور السماء وان الجروى ما كان يفتر ممن قتل الناس وأخذ اموالهم كان يفتر من قتل الناس واخذ اموالهم وكان يدفنه ما يأخذه من الأموال ليلاً فى الأرض واذا دفن المال يقتل الذين يساعدونه على دفنه حتى لا يبقى من يعرف مكان شئ يدفنه فتمت فيه كلمة ميخا النبى اذ يقول هؤلاء المتفكرون بالسؤ والدغل لأنهم رفعوا أيديهم فى ذلك واخذوا الحقول وظلموا اليتامى وأختطفوا الأنسان

وبيته وورثته لأجل هذا يقول الله انى أجيب الشرور على قبائلهم ولا يتم ما ظنوا فجاء على هذا الرجل حكم الله العالى القوى وكان قد جمع قمح أرض مصر جميعها فى الأهراء تحت يده توقال أجعل الغلاء فى أرض مصر جميعها وأجمع أموالهم كما فعل فرعون يوسف فيطيعنى كل مقاوم وفعل هذا وصار غلاء عظيم حتى بلغ القمح ويبة واحدة بدينار ولم يطلق قمحاً الى الأسكندرية غرضاً فى هلاك الأندلسيين الذين ملكوا مدينة الأسكندرية وصارت الويبة القمح فى الأسكندرية بدينارين ودرهم واحد وما كانوا يجدون شيئاً يشترونه وهلكوا الناس بأرض مصر ولا سيما بالأسكندرية فعلم ذلك المتكبر ان الناس قد هلكوا ففتح فمه وقال كلمة ولم يقلها الله أنا أدعهم ان يبعوا القمح قدحاً بدينار فكمل عليه كلام ناحوم النبى اذ قال يقول الله لى الانتقام يمضى وأهلك مقاومى واعدائى عاجلاً فرحم الرب تنهد الخلق وما يراه من الغلاء وما الناس فيه وانتقم الله منه هكذا لأنه مضى بجيشه الى الأسكندرية ليقاتل الأندلسيين فهربوا منه الى داخل السور وأغلقوا الأبواب حتى أكلوا دوانهم من الجوع وكان قد قوى عليهم وصار يضرب الحصن بالمنجنيقات ليهدم الحصن وظن انه يهلك كلمن فيها بالسيف وكان يطلب البطرك لأنه انفذ اليه يشفع فى انسان ان يصلحه أسقفاً فلم يفعل ان يخرج عن قانون البيعة فما نظر المحب لله مقارة غضب عبد العزيز الجروى كتب الى الأب البطرك وطلب اليه ان يقسم ذلك الأنسان أسقفاً ففعل وكان الجروى حريصاً فى طلب البطرك وقال انه يهدم البيع ويقتل الأساقفة فى كل موضع ان لم يجتمع به البطرك فسمع الأرخن النبراوى فكتب الى البطرك كتاباً يقول له لا بد من ان تجتمع بهذا الرجل والا فهو يهدم البيع ويقتل الناس وحلف له وقال انى ادفع جميع مالى عنك ولا يلحقك ما يؤذيك فقال البطرك كلمة اشعياء النبى ان ليس نفسى عندى عزيزة وانها لله ولينظر الرب خلاصى لأنى توكلت عليه فلا أخاف ما يصنعون بى الناس فقام وخرج للقائه وكان معهم قس محب لله اسمه يوساب لبيعة القديس أبى مقار استحق ان يجلس على الكرسى الرسولى ونحن نذكر فضائله فى هذه السيرة وبينما هو فى الطريق وقد فرغ من صلاته فقال للقس يوساب آمن بالله ياولدى ان هذا الرجل لا ينظرنا ولا ننظره حياً فلما كان الصباح وقع عليه حجر من الحصن فطارت عيناه من وجهه فطار نافوخه

ومات هكذا وتمت عليه كلمة زكريا النبى انه فكر بالسؤ وما بلغ ان يفعله وخلصوه من الحجارة فلما رأوا لطحابه هذا حملوا جسده ودفنوه فى بعض الضياع وكانوا يسدون أنوفهم من رائحته ومن جثته فوصل الخبر الى الأب فمجدوا الله أصحابه الذين كانوا معه وسمعوا ما قاله لهم قبل ان يكون فقالوا للأب قد تم ما قلته ياأبانا فقال يا أولادى هذا فعله الله به لأن هذا الانسان أراد قتل بنى بشر بالجوع .

ثم تولى ولده بعده وكان أسمه على ولم يعمل بأعمال أبيه فجاءعظيم حتى الناس ما كانوا عليه من الغلاء وقالوا نسبحك اللهم فى ذلك اليوم كما قال اشعياء النبى لأنك عضبت علينا ثم رددت غضبك عنا ورحمتنا لأنك ربنا ومخلصنا وتوكلنا عليك وبعد هذا نظر الله تشرد الرهبان أولاد أبى مقار وتشنتم فى كل مكان فاعادهم الى مواضعهم المقدسة فشكر الله الأب البطريرك مجده وقال كما قال داءود النبى فى المزمور رجعت واحييتنا شعبك يفرح بك أرنا يارب رحمتك وأعطنا خلاصك وأيضاً تكلم بالسلام على شعبه وأبراره فرأى الأب أنبا يعقوب هيكل أبى شنودة انه لا يسع جماعة الرهبان فى البيعة التى على اسم أبى مقار وهى هيكل بنيامين لأنه كان قد دثر وزينها بكل زينة وكملها وكرزها أول يوم من برمنودة وكان هذا تذكاراً للبطرك ومجداً للرب

وكان مقارة النبراوى الأرخن يشتهى ان يرى الأب البطرك ويبارك عليه فى منزله وذهب الى بيته وكان قد ولد له ولد ذكر ففرح به وكان عنده وعمل صدقات كثيراً ورحمة وأراد الله ان يمجد البطرك بهذا السبب فأظهر هذه الاعجوبة وبعد أيام يسيرة أعتل الصبى ومات فأخذه بأمانة وجاء به الى قلاية البطرك مثل ما فعل رئيس الجماعة الذى أقام المسيح أبنته وقال الأرخن للبطرك أعن عبدك فان أبنى يموت فقال أحضره التى فأحضره فقبل الصبى اليه وصلب على صدره وفؤاده وجبهته وقال ياسيدى يسوع المسيح معطى الحياة والمنعم بالنعمه من عنده اقم هذا الطفل لابيه دفعة اخرى حيا فعادت اليه نسمة الحياة وفتح عينيه وحرك يديه ورجليه فقال أبونا بصوت عال لأبية الأرخن مقارة كما قال السيد المسيح لرئيس الجماعة ان ولدك لم يمت بل كان نائماً فلما رأى الأرخن هذا العجب العظيم لحقه خوف شديد منه ومجد الله صانع العجائب فى

قديسيه وفى تلك الساعة زاد الأرخن فى صدقته وفعله الخير وكانت صدقته تفيض من يديه كالنهر الجارى الفائض ودفع ثلث ماله للأرامل والايتام ويكسوهم الثياب ويفعل كلما يجب فعله ووصل هذا الخبر الى مدينة يروشليم وأنفذ مقارة الأرخن وبنى فيها بيعة وهى الآن ملجأ الارثدكسيين الى اليوم ولمن يطرق المدينة للصلاة فيها بناها تذكاراً له الى الأبد وهى تعرف ببيعة المجدلانية فبارك الله عمل يديه وضاعف له أمواله مثل القديس أيوب وأراد الله ان يرى هذا الرجل سراً عظيماً عجيباً من كثرة أمانته ومحبته ليرزقه الله رجاء الحياة الأبدية وفى بعض الأيام أقسم يميناً ان يتمم فعلين وهما ان لا يره أحداً يسأله ولا يغلق بابه فى وجه أحد أسمعوا ما جرى له كان له أمانة ورجاء بشفاعة القديس تاودرس وكان يرشده فى أعماله ويقضى حوائجه وكان فى زمان خلافة هرون الرشيد كثرا الخراج على مقاره هذا لكثرة وصاياه وأعماله فمضى الى الملك ليوفى ما عليه فطال مقامه وأنفق جميع ما كان معه لأنه لم يكن يمتنع من دفع الصدقة ولم يجتمع بالملك فجاز يوم وهو ماضى الى قصر الملك فرأى فى الطريق منزلاً عظيماً مزيناً لم يراه قبل ذلك اليوم فقال لغلمانه قد ضللنا عن طريقنا لان هذه الذار لمت يراها فى طريقنا قبل اليوم وصار مثل انسان قديها أو بغير عقله فنظر الى انسان نير وقد خرج من الدار يشبه معرفة له لما كان بأرض مصر فقال للأرخن يا مقارة لك أيام منذ وصلت الى هاهنا ولم تنتقد بى فكلمه الأرخن مقارة بحضور فتقدم اليه وعانقه وقبل بعضهما بعضاً ومسك صاحب الدار يد الأرخن ودخل به الى الدار من عدة أبواب وجاء به الى موضع فيه مال عظيم يشبه خزائن الملوك وقال له خذ جميع ما تحتاج اليه لنفقبك واذا مضيت الى بلدك فانت تعيده الى وأنا اليوم انجز حاجاتك عند الملك وكلما تحتاج اليه فأخذ الأرخن المال من بيت ذلك الأنسان النير الذى كان يخاطبه وخرج ودفعه لمن كان معه من غلمانه القيام على الباب وركب الرجل فرسه واسرع قدام الأرخن فلما قرب من القصر بدؤوا الأعوان ينادون اليه ويقولون اين مقاره المصرى فأخذوا بيده وادخلوه الى الملك فخاطبه الملك وقال له أطلب جميع حوائجك وكلما تحتاج اليه حتى أقضيه لك فى هذا اليوم فانجز له حاجاته والأنسان النير الذى خاطبه خرج به من القصر فلما صار به من القصر غاب عنه ولم يعد الأرخن ينظره وظن انه قد عاد الى داره التى اجتاز به

فيها فلما وصل الى الموضع الذى كانت فيه الدار لم يجد لها أثراً بالجملة فشخص الرجل وغاب عقله ساعة وبعد هذا فهم انه الشهيد العظيم تادرس الاسفهلار لأجل محبته له فمجد الله وزاد على الرحمة والصدقة والأعمال الحسنة وكان ثابتاً على هذا الحال الى الزمان الذى نقله الله من هذا العالم .

فنعود الآن الى ذكر بقية قصة الأب أنبا يعقوب البطرك فما فعلنا هذا وذكرنا خبر هذا الأرخن مقارة الا غرضاً فى عز الأراخنة الإرثدكسيين فأن الله لا يدعهم فى هذا ولا فى الآتى كما قال بولس الرسول لا تدع عمل الخير حتى تحصد ما بذرته وما الزمان معنا تفعل الخير مع كل أحد ولا سيما أخوتنا أهل الإيمان ثم انه كان يوصى طيماتاوس ولده ويقول له أكثر من تذكار فعل الخير للمؤمنين عند ما يكاتبه يقول له هكذا أن أغنياء هذا الزمان تقدم اليهم بإن لا تنكير قلوبهم ولا يجعلوا رجاءهم وتوكلهم على الأغنياء فأن الغنى لا ربح فيه لكن يكون توكلهم على الله الذى يعطينا كل شئ يغنى ويكون فعلنا فى الخير ويكون غنانا فى الأفعال الحميدة لنكون مستقيمين محبين ليكون لنا أساس ثابت فيما يأبى ونتمسك بحياة الحق فلذلك أبسطوا عذرى وأسمعوا منى بقية أعمال هذا الأب القديس المؤيد الذى هو نبى وأعطاه الله أن ينظر الأسرار من البعد لما ذكر الرب كورة مصر الضعيقة ليريل منها الحروب أظهر الأمر للأب القديس وعرفه ان ذا يكون قريباً غير بعيد وكان يعلم ان الارشيدياقن الذى له يفعل أفعالاً بغير أرادته فدعاه وقال له ياولدى سوف يجئ سلطان الى بلاد مصر قريباً ويملك على مصر وعلى رؤسائها وعلى الأسكندرية وجميع كورتها فاذا وصلنا مع سلامة الله الى الأسكندرية فاياك ان تسمع من أحد من الناس أو تمد عينك الى شئ من هذا العالم فتكون مظلماً فى أعمال الله ونكون ذليلين عند الأمة المخالفة الذين أذلهم قدامنا والشيطان أمامهم وأعلم أنك اذا خليت كلامى فتقع بيعة الله فى بلاء عظيم ثم بعد ان قال له هذا القول بتحليل وصل الى كورة مصر أمير من عند ملك المسلمين أسمه عبد الله بن طاهر وكان رجلاً خيراً رحوماً فى دينه محباً للعدل مبغضاً للظلم ومن أجل ذلك أخضع الله له كل علهن واذل له امة الأندلسيين التى بالاسكندرية وأقام بمصر أياماً حتى استقامت له الأمور .

نعود الأن الى خبر أبنا يعقوب مع ديونوسيوس بطرك أنطاكية وأنه لم يمكنه أن ينفذ سنوديقاً لأجل الحروب بمصر والمشرق وكذلك الأب البطرك ديونوسيوس كان يسمع بأفعال الأب البطرك أنبا يعقوب وكان يشتهى ان يسلم عليه وهو فى الجسد فلما أتفق هذا الأمير وهو متوجه الى مصر سار صحبته اليها حتى وصل الى مصر فلما نظره أبونا أنبا يعقوب فرح فرحاً عظيماً روحانياً وتلقاه أحسن تلق وتهللت جميع كورة مصر بمشاهدتهما بعضاً لبعض وكانوا الكهنة المصريون يقرؤوا قدامهما من قول داءود للرحمة والعدل التقيا والصدق والسلامة اقبلا الينا ثم أقام الأب ديونوسيوس البطرك بانطاكية عند الأب أنبا يعقوب البطرك أياماً كثيرة ليسع كل واحد منهما من قدس الآخر فبدؤوا أساقفة كورة مصر ان يحضروا خصائم بين يدى الأب ديونوسيوس لأجل الارشيدياقن الذى لأبينا الأب أنبا يعقوب من أجل أنه حوله كلما بدينا وقلنا فبدأ الأب ديونوسيوس مثل من يريد ان يذكر لهذا القديس أنبا يعقوب ان يردع الارشيدياقن وانت لا يكون فيه ضجر على الأساقفة ولا يخاطبهم الا بما يجب فلما سمع ذلك لعمود المضئ أنبا يعقوب نبعت منه روح النبوة وقال للأب ديونوسيوس وكيف حتى أستحروا الأساقفة وقالوا فيمن هو مصطفى الله وبشر به فطوبى له مثل الذى عمل ساعة واحدة فى الكرم مع صاحب الأحدى عشره ساعة فأخذ أجرة النهار أجمع فلما سمع ديونوسيوس البطرك كلام الأب أنبا يعقوب البطرك ونظر الى روح القدس يتلألا فى وجهه وضع له مطانوة وقال كما قال داءود النبى كما يمعنا كذلك رأينا انا أؤمن أنى شاهدت انساناً له عند الله منزله ان يشفع فى كورة مصر ثم سأل أبانا البطرك

يعقوب أن يدعه ليمضى الى كرسيه فدفع له كرامات عظيمة كقدر رئاسته ثم ودعه هو والأساقفة بسلام يمجدون الله ويباركونه لأجل مشاهدتهم لقدسه وصورته رهبته وعفافه فلما وصل الى المشرق بلد سورية كان يحدث بما شاهدة من قدس أبينا أنبا يعقوب ويشكر السيد يسوع المسيح الذى يمجد أصفياءه .

فأما الأمير عند الله بن طاهر فعند وصوله الى مصر ولى أميراً من أصحابه على مدينة الأسكندرية وعلى جباية الخراج بها وبأعمالها واسم الذى ولاه ايلياس بن يزيد فاما ذلك الشماس الذى لأبينا يعقوب قسها عن الخطاب الذى كان خاطبه به أولاً وهو

قوله له انه لا يمد عينيه ال« شئ من أمور العالم عمد الى ضياع أخذ منها بقطاً وظن بذلك انه يحصل شيئاً للبيعة ولم يعلم ان سوف يتم ما قاله ويتنبأ الأب يعقوب فلذلك لحق الأب والشماس أحزان كثيرة لما الزما به من الخراج وليس معهما ما يقومان به وكان الأمر المبارك يقول قول الحكيم بولس الرسول لذلك الشماس ما كان يجب لك ياولدى أن تجعل عليك حجة بل تسمع ما وصيتك به بأمانة ومحبة للسيد المسيح أو ما سمعت ياولدى ما قاله بولس ان الذين يريدون ان يكونوا أغنياء يقدمون فى البلايا والعثرات وشهوات الجهل اللاتى لا يربحن شيئاً ويطرحن الناس فى الفناء والهلاك وأصل كل الشرور محبة الفضة التى أحبها قوم كثير فضلوا عن الأمانة وجذبوا لهم هموماً عظيمة فبكى ذلك الشماس وسأله ان يغفر له مخالفته وبدأ ذلك الأمير ان يشدد على الأب فى طلب الخراج ولم يكن معه ما يدفع كما ذكرنا من عدم البيعة لأنقطاع الناس عن الحضور الى بيعة القديس الشهيد مارى مينا لكثرة الحروب ولما لم يجد شيئاً يدفعه لى الخراج أخرج آنيه البيعة للأمة المخالفة والرب محب البشر الذى يظهر عجائبه فى كل حين فى بيعته وجعلها غالية للملوك فى كل زمان أظهر أعجوبة يحب ان تتعجب منها لما جلس الأمير يوماً من الأيام ليكسر الآنية وفيما الصانع يكسر كأساً من الكأسات المقدسة سكب دم على يديه كثير جداً مثل دم خروف قد ذبح فلما نظروا هذه الأعجوبة نزل عليهم خوف عظيم وخاف الأمير وكلمن حضر وأمر ان لا يكسر شئ منها ثم أنه خاف ان يجعلها فى خزائنه فأمر باعادتها الى الأب وأخذه أشد بالقيام بمال الخراج فناله صعوبة عظيمة قبل أن يوفى ما عليه من الخراج ثم بعد ذلك عزل الأمير بمدينة الأسكندرية وسار الى كورته ولحقه علة هناك وكانت عله موته وبعد أيام كثير ذكر العجب العظيم وهو خروج الدم من الكأس وفى ذلك الوقت تقدم الى أولاده وأكد عليهم بأن ينفذا الى مصر بالمال الذى أخذه من البطرك ليسلم الى من يوجد بطركاً على مدينة الأسكندرية تفعلوا أولاده ذلك وتمت هذه الأعجوبة فى أيام من أستحق ان تتم على يديه كما أنا تظهر الأمر لمحبتكم عند تمام هذه السيرة .

فاستمعوا عجباً آخر أيضاً ظهر فى أيام هذا القديس أنبا يعقوب البطرك لما كان فى أيام أيلياس الأمير الوالى بالاسكندرية توفى أسقف فى الصعيد على كرسى

فـاو[١] فانفذوا انساناً للبطرك يوسمه عوضه فخاف الرجل الا يطلع الله البطرك على أعماله فيمنعه فمضى الى الأمير ودفع له مالاً وسأله أن يتقدم الى الأب البطرك أنبا يعقوب باصلاحه فلما سال الأمير فى اصلاحه أمتنع الأب البطرك لقوة اعتقاده وتشدده فى القوانين فسألوه الحاضرون وقالوا له تجيب سؤال الأمير لئلا يجرى عليك وعلى البيعة شر ولم يزالوا يلطفون به الى ان أصلحه أسقفاً فلما سار قال عليه أمراً هو هكذا مثل قول بطرس لسيمون الساحر فى ذلك الزمان فقال موضع توكل هذا الأسقف على أخذ النعمة به فهو يضمحل بعد قليل فتكون النعمة التى نالها بعيدة منه فلما سار وقرب من كرسيه أعتل فى الطريق ومات قبل ان ينظر الكرسى فمن الآن لا يخاف من هذه الأعمال العجيبة فيمجد الله الذى يظهرها من هذا المصطفى ولو انا نذكر يسيراً من كثير سمعناه من عجائب هذا القديس وجهاده الجيد لكثر القول جداً ولا نقدر ان نشرحها لضعف عقولنا المظلمة عنها لكن نذكر مما يجب ذكره ونشرح تماما جهاده ربحاً لمن يسع وبركة .

لما كان عند توجهه الى الشرق ليفتقد البيع والشعب ووصل الى ضيعة تسمى بيت تشمت[٢] أحضروا له شاباً به شيطان قد اخرسه وأطرشه وسألوه ان يضع يده عليه وان الأب اخذ زيتاً يسيراً من على عظام القديس ساويرس ودهن به الصبى ورسم على وجهه وأذنيه وقال بأسم السيد يسوع المسيح الذى أنفذ خليقته من عبودية الشيطان ليعاف هذا الشاب وينحل عنه رباط الشيطان وللوقت عوفى وانفتح فوه وأذناه وتكلم وسمع وكلمن أبصره تعجب ومجدوا الله بالحقيقة وكان هذا الأب فى قدسه مثل التلاميذ لما صبر عليه من التجارب وما تم على يديه من العجائب أحيا الميت وأخرج الشياطين وأعلاء كثير ابراهم والسيدة أم النور ظهرت له قبل ان يصير بطركاً والسيد المسيح ايضاً والقديسون الذين استحق ان يراهم ثم انه اشتهى ان يقيم فى مدينة تندا أياماً قليلاً عند عبوره عليها فلما أقام بها شهد لنا بعض الأساقفة من الثقات الصادقين وقال انى مضيت اليه لأفتقده وآخذ بركته فلما وقفت على باب موضعه سمعته يقول كلاماً خفياً وهو ياسيدتى ولم سيدى انا أسألك ان تغفر على وانا مستعد

(١) فاو هى مركز نجع حمادى

(٢) مكانها أراض كوم الراهب مركز سمالوط

لما تأمرينى به ان أتممه وأكون حافظاً له الى النفس الأخير قال الأسقف ولما عولت انت اتطلع من الباب الذى هو داخله وقبل وصولى صاح بصوت عظيم من هذا الذى يرى فخفت من هيبته ورجعت الى ورائى فسمعته يقول الله يغفر لك أيها الأخ الذى منعنى الا أشاهد مجد سيدتى ونورها وتركها ان تمضى عنى فلما نظر الطوبانى البطرك هذه الأسرار العظيمة التى ظهرت شهد ان ما يجلس أحد من البطاركة على هذا الكرسى الا من يختاره الرب لكن الشيطان يقاوم تقدمتهم ولا يدعهم ان يفعلوا الخير وقوم يقولون فى قلوبهم ان تقدمنا وأخذنا الدرجة هو من مولدنا وليس هو هكذا بل رب المجد هو الذى يختار والأب أنبا يعقوب القائل هذا قبل موته ان الله الذى يختار من يقيمه والشيطان مضاده له والله الغالب وكانت عادته اذا أراد ان ينقسم الأساقفة ان يسهر ويصوم ويطوى حتى يظهر الله له أعمالهم وكان يحفظ أيام نياح الأباء من مرقس الإنجيلى الى مرقس ابيه بالروح ويعيد لهم ويلبس فيها ويقدس ان كان فى المدينة أو فى الديارات أو فى القرى مجداً لسيدنا المسيح وتذكاراً لآبائه .

فلما أراد الله أن يريحه من التعب وينقله الى مساكن النورانيين السمائية فظهر له الرب وهو راكب سحابة من نور ومعه الأثنا عشر تلميداً فقال له تقو أيها العبد الصالح الذى عمل فى وزنات سيده وربح انا الأن آخذك الى وأريحك من تعبك ونجلس مع أصحابك الذين جاهدوا مثلك وكملت مثلهم وقبلل هذه الرويا العجيب تنيح زخرياء أسقف تسدا وجلس موضعه الارشيدياقن الذى قدمنا ذكره وقلنا عنه انه يكون وعاء مختاراً لله وأعتل أبونا يعقوب البطرك وضعفت قوته وفى أبعة عشر يوماً من أمشير تنيح وهو يوم تنيح فيه الأب القديس ساويرس فى أربع ساعات من الليل سمعوه قائلاً جيد ياأبوى ساويرس وديسقرس محبتكما ورجع قال العالم كله فى حل بصلوات القديسين واسلم الروح فى يد الرب ففاح من جسده بخور طيب حتى ملأ جميع الموضع.

فما أصبح الصبح كفنوا جسده وقدموا القربان تذكاراً للأبوين المغبوطين ساويرس والأب يعقوب وكملت رؤيا الراهب القديس عن الصورتين اللتين رآهما تكرزانه

بالانجيل وهكذا تمت سيرته بشيخوخة حسنة وهو ماسك الكرسى المقدس الأنجيلى عشر سنين وثمانية أشهر وسلم القطيع لرب الصباؤوت ثابتاً واستحق ان يسمع الصوت القائل تعالوا الى يا مباركى أبى أرثوا الملك المعد لكم من قبل خلق العالم .

والأخ الذى كان قد تنبأ عليه رسمه أسقفاً قوياً متقيا لا يكنز درهماً واحداً غنياً بأعمال الرب وبالكتب الروحانية واستحق ان يغمض عينيه بيده ويأخذ بركته ومن قوة أمانته جعل جسده فى تابوت وتركه فى مدينته التى هى تبدأ ليبارك به ويتشفع بقدميه وبعد أيام يسيرة تنيح الأسقف بصلوات أبيه التى صلاها عليه أمام السيد المسيح له المجد مع أبيه وروح القدس المحيى المساوى من الآن والى أبد الأبدين أمين .

السيرة العشرون من سير البيعة المقدسة

الأب أنبا سيمون البطرك وهو من العدد الحادى والخمسون

ولما تنيح الأب القديس الجليل البطرك أنبا يعقوب مصطفى الرب ومختاره الصعود النير ومضى الى الرب وبصلواته التى قدمها له بدد الله العساكر والحروب والقوم الذين كانوا يثيرونها فى كل وقت الذين كانوا على مدينة الأسكندرية ومصر وأعمالها ومن بعد وفاته بمدة يسيرة قدموا عوضاً منه بأمر الله تعالى شماساً راهباً اسمه سيمون من مدينة الأسكندرية من نسل طيب وكان ولد الأب أنبا يعقوب وفى قلايته وتربى منذ صبائه عند الأب البطرك أنبا مرقس المسيح وأقام على الكرسى الإنجيلى خمسة شهور وستة عشر يوماً وتنيح فى اليوم الثالث من بابة وكان مدة مقامه برجع النقرس يتوجع منه وجعاً شديداً الى أن تنيح الرب يرحمنا بصلواتهم أجمعين .

الأب أنبا يوساب البطرك

وهو من العدد الثانى والخمسون

فلما تنيح الأب سيمون أجتمع الشعب الإرثدكسى بمدينة الأسكندرية وتشاوروا فى ان يقيموا بطركاً بحكم ان الكرسى خال لأنه كان قد أقام بغير بطرك بعد الأب أنبا

يعقوب مدة كبيرة وتسلوا بأقامة الأب أنبا سيمون فلما تنيح زاد قلقهم وكانوا يقولون كما قال داءود النبى لا تذكر يارب أثامنا الأولى بل لتدركنا رأفتك سريعاً لاننا افتقرنا جداً وكان كل منهم يتقصى بالمدينة وبحثوا جمع الأسكندرانيين والأباء الأساقفة وطلبوا من يصلح ان يجلس على الكرسى وأنتم عارفون بأهل الأسكندرية أنهم محبون لنعيم الجسد فافتكروا فكراً ردياً فى تلك الأيام خارجاً عن القوانين البيعية وكان بفسطاط مصر فى ذلك الزمان رجل ذو جنس وذو مال له ولجنسه من الذهب والفضة والأثاث وكان صاحب ديوان السلطان الذى هو ملك مصر أسمه اسحق السيد ابن اندونة فلما نظروا الجماعة أهل الأسكندرية محله وغناه مع جاهه كتبوا اليه كتاباً يقولون له انا ما نختار احداً نقدمه بطركاً سواك وكان رجلاً علمانياً وهو متزوج بامراة فانعزل بعض الأساقفة عن هذه النوبة التى فعلوها المراؤون أهل الأسكندرية وأتبعوا هذا لأجل محد الناس ولم يذكروا ما هو مكتوب فى داءود[1] ان الرب يبدد عظام المرائين للناس وايضاً فيخزون لأن الرب يرذلهم ثم مضى بعض الأساقفة الى هذا اسحق وساعدوه وقالوا له مالنا بطرك الا انت واسماؤهم زكرياء أسقف وسيم وتادرس أسقف مصر ثم انهما جعلاه ان يكتب كتاباً الى الأسكندرية يعد كهنتها وأهلها بجميل كثير يفعله معهم متى صار بطركاً ويقول انى اذا جلست على هذا الكرسى بيت لكم ما أنهدم من بيعكم وجددت عمارة رباع البيع وازيل عنكم الجوالى جميع أيامى أقوم بها من مالى تعن الكهنة وضعفاء الشعب ووعدهم باشياء أخرى تكثيرة فلما سمعوا ذلك مالوا اليه ورغبوا اليه ونسوا قول الإنجيل لا يأخذ أحد كرامة من ذاته الا ان يعطاها من السماء من عند الله .

وكان فى ذلك الزمان اساقفة قديسون ممن يقول الحق ممتلئين من النعمة وهم أنبا ميخائيل أسقف بلبيس وأنبا ميخائيل أسقف صا وأنبا يوحنا أسقف بنا وكثير مثلهم كاملين فى الدين والأمانة فلما بلغهم ما فعله الأسقفان وجماعة أهل الأسكندرية تحركت فيهم النعمة الألهية وجمعوا لهذين مجمعاً وتوجهوا الى الأسكندرية على ما

(١) مزمور ٥٢

يقتضيه القانون ولما حققوا رأى الأسكندرانيين قالوا لهم اين تركتم خوف الرب وخالفتم القوانين حتى انكن عمدتم الى رجل علمانى متزوج بامرأة لتجلسوه على كرسى مار مرقس الأنجيلى بخلاف ما جرت به العادة والقوانين فعند ذلك سكتوا ولم يجاوبوهم بحرف واحد لعلمهم بغلطهم وبمعونة الله الذى يفتقد شعبه فيت كل حين ويشئ وجهه على ميراثه ذكر انسان قديس كامل فى فعل الخير فثبت ذكره عند الجمع بتدبير نعمة الله الذى هو المصباح المضئ يوساب القس والقيم ببيعة القديس أبى مقار بوادى هبيب وعند ذكره أبتهج قلبى وتهلل لسانى .

وأردت أن أذكر يسيراً من سيرته فى رهبنته والأعمال التى فعلها فخفت أن أقطع ذكر صفة الحال فى جلوسه ولكننى أذكر ذلك فيما بعد ليبتهج قلب من يسمع سيرة هذا القديس فلما طابت قلوب الجمع به مع الأساقفة والكهنة لمعرفتهم به عند كونه مصباحاً للأب أنبا مرقس فانفذوا بعض الأساقفة وكهنة الأسكندرية الى الوادى وبينما هم سائرون قالوا هكذا ان كان الرب يختار تقدمة هذا الانسان فاننا نجد باب قلايته مفتوحاً فلما وصلوا الى الدير بالغداة وقفوا على باب قلايته فوجدوه قائماً وقد خرج ليغلق الباب خلف أولاده وقد مضوا ليملئوا الماء فبهتوا ونظر بعضهم الى بعض قائلين قد تم ما قلناه فى الطريق وقد سهل الرب طريقنا ونحن نؤمن انه قد أصطفى الله هذا القديس فلما نظر اليهم المغبوط المتمسك بالطهر والأتضاع سجد لهم وسلم عليهم ودخل بهم الى قلايته بسرعة فلما صاروا داخل بيته ضربوا بيدهم اليه وطرحوا القيد الحديد فى رجليه وقالوا له أنت بالحقيقة مستحق البطريركية فبدأ يبكى بكاء عظيماً ويقول ما ربح رجل ناقص يدخل تحت هذا النير العظيم فعزوه توسيبوا قلبه وأجتمعوا فى البيعة واخذوا السرائر المقدسة لأنه كان تيوم عيد الملاك ميخائيل الثانى عشر من هتور وتبارك من الأباء القديسين وسألهم ان يدعوا له ان يتم الله سعيه فدعوا له وباركوا عليه جميعاً من عمق قلوبهم وودعوه باكين لأنهم عدموا من ديرهم انساناً قديساً فيه روح الله فلما ساروا ووصلوا ظهر الصخرة وهو معهم سمعوا صوتاً خلفه قائلاً الرب يصحبك يا يوساب ويقويك لتصبر على البلايا التى تحل بك وبها تنال

اكليل الحياة فلما سمع القديس والذين معه هذا الصوت العظيم ولم ينظروا أحداً تعجبوا وبهتوا وعلموا ان تسوف تناله تجارب عظيمة واحزان شديدة ووصلوا الى الأسكندرية فلما سمع الجمع خرجوا للقائهم متهللين ممجدين الله فعرفوهم ما جرى عند طريق الشارويم ظهر الصخرة فمجدوا الله صانع العجائب وحده فى كل حين .

وأعلموا الأمير والى الأسكندرية وكان اسمه عبد الله بن يزيد بوصولهم بهذا القديس ليأخذوا رأيه قبل قسمته وأمره كما جرت العادة فى كل زمان فأمتنع الوالى ولم يمكنهم من ذلك وقال اسحق بن اندونة الذيت من مصر أنفذ الى ووعدنى بالف دينار اذا جلس على هذا الكرسى فان كنتم قد أخترتم هذا فادفعوا لى تما قد وعدنى به اسحق ومعهم من قسمته اياماً وكانوا الاباء الأساقفة ملازمين داره طالبين منه متضرعين فى تمكينهم وهو لا يفعل لمحبته فى المال فاجتمعوا الأساقفة الذين من المشرق وقالوا له ليس نحن تحت سلطانك فان لم تمكنا والا مضينا الى فسطاط مصر ونقسمه هناك فلما نظر ثباتهم وانهم يفعلون ما ذكروه فاذن لهم فاجتمعوا الى بيعة مرقس الانجيلى على ما جرت به العادة فى أحد وعشرين يوماً من هتور سنة خمس مائة سبع وأربعين للشهداء وكملوا الصلاة على الهيكل وبدؤوا ان يصعدوا به الى الرتبة البطركية يباركون ويمجدون الله والأن فاريد هاهنا ان اذكر سيرته منذ صبائه ذلك الطوبانى القديس ليمجد الله كلمن سمعها قبل ان اذكر تمام قسمته وما جرى عليه من الشدائد وصبره عليها هذا القديس من اباء اخبار مشهورين من مدينة منوف العليا معروفين من مقدمى مصر فلما ماتوا بقى القديس يتيماً فنظره انسان أرخن محب لله كان متولى كوره مصر اسمه تادرس من أهل نقيوس وهو يتيم فاخذه اليه ليصيره له ولداً محبة للمسيح لعظم جنسه وأقام عنده مدة طويلة ففكر فى تنفسه وقال هو ذا انا اليوم يتيم وما لى أجود من البرية المقدسة فهى مأوى اليتاما فمضى الى الرئيس الذى هو خنده وقد رباه وسأله بتواضع ان يفسح له فى المسير الى البرية المقدسة فقال له ياولدى أنت من جنس جيد وتربيت فى نعمة فيلحقك تعب فى البرية ولا تقدر على شقاها فلم يمكنه من الخروج وانفذه الى مدينة الأسكندرية الى الأب البطرك أنبا مرقس وكتب اليه كتاباً يذكر فيه له قصة حاله وسلمه اليه مثل الوديعة .

ففرح به القديس مرقس وسلمه الى انسان شماس كان له ولد القلاية يومئذ وكان عالماً ليعلمه الكتابة بلغة اليونانى وكانت معونة الله معه ولا تدعه ان ينسى ما كان اراده من المضى الى الديارات فلما أقام عند الأب القديس انبا مرقس اياماً قلائل ضرب له المطانوة وسأله ان ينفذه الى الجبل المقدس فنظر شهوته وأظهر الله له ما يجده الصبى من النسمه فانفذه سريعاً الى دير أبى مقار الى عند قس قديس أغومنس اسمه بولا وكان يتعجب الناس من سيرته وان الله يظهر له اسراراً ونبوات فلما نظر الى الصبى فرح به جداً وبحسن طريقته وتواضعه ويزل يغذيه بالتعاليم المقدسة التى للأباء الرهبان ولا سيما لما نظر طريقته وكان يبارك عليه ليلاً ونهاراً فاستحق ان يصير شماساً وبعد قليل استحق ان يكون قساً بيد الأب انبا مرقس البطرك ولما كبر هذا الأغومنس بولس أعتل عللاً مختلفة وكان هذا القديس يخدمه النهار والليل برجاء وأمانة لينال بركته وكان هذا الشيخ يجعل يده على رأسه ويباركه بركات عظيمة لا تحصى فلما قربت وفاته بدأ ان يقول للصبى الذى حلت روحه عليه يايوساب هو ذا الرب قد أنعم عليك بنعمته وميراثه لترثه ثم قال مثل قول الرب لبطرس وأنت أيضاً أرجع زماناً وثبت أخوتك الذين هم قد صاروا مشاركين لك فى تعب هذه الخدمة وقدمهم كهنة وكان له أولاد عنده يخدمونه غيره فتمم قوله عند جلوسه على الكرسى واستحقوا هؤلائك الأخوة له فى الخدمة والنعمة الشماسية والقسيسية مدة مدة فى بيعة القديس أبى مقار وذكرت هذا ليكون منعفة لكلمن سمعه من الأولاد الرهبان ليعلوا ان الله يصطفى من يخدمه بنية صادقة .

والآن فاعود الى بقية خبر هذا القديس الأب الجليل انبا يوساب لما جلس على الكرسى الانجيلى وكانت البيعة ليس لها شئ فبدأ ان يعمل تذكارات كروماً وطواحين ومعاصر للبيعة فلم يصبر عليه مبغض الخير الشيطان كعادته فاثار حرباً عظيماً فى بداية قسمته فى الأعمال التى شرقى تمصر وعربيها حتى انهم كانوا ينهبون كل المواضع ويقتلون وكان حرب عظيم فى كل مكان كما قال عاموص النبى ان هذا ما قاله الرب الضابط ان يكون نوح فى كل موضع فلما نظر الأب القديس ذلك حزن وسأل الرب ان يسر على البيعة ويحفظها والشعب الارثذكسى فى كل موضع ويدعو ويقول كما قال

داءود في المزمور[١] يارب اذكر مجمعك الذى كان من البدى ونجيت عصا ميراثك جيل صهيون الذى سكنت فيه ارفع يدك على كبريائهم الى الأبد لان كثيرة هى الأسواء التى صنعها العدو ولم يفتر الشيطان من اثارة الحروب والقتل وكان متولى الخراج فى ذلك الزمان رجلان أحدهما اسمه احمد بن الأسبط والأخر ابرهيم بن تميم هذان مع ما كانوا الناس عليه من البلايا لا يدعان طلب الخراج بغير رحمة وكانوا الناس فى ضيقة زائد لا يحصى وأصعب ما عيهم ما يطلبه منهم متولياً الخراج وطلب ما لا يقدرون عليه وبعد هذا انزل الله الكريم باحكامه الحق غلاء عظيماً على كورة مصر حتى ان القمح بلغ خمس ويبات بدينار ومات الجوع خلق كثير من النساء والأطفال والصبيان والشيوخ والشبان ومن جميع الناس ما لا يحصى عدده من شدة الجوع وكان متولى الخراج يؤذى الناس فى كل مكان وأكثر النصارى البشموريين كانوا يعذبونهم بعذاب شديد مثل بنى بنى اسرائيل الى ان باعوا أولادهم فى الخراج من كثرة العذاب لأنهم كانوا يربطونهم فى الطواحين ويضربونهم حتى يطحنوا مثل الدواب وكان الذى يعذبهم رجلاً اسمه غيث وتمادت عليه الأيام وانتهوا الى الموت فلما نظروا أهل البشموريين ان ليس لهم موضع يخرجون منه وموضعهم لا يقر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات فيه وما يعرف طرقه الا هم فبدؤوا ان ينافقوا ويمتنعوا ان يدفعوا خراجاً واتفقوا وتوامروا على ذلك وكان الملك فى ذلك الوقت عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد ولما انتهى اليه حال مصر وما فعلوه المتغلبون والمتولون انفذ اليهم عسكراً مقدمه أمير اسمه الأقشين فقتل الذين نافقوا والخوارج من شرقى مصر الى ان انتهى الى المدينة العضمى الأسكندرية فاراد ان يقتل كلمن فيها أهلها اذ لم يقاتلوا لأنهم مكنوا العدو من الدخول الى مدينتهم فمنعه الله من ذلك لأجل دموع المؤمنين وصلاة البطرك أنبا يوساب وكان الأقشين يقتل حتى الأبرياء بجزيرة المقسدين الى ان ما بقى أحد يراه الا قتله وقتل جماعة من اراخنه النصارى فى كل موضع وكان البطرك أنبا يوساب حزيناً لمشاهدته ذلك من الوباء والغلاء والسيف وتمموا البشموريون مؤامرتهم وصنعوا لهم سلاحاً وحاربوا السلطان واحموا نفوسهم ان لا يدفعوا خراجاً فكلمن يمضى اليهم ليتوسط حالهم قاموا عليه

(١) مزمور ٧٤

وقتلوه لما نظر أبونا البطرك أنبا يوساب حزن على أولائك الضعفاء لأنهم لا يقدرون على مقاومة السلطان وانهم باختيارهم اختاروا الهلاك لنفوسهم فبدأ المهتم بخلاص شعبه الأمين بالحقيقة وكتب اليهم كتباً مملوءة خوفاً ويذكر لهم ما يحل بهم ليعوداوا ويندموا ويرجعوا حنت خلافهم ويدعوا مقاومة السلطان فلم يرجعوا فلم يفتر من مكاتبتهم كل يوم وكان يكتب اليهم فصولاً من الكتب ويقول قال لسان العطر بولس كلمن يقاوم السلطان فهو يقاوم حدود الله والذى يقاومه يدان ولما وصلتهم كتب البطرك مع أساقفته ونظروا أولائك الأشرار الاباء الأساقفة وتبوا عليهم ونهبوا كلما معهم وأهانوهم فعادوا الى البطرك وعرفوه ما جرى عليهم فقال ما يبطئ عن هؤلاء الهلاك بل يتم عليه ما قاله النبى اشعياء انى اسلمكم للسيف ويقع جميعكم بالقتل لأنى ناديتكم فلم تسمعوا كلامى وخالفتم وفعلتم الشر أمامى ولأجل هذه البلايا والأحزان المذكورة ما تمكن الأب البطريرك ان يكت سنوديقاً الى شريكه فى الخدمة والأمانة بطرك انطاكية وكان مهتما بذلك أكثر مما ناله من التجارب فانه لم يجد راحة يوماً واحداً منذ جلس ليكتب الى كرسى انطاكية باتحاد المحبة وثبات الأثذكسية ولم يدعه محب البشر فى حزنه هكذا لأجل اتحاد الكرسيين الأسكندرية وانطاكية فدبر بأمر عجيب ان يصل الأب ديونوسيوس بطرك انطاكية الى مصر ويشاهد بعضهما بعضاً حسب ما نذكره فيما بعد ولما نظر الأمير الأقشين تمادى البشموريين على شرهم وأنهم لا يعودون عن فعلهم كتب الى الخليفة عبد الله المأمون بعلمه بما جرى .

فاسمعوا الأن ايضاً كان أسقف على كرسى تنيس اسمه اسحق وكان شعبه قد سعى به دفعات بكلام ردى وقالوا للأب يوساب اذا لم تقطع هذا الأسقف وتزله عنا والا خرجنا من دين الارثدكسية وكان ايضاً بمصر أسقف اخر اسمه تادروس قد ذكر شعبه عنه مثل هذا وكتبوا الى البطرك المصريون يقولون له ان لم تقطعه وتبعده عنا والا رجمناه وقتلناه فلما نظر البطرك القديس قيام الشعب حزن جداً وقلق وقال ما الذى أصنع فى هذا البلأ وكان يدعو ويقول يارب ثبت شعبك لرعاتهم ولا تدع فى ايامى بغضاً ولم يفتر من مكاتبة الشعب الى تنيس ومصر المدينتين ويقول من قول بولس ماتفرحون انتم اذا اتللنا نحن وتكونون انتم اقوياء هذا الذى أدعوه من أجلكم

لتخلصوا وأكاتبكم به ولا أحضر عندكم كأنى حاضر عندكم ولا أصنع حرماً ومنعاً كما أمرنى الرب ان أبى ولا أهدم وبقى الشعب متمادين على فعلهم يقولون بقول واحد ولا يتغيرون عنه انه ان لم ينتطع هذان الأسقفان والا فما بقى منا انسان واحد فى الأمانة الأرثدكسية بل نعود الى المخالفين وانت المطالب عنا فلما سمع هذا أسرع الى تنيس وسألهم ان يعودوا من غضبهما فلم يفعلوا بل زادوا فى غضبهم وكذلك مدينة مصر أيضاً مع أسقفهم فلما رأى ذلك انفذ واجمع الأساقفة من كل موضع وعرفهم الخبر وقال لهم انا برئ من هذا واتنم اخيراً نكتب ونمنع الأساقفين اسحق أسقف تنيس وتادرس أسقف مصر وحطوهما عن كرامهما وأبعدوهما عن الأسقفية ولم ينخل أبونا الرحوم من دوام الصلاة وسكب الدموع الغزيرة والتنثد على قطع هذين الأسقفين .

وكان الأفشين بمصر ينتظر جواب ما كتب به الى المأمون بسبب أهل البشمور وكان المأمون رجلاً حكيماً فى فعله ويبحث عن مذهبنا ويجلس عنده قوم حكماء يفسرون له كتباً وبهذا الحكم كان محباً للنصارى فجاء الى مصر وجمع جيشه وأستصحب معه البطرك ديونوسيوس بطرك انطاكية فلما علم الأب البطرك انبا يوساب بوصول المأمون وصحبته بطرك انطاكية جمع الأساقفة وسار الى فسطاط مصر ليسلم عليه كما يجب للملوك فلما نظر الأب ديونوسيوس الأب أنبا يوساب فرح فرحاً عظيماً روحانياً وكان هذا تدبيراً من الله كما بدأت وقلت انه ما قدر ان ينفذ السنوديقا الى ديونوسيوس وكان له منزله عند عبد الله المأمون فلما عرفوه بوصول أنبا يوساب تقدم بدخوله اليه فلما حضر عنده قبله بفرح بنعمة الله الحالة عليه ثم عرفه أنبا ديونوسيوس ان أبانا لم يتأخر عن مكاتبه البشموريين واردعهم ان لا يقاوموا امرك ففرح المأمون بهذا الأمر ثم قال للبطرك أنبا يوساب هو ذا أمرك انت ورفيقك البطرك ديونوسيوس ان تمضيا الى هؤلاء القوم وتردعاهم كما يجب فى ناموسكما ليرجعوا عن خلافهم ويطيعوا أمرى فان أجابوا فانا أفعل معهم الخير فى كلما يطلبونه منى وان تمادوا على الخلاف فنحن برئون من دمائهم .

ففعل أبونا البطركان وسار الى البشموريين وسالاهم ثم نصحهم ووبخاهم ليتخلوا عن أفعالهم فلم يجيبوا ولا قبلوا سؤالهما فعادا وأعلما المأمون بذلك فامر حينئذ المأمون الأفشين الأمير بأن يسير اليهم بعسكره وان يقاتل البشموريين فلم يقدر عليهم لتحصين مواضعهم بالمياه ومواضعهم تسمى التنفير بل كانوا يقتلون من عسكر الأفشين كل يوم جماعة فلما اتصل الخبر بالمأمون سار بجيشه وانحدر الى هناك وأمر ان يحشدوا جميع من يعرف طرق البشمورتين من أُهل المدن والقرى المجاورة لهم ومن كل الأماكن ومن أهل تندا وشبرا سنبوط الذين يعرفون طرق تلك الأماكن وكانت العساكر تتبعهم الى ان سلموا لهم البشموريين فهلكوهم وقتلوهم بالسيف بغير أهمال ونهبوهم وأخرجوا مساكنهم واحرقوها بالنار وهدموا بيعهم وتم عليهم قول داءود النبى فى المزمور [1] اسلم قوتهم للسبى ومالهم لأعدائهم واسلم شعبه للسيف ولم يشفق على ميراثه ولما نظر المأمون كثرة القتلى أمر العسكر أن ترفع السيف والذى بقى منهم أسره الى مدينة بغذاذ من الرجال والنساء .

فسأل الأب البطرك أنبا ديونوسيوس أى شئ كان السبب فى نفاق هؤلاء القوم فعرفوه انه بسبب ظلم متوليي الخراج لهم أولا فتوجع قلبه على هلاكهم وتقدم إلى المأمون وقال له لمنزلته عنده وكان مع المأمون اخوة المسمى ابرهيم الذى ملك بعده وقال له السبب فى نفاقهم ظلم متوليى الخراج لهم وعتتهما واعتابهما فلما سمع منه هذا قال له أعف نفسك ولا تقم بمصر بعد هذه الساعة ان سمع اخى ابرهيم فهو يقتلك لأن حياة الخراج كانوا من عنده فما سع الأ ديونوسيوس هذا خرج وهو قلق وودع الأب أنبا يوسا بوقال له ما يمكن ان اقيم ساعة واحدة بمصر واستعلم منه الخبر فاعاده عليه وودعه وهو باك فلما سع ابرهيم هذا اقيم ساعة واحدة بمصر واستعلم منه الخبر فاعاده عليه بمسيره الى بلدة فغضب جداً وتمكن الغضب منه اياماً كثيرة ولما توفى المأمون وجلس ابرهيم أخوه هرب البطرك ديونوسيوس ولم يقم بانطاكية ولا بأعمالها حتى عاهده أنه لا يقتله فلما عاد الملك ابرهيم ايضاً الى مصر وخرج البطرك ودعه كما يجب عليه للملوك ووصل اليها واقام بها .

(١) مزمور ٧٧

وكان الأب البطرك أنبا يوساب بمصر فنظر الى ذلك الأرخن اسحق الذى كان طلب البطركية وهو متقد ناراً بسبب سخرة الأسكندرانيين به والأساقفة وعند اجتماعه به وتلقائه بشر كعادته مع كل أحد يكلمه بكلام لين ليؤنسه من افكاره المقلقة ثم دبر أمر الحكمة ليطيب نفسه فقال له ياسيدى اسحق انا مشتاق اليك واودك جداً وأريد ان تكون عديل نفسى واحد ان تكون تنوب عنى فى جميع اشيائى ويكون معك خاتم البطركية ليعلم كل أحد انك المدبر لى فى جميع الأمور البيعية والسلطانية فلما سمع منه هذا فرح جدا وطاب قلبه فقال لأبينا البطرك وبين يديك فى كلما تأمرنى به ولما حضروا فى بيعة السيدة بمصر فى قصر الشمع يوم عيد الشعانين وسم الأرخن اسحق شماساً وكان فى البيعة جمع كثير فى ذلك اليوم لا يحصى عدده .

فحضر المبغض للخير الشيطان وأثار بلأ عظيماً ودخل فى الأسقفين المقطوعين وجعلهما له وعاءين فمضيا الى الأفشين الامير من قبل الملك وقالا له قد اسلم الله اليك اعداءك واعداء الملك وافنيتهم ويجب ان لا تبقى احداً ممن كان سبب نفاقهم فقال لهما ومن هو الذى أحوجهم للتفاق على الملك فقالا له البطرك يوساب فعل ذلك واراد بذلك حتى ان يقتله وهو ذا هو مجتمع تفى البيعة ومعه جمع كثير ما يخالفونه وكلما فعل بأمره حتى لحق الملك ولحق الأمير حفظه الله التعب العظيم ووقت دخول الأسقفين الى الأقشين كان سكران فامتلأ غيظاً وأنفذ أخاه الى البيعة ومعه جمعاً كثيراً ليحضر اليه الأب البطرك ليقتله وكان يمشى أمامهم اسحق الذى كان أسقف تنيس مثل يهودا الاسخريوطى الذى اسلم السيد المسيح لليهود فدخل الى الهيكل واوماً بأصبعه الى البطرك لكى يعرفهم به ليأخذوه فجرد اخو الأقشين سيفه ليأخذ رأي البطرك فعند ذلك مالت يده فوقع السيف فى عمود رخام وانكسر فازداد غضباً وكان فى وسطه سكين فاخدها من وسطه واوما بها الى جنب البطرك ليقتله فيا لعظم تلك الأعجوبة فى تلك الساعة عند كل أحد التى اظهرها الله فى قديسيه لما ضربه بالسكين قطعت الثياب التى عليه وانتهت الى المنطقة التى وفى وسطه فقطعتها ولم جسده شئ بالجملة فتبلبل جميع الشعب الذى فى البيعة وكثر صياحهم وظنوا انه قد مات فلما نظر ذلك المشتمل بالأعمال الصالحة ورأى قلق الشعب واضطرابه أوما بيده اليهم وقال لهم لا تقلقوا فلما

علموا انه حتى فرحوا فرحاً عظيماً ومجدوا الله وعدو اليه لينظروا ما لحقه فوجدوه سالماً ولم يقطع غير الثياب والمنطقة فسبحوا الله وصرخوا قائلين كقول داءود النبى الرب يحفظ أصفياءه الرب يحفظ الأبرار وينجيهم من يد الخطأة وشكروا الله عى خلاصه وقالوا لولا ان الرب نجاه كانت نفسى تكون فى الجحيم وان قلت ان رجلى زلت فرحمتك يارب أعانتنى ولكثرة أوجاع قلبى افرحنى .

فلما نظر أخو الأقشين هذه الأعجوبة وعلم ان الرب معه أخذه ليمضى به الى اخيه كما أمره وفيما هم يجبذونه ليخرجوه والشعب متعلق به فقال لهم لا تمسكونى فما نحن للسلطان فخرج والشعب يتبعونه باكين يسجدون على رجليه ويديه ويظنون انه يقتل فلما نظرهم أخو الأمير يمسكونه غضب جداً ورفع يده وضربه بمقرعة على راسه فاخرجت عيناه ودخل الى القشين فخاطبه بما ينبغى وبما قالوه عنه الأساقفة وسعوا به فقال له بنعمة الله أمر الأسقفين أمر عجيب وذلك انى قطعتها عن أسقفيتهما والسبب فى ذلك فيعلم الأقشين الخبر وبطلان قولهما عليه ولم يصح شئ مما ذكروه عنه ثم أعلمه سبب قطعهما لقيام شعبهما عليهما فعلم الأفشين الحق وبطلان قولهما عنه وبدأ ان يقول البلايا عليهما وقال للحاظرين لقد اراد هذان الرجلان ان يكسبانى خطيئة عظيمة واقتل أبا النصارى جميعاً فلما نظر القديس ان لأنتقام يحل بهما بسببه قال له مذهبى يأمرنى بفعل الخير مع من يعمل معى الشر والذى سعيا به هذان قد طرح الله فى قلبك الصحيح فاسئلك ان تفعل معهما خيراً برئاستك واتركهما كرامة لله فلما نظر فعله تعجب واطلق الأسقفين فمجد الشعب الله وشكروه وقالوا انه مستحق المجد لأقامته هذا الأب القديس العامل بوصاياه علينا وقدماً ولما علم المأمون الخبر من الواردين عليه أمر ان يكتب له سجل بكرامته ورعايته ان لا يعترضه احد فى احكامه ولا فى من يوسمه أو يقطعه ثم بعد ذلك أمر المأمون ان يطلب من بقى من البشموريين بكورة مصر وان يسيروا الى بغداد فسيروا واقاموا فى الجبوس مدة كبيرة حتى اراد الله خلاصهم من يد ابرهيم الملك بعد أخيه فمنهم من رجع الى بلده ومنهم من بقى هناك بغداد وانشؤوا بساتين وأقاموا هناك الى اليوم وهم الى اليوم يسمون أهل البشروديين .

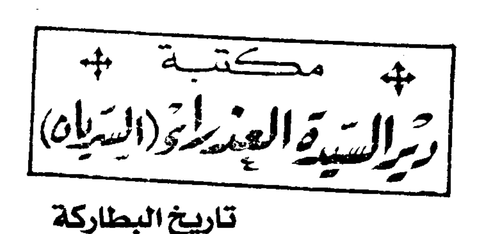
ثم بعد ذل اراد الأب يوساب ان يوسم أسقفين بمصر وتنيس عواضاً من المقطوعين ليتم قول السليح بولس وأعظم ما على الأهتمام بالبيع فاما اسحق الأرخن الذى صيره شماساً ونائباً عنه أوسمه أسقفاً على وسيم وأوسم انساناً اسمه ديمتريوس على تنيس وبقى فسطاط مصر بغير أسقف وبقى أسقف وسيم مدبر كرسى مصر وجعل سلطانه عليه ولم يكن احد يقدر ان يقاومه بقوة كلامه عند الولاة وعند اخوته وجماعته وبقى على الكرسين الى يوم وفاته .

فلما افاق البطرك قليلاً أهتم بأمر الحبشة والنوبة وانفذ اليهم كتباً وتفقدهم وتفقد بيعهم ولم يتمكن لخلف الملوك مع ولاة مصر المسلمين وكان يطلب الى الله ان تكون السلامة بينهم ليبلغ غرضه فى عمارة المواضع التى للأب البشير مارى مرقس فسمع الله دعاءه وأجاب لطبته وكان الحرب قد اقام أربع عشرة سنة بينهم الى ان ملك ابرهيم اخو المأمون وجعل حفظة على طريق الحبشة والنوبة وكان الملك على النوبة زكرياء فانفذ يقول له ان كنت تفعل كما كان يفعل غيرك من الملوك فانفذ خراج اربع عشرة سنة سلفت والا نحن نحاربك وكان كاتب الوالى فى الصعيد انسان شماس اسمه جرجة فكتب الى البطرك يعرفه ما صدرت به كتب الملك ابرهم فلما سع هذا البطرك مجد الله وفرح وقال هذه الوسيلة لأكتب ايضاً بما يتعلق البيعة الى الملوك فكتب كتباً متضعفه ما يحب من نعمة روح القدس يسلم عليهم ويفخمهم ويوجدهم ما يفعلونه معه ملوك المسلمين من الجميل لما أجلسه الرب على الكرسى الجليل المقدس ويقول وأنا غير مستحق لذلك وكنت مشتاقاً الى أخباركم وكانت خطيئتى تمتعنى الا أكاتبكم لأجل الحروب التى كانت بارض مصر ومخالفة أهل البشرودنيين لأوامر الملك الى ان تتقتلهم واخرب مواضعهم وهدم بيعهم فوجدنا الوسيلة بهذه المكاتبة ان نعلمكم ما جرى ويجب الأن يا أحبائى ان تسموا مايجب عليكم لهؤلاء الملوك وان كان لا يجب ان نأمركم بشئ من هذا فقد قاسيت عذاباً من اخوتى كما قاسى يوسف بن يعقوب من أخوته ويجب الأن ان تطلبوا ان السلامة تكون بينكم يا محبى الله وتصير السلامة فى البيعة من أجلكم وهذه الرسالة انفذها الى الوالى الذى فى المعدن باسوان لينفذها فلما وصلت

الكتب الى زكرياء الملك وقرئت عليه قال ما الذى أصنع فى ما التمس منى الملك من يجمع لى بقط اربع عشرة سنة انفساً انفذهم اليه ولا أتمكن من مقارقة كرسى لئلا يملكوا البربر المخالفون تلى ويجب ان انفذ ابنى اليه فاحضر ولده الأكبر وكان اسمه جرجة وضرب بالبوق وجعل منادياً ينادى ان الملك له بعدى ثم انفذه الى مصر بصحبه الرسل الواصلين من مصر مع هدايا أعدها .

ولما وصل الى مصر أجتمع به الأب المغبوط أنبا يوساب فلما نظر اليه جرجة بن زكرياء الملك فرح فرحاً عظيماً وسجد بين يديه فبارك عليه البطرك وأعاد عليه بعض ما جرى عليه ليقيم عذرء فى تاخر كتبه عن مملكتهم فقال له جرجة مبارك الرب الذى لم يفعل معنا مثل خطايانا لكن خطيئتنا الى الأن وقدسك الذى جعلنى مستحقاأ ان اقبل يديك المقدستين ايها السراج المضئ لجميع المسكونة وللارثدكسيين وبدأ ان يمشى فى الطريق الى بغداد وسأله ان يدعو له ان يعيده الله اليه بسلام فوصل الى بغداد مدينة الملك فقبله الملك بفرح وقال له قد وهب الله ذلك بقط جميع ما مضى من السنين لأجل حضورك الى عندى وطاعتك لى واقام عنده اياماً كثيرة مكرماً ثم سرحه بكرامات كثيره ذهب وفضة وملبوس وأنفذ صحبته عسكراً لكى يوصلوه الى بلاده بسلام

فما وصل الى مصر ومن معه بمجد عظيم وتبخيل وصليب ذهب بيده يقبله كل واحد لموضع اكرام الملك له وسأل أبانا البطرك ان يحمل هيكلاً مكرزاً معمولاً من حسب بيفصل ويتركب الى داخل قصر الملك حيث كان نازلاً فيه وكانوا معه اساقفة من بلاده يقدسون له فيتقرب ابن الملك وكلمن معه وأمر بضرب الناقوس فوق السطوح التى للقصر فى وقت القداس كما يفعل فى البيع فتعجب كل احد من هذا وفرح جميع النصارى بهذا ومجدوا الله على ما أظهره بصلاة هذا القديس الأب البطرك وفى أيامه سافر ابن الملك المذكور واخذ فى هيئة المسير فمشى معه ابونا البطرك الى موضع يعرف ببولاق بمجد عظيم وتعزى بذلك الأب عما جرى عليه من التجارب ومن لا يتعجب اذا سمع هذه العجائب وهو ان كل بطرك يجلس على هذ الكرسى المقدس يصرف اهتمامه الى ثلثة اقسام الأهتمام بسنوديقا الى بطرك انطاكية والثانى أمرنا الذى يتعلق



بالحبشة والنوبة والثالث تنجز سجلات من ملك مصر له للأساقفة ليستقيم أمر البيع الارثدكسية فجمع الله لأبينا البطرك أنبا يوساب هذه الثلثة اقسام بالمشاهدة ووصول الملك المأمون من بلاده ووصول أخيه ديونوسيوس بطرك انطاكية ومشاهدته له ووصول ابن ملك النوبة كما ذكرنا واستقامة الامور ونظره المجد العظيم بالحقيقة كما قال داؤود النبى ان تسجد له كل الأمم .

وفعل له عجباً اخد حتى كمل الله له جميع ما طلبه حتى بتمجد كرسى الأب الجليل مارى مرقس البشير بركات صلواته تحفظنا كان فى ذلك الزمان أسقف اسمه يوحنا وكان الأب أنبا يعقوب قد وسمه لبلاد الحبشة وكان ملك الحبشة قد خرج فى حرب فعمدوا أهل البلاد فاخرجوا الأسقف واقاموا اسقفاً باختيارهم بخلاف القانون فعاد المذكور الى مصر ونزل فى دير برموس بوادى هبيب لأنه كان ترهب فيه أولا والرب محب البشر الذى يريد خلاصهم ويردهم الى معرفة الحق لم يجعل تلك الكورة ومن فيها ان يقيموا على الخلاف الذى فعلوه لكن اثار عليهم الكرسى الانجيلى دفعة اخرى ليظهر على الرب عجائبه هكذا فانزل عليهم وباء وفناء عظيماً وعلى بهائمهم وجعل ملكهم مغلوباً من كلمن يقاومه ويقتل أصحابه فلما عاد من الحرب لحقه حزن عظيم ولم يعلم بما جرى على الأسقف ولا كيف انفوه من بلدهم وكانت الملكة التى فعلت هذا كما فعلت أوضوكسية ذلك الزمان مع يوحنا فم الذهب فلما علم الملك بذلك اسرع وكتب الى الراعى الصالح أنبا يوساب يقول له انا أسجد للكرسى الانجيلى الذى استحقت ابوتك الجلوس عليه وبنعمته ملكى والان تفان قوماً من كورتى ضلوا عن نور الكرسى المقدس وجعلوا ارجلهم فى الطريق المملوءة شوكاً لما اخرجوا خليفتك فانزل الرب مجازاة ذلك على رؤوسنا فاذاقنا عنه الأنتقام بموت الناس والبهائم بالوباء ومنع السماء من المطر علينا والأن يا أبانا القديس فاغفل عن جهلنا وأنفذ الينا من يدعو الى الله فينا ويصلى عنا خلص بصلواتك المسموعة لما وقف الأب على الكتب فرح بامانته وانفذ سرعة وأحضر ذلك الأسقف من دير برموس وعزاه وثبته وسيره اليهم وانفذ معه قوماً مأمونين لأجل الطريق ودفع له ما يتسفر به وما يكفيه وشبعهم وهو

يبارك عليهم ليسهل الله طريقهم فسمع الله له ووصلوا الى الملك المحب ففرح بهم وكلمن فى كورته فرمى الشيطان عدو السلامة فى قوم من أهل تلك الكورة الى ان وقفوا للملك وقالوا له نحن نطلب من أمرك ان تأمر هذا الأسقف ان يحسن لأن كلمن فى كور مختنون سواه ومن قوة فعل الشيطان طاب قلب الملك بهذا ان يؤخذ ذلك الشيخ الأسقف ويختن والا فيعود الى المكان الذى جاء منه فلما ذكر صعوبة الطريق التى سلكها فى مضيه وعودته ثم ما يلقاه ايضاً خاف من صعوبة الطريق فى البر والبحر فقال أنا أفعل هذا لخلاص الأنفس التى اقامنى الرب راعياً لهم بغير استحقاقى والأن فقد قال بولس الرسول ووصانا وقال اذا دعى احد بغير ختان فلا يختن فلما ساعدهم على ذلك أظهر الله فيه أمراً عجيباً بما قد كتب به الى أبينا البطرك وأنبا يوساب وهو انه لما مسكوه ليختنوه وكشفوا عنه فوجدوا علامة الختان فيه كانا مختون من ثامن يوم من ولادته واقسم فى كتابه انه لم يعرف هذا قط الا ذلك اليوم وطاب قلب الملك وأهل الكورة وفرحوا فرحاً تعظيماً بهذه الأعجوبة وقبلوه بفرح .

ولما وصلت الكتب الى البطرك بذلك فرح كثيراً لعودة هؤلاء الضالين الى راعيهم وبالاعجوبة التى ظهرت قائلاً مبارك الرب الذى رد سبى شعبه وانقذهم من يد العدو ولم يجعلهم فى الضلالة الى الأبد ومن كثرة اهتمام هذا الراعى الصالح وبذله نفسه عن خرافه أصلح أساقفة كثيراً وانفذهم الى كل موضع من كرسى مارى مرقس الانجيلى وهى افريقية والخمس مدن والقيروان واترابولس وكوره مصر والحبشة والنوبة لأنه قال اذا لم يكن الرعاه كثيراً لحفظ الرعية والا هلكت فما اغفل عنها لئلا يضيع منها شئ أو يهلك ولو واحد كنت مطلوباً به من المسيح فلأى شئ اقامنى الا لحفظ قطيعه من السبع القائم يطلب غفلة الراعى ليخطف ويفترس ويهلك ثم اقول ايضاً أمام الرب ان الذين اسلمتهم لى لم يهلك منهم ولا واحد وفيما هو فى ذلك تحرك العدو المناصب ليقيم عليه بلايا واحزاناً والرب كان مع هذا الأنسان الأب القديس يخلصه فى كل حين ويريه ضعف اعدائه وأعداء البيعة يوماً بعد يوم كقول الرب الذى قال ابواب الجحيم لا تقهر بيعتى ولما كان فى ذلك الزمان انفذ الملك ابرهيم الى مصر ان توخذ من البيع فى

كل مكان العمد والرخام وكان الواصل في هذا الطلب انساناً مخالفاً مبغضاً من النسطورية اسمه العازر فلما وصل الى مصر أجتمع اليه أهل مدهبه النجس الذين هم الهراطقة الخلقدونيون المقيمونَ بالأسكندرية ولم يزالوا يسعون بالبيع ليلاً ونهاراً وحسنوا له ان يهدم بيع مدينة الأسكندرية وكانوا يدلونه على المواضع التى فيها العمد والبلاط فيأخذهم غصباً بيده فما اخرجوه الى بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط من كثرة حسدهم لها وقالوا له ليس يشبهها شئ من البيع وانت كلما توجهت لطلبه تجده فيها فقام ذلك النسطورى مسرعاً بمشورة السعاة ودخل الى بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط فلما نظر اليها والى زينتها وحسن ما فيها من العمد والرخام الملون تعجب وبهت وقال هذا الذى يحتاج اليه الملك هذا هاهنا ولم اعلم به فلما سمع ابونا انبا يوساب البطرك ان ذلك الأنسان السوء لم يمنع يده لما فى قلبه من السوء والبغضة وما لقوه المخالفون فقال له هو ذا كل البيع التى بحكمى بين يديك فافعل فيها ما أمرك به الملك وهذه البيعة فقط احب منك الا تعترضها ومهما التمسه منى سلمته اليك فلم يقبل المخالف قوله ولا سؤاله بل يجاوبه مواجهة بما لا يجب ثم بدأ واخرج من البيعة الرخام الملون والبلاط المعدوم الذى هو قئم من كل لون وليس له نظير ولا يعرف له ثمن فلما وصل الرخام الى مدينة الأسكندرية لينفذوه الى مدينة الملك فحزن الأب حزناً عظيماً على البيعة وقال انا اعلم انك تقدر ايها الشهيد القديس ان تأخذ حقك من هذا المخالف الذى لم يوقر بيتك الذى هو عزاء لجميع المؤمنين ولم يفتر الليل والنهار من هذا الحزن للذى حل بهذه البيعة المقدسة وكان مهتماً بعمارتها بسرعة وانفذ احضر صفائح مزوقة من مصر والأسكندرية وبدأ ان يعمر المواضع التى قلع منها البلاط بكل زينة حسنة حتى ان كل من يشاهدها ما يعلم ان قد مضى منها شئ .

وفى تلك الأيام والعازر المخالف بالاسكندرية تم عليه القول المكتوب من الذى قاوم الرب فخلص فضربه الرب عاجلاً بضربة هكذا وهو ان جسده تنفخ واحشاؤه بالمرض المسمى الأستسقاء وتغير لون وجهه وبقى مطروحاً لا يقدر ان يرفع رأسه وكان قد ناله فقر عظيم حتى انه ما وجد من يقوم بقوت نفسه ودوابه أو يتداوى به فسأل الأب

البطرك فيما ينفقه على نفسه وان يصلى عليه ففعل الأب هذا كالمكتوب الذى هو ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقيه وكان الوجع يتزايد عليه وهو مطروح وكل من يشاهده يمجد الله وشهيده مارى مينا ويعطى الطوبى للراعى الصالح لأنه كان يعمل الخير مع كل من يسئ اليه وصار لسان الأب كالسيف القاط فمن لا يتعجب من سماع فضائل هذا الأب القديس السعيد أنبا يوساب وايه عجباً اخر اسمعوا يا أحبائى لهذا الأب كان بالاسكندرية رجل مخالف من الخلقدونيين غنى جداً وكان له سواق فلما خرج فى بعض كرومه بظاهر الأسكندرية رأى ساقية مكسورة فالتمس نجاراً وكان شيخ قس نجار فقال له الخلقدونى تقوم تمضى معى لتعمل لى الساقية فقال له القس اليوم يوم الجمعة العظيم وما أعمل شيئاً لأنه يوم صلب فيه كلمة الله مخلص العالم فاجابه الملعون الهراطقى وفتح فاه المخالف وجدف على الله الكلمة وقال ما لا يجب ذكره فوبخه الشيخ القس ومضى وتركه وكان أبونا البطرك فى البرية بوادى هبيب بعيد فى الدير عيد الفصح ويكمل عيد قيامة المسيح ولما عاد الى الأسكندرية حكى له الشيخ القس ما جرى من تجديف على المسيح الأهى وقال ايضاً كما قال داءود عدو افترى على الرب وشعبه جاهل اغضب اسمك يا لهذه الأعجوبة العظيمة عند ذلك صار المخالف اخرس لا يتكا وانفلج الى يوم وفاته وكل من شاهد هذا من الأسكندرانيين المخالفين صار فى خو عظيم حتى ان رئيسهم غير البطرك المسمى صفرون صار له فى أبينا اعتقاد واما وكان يجئ اليه عده دفوع فيتضع له ويسلم عليه .

وفى سابع سنة من بعد تقدمته وهى سنة خمس مائة وأربع وخمسين للشهداء الله علامة عظيمة فى السماء وظهر نجم عظيم فى المشرق وينتهى الى المغرب مثل السيف الذى يلمع واقام اياماً كثيرة وكانوا الناس يقولون ما راينا مثل هذا قط فما عسى يكون من هذا النجم وبعد ايام جاء وباء عظيم على البهائم وكانت الدواب تموت للوقت فى الغيطان وفى سائر المواضع الى ان لم يبق لأحد من أهل مصر دابة ولم يجد ما يعملون عليه أعمالهم ولا يقدر أحد ان يمشى فى الأزقة الا بعد ان يسد انفه من كثرة جيف الدواب حتى ان الزرع انقطع وقلت الثمرة وكانت أرض مصر فى حزن عظيم ثم

عاد الوباء على الناس وقنوا مثل البهائم كما قال داءود عن أهل مصر انه لم يوفرهم من الموت ولا دوانهم وكان أبونا لا يفتر من البكاء على الناس والبهائم ويطلب من الله بدموع ويقول يارب لقد حولت وجهك عن شعبك لأجل ذنوبي ولا تفعل معهم مثل أثامي وادركهم عاجلاً برحمتك وخلص شعبك وحدد وجه الأرض الهم محب البشر فسمع الله صلاة عبده وتقل غضبه الى سلامة على الناس والبهائم وعرفهم انه القادر على كل شئ وكثرت الناس فى ارض مصر والبهائم ونسوا ما كان حتى البهائم كانت تلد زوجاً زوجاً حتى صار الناس والبهائم كأن لم يمت أحد ولا هلك شئ منهم .

أريد ان أذكر لكم شيئاً من جهاد هذا الأب وتبعه الذى تعبه لكى سمعوا وتمجدوا الله الذى صنع مع هذا الأب عجائبه وخلصه من احزانه وشدائده فلما تنيح أنبا اسحاق أسقف وسيم الذى كان تمسك كرسى مصر وهو تالذى كان يطلب أولا البطركية قدم عوضه بنة الشماس بسؤال رؤساء مصر وقدم على كرسى وسيم اخر من أولاده اسمه بقيرة وتنيح بعد أيام قلائل وكان ولد لأسحاق المسيح اسمه تاودرس وهو الاسم المتفق لثلثة اساقفة جلسوا على كرسى مصر وهذا كان يطلب كرسى وسيم وما يرضى به الشعب ولم الأب ان يوسمه بغير اختيار الشعب وكان فى مصر فى ذلك الزمان والـ اسمه على ابن يحيى الأرمنى من قبل أبى اسحاق ابرهيم المعتصم ابن هرون الرشيد اخى عبد الله المأمون فترك تاودرس خوف الله ومضى الى الوالى ووعده بمال لكى يقهر البطرك على ان يقيمه اسقفاً فارسل الوالى يسأل عن الأب البطرك ويسأل فيه وكان يقول انه لا يصير أسقفاً ابداً وقاوم الوالى وقال ما أتمكن من هذا فحنق عليه حنقاً عظيماً لأجل ما وعده به وبدأ ان يهدم بيع فسطاط مصر فاول ما ابتدأ جاء الى البيعة التى فى قصر الشمع التى تسمى المعلقة فهدموا اعلاها حتى وصلوا الى الأسطوان وكان الأب البطرك بحزن حزناً عظيماً ويقلق ويبكى بدموع مرة كما قال داءود النبى اياه الرب الاله اله القوات حتى متى تغضب على صلاة عبدك أطعمتنى خبزاً بدموعى وسقيتنى دموعاً وجعلتنى مقالة لمعارفى وهزو وطنزاً لأعدائى يارب الاه القوات ارجع يارب واضئ وجهك علينا فنخلص وكان يتنهد بتنهد عظيم بحزن قلب لأجل هدم البيعة

ان قوماً تقدموا الى الأب وقالوا له الى متى تمسك ولا تصلح هذا الأنسان اسقفاً حتى تهدم جميع البيع وقد نظر الله حرصك واجتهادك على الحق فاجعل مع هذا الذى جعل توكله على السلطان فيما طلبه والله يفتصل به وظلمه على رأسه ارانى بما قالوه الشعب ولم يتخل الوالى عن الغضب وطالب الأب بمال وقال ما أرفع الهدم عن البيع الا بثلثة الاف دينار فقلق الشعب ولاساقفة الحاضرون معه وقالوا يا ابانا لا يضق صدورك نحن تتقوم بهذا المال فقسطه علينا لتسلم البيع ولا يلحقها شئ فتقدموا الاراخنة الى الوالى وضمنوا له القيام بثلثة الاف دينار فهدأ غضبه وأمر بقسمة الأسقف فاقسمه الأب وقال من عمق قلبه على الوالى كما قال داءود النبى فى المزمور الخامس الأنسان الظالم يرذله الرب وهو يصنع حكم الفقراء وقال ايضاً الكلمة التى فى ناموس موسى فى يوم النقمة أجازيهم تفى يوم تزل اقدامهم وقال ايضاً فى يوم هلاكهم انا اجازيهم وادين الأعداء والمبغضين وكانت كل احد يعلم ان كلامه كالنبوة وكانوا يقولون ما ترى يكون بعد هذه النبوة ثم ان هذا الوالى بعد قليل ارسله السلطان الى بلاد الروم يغزو فيهم فسبى منهم واخذ بلاداً ثم عاد فارسله ثانى دفعة فخرج عليه قوم من الروم فقتلوه اشر قتله وجميع عسكره كما كان الأب قال من أجله وعند زوال التعب عن البيع وتجديد ما قد هدم منها واهتمام المؤمنين بها وعمارتها الى ان تصارت خيراً مما كانت أولاً وابهج لأن البيعة هى التى على الصخرة لا يقهر شئ وهى تقهر وتهلك من يعاندها كان تالأب يقول كما قال داءود النبى يارب من يشبهك اريتنا شدائد عظيمة ورجعت أحييتنا ومن عمق الأرض اصعدتنا وايضاً نزع الرب مسحى والبسنى سروراً وجعل نوحى الى فرح .

وكان أسقف مصر يلتمس من الأب البطرك زيادة تقدمة وكان انسان قاض بمصر اسمه محمد بن عبد الله وكان ذلك الرجل فى كلما يعانيه يرآءيه فيه وكان مخوفاً لا يقدر احد انت يقاوم كلامه لأنه كان عند جميع المسلمين مثل الفقيه والأمام وعارفاً بمذهبهم ويفعل أفعالاً مذمومة سراً وكان محباً لشراب النبيذ وسماع الغنى واقتنى الجوارى الحسان وأحب اللذة والزنا بلا خوف من اللهولا حياء من الناس كقول الانجيل

مثله وكان الله يصبر عليه ويمهله ويزيده يوماً مقداره الف سنة وهو مستمر على جهله وشتمه لأهل هذا المذهب الارثذكسى وغيره من مذاهب المسيح ويحلف عليه ففاتح الأب البطرك عدة دفعات ويخزى عليه فانزل الله فعله على هامته كقول داءود فى المزمور أفض غضبك على الأمة التى لا تعرفك فلما نظر بنة اسقف مصر قوة القاضى ومكانته من الوالى وامراء المسلمين صادقه لكى يفعل بما يهواه ولا يقاومه أحد فى حكمة مثله فى المسلمين فيما يحكم به صحيحاً كان أو خطاء ام محالاً والأب أنبا يوساب ما كان يفتر عن الجهاد فى الحق ويقول انا اتوكل على الله فلا يخاف الا من الله الذى خلقه والبطرك قد عرف ما صار بين الا سقف والقاضى فبدأ القاضى انت يتفكر ما ذا يفعل البطرك من السوء فامر القاضى فى بعض الأيام باحضار الأب البطرك وكان عنده اساقفة يومئذ وهم مساعدون لبنة اسقف مصر واسماؤهم انبا بخوم اسقف بسطة [١] وجرجة اسقف طحا[٢] وجوجة أيضاً اسقف اهناس[٣] وزخارياء اسقف البحيرة ومينا اسقف البهنسا [٤]وقوم اخرون فقال القاضى للبطرك عند حضوره اليه ممن جعل لك السلطان ان تكون رئيساً على جميع النصارى فقال له البطرك الله ثم التفت القاضى الى الأساقفة المذكورين واسقف مصر معهم وقال لهم لا تسمعوا من هذا البطرك من اليوم ولا تسموه اباً بل اجعلوا لكم هذا اباً يعنى بنة اسقف مصر ويكون مقدمكم فاجابوه الأساقفة هذا الجيد ما قلت ايها القاضى يكون ما امرت به وكان ذلك بتقرير منهم مع القاضى ووعدوه بمال يدفعونه اليه فقال زخرياء اسقف البحيرة لأبينا البطرك ماقد قلت لك بالامس لا تمنع الأسقف انبا بنة يعنى اسقف مصر لا يعمل جميع ما يهواه بأمر القاضى فاجابه أبونا القديس أنبا يوساب وقال له بصوت مملوء خوفاً بالقبطى يا غير فهمين كيف ضللتم هذه الضلالة كيف قبلتم هذا الكلام الذى ليس له كمال لكن حق ماتنبأ به عليكم بولس الرسول وأضهر جهلكم لما قال أنا لم نفعل حق الله يفهم ان نتوب من ذاتنا ولم تطيعوا حق الله وكان قوم من الفقهاء جلوساً عند القاضى ومنهم من يفهم لغة القبطى وكانوا يميزون قوة كلام البطرك وما يخاطب به

(١) تل بسطه قرب الزقازيق (٢) قرب سمالوط (٣) اهناسيا مركز بنى سويف (٤) البهنسا مركز بنى مزار

الأساقفة فاعادوا القاضى جميع ما قاله البطرك فلما سمع غضب وقال للأب انت تظن ان امرى لا يتم فقال له أبونا بصوت متضع هل لك ان تقدر ان تجعل يدك على الشمس وتستر ضوءها فان تكنت تقدر ان تفعل هذا فانت تستطيع ان تفعل ما قلت أو تقدر ان تقاوم الله وأمر مولاى الملك الذى انت من قبله وقد قلت انفاً ان تقدمتى من الله ليس من انسان والان معى سجل من الملك بتقوية يدى وانت هو ذا تقول هذا الكلام لهؤلاء الأساقفة الذين ليس لهم على سلطانى بل سلطانى عليهم من الله والملك وانفاذ حكمى فى شعبى ورعيتى ولى ان اقطع كل من حاد عن الطريق المستقيمة وانيه فلما سمع القاضى هذا منه قال له كان بيدك سجل من الملك ان تفعل ما تريد فقال له أبونا نعم قال له القاضى احضره التى لأقرأه وكان له سجلات من الملوك من المأمون عبد الله بن هرون الرشيد عند وصوله الى مصر ومن ابرهيم اخيه ولما ولى هرون الواثق ولد ابرهيم سألوه فى تجيد سجل لأبينا فكتب له وهرون الواثق هو الذى ولى هذا القاضى مصر فسلم اليه ابونا السجلات ووقف عليهن وعلم منهن ثبات من يرشد ممن يحيد عن الواجب والطريق المستقيمة وخزى القاضى واستضح وامر ابانا بالانصراف مكرماً فعجب كل الحاضرين وكان جماعة من الأساقفة لا يرضون بهذا وهم مطيعون له واسماؤهم مينا اسقف طانة وسنودة اسقف صا وبقية الأساقفة وكان يدفع لهم ثمرة سفتيه فيدعو لهم ويباركهم وكانت الأب البطرك يقول عن الأساقفة الذين خالفوه يارب لا تحسب عليهم خطيئة .

ثم ان الشيطان جاب عليه تجربة اخرى وهى ان الأب انبا يوساب كان رحوماً لا يريد هلاك احد من الناس فجعل الشيطان فى قلب القاضى الظالم الذى قد صار له وعاء ان يأخذ غلمان البطرك من الروح والحبش الذين هم دون البلوغ ويستسلمهم وكانوا كثير من الناس لهذا السنبب يرفعون بعضهم على بعض بسبب الغلمان الذين عندهم ويأخذهم القاضى يردهم الى دين الأسلام تحت القلق والتهويل فقام بحبس مواليهم الى زمان ويصانعونه ويفرج عنهم واستقصى عن غلمان البطرك الروم الذين يهدون اليه من افريقية والخمس مدن والحبشة والنوبة وقالوا له ان له غلماناً

بالاسكندرية فى المكتب يتعلمون فانفذ أعوانه اليها مع اسقف مصر المقطوع واسمه بنة الذى تفسيره النار حتى دخل مدينة الأسكندرية الى الموضع الذى كانوا فيه الغلمان وأخذهم وساقهم كمثل الخراف الى الذبح وهم باكون بلا مغيث حتى جابوهم الى مصر وكانوا ثمنية نفر فلما رآهم قاضى الظلم فرح وقال هذا شئ يكيد البطرك ويحزنه فقال القاضى لأبينا البطرك لا يجوز لك ان تقاوم أمر الملوك وتدوس أوامرهم ولا يجوز ان تستعبد هؤلاء الصبيان وتنصرهم فقال له البطرك انا ما أقاوم أمر الملك ولا أقاوم كلمة صالحة بل ما كان من كلام الظلم قال له القاضى فانا ظالم كما تقول فقال له انت عارف بان كل من تقدمك ما كان يلزم مثل هؤلاء الذين هم نصارى أولاد نصارى باسلام لأنهم يقدمونهم للبيع هذايا وهؤلاء فمن عند ملك الحبشة والنوبة والروم جاؤونى هدية اهديت التى وكان القاضى مما ملكه الشيطان لا يسمع كقول داءود مثل الأفعى الصماء التى تسد اذنيها لا تسمع صوت الراقى فامر القاضى باحضار الصبيان قدام البطرك وخوفهم حتى اسلموا قدامه وأبونا حاضر ينصرهم فقال وهو باك الويل لى تجدد حزنى وحمى قلبى فى باصنى ونظرت اسقامى انفصلت منى اعضائى الأن يارب عرفنى تمامى لأن احزان الجحيم أحاطت بى فقال القاضى للأب ليس بقى بينك وبين هؤلاء معاملة فقد صاروا مسلمين خذ ثمنهم واتركهم أجاب الأب وقال له ان كان غرضك ان تشتعبد الأحرار فما لى انا فى هذا غرض لأن هؤلاء احرار وأعضاء من جسمى والله يدينك عنهم وتعطى عنهم جواباً من يدى الله الاه الكل فامر القاضى بقسمة الغلمان فاقتسموهم المسلمون فلما رأى الأب الرحوم هذا تنهذ وقال أمام الرب طلبت الدماء وذكرتهم لا تنس صوت الفقراء وقال اذلواشعبك وميراثك ضروا وقتلوا البتام« والغرباء وقالوا ان الله لا ينظر ولم يكن يفتر من البكاء والتنهد والنوح وكان يقول ان كل من يبغى هؤلاء الصبيان الرب يهلكه ويقول انا يارب انسان خاطئ لكن يارب تأتى على هذا القاضى الظالم بالانتقام عوضاً من فعله السوء وتتم عليه كلمة سليمان الحكيم ان يوم الأنتقام يهلك المنافقون وصبر الأب على هذا الحزن ويصلى ليلاً نهاراً ويقول يارب ليس من تأجل خطيئتى ترفض شعبك .

وكان فى زمانه قوم مؤمنون رهبان قديسون يدعون له بأن يرزق الصبر على ما يناله هذه التجارب وكان انسان تسائح من جعلتهم اسمه امونة فى دير أبى يحنس وانا هذا السائح فى جبل أرمون اعطى روح النبوة وكان يشفى جميع المرضى وشهد له جماعة ان له سلطاناً على الأرواح النجسة يخرجها من الناس وأنا الحقير العاجز حضرت عنده وخاطبنى بسبب البيعة وكان خصياً من بطن امه طاهراً لله وكان راهباً من طبائه فى دير أبى يحنس وفى زمان خراب البرية فى اخرسنى البطرك انبا مرقس وقد ذكرناه انفاً فالتجى هذا الراهب الى بيعة على اسم التلاميذ فى قرية وكان يظهر عجائب كثيراً من اشفاء الاعلاء واخراج الشياطين وحضرت انا الحقير عنده وكان يعلمنى الكتابة وذلك فى عاشر سنة من بطركية الأب أنبا يوساب كان هذا الشيخ القديس جالساً فى يوم من الأيام يقرأ فى سير البيع القديمة وما جرى على الأباء فى سابع عشر سيرة للبيعة فقلت له انا بسداجة ولا ادرى ما أقول ما هذا الذى يقول فقال لى بكلمة روح القدس ياأبنى طوبى لمن كتب وأهتم بسيرة البطاركة وقال لى ياأبنى صدقنى فيما أقوله لك انه لا يبتدئ أحد بثامن عشر تسيرة للبيعة حتى يأتى الذى اسمه ثمنية عشر وأنت الذى تهتم بكتابتها لأن الرب يدعوك فصرت كأننى فى غفلة ولم اقدر أن اسأله عن شئ اخر وكان هذا الشيخ قد اقام كل زمانه سائحاً وبارك على دفعات وقد أختصرت فيما كتبت وتركت كثيراً خوفاً ممن يقرأ فيما كتبته من خير هذا القديس الشيخ السائح وتركت سيرة الأباء وامسكت عن اخبارهم وقد شرح انبا سويرس اسقف سنبو فى بعض ميامره خبر هذا السائح .

فلنعد الأن الى مافعله الله على يد الأب البطرك انبا يوساب فأذكر أعجوبة وهى ان لما كان هذا الأب بمصر فى زمان قاضى الظلم الذى شرحنا حاله معه حضر عنده انسان نصرانى قال له انا يا أبى الروحانى تراءف على فان لى ولداً وقد اعتراه روح شيطان يعذبه منذ أيام كثيرة ثم انه يصرخ ويقول ما ازول عنه حتى يأمرنى انبا يوساب البطرك فارحم عبدك ولدى ايها الأب وكان الأب كثير التواضع قال للرجل بقلب نقى متواضع وأى شئ عملى انا ياولدى مع هؤلاء الذين ذكرتهم لكن بامانتك يخلص فاخذ

الرجل قوله بقبول مثل ما أخذ قائد المائة قول الزب الذى قال انى لا استحق ان تدخل سقف بيتى بل قل كلمة فقط فيبرأ فتاى كذلك هذا الانسان المؤمن لمت يعثر من السؤال اليه والتضرع قائلاً تراءف على يا أبى فقال له الأب ما ذا تريد ان افعله معك فقال له ما استحق ان تمشى معى ولا تدخل بيتى بل تكتب لى بيدك خطأ بأسمك لا غير يأمر الشيطان بالخروج من ولدى فلما سمع أبونا هذا منه تعجب منه ومن عظم امانته ولم ير ان يدعه ان يمضى عنه الا بما طلبه فلما سمعت انا الخاطئ كاتب هذه السيرة هذا فصرت مثل الشماس المحب لله تاوفسطس عند كونه مع الأب القديس ديسقرس فى جزيرة غاغرا بسبب الرجل الأعم الذى عوفى بدم يد المعترف فأمنت ان الرب يفعل مع هذا الأب مايرئ ولد هذا الأنسان وفيما انا مفتكر فى هذا اراد الرب ان يزيدنى في هذا القديس اماناً فأمرنى ان أخذ ورقة ودواة واكتب فيها يقول يوساب الحقير أصغر البطاركة جميعهم ويأمرك ايها الروح النجس ان تخرج من عبد المسيح الاهنا ولا تعود اليه فيما بعد بقوة الأب والابن وروح القدس الاله الواحد فاخذ أبو الصبى الكتاب ومضى مسرعاً الى بيته وقرأه على ولده وللوقت خرج منه الشيطان ولم يعد اليه ومدة مقامه بمصر كان يأتى الى أبينا ويسجد له بامانة عظيمة ويقول انا اشكر الرب بصلواتك لأن بكلامك عوفى ولدى وكان أبونا ينهيه ويجعل عليه قانوناً للبيعة ان لا يقول لأحد هذا الكلام وأما الرجل فحلف لنا ان الشيطان لم يعد الى ولده من ذلك اليوم .

وفى تلك الايام تنيح الأب ديونوسيوس بطرك انطاكية فاهتم البطاركة والاساقفة والشعب الأرثدكسى وقدسوا عوضه انساناً كاملاً فى الخصال اسمه يوحنا وكان فى السنة الخامسة عشر من بطركيته أعنى الأب انبا يوساب وفى سنة خمس مائة واثنين وستين للشهداء ولما جلس على كرسى انطاكية كتب الى ابينا سنوديقا كالعادة بالاتحاد وانفذها مع مطرانين وهما أثناسيوس مطران اقمية وطيماتاوس مطران دمشق وكهنة معهما فلما يسمع الأب انبا يوساب بوصولهم الى قريب مصر وصحبتهم السنوديقا سار الى الأسكندرية لكيما يجتمعوا به هناك بمجد فلما قربوا من المدينة انفذ يستقبلهم

باساقفة وكهنة يقرؤون قدامهم الى ان دخلوا بهم الى القلاية البطركية بمجد وكرامة فلما اخذ أبونا السنوديقا بقراءتها على الشعب الارثذكسى ففرحوا فرحاً عظيماً .

فلما نظر العدو المناصب هذه النعمة بدا ان يثير على ابينا البطرك بلايا من جهة من هو له وعام كما فعل فى قاضى الظلم بمصر وكان لذلك القاضى رجل ينوب عنه بالاسكندرية واعمالها وكان اشر منه وكان اسمه محمد بن يشير فمضوا اليه الذين احرم أولاء واشاروا عليه ان يهينه قدام المطرانين وكانوا مهتمين بهذا أولاد النار ويظنون ان هذا الأمر يثقل عليه وهو المشتمل بالاتضاع لا يبالى ولا يفكر فيما يفكرون فيه لأنهم كانوا مفكرين فى قلوبهم انهم اذا اهانوه قدام المطرانين ينقص جاهه ولم يعلموا ان مؤامرتهم مرذولة عند ما يظفر الظافر كل حين وينال الأكليل على الجهاد وينال الطوبى على صبره وينتهى به ذلك الى أقصى المشرق وصورته عند ما يشاهده البران المصرانان فيما يجرى عليه حينئذ انفذ القاضى قاضى الأسكندرية ان يحضر الأب القديس انبا يوساب البطرك ويحضر معه المطرانين فقال له لما حضر عنده قد اعلمونى ان لك غلماناً الذين امرك القاضى صاحبى انت لا تقبلهم اليك دفعة اخرى بعضهم عندك وقد اعدتهم الى دينك فاجاب القديس وقال له ماعندى شئ مما ذكرته وانى لم اشاهد وجه واحد منهم من ذلك اليوم فأمر به ان يضرب على رقبته بغير رحمه ويلكمونه لكما كثيراً ولم ينخلوا عن تشربه توقساً كثيراً وكانت رأسه مطاطئة لا يشيلها لأجل ضعفه ولم يفتح فاه ينطق بلفظة الا قوله هكذا اشكرك ياسيدى يسوع المسيح فبكينا نحن أولاده بكاء مراً لمشاهدتنا ما جرى عليه من ذلك القاضى السوء ولم يأيس من الرحمة بل كان مشجعاً فتعجب ذانك المطرانان وقالا تبارك الله الذى جعنا مستحقين ان نشاهد جهاداً مؤمنا هكذا وكان أبونا المبارك يقول قول الرب لأجل قاضى الظلم ان الرب يظهر فيه الأنتقام الئ يحل به كما قال لوقا الله ينتقم لأصفيائه سريعاً الداعين له ليلاً ونهاراً ويطول روحه عليهم وبعد ذلك كتب الى البطرك أنبا يوحنا كتب السنوديقا وودعهم بمجد وكرامة تصلح لهم يعطون الطوبى لأبينا يوساب وجعلوا يبشرون بفعله فى جميع بلادهم وكانت فى ايامه نعمة وسلامة وكان فى زمانه

أعجوبة ونظر الى الديارات فى كل موضع تنمو وتتزايد كل يوم بطلواته وصلوات القديسين الذين كانوا فى ذلك الزمان وبالخاصة الديارات بوادى هبيب كانت مثل فردوس الله لا سيما دير أبى مقار ومعونة الله مع جميعهم وبالخاصة الأقنوم شنودة القس القديس الذى أظهر الله منه أفعالاً حسنة لا تحصى من أمانته فى القديس أبى مقار وجعل له تذكارات كروماً وبساتين وبهائم وطواحين ومعاصر وخيرات كثيراً لا تحصى ولما شاهد التعب المؤمن فعله ابتهجوا بذلك وكانوا يحسدونه على فعله ويساعدونه بحس نياتهم وكانت فى الدير المقدس خلائق لا تحصى ليس الارثدكسيون فقط بل وهراطقة لأجل العجائب التى تظهر فى هذه البيعة وفعل هذا الأقنوم [1] شنودة وكان يرجو المجازاة من الله كقول بولس الرسول نحن بالروح بالأمانة ننظر رجاء حقيقياً ولما رأى الرهبان يتزايدون بنعمة الله التى تدعوهم بدا ونبى بحرى البيعة الكبيرة بيعة باسم الآباء التلاميذ وكملها وزينها بكل زينة ودعاً أبانا القديس أنبا يوساب البطرك الى هذه البيعة فلما نظرها امتلا قلبه سروراً وكرزها فى أول يوم من برمودة فى السنة السابعة عشرة من بطركيته ولم يفتر الأب من البركة على هذا شنودة الأقنوم من عمق قلبه وينظر التذكارات التى يعملها يوماً بعد يوم وبالخاصة هذه البيعة المقدسة الجامعة الحسنة وكان لنا نحن أولاد هذا الأب محبة عظيمة لهذا الأقنوم لما تساهده من محبة أبينا له وكان الأب يقول لنا بقوة روح القدس الحال فيه يا أولادى صدقونى ان لهذا الأخ تذكارات كثيرة يفعلها وبناء بيع وكنائس وكنا نسمع هذا منه فتقول ترى انه يبنى بيع اخر فى هذا الجبل وكان كلامه كالنبوة ونحن لا نعلم حتى ظهر لنا بعد ذلك ما سوف نذكره وكان فى يد أبينا عكاز لطيف دفعه لشنودة الأقنوم وقال له خذ هذا يا ولدى تذكاراً لك فلما رأينا هذا قلنا ان هذا بسبب أمور تظهر لأن كل أفعاله بنعمة روح القدس .

ولما كان فى السنة الثامنة عشرة من بطركيته ولى على مدينة الأسكندرية أمير أسمه مالك بن ناصر الحدر وكان انساناً سوء ظالماً فلما دخل المدينة بدا أن يفعل سوء

(١) أى رئيس الدير

يكثير من الناس أكثر من الوالى الذى كان قبله فاعترض أصحاب الصناع والتجار الكبار البرازين والباعة وتقدم الى التجار الكبار والبزازين أن لا يبعوا ويشتروا الا حداً يحد لهم وعمل قياساً كبيراً وجعل ينادى مناد ويقول من وجد عنده ثوب ناقص عن هذا القياس انا اعتقله وأهينه وأقتله فلما شاهدوا أهل الأسكندية هذا حزنوا وقالوا قد علمنا الآن ان الله قد اذل هذه المدينة وسكانها بيد هذا الرجل الظالم فاننا الضعفاء الحاكة والقراريون فكانوا يسبخون من قطع معايشهم وبطلوا أولادهم تحتى عدموا قوتهم وعولوا على الغربة والخروج الى البلدان ليعيشوا وكانوا يصرخون ليلاً ونهاراً بأن ينقذهم الله من هذا الظالم فلم يغفل الله عن دعائهم لكن سمعهم سريعاً لأنه قال على لسان داءود النبى فى مزمور أصرخ التى وأنا أجيبك وأخلصك وقال ايظاً الرب قريب من الذين يدعونه فلما كان بعض الأيام ركب ذلك الأمير وجاء الى قلاية البطرك ومعه سرارى فأكل وشرب معهن ثم انه قام وطاف الأب منه وأدخل سراريه اليه وأكل معهن وشرب هناك ونام معهن فيه وهو الموضع الممتلى بخوراً وطيباً من صلوات القديسين البطاركة فلما شاهد هذا الأب القديس حزن وبكى جداً وقال قول داءود النبى فى المزمور[1] ياالله دخلت الأمم الى ميراثك ونجسوا هيكل قدسك فلما فعل هذا الأفعال الطمئة بغير خوف خرج وعاد الى موضعه والله صانع العجائب فى كل حين انتقم منه لحقه فى ذلك اليوم ضربان فى أحشائه وقارب الموت عاجلاً ولم يتخل عن ظلمه وفعله السوء ثم مضوا أولاد النار وسعوا بالاب قائلين هذا يكاتب ملوك الروم وينفذون اليه مالاً كثيراً فانفذ سرعة وأحضر أبانا وأمر باعتقاله فى موضع ضيق ووكل به حفظة يحفظونه وعون على عقوبته الى ان يدفع له الف دينار وهو صابر ولم يزل يهدده الى ان استقر الحال على أربع مائة دينار وفى جميع هذا الضربان يتزايد عليه توالدم يجرى من تحته ولا ينام ليلاً ولا نهاراً ولم يقدر له على طبيب يدلويه ولم ينفع فيه دواء وكان الأب معتقلاً على الأربع مائة دينار ويدعو لله ليلاً ونهاراً قائلاً ليدخل اليك يارب ابتهالى وتنهدى المعلولين الأسرى واقام تحت الضيق اياماً وهو يهدده ويخوفه بسبب

(١) مزمور ٩٠

أحضار المال وكانوا تلامذه وأصحابه تحت حزن عظيم وقلق فاشاروا عليه يدفع المال فقال لهم الذى عليه روح النبوة ان كان ما نخرج من هذا الموضع حتى تدفع ما طلبه هذا الظالم ففى اليوم السابع من دخولنا اليه يظهر ما يتعجب كل أحد منه من أحكام الله التى تظهر سريعاً ثم دفع الأربع مائة دينار وأطلقوه هو من كان معه فى الحبس وانا كاتب هذه السيرة الحقير كنت معه فى السجن والرب الشاهد لقد اتم كلام هذا القديس فى اليوم السابع من وزنه الدنانير ونحن عنده حتى دخلوا اليه قوم اعلموه بوفاة الوالى وان منادياً ينادى فى الأسواق للناس قوموا أدفنوا الوالى فمجد كل أحد الله صانع العجائب مع قديسيه وصاروا أهل البلد يبجلون الأب ويكرمونه لما صبر عليه من الشدائد والأحزان والضيق وان الله قد خلصه من جميعها ويظهر على يديه العجائب ولما ناله من الظيق والحزن والشدة اراد الله ان يريحه من هذا العالم ويدعوه الى المساكن النيرة ليكون فى الحياة الأبدية كما وعد القديس وقال تتنعم الي الأبد وتحيى الى الدهر فاعتل بعد ذلك البطرك بحمى وفى اليوم السابع من مرضه افتقده الرب وأخذه اليه وتنيح فى اليوم الثالث والعشرين من بابة سنة خمس مائة وست وستين للشهداء وكان يوم أحد وقت تناول السرائر المقدسة وكان مدة مقامة على الكرسى الأنجيلى الرسولى ثمانى عشرة سنة واحد عشر شهراً وحملوا جسده الى مدينة الأسكندرية وجعلوه عند ابائه القديسين بمجد وكرامة وبكى الشعب عليه بدموع كثيرة من أهل الأسكندرية رجال ونساء لعدمهم رجلاً ثبتاً مجاهداً ونال أكليل الغلبة وهذا ما شاهده بعينى اقتصرت على ماشرحته من كثرة عجائبه ونحن ندعو الى الرب ان يجعل صلواته معنا .

ويجب عليكم يا ساداتى القديسين ويجب على أيضاً ان اعلمكم تمام نبوة مما كان قاله لى وهو فى الحباة ونعمة الرب بعد وفاته ليتعجب من يسع ويمجد الله الممجد بمختاريه وقد بدأت وقلت ان فى الزمان الذى انزل قاضى الظلم على الأب البلايا بمصر قال ان تكنت انا خاطئاً فان الله ينزل على هذا الرجل الظالم انتقاماً لأجل فعله ولكن ليس فى أيام حياتى بل بعد وفاتى ولما تنيح كان فى ذلك الزمان ملك للمسلمين اسمه

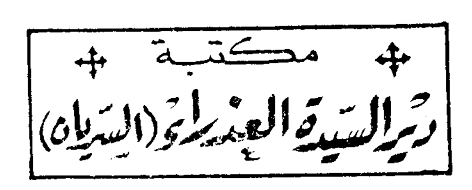
جعفر بن ابرهيم فانفذ الى مصر رجلاً اسمه يعقوب بن ابرهيم ليكشف أحوال مصر ويعرفه بها فلما وصل اليها عرفوه بأمر من الله حال القاضى الظالم وأفعاله الردية التى فعلها سراً وجهراً فعند ذلك أخذ متولى الترتيب بغتة ولم يعلم فظهرت جميع أعماله المرائية التى يرائى بها الناس وأفعاله الباطنة النجسة الذميمة فاخذه واهره فى جميع شوارع مصر وحلق لحيته ونظف رأسه وكل احد يشاهده ورماه الحبس ونهب ماله وكل من كان ينطوى عليه من أصحابه تبددوا فى كل موضع حتى أولاده ثم نفاه الى مدينة الملك ومات هناك بموته سوء والقاضى النائب عنه بالاسكندرية الذى أمر بضرب الأب أنبا يوساب عمل به مثل صاحبه وأسر وهرب بعد ذلك ولم يرجع أخد يراه فى المدينة ولم يعاينه احد الى الآن وكل من نظر هذا أو سمع به تعجب ومجد الله بسبب هذين الظالمين اللذين تم عليهما استحقاقهما والانتقام مهما كمل هو مكتوب جاهل وغير فهم يهلكان جميعاً .

ذكرنا لمحبتكم جهاد الأب القديس أبنا يوساب وتذكر لكم فعله طول زمانه ومدة مقامه على الكرسى لم شغل قلبه ولا شغله ما نزل عليه من الأمور الصعبة بل كان مداوم الصلوات ليلاً ونهاراً وكان يختم قراءة المزامير في كل يوم خمسة وسبعين مزمورا بالنهار وخمسة وسبعين مزموراً الى نصف الليل خارجاً عما كان يقول من التسابيح بابتهال للرب ومسكنة وخشوع وهذه التى كان عليها طول أيام حياته أعنى التواضع والرحمة والسكينة والعفاف وملازمة الصلوات وأعطاء الصدقات حتى انه بعد هذه السنين التى اقامها بطركاً كان همه وفكره وحواسه مثل من هو فى ركن من قلاية بوادى هبيب فنال بذلك أكليل أعماله من الرب يسوع المسيح وصار مع القديسين فى كورة الأحياء والمجد للأب والأبن وروح القدس الى الأبد أمين .

تم الجزء الثانى من سير البطاركة القديسين

صلواتهم تكون معنا وطلباتهم تحرسنا أمين

الفهرس


مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)